

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري

شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى

ت ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء الأول

القسم الأول: في ذكر المسالك ومقدار الأرض وحالها

تحقيق

طلال زهير هاشم　　علي زهير هاشم



مركز زايد للتراث والتاريخ




مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

رقم التصنيف : ديوي 919
المؤلف ومن هو في حكمه : ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٩م
تحقيق : طلال زهير هاشم ـ علي زهير هاشم
عنوان الكتاب : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول ـ القسم الأول: في ذكر المسالك ومقدار الأرض وحالها ـ القسم الثاني: الإقليم الأول والثاني والثالث
الموضوع الرئيس : قسم خاص في جغرافيا الأرض ومسالكها، ومقدار الأرض وحالها، وفي ذكر الإقليم الأول والثاني والثالث
قيد الكتاب : تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: (٢٢٣ ـ ٢٠٠٦) تاريخ ٢٠٠٦/٥/١٧
الناشر : مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
ملتزم الطبع : دار البارودي ـ أبو ظبي ص.ب ٤٢٨٦٠
توصيف الكتاب : مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٤١٢ صفحة
الرقم الدولي : ISBN 9948-06-153-5

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م



مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY
ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١
P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177
E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE





كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ ـ ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الإعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا.

والله ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فالكتاب الذي نقدمه والموسوم:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل العمري المتوفى عام ٧٤٩هـ لعله من أشهر الكتب التي صنفت في موضوعها بما أصبح يطلق عليه الموسوعات أو دوائر المعارف أو الإنسكلوبيديا.

والكتاب من أبرز ما صنف في العهد المملوكي فقد وضعه مؤلفه في ٢٧ مجلداً فكان بحق موسوعة فيه من صنوف المعرفة كالفلك والجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية والأنساب والتاريخ... الخ. حتى قال عنه ابن أيبك الصفدي أحد معاصري ابن فضل اللّه العمري: إنه لم يؤلف مثله».

وحسب علمنا أن معظم مجلداته قد طبعت وبفترات متلاحقة ومن جهات عديدة لكن السفر الأول وبقسميه فقد نشر المرحوم الدكتور أحمد زكي القسم الأول في مصر عام ١٩٢٤ وأصبح نادر الوجود والقسم الثاني لا يزال مخطوطاً؛ فرأينا إعادة تحقيق السفر الأول بقسميه تحقيقاً علميًّا.

نأمل أن نكون قد وفقنا في عملنا هذا.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

الناشر



المؤلف[1]

اسمه ونسبه:

أحمد بن يحيى بن فضل اللّٰه بن المجلي بن دعجان ينتهي نسبه إلى عبد اللّٰه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، القاضي شهاب الدين أبي العباس ابن القاضي محيي الدين القرشي ـ العدوي العمري الدمشقي.

عرف واشتهر: بابن فضل العمري.

من شيوخه[2]:

لقد أخذ العربية عن كمال الدين ابن قاضي شهبة ثم على قاضي القضاة شمس الدين ابن مسلم والفقه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد. وعلى الشيخ برهان الدين قليلاً. وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والعروض على شمس الدين الصايغ. وتأدب على علاء الدين الوداعي. وقرأ جملة من المعاني والبيان على الشيخ شهاب الدين محمود ـ شيخ ابن أيبك الصفدي، وبعض تصانيفه أيضاً، وقرأ بعض الشيء من العروض على الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني والأصول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني.

وقرأ بمصر على الشيخ أثير الدين وسمع منه، وسمع بدمشق والقاهرة والحجاز والإسكندرية وغيرها الكثير من القصائد، والاراجيز وغيرها.

سيرة حياته[3]:

ولد عام سبعمائة للهجرة في دمشق، وكتب الإنشاء بدمشق أيام بني محمود، ثم ولي والده كتابة السر بدمشق، ثم طلب إلى مصر هو ووالده في سنة ٧٢٨، وباشر والده كتابة السر بمصر، ثم خرج مع أبيه إلى دمشق، ثم عاد إليها معه عام ٧٣٣ وأقام حتى عام ٧٣٦ وهو يدخل يقرأ البريد على السلطان ويجلس في دار العدل ووالده القاضي محيي الدين كاتب السر.

---

(١) أخذنا معظم ترجمة المؤلف عن (أعيان العصر وأعوان النصر لابن أيبك ١/٢٥٠ تحقيق فالح البكور) وعن (فوات الوفيات: ١/١٢).

(٢) المصدر الأول السابق بتصرف.

(٣) عن المصادر السابقة.

ثم ساءت علاقة والده محيي الدين مع الملك الناصر محمد بن قلاوون فعزله وألزمه داره إلى أن شفع له وولاه كتابة السر، وابنه أحمد، مؤلفنا يقرأ البريد كما مرّ.

لكن طباع العمري جرت عليه المصائب حتى غضب منه السلطان فرسم عليه الإقامة - الجبرية - أربعة أشهر لأمور بدرت منه سنة ٧٤٣، ثم أحضر مصر، ثم وافق السلطان على إعادته إلى دمشق بشفاعة شقيقه فيه[١].

وأخيراً وفي السنة التي توفي فيها عام ٧٤٩ سافر في طلب اداء الحج عبر القدس فماتت زوجته هناك، فدفنها[٢]، وعاد إلى دمشق فتوفي يوم عرفة ٧٤٩هـ.

مصنفاته:

من مؤلفاته[٣]:

١ - فضل السمر في فضائل آل عمر في أربع مجلدات.

٢ - وكتاب الدعوة المستجابة.

٣ - صبابة المشتاق: مجلد في مدائح النبي ﷺ.

٤ - سفر السفرة.

٥ - دمعة الباكي.

٦ - يقظة الساهر.

٧ - نفحة الروض.

وغيرها.

مكانته:

لعل أفضل وصف قيل بحقه ما ذكره صلاح الدين بن أيبك الصفدي عندما ترجم له فقال[٤]: «الإمام الفاضل، البليغ المفوّه، حجة الكتاب، إمام أهل الآداب، الناظم الناثر، أحد رجالات الزمان كتابة وترسلاً وتوسلاً إلى غايات المعالي، وتوصلاً وإقداماً على الأسود في غابها،

---

(١) الدر الكامنة: ١/ ٣٥٢- ٣٥٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) (أعيان العصر: ٢٥١/١).

(٤) المصدر السابق: ٢٥٠/١.

وإرغاماً لأعاديه بمنع رغابها، يتوقد ذكاء وفطنة ويلتهب ويتحدَّر سيله ذاكرة وحفظاً ويتصبب، ويتدفق بحره بالجواهر كلاماً، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المستعرة نظاماً، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة، وتندى عباراته انسجاماً وصياغة وينظر إلى غيب المعاني من ستر رقيق، ويغوص في لجة البيان فيظفر بكبار اللؤلؤ من البحر العميق، قد استوت بديهته وارتجاله، وتأخر عن فروسيته من هذا الفن رجاله، يكتب من رأس قلمه بديهاً، ما يعجز تروي القاضي الفاضل أن يدانيه تشبيهاً، وينظم من القطوع والقصيدة جوهرا يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهرا، صرف الزمان أمراً ونهياً، ودبر الممالك تنفيذاً ورأياً، ووصل الأرزاق بقلمه، ورويت تواقيعه وهي سجلات لحكمه وحكمه، لا أرى أن اسم الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه.... اهـ.

من نظمه(١):

من قوله:

سل شجيًّا عن فؤاد نزحا ... وخليًّا فيهم كيف صحا

ومحبًّا لم يذق بعدهم ... غير تبريح بهم ما برحا

مزج الدمع بذكرى لهم ... مثل خدَّيْ من سقاه القدحا

زاره الطيف وهذا عجب ... شبح كيف يلاقي شبحا

وله أيضاً:

يقول بي من شعره أسود ... كالليل بل بينهما فرقُ

قلت وبي من وجهه أبيض ... فقال لي هذا هو الحقُّ

---

(١) عن (فوات الوفيات: ١/١٥).



بين يدي الكتاب

تمهيد:

لقد احتار مصنفو فهارس الكتب ـ ببلوغرافيا ـ في تعريف كتاب العمري هذا، «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» هل هو في مجال التاريخ حيث وصلت فيه الحوادث والوقائع لعام ٧٤٤هـ.

أم هو في مجال الجغرافيا الطبيعية لما تضمنه من تعريف للأقاليم وللمدن والجبال والأنهار والبحيرات في معظم بقاع العالم وحتى المسافات...الخ.

أم هو في علم الأنساب وفيه تعريف للقبائل منذ العرب البائدة حتى العاربة والمستعربة وما تفرع عنها من شعوب وأفخاذ وعشائر..

أم هو في علم الفلك لما احتواه من بحث في الكواكب السيَّارة والثابتة ومنازل القمر والخطوط والابعاد وغيرها.

أم هو في ما عرف (بعلم البلدان) الذي يبحث في المسالك والممالك حيث تذكر المدن والأصقاع وما شابهها من طرق مسلوكة ومفازات ومراحل...

لذا رأى العديد تصنيفه تحت عنوان «الموسوعات» أو ما عرف بوقتنا الحاضر «إنسيكلوبيديا».

الموسوعات في التراث العربي:

هناك عدة كتب تنضوي تحت هذا الاصطلاح في تراثنا العربي عرفت واشتهرت بعد أن ظهرت للنور من خلال تحقيقها وطباعتها مؤخراً.

وفي نظرة أولية لبدايات التأليف الموسوعي القديم منذ بدايات القرن الثالث الهجري نجد أنه من أوائل الكتب التي صنفت في هذا المجال ـ المجال الموسوعي ـ كتاب «الحيوان» للجاحظ و«عيون الأخبار» لابن قتيبة وكتاب «الأنساب» للسمعاني وكتاب «الاكتساب في تلخيص الأنساب» للخيضري، و«مجمع الأنساب» المنسوب للبلبيسي وغيرها.

كما أنه في مجال البلدانيات فمن كتاب «معجم البلدان» لياقوت المشهور إلى «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي إلى «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي

وهو من موارد مؤلفنا هذا، وغيرها كمؤلفات ابن خرداذبة والإصطخري وابن رستة وغيرهم.

ثم هناك الموسوعات التي تتعلق بتراجم الرجال العامة كتاريخ الإسلام للذهبي، وسير أعلام النبلاء له أيضاً، والوافي بالوفيات، وفوات الوفيات وهما ذيل لكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان وجميعها مشهورة ومعروفة.

ثم في تراجم الرجال الخاصة ومنها على سبيل المثال تراجم رجال الحديث الشريف وما عرف بعلم الجرح والتعديل من فروع علم الحديث النبوي، فقد اشتهر منها كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي، وميزان الاعتدال للذهبي، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني، وتهذيب التهذيب لابن حجر نفسه، وكتاب «الإكمال» لابن ماكولا، وقبلهما كتاب الإمام المزي الشهير.

عدا عن كتب التاريخ العام وكتب الطبقات ولمختلف رجال المعرفة كالأغاني وطبقات الشعراء والحفاظ وغيرهم الكثير الكثير.

لكن ما هي أشهر الموسوعات ومتى عصرها؟

عصر الموسوعات الشهيرة:

في الواقع من أشهر الموسوعات العربية تلك التي ألفت في القرون الوسطى وفي القرن الثامن خاصة حيث عرف واشتهر منها:

أ ـ كتاب مباهج الفكر في مناهج العبر»[1]:

الكتاب من تأليف جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي الوراق المعروف بالوطواط والمتوفى عام ٧١٨هـ، وقد عمل ناسخاً في حرفة الوراقة فنسخ العديد من الكتب المشهورة، وكذلك ألف عدة كتب أشهرها كتاب المباهج هذا والذي يتناول فنوناً أربعة:

١ ـ **الفن الأول: في ذكر السماء**: ماهيئتها والكواكب الثابتة والمتحركة ومنازل القمر والآثار العلوية والأيام والشهور وفصول السنة وأزمنتها وذكر أعياد الأمم.

٢ ـ **الفن الثاني: في ذكر الأرض**: مبدأ خلق الأرض وهيئتها، وذكر الجبال والمعادن، وذكر البحار والجزائر والعيون والأنهار وأنساب من سكن المعمورة، وذكر البلاد التي جاس خلالها المسلمون وخصائص البلاد وطبائع مساكنها وفي ذكر المباني القديمة والآثار وما وصفت به المعاقل والمنازل.

---

(١) الكتاب لا زال مخطوطاً طبع بعض أقسام منه وقد انهى تحقيقه فالح البكور وسيصدر قريباً بإذن اللّه.

٣ ـ الفن الثالث في ذكر الحيوان: بدأه في ذكر خصائص الإنسان، ثم في ذكر طبائع ذي الناب والظفر، ثم في طبائع الحيوان المتوحش ثم في ذكر طبائع الحيوان الأهلي، ثم في ذكر طبائع الحيوان الأهلي ثم في ذكر طبائع الحشرات والهوام، ثم في ذكر طبائع سباع الطير، ثم طبائع بغاث الطير، ثم في ذكر طبائع طير الليل والهمج، ثم في ذكر طبائع حيوان البحر، والمشترك.

٤ ـ الفن الرابع في ذكر النبات: وقد بدأه في كيفية كون النبات وكميته ثم فيما يوافق النبات من الأرضين، ثم في فلاحة الحبوب والقطاني، ثم في فلاحة النبات الذي لثمره قشر، ثم في فلاحة النبات ذي النوى، ثم في فلاحة النبات الذي لا قشر لثمره ولا نوى، ثم في فلاحة أنواع الرياحين بعدها في ذكر أشجار الأمنان والصموغ وبه ثم الكتاب.

وكما يلاحظ من خلال سرد الفنون الأربعة التي تناولها الكتاب وأبواب كل فن نجد أنه بحق يعد موسوعة أو إنسيكلوبيديا كما في اصطلاحات عصرنا الحاضر.

ولا ننسى أن نشير إلى أنَّ أهمية الموسوعة هذه ليست فقط مرتبطة بما قدمه المؤلف من فنون متعددة، فقد جاء بعده من ذكرها وتوسع بها لكن أسبقيته في ذلك أعطت لموسوعته هذه الريادة، فالموسوعة من موارد صبح الأعشى ـ الموسوعة التي سنتحدث عنها ـ ومن موارد موسوعة النهاية الأرب، للنويري التي سنتحدث عنها أيضاً ويمكن اعتبارها من موارد «مسالك الأبصار» أيضاً.

ب ـ كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب»[1]:

لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري شهاب الدين النويري المنسوب إلى نويرة من قرى بني سويف بمصر.

وقد ولد النويري بقوص عام ٦٧٧ واتصل بالسلطان الملك الناصر وتقلب في الأعمال الديوانية، وتنقل من منطقة إلى أخرى ليعمل في نظر الديوان ونظر الجيش.

ألف العديد من الكتب. له نظم قليل، توفي عام ٧٣٣هـ.

والكتاب ينطبق عليه اصطلاح الموسوعة أو الإنسكلوبيديا فهو شبيه بدائرة معارف ضمت الفنون التالية:

١ ــ السماء.

---

(١) الكتاب طبع في مصر طبعة دار الكتب المعروفة.

٢ ـ الإنسان وما يتعلق به.

٣ ـ الحيوان.

٤ ـ النبات.

٥ ـ التاريخ.

وفي تأليفه لهذا الكتاب الضخم حيث استوعب فيه الكثير من المصادر القديمة فاستغرق ذلك ثلاثين مجلدة ضمت نيفاً وأربعة آلاف وأربعمائة صفحة.

من هذه المصادر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني حيث نجده ملخصاً في الجزأين الرابع والخامس من الكتاب وملخصاً آخر لكتاب مباهج الفكر السابق في الجزء الثاني عشر منه إضافة إلى ما نقله من كتب فقه اللغة ومجمع الأمثال وغيرها الكثير.

ومن فوائد كتاب النويري سوى ما ذكرنا أنه من موارد ابن تغري بردى حيث اعتمد فيه على ما سرده من مشاهد النويري في كتابه.

وأيضاً طريقته في ترتيب التراث الأدبي لما سبقه من قرون.

كما لا ننسى ذكره للسيرة النبوية في الأجزاء ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ وغيرها من الحوادث التاريخية آخرها الكلام على سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون.

حـ ـ كتاب «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»(١):

لمؤلفه أحمد بن علي بن أحمد شهاب الدين القلقشندي، ولد بقلقشندة إحدى قرى مديرية القليوبية بالديار المصرية. درس على أكابر شيوخ عصره وبرع في علوم اللغة والبلاغة والإنشاء. حتى التحق بديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق. وفي أثناء توليه هذا العمل ألف كتابه «صبح الأعشى»، إلى أن توفي عام ٨٢٣هـ.

والكتاب تنطبق عليه سمات الموسوعية لما فيه من غزارة وشمولية المعلومات عمادها الإنشاء. وقد وزع كتابه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة استغرقت أربعة عشر مجلداً ـ مطبوعة ـ أي حوالي سبعة آلاف صفحة، يمكن تلخيصها:

١ ـ **المقدمة**: يتناول فيها فضل القلم وشرف الكتابة وصفات الكتّاب وآدابهم وقوانين الدواوين ومراتبهم والتعريف بالوظائف الديوانية وغيرها.

---

(١) الكتاب مطبوع ومشهور أشهرها طبعة دار الكتب المصرية.

٢ ـ **المقالة الأولى**: يتناول فيها المؤلف مجموع المعارف التي يحتاجها الكاتب في ديوان الإنشاء، وما يحتاجه من أنواع الأقلام مع نماذج من الرسوم التوضيحية.

٣ ـ **المقالة الثانية**: في المسالك والممالك ذكر فيها الأرض والخلافة.

٤ ـ **المقالة الثالثة**: في ذكر الأسماء والكنى والألقاب مما يتعلق بأمور الكتابة ومقدار قطع الورق وما يناسبه من الأقلام والبياض الذي على الكاتب أن يراعيه...

٥ ـ **المقالة الرابعة**: وهي أوسع المقالات وفيها فهرس مطول لألقاب الملوك وأرباب السيف والعلماء والكتاب والقضاة، ثم يشرح أساليب الكتابة من استفتاحات ومقدمات وادعاءات... مع ذكر كتب منذ عهد الرسول ﷺ وحتى عهده مع ذكر نماذج لتلك المراسلات.

٦ ـ **المقالة الخامسة**: وفيها يتناول موضوع الولايات وطبقاتها من الخلافة والسلطنة ثم الألقاب خلافية ومملوكية فالبيعات فالعهود مع نماذج منها.

٧ ـ **المقالة السادسة**: عن الوصايا الدينية والمسامحات والطرخانات... الخ.

٨ ـ **المقالة السابعة**: عن الإقطاعات.

٩ ـ **المقالة الثامنة**: عن الأيمان وأنواعها من الجاهلية وحتى عصور الإسلام... الخ.

١٠ ـ **المقالة التاسعة**: عن الهدن وأنواعها وعهود الأمان وعقود الصلح ونماذج منها وما يكتب لأهل الذمة من عهود... الخ.

١١ ـ **المقالة العاشرة**: وفيه يذكر المؤلف فنوناً من الكتابة في الجديات وفي الرسائل، وما يكتب عن العلماء وأهل الأدب، وفي الهزليات... الخ.

١٢ ـ **الخاتمة**: في ذكر ما يتعلق بالإنشاء كالبريد وتاريخه في مصر وسوريا والحمام الزاجل وأبراجه ومطاراته وعن الثلج ونقله إلى الديار المصرية... الخ.

حـ ـ كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»:

وهو كتابنا هذا وسنذكره في فصل مستقل مع ترجمة للمؤلف.



مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

يعدّ هذا الكتاب من أوسع ما ألفه العرب في عهد المماليك لكنه لم يلق كغيره من الشهرة كما هو الحال في صبح الأعشى ونهاية الأرب وغيرهما. وقد وصف الكتاب ابن أيبك الصفدي ـ معاصر العمري ـ بقوله»[1]:

بأنه في أكثر من عشرين مجلداً ما أعلم لأحد مثله، تراجمه مسجوعة جميعها، ولي فيه عمل كثير في اختيار شعره».

ويمكن الاستدلال على مدى أهمية كتاب العمري هذا من خلال من نقل عنه من كبار المصنفين الذين نقلوا عنه ممن عاصره ومن جاء بعده ويأتي في مقدمتهم القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» فقد أعتمد على «مسالك الأبصار» اعتماداً كليًّا وذلك في المقالة السابعة ـ كما مر معنا ـ حيث يتحدث عن المسالك والممالك التي تناولها العمري بالإضافة إلى اعتماده على مصنفات لبلدانيين آخرين أمثال ابن خرداذبه والمقدسي والمسعودي وغيرهم.

ممن اعتمد على المسالك غير القلقشندي: السيوطي المتوفى عام ٧١١هـ، وابن شاهين، والمقريزي، وجميعهم من كبار المؤرخين العرب.

وبذلك نرى مدى المكانة التي يحتلها هذا السفر الضخم في تراثنا العربي.

النهج الذي اتبعه العمري في كتابه:

يمكن أن نستنتج ذلك من خلال المسارات التي اتبعها المؤلف في خطبة الكتاب حيث يذكر أنه أراد بمؤلفه اثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها. وحالة كل مملكة وما هي عليه....

ويذكر بأنه لم ينقل إلا عن أعيان الثقات.. واستكثر السؤال عن كل مملكة في سبيل ذلك.... حيث نقل عن بعض الكتب، الكتب المصنفة في هذا الشأن كتقسيم الأقاليم وما فيها من أقوال... ولم يكتف بذكر المملكة جغرافيًّا بل يذكر مملكة كل سلطان جملةً وتفصيلاً.

ويضيف أنه لم يقصد سوى الممالك العظيمة.. من ممالك الإسلام، ولم يذكر ممالك الكفار ـ كما سمَّاها ـ إلا عرضاً ويضيف بأنه سيذيل كتابه بشرح عنها إن أمكن ذلك مستقبلاً.

---

(١) عن كتابه «أعيان العصر وأعوان النصر» في ٤ أجزاء صدر عن دار الفكر بيروت عام ١٤١٩ بتحقيق فالح البكور.

ثم يشير أنه أو لما يبدأ بالمشرق لأن منه ينفتح نوار الأنوار وتجري أنهار النهار إلى أن يختمه بنهاية المغرب إلى البحر المحيط لأنه الغاية وإليه النهاية.

ثم يبدأ بالمدح والثناء إلى سلطان زمانهم كما هي العادة في المؤلفات العربية القديمة.

أقسام الكتاب:

لقد أوردها في بداية كتابه وهي على النحو التالي نذكرها بإيجاز[1]:

١ ـ **القسم الأول:** الأرض وينقسم إلى نوعين.

أ ـ النوع الأول في ذكر المسالك.

ب ـ **النوع الثاني** في ذكر الممالك.

وقد قسم الأنواع إلى أبواب عديدة فصل فيها ما يحتاج إليه[2].

والقسم الثاني من الكتاب خصصه لسكان الأرض من مختلف الشعوب وفيه أربعة أنواع:

النوع الأول: في الإنصاف بين المشرق والمغرب.

النوع الثاني: في الكلام على الديانات.

النوع الثالث: في الكلام على طوائف المتدينين.

النوع الرابع: في ذكر التاريخ وفيه بابان.

الباب الأول في ذكر الدول التي كانت قبل الإسلام.

الباب الثاني في ذكر الدول التي ظهرت في الإسلام وحتى عصره[3].

لكن من الأنسب أن نشير إلى أن من أهم الأجزاء التي وردت في كتاب العمري هو الجزء الذي تضمن الباب السادس وهو الذي خصصه عن الدولة المملوكية وهو الأصل لما عرضه المقريزي المتوفى عام ٧٤٥هـ والسيوطي ٩٠٠ والقلقشندي ٨٢١ عن الدولة المملوكية من تعريف بمؤسسات الدولة وترتيب الجيش والنقود والتقسيمات الإدارية[4]...

---

(١) الأصل: ١/ ٧ـ خ).

(٢) انظر المقدمة المحققة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) قامت بتحقيقه دوروتيا كراڤولسكي وصدر عن المركز الإسلامي للبحوث عام ١٤٠٧هـ.

مادة الكتاب:

أهم ما تناوله كتاب المسالك من صنوف المعرفة الجغرافيا والتاريخ وهما السمتان اللتان تميزان كتاب المسالك كما يخال من اسمه أيضاً وكما ذكرنا سابقاً. وبالتالي كان المصدر الأساسي لدراسة العصر المملوكي والذي استفاد منه من جاء بعده كما سلف وذكرنا ويكفيه ذلك.

والقسم الثاني الذي خصصه العمري لسكان الأرض، ففي نوعه الرابع الخاص بالتأريخ تضمن تراجم كثيرة لطبقات عديدة كأهل النحو واللغة والفقهاء وتراجم أهل الحديث الشريف والوزراء والأطباء والحكماء والشعراء والصوفية... الخ مما لا نجده في مصدر آخر وبالتالي يمكن تقدير مدى أهمية مادة كتابه هذا.

طبعات الكتاب:

أول من بدأ بنشر الكتاب المرحوم الدكتور أحمد زكي باشا فقد نشر القسم الأول من السفر الأول عام ١٩٢٤ بمصر وقد عز وجوده ثم تبعه جماعة من العرب والمستشرقين في نشر بقية الأجزاء منهم المستشرقة دوروتيا كرافولسكي حيث نشرت القسم السادس وكذلك قسماً من قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين عام ١٤٠٦ وصدر عن المركز الإسلامي للبحوث.

وكذلك نشر د. أيمن فؤاد السيد قسماً عن ممالك مصر والشام والحجاز واليمن وصدر عن المعهد الفرنسي بالقاهرة.

وتبعهم العديد.

لكن لم ينشر ـ حسب علمنا ـ كاملاً حتى الآن سوى ما صدر عن الدكتور فؤاد سزكين في السلاسل التي ينشرها، فقد أصدره مصوَّراً عن الأصل في ٢٧ جزءًا لتقسيم المؤلف دون أي تحقيق أو تعليق سوى المقدمة.

وهناك دراسات قام بها عرب ومستشرقون عن الكتاب منهم على سبيل الذكر: كاترمير و«أماري» و«اليش» و«تيشنر» و«دي موبين» و«تيزنهوزن» وغيرهم.

طبعتنا هذه:

لعلها المرة الأولى ـ حسب علمنا ينشر القسم الثاني من السفر الأول وبه يتم طبع الكتاب كاملاً.



أصول الكتاب الخطية

تتوزع أجزاء الكتاب في العديد من مكتبات العالم. وكان أول من اكتشف الكتاب كاملاً العالم المصري أحمد زكي باشا حيث استطاع جمعه من نسختين خطيتين في استانبول، فحوالي ثلث الكتاب بخط المؤلف من نسخة آيا صوفيا، وأكمله من نسخة مكتبة أحمد الثالث في طوب قابو سراي.

وفيما يلي ذكر الأجزاء الخطية للكتاب وأماكن تواجدها وأرقامها[١].

مخطوطة أياصوفيا السفر الخامس رقم ٣٤١٨.

السفر الخامس عشر رقم ٣٤٢٨.

السفر التاسع عشر رقم ٣٤٣٢.

السفر الخامس والعشرون رقم ٣٤٣٧.

مخطوطة أحمد الثالث: رقم ١٢/٧٩٧ الجزء الأول.

مخطوطة لاله لي باستانبول رقم ١٠٢٧ الجزء السادس.

مخطوطة السليمانية ــ يازمه باغشلر رقم ١٩١٧ الجزء ٢٦.

مخطوطة لندن ــ المتحف البريطاني رقم ٩٥٨٩ الجزء ١٤.

مخطوطة باريس ــ المكتبة الأهلية رقم ٢٣٢٧ الجزء ١٧.

مخطوطة روان كوشك رقم ١٦٦٣.

استانبول ــ قره جلبي زاده رقم ٢٩٦ الجزء ٢١ في ١٥٢ق.

القاهرة ــ دار الكتب المصرية ــ تاريخ رقم ٣٣٧ المجلد ١٣، ٢٠٤ق.

تاريخ رقم ٣٣٦ مجلده.

الكتب المصرية تاريخ رقم ٩٩ ج٥ + ج٦ + ج٧ + ج٨ + ج + ج + ح٨[٢].

---

(١) أخذنا المعلومات عن المقدمة التي وضعها د. فؤاد سزكين لمصورة الكتاب التي نشرها.

(٢) يحيل القارىء في المرجع السابق إلى فهرس دار الكتب العربية بالقاهرة ١٣٠٨هـ الجزء الخامس ص ١٤٧ـ ١٥٠.

باريس رقم ٢٣٢٥ ج٣ في ٢٣١ق نسخ القرن ٨هـ.

باريس رقم ٢٣٢٦ ج١٤ في ١٧٧ق نسخ القرن ٩هـ.

باريس رقم ٢٣٢٨ ج٢٣ في ١٥٠ق نسخ القرن ٨هـ.

باريس رقم ٢٣٢٩ ج٢٣ في ٢٣٥ق نسخ القرن ٩هـ.

باريس رقم ٥٨٧٠ ج١٠ في ٢١٧ق.

القاهرة دار الكتب المصرية ـ معارف عامة رقم ٥٥٧، في ٢٠٥ق.

الاسكندرية ـ البلدية ٣٣٥٥جـ الجزء ١٢ في ٢٥٠ق القرن ـ ٨[1].

سوهاج ـ دار الكتب: تاريخ ١٨٥ـ قطعة تبدأ بتراجم الوزراء ـ ٥٨٠هـ.

لندن ـ المتحف البريطاني: ٢٤٣٤٨ أد (ج ١٦ـ ١٦١ق ـ القرن ٨هـ).

أكسفورد ـ بوكوك: ١٩١ (ج ١ـ ١٩٤ق ـ عام ٨٨٤هـ).

أكسفورد ـ بوكوك ٢٨٨ قسم من المجلد الرابع ـ ٦٠ق ـ القرن ٨هـ).

منشستر: ١٦ (ج ٢٠ـ ١٩١ق ـ مع صور النباتات ـ ٨٣١هـ).

أسكوريال: ٢٨٨ـ ج ١٥ـ ٢١٧ق.

مكناس: مكتبة ابن غازي ـ ١٤٩ق ـ ٨١٩هـ.

فاس ـ قروبين ـ ١٣٢٤.

تونس ـ مكتبة محمد طاهر بن عاشور ـ جزء.

تونس ـ صادقية ـ رقم ١٢١.

النسخة المعتمدة في التحقيق:

لقد اعتمدنا في عملنا هذا السفر الأول بقسميه. من نسخة أحمد الثالث المحفوظة في استانبول ويقع القسم الأول ١٧١ق وعلى طرة الأصل وفي اعلاه نداء والعبارة المعروفة والتي كانت توضع كحرز للحفاظ على المخطوطة من التلف وهي:

نعم الحافظ الله، نعم القادر الله، فقدرنا فنعم القادرون. ان ربي على كل شيء حفيظ.

ثم العبارة المشهورة: سادق مارق فارق اخنس يا يا كسكح يا كسكح.

---

(١) يضيف: مع صور نبات انظر فهرس تاريخ ص ٢٠.

ثم في الوسط عنوان الكتاب واسم المؤلف وبجانبه حديثاً خاتم فيه: الحمد للّٰه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اهـ. ثم الطغرائية المعروفة في العهد التركي.

وفي الزاوية العليا اليسارية عبارة بعدها: «الحمد للّٰه وبه اكتفي من عوادي الدهر في نوبة أول عبيد اللّٰه ما له وأفقرهم وأحقرهم محمد ابن أحمد بن اينال العلائي الدوادار الحنفي عامله ربه بخفي لطفه الجلي....».

ثم في الأسفل تقريظ لأحد القراء دون معرفة اسمه[1].

ثم النص وهو بخط مقروء سوى الصفحات السبع الأولى فقد كتبت بخط مغاير. وعلى الهامش بعض الكلمات التي استدركت.

وفيما يلي نماذج من الأصل المعتمد.

---

(١) انظر طرة الأصل.



الأول من مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

تأليف الفقير إلى الله تعالى أبي العباس

أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري

عفا الله عنه

اما بعد حمد الله على الائه والصلوة والسلام على محمد واله واصحابه فقد قرات جميع خطبة هذا (الكتاب) البحر العباب على مولفه وجامعه الشيخ الامام العلامة الاوحد الخطير البارع الامجد راس الفضلا افضل الروسا تاج المعالي ذي البلاغتين صفوة الامام عمدة الانام حسنة الايام علم العلما الاعلام مرتضى الملوك مجتبى السلاطين مزين الدول مدبر الممالك شهاب الدين ابي العباس احمد بن القاضي الامام الاجل المرحوم محيي الدين ابي المعالي يحيى بن فضل الله العمري ابقاه الله للعلوم بنشرها وللاموات الادب بنشرها وللدرر الالفاظ النفيسة بنثرها ولخفايا المعاني البديعة بظهرها وسرحت العيون في رياض جمايله وروت الغلب من حياض فضايله وسيرت في ميادين مدايحه طرف طرفي السابح واستفدت من بحره السائح وريح بحره السابح واحتنيت غرايب الافكار واجتليت منه عرايس الابكار فرايته جامعا مغنيا لكل طالب حاويا بارشاده لكنوز المطالب مقنعا مهذبا لكل راغب قد جمع خزانة الملك واخاير الزخاير فهو الكامل فلا يحتاج الى تتمة بل الوافي في تحصيل المقاصد والفايد

روسم طرة الأصل للسفر الأول.

الصدف والتاجر ينظر اليه حتى يأتى على اخره فياخذ التاجر منه ويصير
عند نفسه بعدد مكتوب فاذا كان عند العصر اندبوا الى طعام يصنعونه
فتعشوا وناموا ليلتهم الى الصباح ثم يقومون وينظرون في اعلى ما ياكلونها
الى ان يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون هكذا كل يوم وكلما
فرغوا من مكان انقوا اصدافه انتقلوا الغير ولا يزالون بهذه الحال الى اخر
اغشت هذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزر الواقعة في هذا الاقليم
وبتمامه تم الاقليم الثالث برا وبحرا ولله الحمد والمنة ٥

اخر السفر الاول من مسالك الابصار في ممالك الامصار
ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة
لا رب غيره ولا اله سواه
ويتلوه ان شاء الله تعالى في السفر الثاني

وهذه صورة الاقليم الرابع وهو الاخذ

مع الاقليم الثالث على شماليه
من البحر المحيط باقصى الغرب
الى البحر المحيط باقصى الشرق ٥

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

روسم الصفحة الأخيرة من السفر الأول ـ القسم الأول.

ويمر هذا الاقليم الثالث مع من المفاز على بلاد سجستان ومدنها
العظمى زرنج وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين وخندق ذا ابر ينبع به ماؤه
وينصب اليه فوا اصل ماء المدينة وفي داخل المدينة ثلثة انهار وصغار لتسقيها
يجرى اليها من نهر هندمند المقبل من الغور حتى يصب في بحيرة كثيرة العذوبة
اليه يقال ان طولها قرب تسعين ميلا وتنقسم تلك الانهار الثلثة بمدينة
زرنج على ديارانها وحماماتها و بساتينها وهي بلد حار كثير الهواء حتى صنعوا
ارحاء هوائية تدور على الهوا لدوام الهواء بها وهي خصبة كثيرة التمر
والعنب واهلها مياسير، ومن مدنها المشهورة الطاق. والقرش
وحواش وسروان وتستر. والرنفان وشمل وتورن.
ودرن وبها البحيرة العذبة المتقدمة الذكر. وحمو. وقرن ودرق
وبلاش وكركويه. وهسوم. ومن ذلك بلاد الزوار وهو اقليم
كبير واسع كثير الحرشا كن الخلج وقاعدتها مدينة درنك وهي مدينة لا
سور لها على نهر هندمند وبها عمارات. ومدينة روذان وهي مدينة
صغيرة حصينة. ومدينة نلن ومدينة بوعشن ومدينة زلث ومدينة
سورلان وهي مدينة صغيرة متحضرة ذات قرى ورساتيق ومعلاث ومنافع
جمة. ورور وهي مدينة صغيرة متحضرة حصينة. والغور وهي جبال
حصينة عامرة ذات عيون وبساتين وانهار ومواش وموضع الغور على هراة
وسجستان وكذلك يمر على قطعة من خراسان ومما يقع في هذا الاقليم من
خراسان بلاد قوهستان وقاعدتها مدينة قاين وهي مدينة متحصنة

نموذج من القسم الثاني.

اقلم رابع

واما الذي وقع في هذا الاقليم الرابع من المدن والجزاير العامره مما وقع في البحر الشامي نذكره
فاما ما وقع في هذا الاقليم من البر المتصل من اول المغرب الى اخره وتغييبه فقليل جدا واما
بر تونس ومصر ومعظم الشام فانه لا موقع لشي منها فيه حتى يصل الى انطرسوس ثم يتسع مدي
البريه حتى اذا انتهى الى السويديه انتهى البحر الشامي الى الخليج الرومي الغاطس منه على
الدروب والروم والارمن وسنذكره مبينا ان شا الله تعالى ونبدا بما هو في البر المتصل
من اول الخط من البحر المحيط في المغرب الى اخره في البحر المحيط بالشرق ثم نذكر الجزاير بعد انتهاء
البر الواقع في هذا الاقليم بتمامه وكماله حتى لا ينفصل بعضه عن بعض ونبدا من المغرب على
وضع الاقاليم على عادتنا في ذلك وبالله التوفيق واول ما نبدا به ما وقع في بحر الزقاق
وهو مخرج البحر الشامي من المحيط في هذا الاقليم وهو مدينة طنجه وهي مدينة قديمه كانت
دار الملك القديم وهي ذات ما وخصب ومدينة القصر وتسمى القصر الصغير وتسمى
ايضا قصر الجواز ومدينة سبته وهي قاعدة ملك لطيف ذات فواكه وموقعها قبالة
الجزيرة الخضرا في الاندلس ويصاد بها نحو مايه نوع من السمك ومنه التن وصيد اهل
سبته له بالرماح في اسنتها اجنحه بارزه تنشب في الحوت ولا تخرج في اطرافها حبال
قنب طوال ولهم في صيدها بهذا دربه ليست لاحد وبسبته يقطع شجر المرجان
من البحر وله بها سوق كامل لتفصيله فيها ثم منها يحمل الى البلاد ومدينة قسمس قال
الشريف كانت مدينة مقتصده عليها سور ليس بالحصين ولها قرى وعماره وغلات
واكثرها القمح والقطن وهواها معتدل واهلها اغفال ولهم جمال باين وهذه بصرة
المغرب لا بصرة العراق ومدينة نصر بن عبد الكريم وهي مدينة صغيره على ضفة نهر
لكن ذات رزق كثير ورخا شامل ومدينة بادس وهي مدينة متحضره ومدينة مليله وهي
مدينة حسنه متوسطة المقدار ذات سور منيع وحال حسنة على البحر ولها عيون
كثيرة الما يشربون منها ومدينة هنين وهي صغيره حسنه في نحر البحر عامره عليها سور متين
ولها زراعات كثيره وعمارات متصله وما سامت ذلك على البحر مما لم نبسط ذكره ولم
نطل قدره ثم لا يقع خط هذا الاقليم على بر الى مدينة انطرسوس ثم يتسع مداه في البريه
فياخذ بقية الشام من بلاد انطاكيه وحلب وبلاد الارمن والدرب فيتصل البر الى
البحر المحيط في اقصى الشرق وسنذكر ذلك ان شا الله تعالى منقولا ومدينة انطرسوس

مدينة صغيره

من مساكن البربر وهي ذات قرى متصله ومدينة البصره صح

روسم الورقة الأولى من السفر الأولى القسم الثاني.

مدينة صغيره على صفة البحر بها اسواق عامره ويليها في البر حصن المرقب ثم يليها
مدينة بلنياس وهي صغيره متحضره في واد حار ولها فواكه حسان ومدينة اللاذقيه
على صفة البحر ويقال انه ليس بالشام فرضه مثلها وهي مدينة صغيره عامره اهلة حسنه
ومدينة السويديه وهي على البحر فرضة انطاكيه وعند مصب العاصي ومدينة
انطاكيه وهي بلد كبيره بدور بها سور عجيب محدق بها وبجبل مشرف عليها وفي داخلها ارحا
وبساتين وجنات ومزارع البقول وكانت على عهد الروم ولم تزل مذكوره بكل لسان
قال الشريف وليس في الشام بعد دمشق انزه داخلا وخارجا منها كثيرة المياه تخرق في
اسواقها وطرقها وبساتينها اثني عشر ميلا ومنها مدخل بلاد الارمن على السويديه
الي جبل راس الخنزيره ويقاربها حصن النبات ومنه يحمل خشب الصنوبر الي غالب البلاد
الشاميه وحصن ترسوس وحصن التينب وجزيرة المتضي وليست بجزيره ولكنها
كالجزيره لمدخل البر اليها قال الشريف وتختلط بالبر عشرة اميال وحصن اللوز وقورس
وهي حصن منيع على البحر واما ما هو شمالي انطاكيه فهو اسكندرونه وحقيقة اسمها
اسكندريه وهو حصن على ساحل البحر وبه نخيل وزروع كثيره وحصن مينا ثم مدينة
المصيصه والمصيصه وهما مدينتان نهر جيحان بينهما وبينهما قنطره معقوده ومدينة
كفربيا وعين زربه وهي تشبه الغور ولها ثمرات كثيره ومدينة ادنه وهي مدينة
جليلة عامره ذات اسواق جليله وصناعات وهي على نهر سيحان ومدينة
طرسوس وهي مدينة كبيره على صفة البحر ولها سوران من حجاره وهي كثيرة الخصب
وبينها وبين بلاد الروم جبال متشعبة من جبل اللكام كالحاجز بين العملين وحصن
ارلاس وهو فرضتها ومدينة اشبرو يلي وهي مدينة صغيره متحضره وحصن سلسور
وهي على ذروة جبل عال مطل على البحر وحصن سام ودير سورنت وليس به الارهبان
واقساوس انقطع من النصارى وحصن ماطلي وهو على راس جبل ترابي وبينه وبين
البحر خمسة اميال والجون هناك يعرف به ومن هذا الحصن الي فم آيده وهو المسمى بالمضيق
مائة ميل ومنه المجاز الي القسطنطينيه الكبري وقدر هذا المجاز ثلاث اميال
واذا انتهينا من بلاد انطاكيه وما والاها لم يبق الان نلتفت الي القطعه الواقعه
في هذا الاقليم واما مدينة حلب وهي قاعدة ملك موثر ودار امارة جليله وهي

ما حصن فيما بين ما هو شمالي انطاكيه

باياس

نموذج من القسم الثاني.

فهذا ما علمناه مما يعمل به في البحر الرومي وما هو منه فاما البحر الهندي
فانني جهدت في استعلام ما يعمل به فيه فلم اقف عليه ولا وفقت لهم اليه
فلم اخبر منه برجع نفس ولا رجعت من تجارتها بخبر ولا فلس ولقد حكى
لي الشيخ الخطيب بهاء الدين ابن سلامه فيما حدثني به من اخبار الهند قال توقف
علينا الريح في بلد من بلاد الهند سماه وانسيته وقد حملنا البضايع الى المراكب
ولم يبق الا السفر فتضجرنا بالمقام فقال لنا رجل هناك اذا بعتكم ريحا تسافرون
بها فعجبنا من قوله ثم بايعناه على الريح حتى اشتريناها منه والى جانبنا تجار في
مركب اخر فقال لهم وانتم فالوا نحن ما نشتري شيئا وبنوا على انه ان صح قوله
سافروا معنا اذ لا يختص لسفر مركب دون مركب معه في مرسي واحد اذا
هبت الريح وكان قصدهما واحدا وفطن الهندي لقصدهم فقال لهم كانكم تظنون
انكم تسافرون بريحهم هذا ما يكون حتى تشتروا مثلهم فاصروا على عدم الشرا
فقال لنا اقلعوا انتم وروحوا فارخينا القلاع وهبت لنا ريح موافقة سرنا
بها فارحين واوليك التجار قلاعهم ليسافروا فلم يخرج مركبهم بهم وجهدوا
كل الجهد فلم يقدروا ثم لما وصلنا الى جهة قصدنا وقضينا منها ما اربنا الحقنا
اوليك التجار بعد ايام واخبرونا انهم لم يجدوا سبيلا الى السفر معنا وبقوا
على ذلك مدة حتى هبت ريح عامة سافرنا بها فيمن سافر

الفصل الثالث في ذكر نبذة من العجايب برا وبحرا

مما نقله الثقات حدثني الشريف علي الكربلاي قال اتيت بعض
فرض الصين فارست به سفينة لا اشك من زالها على بعد انها مدينة فاتيت
تجارتها فسالتهم عن قدر ما تحمل فقالوا لا نعرف الا انا حملنا في هذه السفره
ثلثة الاف رجل وسبعين رجلا غير النساء منهم مايه وثلثون تاجرا والبقية

نموذج من القسم الثاني.

الفلك بمنزلة الرحا في دورانها فاما الشمس فمن اشكلت عليه القبلة وكان بالمشرق
يجعل الشمس خلفه في اول النهار وتلقاء وجهه في آخره وان كان بالمغرب فعلى
العكس وان كان بالشام يجعلها في اول النهار على حاجبه الايسر وفي اخر النهار
على حاجبه الايمن وان كان باليمن فعلى العكس وتطلع الشمس في اليوم الرابع عشر
من كانون الاول من الشهور السريانية والثامن عشر من كيهك من الشهور
القبطية وهو اقصر يوم في السنة وليلته اطول ليلة في السنة واول يوم من
الشتاء ما بين مهب الجنوب والصبا مقابلة لوسط جدار الكعبة بين الركن اليماني
والركن العراقي الذي فيه الحجر الاسود وهو موضع مصلى النبي صلى الله عليه وسلم
قبل الهجرة وتغرب في هذا اليوم بين الركن اليماني والركن الغربي وهناك يهل
الهلال في هذا الشهر وتطلع في اليوم السابع عشر من حزيران والحادي والعشرين
من بونه وهو اطول يوم في السنة وليلته اقصر ليلة فيها واول يوم في الصيف
مقابلة لوجه الكعبة وتغرب في حيال ميزاب الرحمة وهناك يهل الهلال في ذلك
الشهر وتطلع في الثالث عشر من آذار والسادس عشر من ايلول والسابع عشر من
برمهات والتاسع عشر من توت وهما يوما الاستواء من على ابي قبيس مقابلة الركن
اليماني وتغرب فيها مقابلة الركن الغربي وهناك يهل الهلال في ذلك الشهر
وقال ابو البقاء العكبري تطلع من يسرة المصلي تحاذيه بحرف كتفه
تصعد من يسرته على حذو منكبه الايسر الى ان ينتهي علوها وفي نقصان
النهار تسعد حتى تصير عند قيامها محاذية لوجهه وتصعد حتى تكون عند غروبها
تحاذي حرف كتفه اليمنى وقيل اذا كانت الشمس في برج الجوزاء في اخر وقت
الظهر واستقبلت الشمس بوجهك فتلك القبلة وقال الشيخ
ابو منصور الماتريدي السبيل في معرفة جهة القبلة ان تنظر الى مغرب الصيف

نموذج من القسم الثاني.

المريخ ومسيره في كل برج خمسة واربعون يومًا ثم يليه الشمس ومسيرها في
كل برج شهر ثم يليها الزهره ومسيرها في كل برج سبعة وعشرون يومًا ثم يليها
عطارد ومسيره في كل برج سبعة ايام ثم يليه القمر ومسيره في كل برج ليلتان
وثلث ليلة واذا ضرب مقدار سير كل واحد في اثني عشر بلغ مقدار ما يقطع
الكوكب فيه فلكه فلما كان زحل يقيم في كل برج اثنان وثلثون شهرًا كان
يقطع فلكه في ثلثمايه و ... سه وثمانين شهرًا وذلك من السنين اثنان وثلثون
سنة ولما كان المشتري يقطع كل برج في سنة لزم ان يقطع فلكه في
اثني عشر سنة ولما كان المريخ يقطع البرج في خمسة واربعين يومًا لزم ان
يقطع فلكه في خمسماية واربعين يومًا وذلك مقدار سنه وخمسة اشهر وخمسة
وعشرون يومًا ولما كانت الشمس تقطع برجها في شهر لزم ان تقطع فلكها
في سنة والزهرة تقطع فلكها في احد عشر شهرًا وستة ايام وعطارد
يقطع فلكه في اربعة وثمانين يومًا والقمر يقطع فلكه في ثمانية وعشرين
يومًا وامــــا صفات هذه الكواكب فان الشمس والقمر ظاهرين
للعيان بالنسبة الي كل قوم والمريخ لونه كمد الي صفره والمشتري اصفر
ناصع كثير النور والزهره انور منه بيضا وعطارد فيه صفره ولا يمكن
ان يري في وسط السماء ليلًا في اكثر المعموره

وهــــذه صورة الافلاك بما فيهما من العناصر الاربعة

مصوره بالمنازل المقسومة على البروج
وصور الكواكب السبعة السياره

نموذج من القسم الثاني.

في ثلث مراحل وبرد ماءه ويرحل الى مكة ويأخذ اليها في مرحلة واحدة
فهذه جملة ما يتعلق بطريق الركب اليماني والله الموفق وبتمام هذا
الفصل تم الباب الخامس من النوع الاول من القسم الاول من الكتاب
آخر السفر الثاني من مسالك الابصار في ممالك الامصار
ويتلوه ان شاء الله تعالى النوع الثاني في ذكر الممالك وهو اربعة عشر بابا
والحمد لله رب العالمين

روسم الصفحة الأخيرة من السفر الأول ـ القسم الثاني.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

القسم الأول

[النص المحقق]



النوع الأول في ذكر المسالك وفيه أبواب:

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها

وفيه [ستة][١] فصول.

الفصل الأول

في كيفية الأرض ومقدارها

[كرية الأرض والبرهان عليها][٢]

الذي نبدأ به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا فصل ما قام عليه البرهان، وهو أن العالم كُريٌّ. ويدل عليه المشاهدة بالعيان، لمن رعى الشمس من مطلعها إلى مغيبها؛ وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها: لأنها تطلع حتى تتوسط السماء تَقْويساً، ثم تنحطّ حتى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعلم بالضرورة أنها تقطع في الغيبوبة عن العين نصف دائرة، نظير ما قطعت في الظهور، ليكمل تمام الدائرة.

والذي تلخص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئة: أن العالم كرة، والأرض مركزها، والماء بها لا يفارقها، إلا ما انكشف.

[استقرار الأرض وما قيل من نظريات]

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في [١٢] جوف الفلك: كالمحة في جوف البيضة في القشر.

ووضعها وضع متوسط. والهواء إما جاذب لها إلى جهة الفلك أو دافع عنه.

وذهب بعضهم إلى أنها مستقرة بالوضع[٣]: فالأرض في فلك الماء، وفلك الماء في فلك

---

(١) إضافة المحقق.

(٢) من إضافة المحقق ويتكرر ذلك ما بين معكوفتين.

(٣) انظر ما ذكره ياقوت في (معجم البلدان: ١/١٦) وقد ذكر العديد من النظريات حول ذلك.

الهواء، وفلك الهواء في فلك النار ـ وهو الأثير ـ، وفلك النار في فلك القمر[1]، وفلك القمر في فلك عطارد، وفلك عطارد في فلك الزهرة، وفلك الزهرة في فلك الشمس، وفلك الشمس في فلك المريخ، وفلك المريخ في فلك المشتري، وفلك المشتري في فلك زحل، وفلك زحل في فلك البروج [وهو المكوكب]، وفلك البروج في الفلك الأطلس.

[العرش والكرسي كما يرى فلاسفة الإسلام][2]

والمكوكب في رأي فلاسفة الإسلام أنه المعبر عنه عند أهل الشريعة الشريفة بالكرسي، وأن الأطلس هو المعبر عنه عندهم بالعرش.

[حركة الأفلاك وتقسيم الأقاليم]

وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الفلك المكوكب، من الغرب إلى الشرق. ويرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر.

ولهذا كان تخريج الأقاليم[3] من الغرب إلى الشرق بالمتابعة.

[الفلك الأطلس]

فأما التاسع، الأطلس، فحركته من الشرق إلى الغرب. وبحركته تتحرك، كما يتحرك راكب السفينة بحركة السفينة.

وقد تكلمت الفلاسفة على مقعد الأطلس، ولم يتكلموا على محدبه. وغاية ما قالوا: إن بعد التاسع، لا خلا ولا ملا. وإلى هنا انتهى علمهم وانقطع نظرهم والله أعلم بغيبه!

---

(١) انظر هذا الرأي عند الوطواط في موسوعته (مناهج الفكر: ١/ ١٤ـ خ).

(٢) انظر (مناهج الفكر: ١/ ١٩ـ خ).

(٣) يرى ياقوت في (معجم البلدان: ٢٦/١) أن للأمم في هيئة الأقاليم وصفاتها اصطلاحات أربعة:
أ ـ الأول: اصطلاح العامة أن يسموا كل ناحية تشتمل على عدة مدن وقرى إقليماً كالصين وخراسان والشام والعراق...الخ وبالتالي الأقاليم كثيرة.
ب ـ الثاني: عند أهل الأندلس يسمون كل مدينة كبيرة إقليماً.
حـ ـ الثالث: للفرس قسموا العالم حول ايرانشهر إلى سبع كشورات وخطوا حول كل مملكة دائرة وسموها كشوراً، والكشور اسم الخط في لغتهم.
ء ـ الرابع: وعليه اعتماد أهل الحكمة والرياضات وهو الذي يمتد من الشرق إلى الغرب وسيمر ذكره.

[نظرية في الكواكب الثابتة والمتحركة]

قلت[1]: وزعموا أن في الثامن كل الكواكب إلا السبعة.

قالوا: والبرهان على أنها في الثامن، أن حركات هذه الكواكب الستة أسرع من حركات سائر الكواكب. والكوكب لا يتحرك إلا بحركة فلكه، ولا يمكن أن يكون في التاسع لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة. فإذ لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن[2].

[رأي ابن سينا في محل وجود الثوابت]

على أن ابن سينا قد قال في الشفاء: لم يبن لنا بيانا واضحاً أن الكواكب الثابتة في كرة واحدة أو كرات منطوٍ بعضها على بعض إلا بإقناعات. وعسى أن يكون ذلك واضحاً لغيري».

[تشبيه العالم ببطيخة في بركة ماء]

وقد شبه بعضهم العالم، فقال: «بطيخة في بركة ماء. فالبزر المدن، وبيوت البزر العمران، واللحاء مجموع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعد البركة الهواء، ودائرها الخارج الفلك».

قلت[3]: وهذا التشبيه ليس بشيء.

[استقرار الأرض في جوف الفلك كما يرى الإدريسي]

وقال الشريف الإدريسي في كتاب رجال وإسم هذا الكتاب: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، صنفه للملك رُجار صاحب صقلية، وكان فرنجيًا محبًا للعلم وأهله من كل ملة[4] ـ والذي قاله: «الأرض مستقرة في جوف الفلك، وذلك لسرعة حركة الفلك. وجميع المخلوقات [١٣] على ظهرها. والنسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من

---

(١) حتى نهاية الفقرة استدركت على هامش الأصل.

(٢) انظر عن الكواكب الثابتة (عجائب المخلوقات للقزويني: ٢٧) وما كتبه المسعودي في (مروج الذهب: ١/ ٨٩ـ ٩٠) وانظر (مناهج الفكر للوطواط: ١/ ٦٢ـ خ).

(٣) القائل هو المؤلف.

(٤) الشريف الإدريسي هو أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس الحمودي الحسيني من علماء القرن السادس الهجري ولد في تطوان عام ٤٩٣هـ. تعلم في كتاتيب لحفظ القرآن. درس في قرطبة. قام بعدة أسفار في صغره ثم طاف مصر والشام وآسيا الصغرى وغيرها مما دعا روجار الثاني ـ ملك صقلية ـ لضمه إلى قصره فألف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. كما صنع له كرة من فضة تمثل الكرة الأرضية توفي عام ٥٦٠. (الإدريسي في الجغرافيا العربية: ١/١٦٣..).

الثقل، بمنزلة المغنطيس الذي يجذب الحديد إليه. فالأرض مقسومة بقسمين، بينهما خط الاستواء. وهو من الشرق إلى المغرب. وهذا طول الأرض. وهو أكبر خط في الأرض، كما أن منطقة فلك البروج أكبر خط في الفلك[١].

[تقدير أبعاد الأرض عند الهنود وهرمس]

قال[٢]: واستدارة الفلك في موضع خط الاستواء ثلاثمائة درجة. والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والذراع أربعة وعشرون إصبعاً. والإصبع ست حبات شعير، مصفوفة، ملصقة بطون بعضها لظهور بعض». تكون بهذه النسبة إطاحة الأرض مائة ألف ألف ذراع واثنين وثلاثين ألف ألف ذراع. وهي من الفراسخ أحد عشر ألف فرسخ.

قال الشريف: «وهذا بحساب أهل الهند.

وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزء مائة ميل. فتكون ستة وثلاثين ألف ميل، وتكون من الفراسخ اثني عشر ألف فرسخ.

قلت[٣]: فالتفاوت بين الحسابين ألف فرسخ، زائدة في حساب هرمس[٤] على حساب أهل الهند، وذلك نصف السدس.

[تقدير إردسَناس الحكيم]

وقد زعم مرحيان الفيلسوف أن إردسناس الحكيم قال إنها مائتا ألف وخمسون ألفاً «أشتياديوات» وأشتياديو هو ثمن ميل، عنه أربعمائة عندهم. فذلك أحد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون ميلاً.

---

(١) (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ٨/١) طبعة عالم الكتب المصورة عن طبعة أوروبا). وانظر ما وصفه ابن خرداذبه في (المسالك والممالك: صفة دمشق: ٢٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أي المؤلف في مناقشته للحسابين السابقين.

(٤) عرف بهذا الاسم ثلاثة حكماء: الأول هرمس الهرامسة كان قبل الطوفان ويدعى ادريس عند العرب وهو أول من تكلم بالأشياء العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد اللّه تعالى فيها وله أخبار كثيرة.
والثاني: هرمس يابلي سكن مدينة الكلدانيين. وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمروذ الجبار. وكان بارعاً في الطب والفلسفة. وكان تلميذ فيثاغورس وجدد من العلوم ما دثر بالطوفان.
والثالث: هرمس صاحب كتاب الحيوان والسموم وكان فيلسوفاً طبيباً جوالاً عالماً بنصب البلاد وطبائع أهلها وله كلام في الكيمياء. وتلميذه اسقلوموس. (تاريخ الحكماء للشهرزوري: ٦٠ ـ ٦١).

[تقدير بطليموس]

وقد ذكر صاحب المجسطي(١) أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلاً، وأن قطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستمائة ميل وثلاثون ميلاً.

[تقدير ابن الشاطر الدمشقي]

قال فريد زمانه، علاء أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد الأنصاري(٢)، عرف بابن الشاطر. «الأولى أن يقسم دور كرة الأرض على ثلاثة وسبعة لأنه نسبة قطر كل دائرة إلى محيطها. وهو أصح. وعلى هذا فيكون الدور أربعة وعشرين ألف ميل، ويكون القطر سبعة آلاف وستمائة وستة وثلاثين ميلاً وثلث خمس مجبوراً.

[تقدير صاحب كتاب الكمائم]

قلت: وذكر صاحب كتاب الكمائم أن طول الأرض ظاهراً وباطناً، وبرًّا وبحراً [١٤] معموراً وغير معمور، أربعة وعشرون ألف ميل، قال: «وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها».

[بعثة المأمون لقياس ارتفاع القطب](٣)

وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك أن حبيشاً المنجم(٤) ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون ببرية ديار ربيعة وهي بَرِّيَّة شيحان(٥) المقاربة لسنجار. فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسون دميلاً من الأرض. فضرب العدد في ثلاثمائة وستين، التي هي جملة درج الفلك بمجموعه، فانتهىٰ ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلاً، قال: «فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر».

---

(١) كتاب أشهر من أن يعرّف لبطليموس في علم الفلك. انظر بتوسع في (كشف الظنون: ١٥٩٤/١) وانظر ما كتب عن ذلك المسعودي في (مروج الذهب: ٩١/١).

(٢) علي بن إبراهيم من محمد بن الهمام بن إبراهيم الموقت بجامع الأموية ولد سنة ٧٠٤ وتوفي سنة ٧٧٧. من تصانيفه: الأشعة الجامعة في العمل بالآلة الكامعة، وزيج ابن الشاطر، وغيرها. (هدية العارفين: ٧٢٥/١).

(٣) انظر الخبر في (مروج الذهب: ٨٧/١).

(٤) ذكره في المصدر السابق باسم (حسين المنجم) وفي إحدى نسخه الخطية ورد (جلس المنجم).

(٥) في المصدر السابق «سنجار» والبرية معروفة.

[قطر الأرض]

فقطرها على هذا ستة آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلاً ونصف ميل ونصف عشر ميل، بالتقريب[1].

قال: «والمعمور نصف هذا المحيط، من خط الاستواء إلى الشمال. ومنها العمران في الشمال يؤول في برطانية، فيكون ذلك تقدير الربع.

[استنتاج ابن الشاطر]

قال ابن الشاطر: «إن واجب الحساب، على ما ذكر، عشرون ألف ميل ونصف ميل مجبوراً».

[مقدار الدرجة بحساب المأمون وسواه وترجيح المؤلف لذلك]

قلت: والذي حرر في زمن المأمون، لكل درجة، ستة وخمسون ميلاً وثلثا ميل. وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه سنة وخمسون ميلاً، لا غير[2].

ولعل الأول أقرب: لأنه قد يكون هذا الكسر أهمل في القياس. وعلى الأول الأكثر. وعليه عملنا في هذا الكتاب. وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه، إن شاء الله! في مكانه. ولم نعمل على ما حرر للمأمون دون ما حرره القدماء، إلا لأنه أقرب إلينا وأشبه بنا.

الفرسخ والميل والذراع على حساب المأمون وهو المعتمد عليه في هذا الكتاب.

[الفرسخ والميل والذراع]

وكل فرسخ ثلاثة أميال[3]، والميل أربعة آلاف ذراع مأموني[4] فالدرجة تسعة عشر فرسخاً إلا تسع فرسخ، وهو الذي عليه عمل هذا الكتاب [١٥].

[مقدار الفرسخ والبريد على رأي القدماء]

وأما على رأي القدماء، فتكون كل درجة اثنين وعشرين فرسخاً وتسعي فرسخ.

---

(١) عن المسعودي في (مروج الذهب: ٨٧/١) وبدقة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال ياقوت في (معجم البلدان: ٣٥/١): الفرسخ فارسي معرب وأصله فرسنك. وقيل عربي ــ وعن طوله قال: لم أر لهم ــ أي للعرب ــ أن الفرسخ ثلاثة أميال.

(٤) في المصدر السابق نقل قول بطليموس في المجسطي: الميل ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار.

وأما البريد[1]، فكل أربعة فراسخ بريد.

[تقدير العمران من الأرض]

وأما العمران من الأرض، فقال البكري: تقدير الربع. وقد ذكرنا ما قاله آنفاً، وقال آخرون: الربع، وقال آخرون: الثلث وقال بعضهم: إن العمران من الأرض ما بين الثلث إلى الربع، أقل من الثلث وأكبر من الربع[2].

تحرير قطب الدين الشيرازي لمقدار العمران.

[مقدار العمران كما يرى قطب الدين الشيرازي]

وقال شيخنا، فريد الدهر، ووارث العلم والحكمة، شمس الدين، أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني[3]، أطال الله مدته! إن العلامة قطب الدين الشيرازي[4] قال له: إنه حرر دور المعمورة من الأرض. فكان اثني عشر ألف ميل مجبورة، قطرها أربعة آلاف ميل مجبورة، فتكون ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ مجبورة.

[نقد ابن الشاطر لرأي الشيرازي]

قال ابن الشاطر: «وفي الذي ذكره الشيرازي ما لم يفهم معناه. فإن كان أراد به ما بين أول المعمور وآخره، فهو غير موافق ولا يطلق عليه محيط، وإن كان أراد بالقطر ما بين خط الاستواء ونهاية المعمور من جهة الشمال، فهذا لا يقال له قطر ولا يفي المعمور بمقدار ما ذكره. ولا نسبة لما ذكر أنه ذرع القطر إلى ما ذكر أنه دور المعمور نسبة قطر الدائرة إلى محيطها». وقال: «وإذا فرضنا مبدأ العمارة خط الاستواء بخمسة عشر جزءاً إلى حدود خمسين جزءاً وثلث في الجهة الشمالية كان نسبة المعمور إلى باقي بسط كرة الأرض تقارب الثمن ونصف السدس. وإذا نسب.... إلى حدود ستة وستين جزءاً كان نسبة المعمور إلى باقي..... يقارب الربع. لأن ما

---

(١) في المصدر السابق ذكر: بالشام وخراسان ستة أميال بينما في البادية: اثنا عشر ميلاً.....

(٢) في (معجم البلدان: ١/١٨): العمران من الأرض نصف سدسها. والباقي ليس فيه عمارة ولا نبات ولا حيوان. والبحار محسوبة من الغمران، والمفاوز التي بين العمران من العمران.

(٣) هو محمود من عبد الرحمن بن أحمد بن محمد. مولده عام ٦٧٤. واشتغل في بلاده وتقدم، وحج عام ٧٢٤ وقدم دمشق والقدس. ودرس وصنف ونبغ إلى أن مات عام ٧٤٩هـ. (الدر الكامنة: ٤/٣٢٧).

(٤) هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي ولد في شيراز عام ٦٣٤هـ ونبغ في الكثير من العلوم. ودرس وتقدم حتى عرفه البعض بالعلاّمة توفى عام ٧١٠. (الدرر الكامنة: ٤/٣٣٩).

وراء.... من الخراب يقارب ما قبل.... من المعمور. ولا يكون أكثر....»[١].

[أسباب العمارة بين القطبين كما يرى الإدريسي]

وقال الشريف[٢]: إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين، الجنوبي والشمالي، تسعون درجة. واستدارتها عرضاً مثل ذلك. إلا أن العمارة في الأرض بعد خط الاستواء أربع وستون درجة، والباقي من الأرض خلاء، ولا عمارة فيه، لشدة البرد والجمود. والخلق بجملته على الربع الشمالي من الأرض. والربع الجنوبي الذي هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور، لشدة الحر به، وحمو الشمس (وهي أسفل فلكها) على سمته. فجفت مياهه وعدم حيوانه ونباته، لعدم الرطوبة».

[نقد المؤلف لرأي الإدريسي مع البرهان]

قلت: وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط، وإن كان الصحيح، نظر. فإنها في صورة لوح الرسم تتناهى إلى أكثر من ذلك، وتستكمل من خط الاستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم، جنوباً وشمالاً [١٦] على ما نذكره في مكانه. وإنما غالب الجنوب والشمال لا عمارة فيه: إذ لا يمكن سكنه.

ومن تأمل وضع العالم في لوح الرسم، رأى ذلك بالعيان: لخلو ما تحت القطبين، الجنوبي والشمالي. والخالي تحت الجنوبي أكثر بما لا يقاس، وهكذا في الجغرافيا وضعه[٣].

وقد ذكر أبو عبيد: مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، حتى انتهى إلى الإقليم السابع، ثم قال: «وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور، فإنه يبتدىء من المشرق من بلاد البرغر[٤] وأرض الترك إلى اللان، ثم يمر على البرجان والصقالبة، وينتهي إلى بحر المغرب، وهو خارج عن الأقاليم السبعة». انتهى كلام البكري، وسيأتي (إن شاء الله تعالى) مبسوطاً في موضعه.

وإنما ذكرناه للاستدلال على أن الشمال أكثر عمارة من الجنوب. لأننا وجدنا وراء الإقليم السابع عمارة ممتدة. وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول. اللهمّ إلا ما هو في قسم المشرق،

---

(١) ورد في الأصل بعض الكلمات ليست ظاهرة. بعضها حتى في الصور فعمدنا لوضع مكانها نقاط للتنويه.

(٢) أي الشريف الإدريسي كما في كتابه (نزهة المشتاق: ١/٨).

(٣) لمعرفة المعمور من الأرضي كما كان يراه القدماء انظر: (مناهج الفكر: ٢/ ٢٣١ـ خ) فقد ذكر ذلك عن بطليموس ثم الأقاليم وما لها من بلاد.

(٤) سيمر ذكره. انظره.

وراء خط الاستواء، من الجزائر الممتدة في البحر، آخذة إلى المحيط، أو ما هو في حكمها بالصين[١].

فأما قسم المغرب، فإنا لم نجد وراء الأول فيما يأخذ إلى جهة الجنوب عرضاً، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً، عمارة، بل ولا على خطه المستقيم، بل ولا وجدنا العمارة به إلا ما هو داخل خط الإقليم الأول إلى الإقليم الثاني.

وسنذكر ما وجدناه من العمارة في كل منهما على ما نبنيه.

[العمارة في الجنوب جزر البحر الهندي وبلاد الصين][٢]

فأما ما وقع من العمارة في قسم المشرق، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول، فنقول: إن صاحب الجغرافيا صَوَّرَ، فيما هو خارج عن خط الاستواء [١٧] من مركز دائرة الأرض المسماة عند أهل هذا الشأن قبة أَرِّين[٣]، جزراً عامرة مسكونة في البحر الهندي، من وراء سرنديب في الجنوب، وهي متصلة بها. وتقدير هذه الجزر في العرض، عرض إقليم واحد ونصف إقليم تقريباً، خلف الإقليم الأول، زائد على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقي. وعرض هذا المقدر بإقليم واحد ونصف إقليم من حيث يأخذ من قبة أَرِّين على خط الاستواء العرضي جنوباً محضاً، ثلاثة أقسام: كل قسم مقدر بنصف إقليم.

عرض أولها، وهو المار مع خط الاستواء في خارجه ممتداً على جانب الإقليم الأول في غالب النصف الشرقي من قبة أرين إلى جزيرة الجوهر في البحر المحيط، خمس درجات، وقد علم عليه في لوح الرسم «هـ»[٤].

وعرض ثالثها، وهو الذي يليه، خمس عشرة درجة. وقد علم عليه «يه»[٥].

---

(١) في المصدر السابق يذكر أن المعمور في الشمال يعادل ثلاث وستون درجة بينما في الجنوب إحدى عشرة درجة. راجع (المصدر السابق: ٢٣١/٢)، وأيضاً (الإدريسي: ٨/١).

(٢) انظر كتاب (الجغرافيا لابن سعيد: ٧٩).

(٣) ذكرها ابن سعيد المغربي (قبة ازين). وهي نقطة التقاء خط الاستواء مع خط الطول الرئيسي الذي استعاره العرب من الهنود. وكان هذا المكان يعتبر مركز العالم عند العرب.
وفي المصادر الهندية أن خط الطول الرئيسي الهندي يمتد بين جزيرة سالا (لانكا) وجبل مرو الذي يقع تحت القطب الشمالي، وهو يمر بمدينة أجين عاصمة مالفا وباسم هذه المدينة سمي هذا الخط أجين أو أزين. وقد يحرف ـ كما في كتابنا هذا ـ إلى ارين.
(جغرافيا: ٨٣ـ ٢١٨ حاشية للمحقق).

(٤) انظر كتاب (صورة الأرض: ٧) الذي استخرجه الخوارزمي من كتاب (الجغرافيا) لبطليموس.

(٥) المصدر السابق.

وذكر بها من الجزر العامرة: فلان؛ وجزيرة القمر، وذكر أن طولها أربعة أشهر؛ ومنها سرنديب، داخل خط الاستواء في الإقليم الأول مماسة له حيث هو من الطول من قبة أَرِّين مائة وخمس وستون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم «قسه»[1].

كل ذلك بحساب الجمل.

وذكر في هذه الجزيرة، مما هو وراء خط الاستواء، مدناً، منها: حمران، ودهمى؛ ودارفور؛ وديمى؛ وعما؛ ونخزلاتي، وتمكاد؛ ومريانا؛ وتياو؛ وموضع قدم آدمعليه السلام، (جنوبي سرنديب، من وراء خط الاستواء)؛ وفزدرا؛ وسونيه؛ وكيماما؛ وعيمى؛ ومحلاي؛ وملاي[2]؛ وسمردى؛ يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كير، وأتونا، ومعلا؛ وقنصورا؛ واسفيل. ثم حجزيرة تعرف بالموجة، أم جزائر الصين، ثم جزيرة القشمير، ثم جزائر الواق واق؛ وجزيرة الدجال إلى جزيرة الجوهر، في البحر المحيط[3].

وصور، في البر المتصل من جهة الصين، برزخاً بين البحرين الهندي، حيث انعطف شرقي جزيرة الموجة أم جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط. وذلك البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط؛ وفي الجوف البحر الهندي حيث خرج؛ وفي الغرب، حيث انعطف. وبقي الشمال مكشوفاً، متصل به هذا البرزخ بالصين، وذكر فيه عدة من المدن.

وأول ما نبدأ بما تغلغل إلى الجنوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من الطول في الجغرافيا مائة وخمس وستون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسه ومائة وسبعون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قع.

وأولها مدينة حميسه، ومدينة قيطفون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا، ومدينة خانفو (وهي الخنسا على فرضة من البحر الهندي خرجت هناك في الصين ولم تمتد) مسامتة لجزيرة الياقوت في المحيط. وقد سماها الشريف بجزيرة بسيارة. وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة. كل هذا خارج عن خط الاستواء [١٩].

[العمارة وراء الإقليم السابع]

وأما ما وقع من العمارة وراء الإقليم السابع (مما ليس في حساب السبعة الأقاليم، وهو

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر (نزهة المشتاق: ١/٧١).

(٣) وردت التسميات لكن وكما هو في الكتب القديمة بتصحيف.

الذي أشار إليه أبو عبيد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نبهنا عليه، وسيأتي إن شاء الله تعالى مبسوطاً في موضعه، وتقديره في العرض نصف إقليم، ممتداً على جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نبينه) فأوله من جهة الشرق **قطعة معمورة بيأجوج ومأجوج**[1]، فيما هو داخل السد؛ وبلاد سيسبان[2] (وهي آخذة عرضاً من هذا الجزء المقدر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس).

[بلاد الروسية وأنكرية]

وبلاد الروسية الثانية (وكلها خارجة عن الإقليم السابع من الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلة إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمس وسبعون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم «عه».

وفي بلوغ العمارة هذا الحد وتجاوز أربع وستين درجة، نظر.

قالوا: فأما الروسية، فعامرة آهلة. وكذلك الأنكرية. وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خربت من قديم، لإغارات يأجوج ومأجوج عليهم.

[نهر النيل المعروف الآن بنهر النيجر]

ومن تأمل لوح الرسم، رأى ذلك ممثلاً لعينه في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأول خالياً في القسم الغربي، والمعمور من داخله على فرقتي النيل: الفرقة الآخذة على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط، والفرقة [٢٠] الآخذة على غربي الحبشة إلى شرقي النوبة إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي[3].

[سبب عدم العمارة في القسم الغربي من خط الاستواء وخلاف الشرقي منه]

فعلمنا أن سبب عمارة ما وراء خط الاستواء من الجزر في القسم الشرقي، وما هو في حكمها، لاكتناف البحر الهندي لها، فرطب هواءها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها. فنبت بها

(١) وردت في كتاب (صورة الأرض، ٣٤) واحداثياتها (معدل، سح ة).
(٢) في المصدر السابق ضبطها (سينستان) وفي نسخة أخرى من الأصل: يسيسبان، واحداثياتها (قمح ى – مو مد).
(٣) انظر الرسم في المصدر السابق – ملحق –.

النبات، وسكن الحيوان، ولم يقع في قسم القسم الغربي، وراء خط الاستواء، بحر يؤثر فيه هذا التأثير. فبقي على كيفية طبعه من اليبس والجفاف، لا يمكن به نبات نبات، ولا حياة حيوان.

[سبب العمارة فيما وراء خط الإقليم السابع]

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان بكيفية طبعه، لا بسبب آخر من خارج.

[سبب كون الشمال أعمر من الجنوب]

فظهر حينئذ أن الشمال أوفق لمزاج الحيوان. فكان أعمن من الجنوب، لشدة حر الجنوب على ما بيناه، وهو موافق لرأي الشريف.

[رأي الإدريسي حول كون الشمال أعمر من الجنوب]

قال الشريف[1]: «لا يكون الحيوان والنبات أبداً، إلا حيث تكون المياه والرطوبات».

[رأي البكري حول ذلك]

وقال البكري: «وركب الله على الأرض حرم الشمس. لعلمه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيب العالم في فلك أخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف من درج فلك البروج. فلذلك اختلفت حركة الشمس. فمحا مزاج جوهر الهواء المحيط بالناحية الجنوبية، فكان الجزء المعمور في الناحية الشمالية. إذ كان كل حيوان، بطبعه، أحمل للبرد منه للحر. ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان ما لا يحصى كثرة، وكذلك من النبات؛ ولا يكون في النار منه شيء، إلا الشاذ النادر، إن صح ذلك فيه. كما زعموا أنه يتكون في أفران الزجاجين ضرب من سام أبرص، وقد سماه أرسطو بالسرفوت[2] وهي حمر الألوان، إذا خرجت عن النار هلكت.

فوجب لهذه العلة أن يكون اسم الأقاليم السبعة وتحديدها [٢١]، في الجزء الشمالي من الأرض، كما ترى في لوح الدائرة.

[جملة المعمور كما يرى المؤلف]

وقد ذكر صاحب جغرافيا أن جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/٨).

(٢) قال عنها في الدميري في كتابه (حياة الحيوان الكبرى: ٢/٢٠): السرفوت ـ بفتح السين والراء المهملتين وضم الفاء: دويبة تعشعش في كوار الزجاج في ـ حال اضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرة الدائمة...».

ميلاً. وهذا أزيد مما حرره الشيرازي بخمسمائة ميل وثلاثين ميلاً. ولعل هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي؛ وما هو خارج الإقليم السابع مار معه، فإن الشيرازي، والله أعلم، لم يحرر إلا معمور الأقاليم السبعة خاصة، وصاحب جغرافيا ذكر المعمور كله، فكان هذا التفاوت كله[1].

قلت: ولا أدعي أن ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغل في الشمال، خارج خروجاً مبايناً كليًا. ولكنه خروج مماس مجاور، حكمه حكم ما هو على الخط إذ لو كان خروجاً مبايناً، لكان إقليماً ثامناً، وليس كذلك. إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجمود، كما لا يمكن لإفراط الحر واليبس.

[تشبيه الحكماء للأرض بجسد الإنسان]

والحكماء تشبه الأرض بجسد آدمي: التراب لحمه، والمياه دمه، والحجارة عظمه، والرياح أنفاسه، والبخارات فضلاته، رأسه الصين، ووجهه الهند، وجيده ما وراء النهر، وصدره خراسان وما يليها، وقلبه العراق، ويداه الجنوب والشمال، وبطنه الشام، وسرته جزيرة وعجزاه مصر والقسطنطينية، وفخذاه إفريقية ورومية، ورجلاه بر العدوة والأندلس.

وليس هذا التشبيه بشيء.

[استدارة الأرض كما توقعها الإدريسي منذ عصره]

قال الشريف[2]: «ومع كون الأرض كرة، هي غير صادقة الاستدارة. منها منخفض ومرتفع. ولهذا قيل فيما انكشف إنه تضاريس. والبحر المحيط بنصف الأرض إحاطة متصلة، دائر بها كالمنطقة. لا يظهر منها إلا نصفها، وهو ما دارت عليه الشمس في قوس النهار [٢٢] مثل بيضة مغرقة في ماء انكشف منها ما انكشف، وانغمر ما انغمر»، وقد تقدم هذا التمثيل.

[توقع علماء المسلمين بوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف]

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، أمتع الله به: «أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا، **منكشفاً من الجهة الأخرى**. وإذا لم أمنع

---

(١) عن مقدار المعمور والمساحة وما ورد من نظريات انظر ياقوت الحموي في مقدمة معجمة (معجم البلدان: ١/ ١٨- ١٩).

(٢) في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ١/٨).

أن يكون منكشفاً من تلك الجهة، لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا أو من أنواع وأجناس أخرى».

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً ونقلاً، ذكرناه، وبالله التوفيق[1]!

* * *

(١) يقال في بعض المصادر أن الشريف الإدريسي ذكر هذه الفكرة للملك روجار عندما صنع له كرة من فضة مثل عليها القارات وأضاف أنه يجب وجود قارة ـ مكان أمريكا ـ لتوازن الكرة الأرضية.

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

[فصل في أسماء الأرضين وصفاتها]

قال الثعالبي[1]، في فقه اللغة:

«إذا اتسعت الأرض، ولم يتخللها شجر أو خمر، فهي **الفضاء**؛ و**البَراز** و**البراح**، ثم **الصحراء**، و**العراء**؛ ثم **الرهاء** و**الجهراء**.

فإذا كانت مستوية مع الاتساع، فهي: **الخَبْتَ** و**الجَدَد**، ثم **الصَّحْصَح**، و**الصَّرْدح**، ثم **القاع**، و**القَرْقَر**؛ ثم **القَرِقَد**، و**الصَّفْصَفُ**.

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع، بعيدة الأكناف والأطراف، فهي، **السَّهْب** و**الخَرْق**، ثم **السَّبْسَب** و**السَّمْلق**.

فإذا كانت مع الإتساع والإستواء، والبعد، لا ماء فيها، فهي: **الفلاة** و**المَهْمَه**[2]، ثم **التنوفة** و**الفيفاء**؛ ثم **النفنف** و**الصرماء**.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لا يهتدى فيها لطريق، فهي: **اليَهْماء**.

فإذا كانت تضل سالكها، فهي: **المُضِلَّة**، و**الْمُيَّهة**.

فإذا لم يكن بها أعلام ولا معالم، فهي: **المَجْهل** و**الهَوْجَل**.

فإذا لم يكن بها أثر، فهي: **الغُفْل**.

فإذا كانت قَفْراء، فهي: **القيّ**.

فإذا كانت تبيد سالكها، فهي: **البَيْداء** (والمفازة كناية عنها).

فإذا لم يكن بها شيء من النبت، فهي: **المَرْت** و**المَلِيع**.

فإذا كانت الأرض غليظة صلبة، فهي: **الجَبُوب**؛ ثم **الجَلَد**؛ ثم **العَزاز**؛ ثم **الصَّيْداء**؛ ثم **الجَدجَدُ**.

فإذا كانت صلبة يابسة من غير حَصى، فهي: **الكَلَد**؛ ثم **الجْعجَاع**.

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل، فهي: **البُرْقَة** و**الأبرق**.

---

(١) (فقه اللغة: ٢٨٤).

(٢) في الأصل المهمة صوبناها عن المصدر المذكور للثعالبي.

فإذا كانت ذات حصى، فهي: **المَحْصاة والمَحْصبَةُ.**

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي: **الأمعز والمَعْزَاء.**

فإذا اشتملت عليها كلها حجارة سود، فهي: **الحَرَّة واللاَّبة.**

فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي: **الَجزِيز.**

فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي: **الجَوْف. والغائط**، ثم **الهَجْل**، **والهَضم.**

فإذا كانت مرتفعة، فهي: **النَّجد والنَّشز.**

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلظ، فهي: **المتْنُ**، **والصَّمْد**؛ ثم **القُفّ**، **والفَدْفَد**، **والقَرْقر.**

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي: **اليَفاع.**

فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي: **التل.**

وأطول وأعرض منها: **الرَّبوَة**، والرَّابِية، **والأكمة**؛ ثم **الزُّبية** وهي التي لا يعلوها ماء. (وبها ضرب المثل، في قولهم: بلغ السيل الزُّبى)؛ ثم **النَّجْوَة** (وهي المكان الذي تظن أنه نجا بك)[1]؛ ثم **الصَّمَّان**، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل).

فإذا إرتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غلظ الجبل، فهي: **الخَيْف.**

فإذا كانت الأرض لينة، سهلة، من غير رمل، فهي: **الرَّقاق (والبَرْث)**؛ ثم **المَيْثاء والدَّمِثة.**

فإذا كانت طيبة التربة، كريمة المَنْبِت [٢٤]، بعيدة الأحساء والنزوز، فهي: **العَذاة.**

فإذا كانت مَخِيلَة النبت والخير، فهي: **الأرِيضَة.**

فإذا كانت ظاهرة، لا شجر فيها ولا شيء يختلط بها، فهي: **القَرَاح**، **والقِرْوَاح.**

فإذا كانت مُهَيَّأة للزراعة فهي: **الحَقل**، **والمَشَارة**، **والدَّبْرة.**

[فإذا لم تُهَّيأ للزراعة، فهي: **بَوْر**].

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي: **الفِلّ والجُرْز.**

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضين ممطورتين، فهي: **الحَطِيطة.**

---

(١) يضرب هذا المثل لما جاوز الحد. والزُّبى: جمع زُبْيَة وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صَيْده، وأصلها ـ كما ذكر هنا ـ الرابية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان جارفاً مجحفاً. (مجمع الأمثال للميداني: ٩١/١).

فإذا كانت ذات ندى ووخامة، فهي: **الغَمِقَة**.

فإذا كانت ذات سِباخ، فهي: **السَّبَخة**.

فإذا كانت ذات وَبَاء، فهي: **الوَبيئة والوَبِئة** [على مثال فعيلة وفعلة].

فإذا كانت كثيرة الشجر، فهي: **الشّجْراء والشّجِرَة**.

فإذا كانت ذات حيات، فهي: **المُحَوَّاة**.

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي: **المَسْبَعَة والمُذْأَبَة**[1].

* * *

---

(١) في (فقه اللغة: ٢٨٥): نجاؤك.

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

[الصعيد][1] تراب وجه الأرض. يقال له **البَوْغاء**[2].

والدَّقْعاء: التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذرِيرة.

الثرى: التراب النديّ [وهو كل تراب لا يصير طينا لازباً إذا بل][3].

المُورُ: التراب الذي تمور به الريح.

الهَباء: التراب الذي تطيره الريح، فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم. [يلزق لزوقاً (عن ابن شميل)][4].

[**الهابي**، الذي دق وارتفع؛ عن الكسائي][5].

السّافياء، التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها.

الرَّاهِطاء والدّأماء: التراب الذي يخرجه اليربوع من جحره ويجمعه.

الجُرْثومة: التراب الذي تجمعه النمل عند قريتها.

العَفاء: التراب الذي يعفي الآثار، وكذلك العفر.

الرُّغام، التراب المختلط بالرمل.

السَّماد: التراب الذي يسمد به النبات. فإذا كان مع السرقين، فهو **الدَّمَال**.

[تفصل أسماء الطين وأوصافه][6]

وإذا كان الصيف حراً يابساً، فهو **الصّلصال**.

فإذا كان [٢٦] مطبوخاً، فهو: **الفَخَّار**.

فإذا كان علكاً لاصقاً، فهو: **اللاَّزِب**.

---

(١) في المصدر المذكور: المذأبة.

(٢) إضافة المحقق عن (فقه اللغة: ٢٨٧) حيث ينقل عنه.

(٣) في المصدر السابق أضاف البوغاء للتراب الرخو الرقيق مع الدقعاء. لكن تركناها كما ذكرها في المخطوط.

(٤) إضافة المحقق عن المصدر السابق.

(٥) إضافة المحقق عن (فقه اللغة: ٢٨٨).

(٦) الحاشية السابقة.

فإذا غيره الماء وأفسده، فهو: **الحَمأُ**.

وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة.

فإذا كان رطباً، فهو: **الثَّأْطَة والثُّرْمُطة [والطَّثْرَة]**[1].

فإذا كان رقيقاً فهو: **الرِّداغ**.

فإذا كان ترتطم فيه الدواب، فهو: **الوَحَل**. وأشد منه، **الرَّدَغة** و **الرِّزَغة**، وأشد منهما **الوَرْطة**: تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها. ثم صارت مثلاً لكل شدة يقع فيها الإنسان.

فإذا كان حرًّا طيباً علكاً، وفيه خضرة، فهو: **الغَضْرَاء**.

فإذا كان مخلوطاً بالتبن، فهو: **السِّياع**.

فإذا جعل بين اللبن، فهو: **المِلاط**[2].

* * *

(١) إضافة المحقق.

(٢) إضافة المحقق عن (فقه اللغة: ٢٨٨).

(٣) ضبطنا الفقرة السابقة عن فقه اللغة حيث ينقل عنه حرفياً.

الفصل الرابع

في أسماء الغبار وصفاته[1]

النَّقْع والعَكوب: الغبار الذي يثور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل.

العَجاجة: الغبار الذي تثيره الريح.

الرَّهْج والقَسْطل: غبار الحرب.

الخَيْضعة: غبار المعركة.

العِثْيَر: غبار الأقدام.

المَنين: ما تقطع منه.

* * *

(١) الحاشية السابقة.

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها[1]

ما (استرقَّ) من الرمل، يقال له: **العَداب**.

الحَبْل: ما استطال منه.

اللَّبب: ما انحدر منه.

الحِقْف: ما اعوجَّ منه.

الدِّعْص: ما استدار منه.

العَقِدة: ما تعقد منه.

العَقَنْقَل: ما تراكم [وتراكب][2] منه.

السِّقْط: ما جعل ينقطع ويتصل منه.

النُّهْبُورة: ما أشرف منه.

التَّيْهُور: ما اطمأنَّ منه.

الشّقيقة، ما انقطع وغلظ منه.

الكثيب والنَّقا: ما احدودب وانهال منه.

العاقر: ما لا ينبت شيئاً منه.

الهَدْمَلة: ما كثر شجره منه.

الأوْعَس: ما سهل ولان منه.

الرَّغام: ما لان منه، وليس بالذي يسيل من اليد.

الهَيام: ما لا يتمالك أن يمسك منه باليد، للينه.

الدَّكادك[3]: ما التبد بالأرض منه.

العانِك، ما تعقد منه، حتى لا يقدر البعير على المسير منه.

---

(١) ضبطنا الفقرة في الكامل عن (فقه اللغة: ٢٩١) حيث ينقل عنه المؤلف.

(٢) إضافة عن المصدر السابق.

(٣) في المصدر السابق.

[ترتيب كمية الرمل][1]

والكثير من الرمل، يقال له **العَقَنْقَل**.

فإذا نقص [٢٧] فهو: **كـ٢ثِب**.

فإذا نقص منه، فهو عَوْكل.

فإذا نقص منه، فهو: **سقط**.

فإذا نقص منه، فهو: **عَداب**.

فإذا نقص منه، فهو: **لَبَب**.

[عن كتاب الغريب للمصنف][2]

وقال صاحب الغريب: «إذا كانت الرملة مجتمعة، فهي: **العَوْكَلَة**؛ فإذا أنبسطت وطالت، فهي: **الكثيب**؛ فإذا انتقل **الكثيب** من موضع إلى آخر بالرياح، وبقي منه شيء رقيق فهو: **اللَّبَب**، فإذا نقص، فهو: **العَداب**».

والله أعلم.

---

(١) إضافة المحقق عن المصدر السابق حيث نقله عن كتاب الموازنة لحمزة في ترتيب كمية الرمل الرمال عن ثعلب عن ابن الإعرابي.

(٢) إضافة المحقق.

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصدنا إفراده، لنزيده وضوحاً، وسنذكره جملةً وتفصيلاً، ونستطرد في ذلك [إلى] ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما يندرج معها، وذكر جمل من الآثار القديمة.

فنقول، وبالله التوفيق:

[التلازم بين الأرض والكائنات الحية التي عليها]

إنه لما كانت الأرض وما عليها من المركبات من الطبائع الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، نظرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عنصر الهواء (كالطير) فكان في الهواء مقره؛ وما غلب عليه عنصر الماء (كالسمك) فكان في الماء مقره. ووجدنا الطير، وإن طلب مركزه المركب منه أكثر أجزائه وهو الهواء، والسمك وإن طلب مركزه المركب منه أكثر أجزائه وهو الماء، لم تجد واحداً منهما ولا شيئاً من الحيوان مطلقاً يطلب النار ويماسُّها، إلا السمندل[1] وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويماسُّها كالطير إذا حط إلى الأرض، والحوت إذا أوى بيته، فعلمنا حينئذ أنهما من لوازم الأرض[2].

تمام ارتباط الإنسان بالأرض

فبالأولى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصره التراب، كالإنسان. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [٢٧]، فغلب حكمها على بقية العناصر، في خلق الإنسان، فقال: «منها خلقناكم» إشارة إلى التراب؛ وجعلها البداية والنهاية، قال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم». ثم أكد لها التغليب على بقية العناصر الثلاثة التي لا تقوم المركبات إلا بها، بقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ فجعل منها النشأة الأولى في أول الخلق؛ والثانية في المعاد، وما بينهما، وهو الموت.

---

(١) السمندر ذكره الدميري في (حياة الحيوان الكبرى: ٢/٣٣) بأنه طائر يأكل البيش وهو نبتة بأرض الصين، وقال: من عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار وكثيراً ما يوجد بالهند....

(٢) ذكره في الأصل: المسند، وفي نسخة أخرى: السمندر.

[السمند والنار]

فإن اعترض معترض بالسمندر وأنه يأوي النار، قلنا: هذا شاذ نادر، والشاذ النادر لا حكم له.

[الأرض أم البشر]

وإذ قد تبين أن التراب في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركزه: منها الميلاد، وإليها المعاد.

فعلمنا ضرورة أن الأرض أم البشر. أخرجهم من بطونها، فكانوا كالولدان لها. وقوت المولود، ثدي الأم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعلم حينئذ أن نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركزه منها: لما فيه من ثقل التركيب بها. ألا ترى أن النار ولو عكست، أبت إلا طلب العلو: تطلب مركزها؛ والقربة المنفوخة التي قسرت بقاسر إذا أطلقت، طلب الهواء المملوءة به العلو: يطلب مركزه؛ والماء لا يجري إلا من العالي إلى المنخفض من الأرض. يطلب مركزه. وكذلك التراب، حيث رميت به الجو، ينحط إلى الأرض: يطلب مركزه.

فهكذا الإنسان: لا يطلب إلا مركزه، وهو التراب: إذا كان أكثر أجزائه من التراب: وإلى هذا أشار الشريف بقوله: «والنسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل»، وقد ذكرناه آنفاً.

ولهذا لم يقدروا في المركبات وجود الاعتدال الكامل المتساوي في [٣٨] أجزاء التركيب: إذ لو كانت كذلك، لجذبتها العناصر الأربعة، جذباً متساوياً. فلم يكن له مركز خاص، وذلك محال.

[لماذا كان العذاب بالموعود بالنار]

وأقل أجزاء العناصر في الحيوان غالباً، النار. ثم يتفاوت الحيوان في ذلك. ولهذا لا تقوى [الحيوانات] على النار قوتها على الماء والتراب والهواء. ثم بتفاوت الحيوان في ذلك، مال كل إلى ما غلب على تركيبه، ولا يهاب الحيوان شيئاً يقتحمه، كما يهاب اقتحام النار. ولهذا كانت النار العذاب الموعود به: لمنافرة ما بينهما وبين الحيوان، لقلة موجودها به في جزء التركيب، كما أشرنا إليه. والله يفعل ما يشاء لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

[الإنسان أرضيّ ترابيّ وسبل معاشه]

فلما كان الإنسان، بما غلب على تركيبه، أرضياً ترابياً، من الأرض مبدؤه، وإليها معاده، ثم منها عوده، كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ اضطر إلى مركزه، واحتاج إلى الاضطراب في أرجاء الأرض للكسب: إما للصيد، وهو أول رتب المعاش؛ أو الزراعة، وهي ثاني رتب المعاش، أو التجارة، وهي ثالث رتب المعاش، على ما يأتي بيانه. فلم يكن له غنى عن معرفة جهات الأرض، ليمتد فيها لأسباب معاشه، فيما ذكرناه أو غير ذلك، مما يتفرع منه أو يترتب عليه.

[فطر الإنسان على طلب البقاء]

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى برية يهماء، لا ساكن بها، لم يكن له دأب إلا طلب سبب البقاء، بما يصيد منه ليأكل، فإذا أكل، طلب ما هو أزيد سبباً، فزرع؛ فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سبباً، فتاجر. ثم تفرع معاشه، وتشعبت أسبابه، فاحتاج حينئذ إلى معرفة أجزاء الأرض وعوالمها، ليعرف أين كسبه، ومن أين معاشه. ولا يمكنه أن يقصد أرضاً في بر ولا بحر، إلا بأعلام [٢٩] دالة عليها، كالنجوم اللائحة، والجبال الماثلة، والأنهار الجارية، والأهوية الهابّة، وليس هذا موضع ذكرها. لكنا نذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبلة في كل أرض.

[إجمالي أحوال الأرض]

وإنما نذكر ههنا ما هو لائق به. وهو ما هو جملي من أحوال في الأرض لازمة لها، من بعضياتها المشهورة في جميع الأقطار: كالجبال العظيمة، والأنهار المتبحرة. لأن بمواقع تلك الجبال الشهيرة، والأنهار المعروفة، يعرف موقع كل جهة من الأرض.

[خصوصية البحار]

فأما البحار، فإننا قد أفردناها بذاتها. وسيأتي ذكرها في موضعه. ولم نذكرها هنا مع الأرض، كما نذكر الجبال والأنهار، لأن الجبال والأنهار من عالم الأرض. وأما البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما. فوجب إفرادها بذاتها، إذ كانت كشيء آخر.

[نظرية في الجبال واتصالها ظاهراً وباطناً]

ونحن نقدم الجبال على الأنهار أعلى أعلاماً، وأثبت في مواضعها مقاماً، وأكثرها على حالها، لا تتغير دواماً، والذي نقول الآن:

[جبل قاف]

إن الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الأرض، وهو المسمى **بجبل قاف**، وهو أم الجبال[1]. كلها تتشعب منه. فتتصل في موضع، وتنقطع في آخر. وهو كالدائرة، لا يعرف له أول على التحقيق. إذ كانت الحلقة المستديرة، لا يعرف طرفاها. وإن لم تكن استدارته استدارة كرية، ولكنها استدارة إحاطة، أو كالإحاطة.

فلما لم نقف له على أول على التحقيق، قدرنا له أولاً، وهو: كتف السد الجنوبي. ونديره بالمعمور. يتصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كنف السد الشمالي: حيث الفرجة التي ساوى الإسكندر ذو القرنين فيها، كما قال تعالى: ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وأقام [٣٠] السد وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم (٣١).

[جبل قاف عند جغرافيي المسلمين][2]

ومجموع هذا الجبل ـ متصلة ومنقطعة في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ـ هو جبل قاف. وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائر بين العالم، بما يعبر به عند كل منهم، على ما يقتضيه اختلاف الألسنة واللغات.

[جبل قاف وجبل قاقونا والفرق بينهما]

وقد زعم بعضهم أن أمهات الجبال جبلان: خرج أحدهما من لدن البحر المحيط في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لدن البحر الرومي، وأخذ شمالاً؛ حتى تلاقيا عند السد، وسموا الجنوبي قاف، وسموا الشمالي جبل قاقونا. والأظهر ـ والله أعلم ـ أنه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور، لا كما هو البحر، محيط بجميع كرة الأرض، وأنه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان؛ ولا يعرف في الجنوب إلا بهذه التسمية، ويعرف في الشمال بجبل قاقونا. وبهذا تزول شبهة من ظن أن كلاً منهما غير الآخر، والله أعلم.

---

(١) قال عنه ياقوت في (معجم البلدان: ٢٩٨/٤): قاف إن كان عربياً فهو منقول من الفعل الماضي من قولهم: «قاف أثره يقوفه قوفاً: إذا اتبع أثره فيكون هذا الجبل يفوق أثر الأرض فيستدير حولها، وقاف المذكور في القرآن الكريم، ذهب المفسرون إلى أنه الجبل المحيط بالأرض. قالوا: وهو من زبرجدة خضراء وإن خضرة السماء من خضرته، وقالوا:.... وأصول الجبال كلها من عرق جبل قاف... وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وهو الستار لها عن الأرض، وتسميه القدماء البرز.

(٢) راجع الحاشية السابقة وانظر ما ذكره الوطواط في (مناهج الفكر: ٢٣٩/٢).

[الجبل المحيط كما يراه المؤلف]

والذي نقول، وباللّه التوفيق: إن هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مبدؤه من كتف السد آخذاً من وراء صنم الخطا المحجوج إليه، إلى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصيف، آخذاً على غربي صيف الصين، ثم ينعطف على جنوبيه مستقيماً في نهاية الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة، ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الإستواء، حيث الطول مائة وسبعون درجة (علم عليها في لوح الرسم قع بحساب الجمل)، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقي لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، بجنوب كثير من (٣٢) وراء مخرج البحر الهندي في [٣١] الجنوب، وتبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين: شعبة المحيط الجاثية[١] على جنوب الظلمات شرقاً بغرب، وشعبة البحر الهندي الجاثية على الظلمات شرقاً بغرب، حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل، كتفصيل السراويل. ثم ينفرج رأس البحرين المتلاقيين شعبتين على مبدإ الجبل، ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء. ومبدأ هذا الجبل «قه» هنا وراء قبة أرين، عن شرقها، وبعده منها خمس عشرة درجة. وقد عَلَّم صاحب جغرافيا قبالة مبدإ هذا الجبل في القسم الشرقي طولاً. وذلك بعد أن انتهت درجات القسم الغربي عند قبة أرين إلى تسعين درجة، علم عليها في لوح الرسم فكان هذا المقدر يه، وهو تفاوت ما بين العددين.

[المجرد]

ويقال لهذا الجبل في أوله: المجرد. ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي إلى طول خمس وستين درجة من أول المغرب، وقد عَلَّم عليها في لوح الرسم «سه».

[جبل القمر][٢]

وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه النيل. ويقال إن به أحجاراً براقة كالفضة البيضاء، تتلألأ، تسمى صنجة الباهت: كل من نظرها، ضحك والتصق بها، حتى يموت. وتسمى مغناطيس الناس. قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأحجار.

---

(١) ليست منقوطة في الأصل لعلها كما ذكرنا.

(٢) قال عنه في تقويم البلدان: ٦٤: جبل في الخراب الجنوبي وعرضه إحدى عشرة درجة جنوبي من خط الاستواء ومنه منابيع نيل مصر...

[شعب آسيفي]

وتتشعب منه شعب تسمى **آسيفى**، يقال إنه مسكون، وإن أهله كالوحش، والله أعلم بصحة ذلك.

[شعب وحشية]

ثم ينفرج منه فرجة، ويمر منه شعب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط، تسمى جبل **وحشية**: به سباع لها قرون طوال، لا تطاق.

[جبلا قاقولي وأدمدمة الملتقان لنهر النيل]

وينعطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعب، منها شعبتان إلى خط الاستواء يكتنفان مجرى النيل، من الشرق والغرب.

فالشرقي، يعرف **بجبل قاقولي**، وينقطع عند خط الاستواء والغربي، يعرف **بأدمدمة**، يجري عليه نيل السودان، المسمى في جغرافيا ببحر الدمادم. وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينتي سمغرة وجيمي.

وراء هذه الشعبة، تمتد شعبه منه، هي الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بآسيفي المتقدم الذكر إلى خط الاستواء، حيث هو الطول هناك عشرون درجة. وقد علم عليها في لوح الرسم.

[جبل كرسقانة]

ويعرف هناك بجبل **كرسقانة**. وبه هناك وحوش ضاربة. ثم ينتهي إلى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة مفروجة. وذلك وراء التكرور، عند مدينة قلتبو. ووراء هذا الجبل هناك سودان يقال لهم تمتم، يأكلون الناس. وستأتي جملة من أخبارهم في موضعها، إن شاء الله.

ثم تتصل الأم من شاطىء البحر الشامي في شماله، شرقي رومة الكبرى، مسامتاً للشعبة المسماة أدمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا تكاد تخطيها، حيث الطول خمس وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له. ويقع منشأ اتصال هذه الأم في رسم خط العروض على/ن/ رسمها في لوح الرسم. وكذلك تقع شعبتها آخذاً في الجنوب إلى الخط المعلم عليه الأطوال في لوح الرسم، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية على ن.

وتتسامى وصلة هذه الأم إلى البحر المحيط في نهاية الشمال، قبالة جزيرة بريطانية [٣٣] وتبقى سوسية داخل الجبل. ثم تمتد هذه الأم بعد انقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماة ببحر الأنقليشين ممتداً إلى غاية المشرق،

ويسمى هناك **بجبل قاقونا**. وتبقى وراءه البحرة الجامدة لشدة البرد. ثم ينعطف من الشمال المشرق جنوباً بتغريب إلى كتف السد الشمالي. فيتلاقى هناك الطرفان. وبينهما في الفرجة المنفرجة، ساوى الإسكندر بين الصدفين.

ونحن نذكر هنا في لوح الرسم من الجبال، ونقسمه على أربعة أقسام، تتجزأ بها المعمورة طولاً وعرضاً.

ففي العرض مما وراء خط الاستواء من المعمور المقدر عرضه بإقليم ونصف إقليم مما أخذ له عرض لارتفاع الحمل والميزان وهو جزء مقدر بنصف إقليم فيكون ذلك تتمة لقدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيث انتهى أخذ العرض هناك مما ابتدئ من قبة أرين جنوباً عشرين درجة، وقد علم عليها في لوح الرسم /S/ إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسية الثانية، خارج الإقليم السابع في الجزء المقدر بنصف إقليم ماراً مع الإقليم السابع من أول المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى أخذ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة على ما قدمنا ذكره، وقد علم عليه في لوح الرسم /عـه/ قاطعاً في الطول على خط مستقيم من الشرق إلى المغرب يقع وسطه على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خوز وعبادان. وقد علم عليه في لوح الرسم /لـه/ ووقع هذا الخط في المشرق آخذاً على جنوب السد [٣٤] ماراً على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشامي حيث مخرج الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط على وسط الأقاليم السبعة المقسمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبين. وموقع هذا الخط الوسط منها.

وأما جبال مكة والمدينة. فإنا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفر عليها المادة بإفرادها.

فالربع الأول:

[جبال الربع الأول]

من هذه الأرباع المقسومة الآن، هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب.

[جزيرة القمر[١] وجبل قدم آدم عليه السلام].

وبه من الجبال في جزيرة القمر العظمى من المعمور الخارج عن خط الاستواء: جبل يعرف

---

(١) انظر عن جزيرة القمر الحواشي السابقة وعن جبل القمر ما كتبه ابن سعيد المغربي في كتابه (الجغرافيا: ٨١ – ٨٢).

بجبل قدم آدم[١]. يقال إن آدم عليه السلام أهبط عليه. وهو جنوبي جزيرة سرنديب ووراءه جبل كأنه باء محذوفة الذيل (ب). ذكر صاحب جغرافيا في لوح الرسم أن أهله سود يأكلون الناس. تقع حذفة ذيله على خط الاستواء، على جزء بلغ طوله مائة درجة وخمس درجات. وقد علم عليه في لوح الرسم «مه» من حساب الجمل.

ووراءه ثلاثة جبال منقطعة، صغار، يتلو بعضها بعضاً. أولها جبل، شرقي هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ياء متلو كتلوي الأرقم [ء]. في سفحه مدينة علماء[٢]؛ ويليه من شرقيه الثاني وهو جبل آخذ على مدينتي ملاي[٣] وسمردى. ذكر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران؛ ويليه من شرقيه، الثالث، وهو: جبل أصغر الثلاثة، غربي مدينة معلا.

[جبل الديلم][٤]

ثم ما هو داخل تحت خط الاستواء جبل كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره بجبل الديلم. ومنشؤه من البحر الهندي غربي المنيبار[٥]. يأخذ ممتداً إلى الشمال على وراب. في ذيله الغربي كابل. ثم يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال، ويقع هناك على أصفهان، وتنتهي شعبته على منبع نهر مكران، المار إلى السند. وعليه من ذلك الميل في شرقيه، المحمدية[٦]، ذكرناها هنا علامة لهذا الجبل. وإذ قد ذكرنا هذا الجبل بمجموعه هنا، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الربع.

ومن ذلك جبل آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة المخرجة هذه الأرباع عليه. ويمتد هذا الجبل مشرفاً على تلوّ في أوله، ماراً، إلى مساحته باب الصين على جنوبيه. وهناك يتصل بالأم. وتمتد منه شعبة آخذة في الجنوب إلى البحر الهندي مما وراء المعبر، مدينة أزهونة، وذلك جميعه خارج عن الأم، منقول من لوح الرسم.

---

(١) قال الإدريسي في ذكره عن جزيرة سرنديب: «وفيها الجبل الذي أهبط عليه آدم وهو جبل سمي الذروة... وعليه أثر قدم آدم عليه السلام...». (نزهة المشتاق: ٧٣)

(٢) المصدر السابق: ٧٤.

(٣) انظر (نزهة المشتاق: ٧١).

(٤) انظر ما ذكره الإدريسي عن (جبال الديلم) في (نزهة المشتاق: ٣٥٣- ٦٧٨- ٦٨٦).

(٥) انظر عنها (تقويم البلدان: ٣٥٣).

(٦) المصدر السابق: ١٣٩.

والربع الثاني:

[جبال الربع الثاني]

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربي الآخذ إلى الجنوب.

به من الجبال تحت الأم الخارجة من شعبتي البحر المشبهة بتفصيل السراويل المقدمة الذكر، **ثلاثة جبال:**

(الأول) منها وهو الشرقي جبل آخذ عن الأم على جانب فرجة بينهما، ممتد إلى خط الاستواء حتى وقع عليه وينقطع عنده. وتقع مدينة «القمرانه» في ذيله على شرقيه، و«بوشة» في ذيله على غربيه.

ويليه **(الثاني)** على غربيه وهو جبل آخذ إلى مدينة نسويه، وينقطع هناك.

ويليه **(الثالث)** على غربيه وهو جبل يعرف **بجبل حاقولي**[١]. ذكر صاحب جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين. يأخذ على شرقي النيل حتى [٣٦] ينتهي إلى مدينة فرقوة حيث آخر خرجة البحر الهندي. وقد نبهنا على ذكر هذا الجبل، عند وصفنا للأم المذكورة، وأشرنا إلى أن مخرج الأم يقع قبالته من شمالي البحر الشامي، على ما تقدم ذكره.

وعن يسرته **جبل** آخذ على شرقي النوبة.

ومن ذلك **جبل** يقع منه جنوباً مع تغريب كثير كأنه «لا» معلقة بالخط المغربي [ملا].

ومن ذلك **جبل** آخر منقطع ما بين خاخة وجيمي[٢].

ومن ذلك دونهما **جبلان** آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ وراءه غربي بحيرة نافرن، وشرقي بحيرة كوكورة[٣].

ومن ذلك وراءه في غربيه **جبل** كأنه رأس صاد بالخط المغربي [صـ] وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والنزول إليها جانبه الداخل يجري منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهي إلى البحر الشامي.

---

(١) انظر (تقويم البلدان: ١٥١).

(٢) انظر (الجغرافيا لابن سعيد المغربي: ٩٥) وعند الإدريسي (نزهة المشتاق: ٢٧ـ ٢٩) دعاها انجيمي وقال: مدينة صغيرة جداً وأهلها قليل....

(٣) بحيرة تشاد حالياً.

[جبل اللماع]

ويليه جبل يعرف **باللماع** كأنه فردة صولجان. عليه حصن المليح وجزولة وتنصب منه أنهار إلى المحيط.

ومن ذلك **جبل** يأخذ بين فاس وسجلماسة وينصب منه نهر بين أسفي والمزمة حتى يصب في البحر المحيط، شرقي طنجة.

ومن ذلك **جبل** منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غرباً، حيث الطول من الغرب خمس عشرة درجة، علم عليها في لوح الرسم (يه) من حساب الجمل. ويأخذ جنوباً إلى البحر المحيط.

ومن ذلك **جبلان** يعرفان **بجبل كرسقانة وجبل وحشية**، وقد تقدم ذكرهما. وذلك كله خارج عن الأم، منقول من لوح الرسم.

والربع الثالث:

الغربي الآخذ [٣٧] إلى الشمال

[جبال الربع الثالث منها الأندلس]

به من الجبال **جبل** آخر في جزيرة الأندلس، في جنوبيها من البحر الشامي من إشبيلية إلى بطليموس، وانصب منه نهران: أخذ أحدهما على إشبيلية ماراً بينها وبين مالقة حتى صب في البحر الشامي، والثاني منهما أخذ على إلبيرة وصب في البحر المحيط.

وفي شرقية **جبل** آخذ من قورة إلى وادي آش، عليه هيكل الزهرة، وانصب منه نهر مر على وادي آش، وأخذ شرقي غرناطة إلى قرطبة، وصب في البحر الشامي.

وفي شرقية **جبل** خرج من البحر المحيط، من الشمال مغرباً وأخذ ماراً في الأندلس إلى بلنسية وانتهى إلى البحر الشامي.

وهذه الجبال كلها وراء وصلة الأم الخارجة على شرقي رومة الكبرى[1].

ولولا مخرج الأم هنا لما امتنع سبيل الأندلس في البر إلى بلاد القسطنطينية الكبرى واللان والأص والصقلب. ولوصل منه إلى جميع الأرض، شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، من غير بحر حائل ولا لج مانع. فلما لم يبق للأندلس سبيل إلا من البحر، بقيت كأنها داخل هذا الجبل المحيط المعمور، وإن كان موقعه وراءه من غربيه.

---

(١) أشهر من أن تعرف.

ذكرنا هذا هنا لمقتضيه، إذ لم يمكن السكوت عنه.

ثم نعود إلى تتمة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث.

فمن ذلك **جبل** يأخذ على بحر بنطس المتصل بالبحر الشامي، ومن شرقي هرقلة ويمتد إلى أنطاكية وحلب ويمتد في الشام على شمالي بعلبك ودمشق. ويحصر هذا الجبل الشامي آخذاً معه إلى الجنوب، على فرجة بينهما تلك الفرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم، مثل: قونية وقيصرية وأنطاكية.

ومن ذلك **جبل** يمتد على ماردين وشهرزور وأخلاط. ينقطع ويتصل بجبل أذربيجان. وتنصب منه أنهار كبيرة: منها ما يصب في البحر الشامي، ومنها ما يصب في بحر بنطس، ومنها ما يصب في البحر الهندي، ومنها ما يصب في البحيرة البلاعة المقاربة للسد. ويتصل هذا عن فرجات بحبل طبرستان المار بين أذربيجان وغزنة. وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان، حيث يخرج خط أخذ العروض.

ومن ذلك **جبلان** منقطعان، وراء بحر بنطس، من شماله بشرق. آخذان على بحيرة الحارس عن شرقها وغربيها.

وذلك كله خارج عن الأم، منقولاً من لوح الرسم.

والربع الرابع:

[جبال الربع الرابع]

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها.

به من الجبال، **جبل** منقطع ما بين بلاد السند وبين بوار. وشمالي القموج يجري نهر مكران حيث يقطع مدى الصحراء على ذيله ويخرج هناك.

ومن ذلك **جبل** ينزل به غرغر النار. به باب الصين.

ومن ذلك **جبال** الخطا المحيطة بها على باش بالق، وآل بالق، وخان بالق.

ومن ذلك جبل منقطع، كأنه صليب ذهب أحد شعبه. ومدينة ظفار في ذيله المغرب. وشعبته الخارجة تقع بلاد الياش في ذيلها.

ومن ذلك **جبل** منقطع متلو كالأرقم، من غربي بلاد أسحرت إلى نهاية العمارة في الشمال. ومنه ينصب فرع نهر جيحون.

ومن ذلك **جبل** في صحراء القبجاق، آخذ على منعطف النهر المتصل بالبحيرة الجامدة من شدة البرد.

ومن ذلك **جبل** منقطع ينصب منه فرع إلى نهر إقيل في شرقي صحارى (٤٠) القبجاق آخذاً بشرق مدينة أوتنا. ووراءها عبدة الشياطين، على ما رسم صاحب جغرافيا في لوح الرسم.

ومن ذلك **شعبة** آخذة من الأم إلى جنوب مغرب، ينصب منه ماء إلى النهر المنتهي إلى البحيرة الجامدة.

ثم إننا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان، ليكون أوضح لبيانه، وأدل على مكانه وهو الجبل الممتد على الشام، وجبال شهيرة بجزيرة العرب.

فأما الجبل الممتد على الشام

[جبال الشام واتصالاتها]

فإن أوله بالمشرق من الصين من البحر المحيط. فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتي فرغانة إلى جبال البتم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فينقطع، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قطع ثم [وصل] في وسطه. ويستمر الجبل إلى الجوزجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو الروذ إلى طوس. فتكون جميع مدن طوس فيه. وتتصل به **جبال أصبهان وشيراز** إلى أن يصل إلى البحر الهندي. وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور إلى سهرود. فيمر على **جباله** بسائر دجلة. ثم يتصل بجبل الجودي، موقف سفينة نوح عليه السلام. ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آمد وميافارقين حتى يمر بثغور حلب. ويسمى هناك **جبل اللكام**[١]، ويستمر جبل اللكام إلى أن يعدي الثغور فيسمى بهذا حتى يجاوز حمص فيسمى **لبنان**[٢]. ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة[٣]، ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى **المقطم**[٤]، ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبه بنهاية المغرب.

ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل، كلّيه وجزئيه، مما تقدم على ما اقتضاه الإيضاح في

---

(١) ذكره ياقوت في (معجم البلدان: ١١/٥) في حديثه عن جبال لبنان حيث قال: ولبنان جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل. وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان. ويتصل بانطاكية والمصيصة فيسمى هناك اللُكام ثم يمتد إلى ملطية وسميساط وقاليقلا إلى بحر الخزر فيسمى القبق....

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر ما سبق من الحواشي.

(٤) قال عنه ياقوت في (معجم البلدان: ١٧٦/٥): جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطىء النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم...

موضعه على ما صور في لوح الرسم [٤٠] في أماكنه ولكن أردنا هنا اتصال لحمته ليعرف كيف هو بأسمائه فيما يمر عليه في الأرض من شرقها إلى مغربها.

فأما جبال مكة

[جبل عرفات]

فأعظمها وأحقها بالتقديم وإن بعد عن مكة مكاناً جبل عرفات، موقف الحجيج الأعظم، وركن الحج الأكبر.

[جبل أبي قبيس](١)

ومنها جبل أبي قبيس ولونه أدكن إلى البياض قليلاً وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه، وقيل هو اسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس عرف به لأنه أول من بنى فيه؛ كذا قال الزمخشري. وقال أبو القاسم السهيلي(٢): عرف برجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض، وبين ابنة عمه مية فنذرت أن لا تكلمه. وكان شديد الكلف بها، فحلف ليقتلن قبيساً، فهرب منه في الجبل المعروف به، وانقطع خبره، فإما مات، وإما تردى، فسمي الجبل أبا قبيس. وقال ابن عباس: هو أول جبل وضع على الأرض. رواه أبو عروبة وأبو بكر بن أبي شيبة. وقال الزمخشري: كان يسمى في الجاهلية الأمين، لأن الركن كان مستودعاً فيه، عام الطوفان. وفي أعلاه منار إبراهيم عليه السلام. وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المنار على الموضع الذي نادى منه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام. والأكثر أنه نادى من أعلى المقام. وفي أصله الصفا. ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد. ويصعد إليه أيضاً من شعب أجياد الصغير. وأبو قبيس أحد الأخشبين(٣). وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام، وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة.

[جبل الخندمة](٤)

وجبل الخندمة وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق. وهو جبل أحمر محجر. فيه صخرة

---

(١) انظر (معجم البلدان: ١/٨٠).

(٢) ذكر الخبر ياقوت أيضاً في المصدر السابق.

(٣) هما الأخشب الشرقي والأخشب الغربي هو المعروف بجبل الخط والخط من وادي إبراهيم. (المصدر السابق).

(٤) قال عنه ياقوت في (معجم البلدان: ٢/٣٩٢): خَندَمَةُ: جبل بمكة... منها حجارة بنيان مكة، اهـ. وذكره الأزرقي في (تاريخ مكة: ١/ ٤٧٩ــ طبعة أوروبا).

كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها من بعيد. تبدو من المسجد من باب السهميين الصغير. وفي هذا الجبل تحصن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمسة وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن رده الله إلى موضعه، على يد ولد الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شعب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[الجبل الأبيض]

والجبل الأبيض[1]. الذي على الأبطح إلى باب المعلى يسمى **عاضرة**.

والجبل الآخر. على الحجون ووجهه إلى قعيقعان، على قبر عبد اللّٰه بن الزبير.

[الأخاشب والجباجب]

والأخاشب[2]، [٤١] والجباجب[3]. جبال مكة. وفيه الثنية، وهي العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بنى المقتدر السور، وجعل له باباً من حديد وهو المعروف بباب منى، وشعب المحصب.

[جبل قعيقعان][4]

وجبل قُعَيْقِعَان: وهو يقابل أبا قبيس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر يقابل الكعبة ما بين الركن العراقي والميزاب، وهو حد أخشبي مكة.

[جبل أجياد][5]

وجبل أجياد: إنما سمي بأجياد لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كنزاً من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل: «إني معطيك كنزاً من كنوزي، لم أعطه لأحد قبلك. فاخرج فناد بالكنز، يأتك». قال فخرج إسماعيل ـ وما يدري ذلك الكنز ولا يدري كيف الدعاء به ـ حتى أتى أجياد. فألهم الله إسماعيل الدعاء بالجبل: «يا خيل

---

(١) انظر (تاريخ مكة للازرقي: ١/ ٤٩٠ـ طبعة أوروبا). وأيضاً في موضع آخر: (٤٧٩/١).

(٢) الأخشبان: جبلا مكة. بينما الأخشبان في المدينة: حرتاها.. (معجم ما استعجم: ١١٥/١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قيل سمي بذلك في عهد جرهم وقطوراء لما احتدبت بمكة قعقعت السلاح بذلك المكان فسمي قعيقعان وانظر (تاريخ مكة: ٤٩٠/١)، (معجم ما استعجم: ٣٢٢/٣).

(٥) انظر ما كتبه البكري في (معجم ما استعجم: ١٠٧/١).

الله، أجيبي!» فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس إلا أتاه وذلله الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمي ذلك الموضع بأجياد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش، فقال شاعر قصير يرتجز بذلك:

أبونا الذي لم تركب الخيل قبله ... ولم يدر خلق قبله كيف تركب

[جبل ابن عمران]

وجبل ابن عمران: وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قبيس وأجياد. وهو خلفها. يظهر على بعد كأنه بينهما. يقابل من الكعبة الشق اليماني.

[جبل البكاء]

ثم في العطف في آخر ذي طوى في طريق التنعيم جبل البكاء. وقربه على يسار المار إلى التنعيم، الحجر الذي [٤٢] قعد عنده رسول الله ﷺ مستريحاً عند إقباله من العمرة. فلان فيه موضع رأسه، حتى استند إليه. وهو مشهور يقعد الناس عنده، عند انصرافهم من العمرة، وعند جبل البكاء تحته مما يلي الغرب.

[سقايات مكة]

قال الفاكهي: وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منار مسجد التنعيم وجميعه نحو من مائة سقاية. وفي أصله مما يلي الشمال مياه، وكانت قديماً بساتين. والوادي أسفل منها في المحجة. كل ذلك على يمين المار إلى التنعيم.

[جبلا شامة وطفيل](١)

وشامة وطفيل. تحت الثنية السفلى غربي ذي طوى.

[جبل ثبير](٢)

ومن ناحية الشرق في طريق منى جبل ثبير. وهو جبل عظيم مرتفع أسود كثير الحجارة في عطف وادي إبراهيم عليه السلام من يسار المار إلى منى.

قال السهيلي: «عرف برجل من هذيل. مات فدفن به فعرف به الجبل». وقال الزمخشري:

---

(١) انظر (معجم ما استعجم: ١٥٩/٣) وقال: شامة وطفيل: جبلان مشرفان على مجنة وهي على بريد من مكة.

(٢) قال عنه في المصدر السابق: ٣٠٣/١: وهي أربعة أثبرة في الحجاز...

«ثبيران جبلان مفترقان تصب بينهما أفاعية، وهي واد يصب من منى. يقال لأحدهما ثبير غيْنا[1] وللآخر ثبير الأعرج»[2].

[جبل حراء][3]

ثم جبل حراء. وهو على يسار المار إلى منى أيضاً. وهو الجبل الذي كان حبب إلى رسول الله ﷺ الخلوة فيه، حتى أتاه الوحي، وليس فيه غار. إنما كان فيه موضع منهل شبيه بالحوض في أصل صخرة عظيمة في أعلى الجبل.

[جبل ثور][4]

وجبل ثور ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر، وهو خلف مكة على طريق مكة. يسمى ثور أطحل. والغار في جانب منه، في أعلاه دون الثنية قليلاً. وفيه نزل جبريل على النبي ﷺ، والغار الذي اختفى فيه عليه السلام مع أبي بكر صخرة واحدة مقبية، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا وعرضه في أوسع مكان فيه، شبر وأربع أصابع. وصفة الغار أنه مستطيل من ناحية الغرب إلى الشرق، وليس بغائص إلى أسفل. طوله ثلاثة وعشرون شبراً، وعرضه تسعة أشبار [٤٣] إلا ثلثاً، وله باب ثان في آخره، من ناحية الشرق. وهو الذي فتحه جبريل عليه السلام حين ضربه بجناحه إلى الصخرة، فانفتح هنالك باب طوله ستة أشبار وعرضه أربعة. ومنه خرج عليه السلام، يوم خرج إلى المدينة.

[جبال المدينة المنورة]

وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فأشهرها.

[جبل أحد جبل سلع]

جبل أحد، وهو جبل أحمر أعلاه دكدك. بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلاً، في شمالي المدينة، وفيه قال النبي ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه» وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحد ركني باب الجنة. ويعضده قوله ﷺ: «المرء مع من أحب». كذا قال السهيلي. وجبل سلع[5]، وهما أشهر الجبال هناك.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق وأضاف الرابع: ثبير الأحدب.

(٣) غني عن التعريف وللمزيد انظر (معجم البلدان: ٢/٢٣٣).

(٤) المصدر السابق: ٢/٨٦).

(٥) انظر (وفا الوفاء للسمهودي: ٤/١٢٣٥).

[جبل ثور وعير]

وجبل ثور وغلط فيه بعضهم وجبل عير[1] والحرم ما بينه وبين أحد.

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها. لم نخل منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره في لوح الرسم؛ وإن كان، فهو القليل وفيما ذكرناه كفاية.

[فصل في أنهار العالم]

وأما الأنهار المعروفة فنحن نذكر هنا ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على أربعة أقسام تتجزأ بها المعمورة طولاً وعرضاً، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال، وباللّه التوفيق.

فالربع الأول

[أنهار الربع الأول]

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب، وبه من الأنهار ما يذكر.

[أنهار جزيرة القمر الثلاثة]

فمن ذلك في جزيرة القمر العظمى ثلاثة أنهار:

شرقيها آخذ من قنطوراً ومعلا.

ويليه ثانيها في غربيه ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سيابا، ويأخذ ماراً إلى مدينة فزدرا. ويبحر هناك بحيرة في جنوبيها مدينة كيماما حيث محل السودان الذين يأكون الناس.

ويليها ثالثها في غربيه، ويخرج من الجبل المشبه بياء محذوفة الذيل [ء] (٤٠) يطوق بمدينة دهمى فتبقى مدينة دهمى بينه وبين البحر الهندي في جزيرة بينهما يكون هو محيطاً بها شرقاً وجنوباً وغرباً [٤٤] فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي، وتقع مدينة فورانة في غربيه حين يصب في البحر الهندي.

ومن ذلك نهر ينصب من جبل قاف عند وصلة الأم في شعبتي البحر المشبه بتفصيل

---

(١) قال عنه في (المصدر السابق: ١٢٦٩/٤): عير ـ بالفتح وسكون المثناة تحت آخرة راء حمار الوحش. اسم للجبل الذي في قبلة المدينة شرقي العقيق،.... وفوقه جبل آخر يسمى باسمه ويقال له «عير الصادر» وللأول عير الوارد.

السراويل. وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين على مدى غير بعيد، وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم.

والربع الثاني

[أنهار الربع الثاني]

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربي الآخذ إلى الجنوب. وبه **نهر** ينصب من جبل قاف، ماراً في الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب في البحر الهندي شرقي قبة أرين.

ومن ذلك **نهر** ينصب من الجبل المار على غربي مدينة لقمرانية حتى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهندي.

[وصف نهر النيل]

ومن ذلك نهر النيل، وهو النهر الأعظم الذي لا يعدله في عظيم نفعه شيء: لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأمم. وهو ينصب من جبل القمر. وقد قدمنا عند ذكر الجبال طرفاً فيه، وإن كان لا مقال يوفيه؛ لأنه إحدى الكبر، وأولى العبر، آية من آيات الله في أرضه، وعجيبة لمن تأمل من خلقه. ساقه الله تعالى إلى مصر وأحيا به بلدة ميتاً وسقاه أمة عظمى. فإنها كالمتفردة به: لعظيم منفعتها منه وعميم مصلحتها به. يجيء إليها أحوج ما كانت إلى مجيئه، وينصرف أحوج ما كانت إلى انصرافه. وذلك تقدير العزيز العليم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾.

[وصف النيل للقاضي الفاضل]

وفيه يقول القاضي الفاضل: «النيل المصري الذي يكسو الفضاء ثوباً فضياً، ويذكي في الأرض ماؤه سراجاً من النور مضيئاً، ويتدافع تياره دافعاً في صدر الجدب بيد الخصب، وترضع أمهات خلجانه المزارع، فتأتي أبناؤها بالعصف والأب». وفيه يقول أيضاً: وأما النيل فقد امتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه؛ ولا يعرف الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا من يرجى ويخاف إلا إياه».

[ذكر أصول النيل][1]

ونحن نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصب عشرة أنهار من جبل (٤٦)

---

(١) انظر عن ذلك (صبح الأعشى: ٣/٣١٦).

القمر[1] المتقدم الذكر. لكل خمسة أنهار من شعبه [٤٥] ثم تتبحر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين:

كل خمسة أنهار تبحر بحيرة بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقاً على جبل قاقولي، ويمتد إلى مدن هناك، ثم يصب في البحر الهندي. ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار.. من كل بحيرة ثلاثة أنهار. ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة[2].

[وصول آخر سلاطين بني عبد المؤمن إلى منبع النيل]

حدثني أقضى القضاة شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي، أن الأمير أبا دبوس بن أبي العلا أبي دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدوة من بني عبد المؤمن حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بني عبد الحق، ملوك بني مرين القائمين الآن.

وصف البحيرة التي يخرج منها النيل

رجعنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة[3]، فنقول:

وفي تلك البطيحة تضريسة جبل: يفرق بها الماء نصفين.

ذراعا النيل عند منبعه

يخرج النصف الواحد من غربي البحيرة. وهذا النصف هو المعروف بنيل السودان. ويشكل نهراً يسمى بحر الدمادم. يأخذ مغرباً ما بين سمغرة وغانة، على جنوبي سمغرة وشمالي غانة. ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوباً إلى غانة، ثم تمر على مدينة برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبيها خارج عن خط الاستواء إلى رقيلة. ثم يتبحر في بحيرة هناك. وتستمر الفرقة الثانية مغربة إلى بلاد مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط، شمالي مدينة قلبتو.

ويخرج النصف الآخر متشاملاً آخذاً على الشمال إلى شرقي مدينة جيمي. ثم يتشعب منه

---

(١) نقله في المصدر السابق عن تقويم البلدان وعن ياقوت في المشترك وابن سعيد في معجمه.

(٢) المعروف إن للنيل مجموعتان من المنابع الأولى بحيرات الهضبة الاستوائية (إدوارد فكتوريا وألبرت، والثانية مياه هضبة الحبشة وتلتقي مياه المنبعين عن الخرطوم حيث يحمل الأول اسم نهر النيل الأبيض والآخر النيل الأزرق انظر: (الموسوعة العربية الميسرة: ١٨٦٩- ١٨٧٠).

(٣) (التقويم البلدان: ٣٧).

هناك شعبة تأخذ شرقاً إلى مدينة سحرتة. ثم ترجع جنوباً. ثم تعطف شرقاً بجنوب إلى مدينة سحرتة. ثم مدينة مركة، منتهياً في العود هناك إلى خط الاستواء حيث الطول خمس [٤٦] وستون درجة علم عليها في لوح الرسم سه، ويحر (٤٧) بحيرة هناك.

مرور النيل في بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة شيمي متشاملاً آخذاً على أطراف بلاد الحبش، ثم يتشامل على بلاد السودان إلى دنقلة، حتى يرمي على الجنادل إلى أسوان إلى قوص، منحدراً يشق بلاد الصعيد شقاً، حتى يقابل قرية تعرف بدروة سربام. وقد تعرف الآن بدروة الشريف: نسبة إلى الشريف ابن ثعلب، الثائر في الأيام الظاهرية الركنية بالصعيد، لمقامه بها.

[بحر يوسف بمصر]

ويتشعب منه غربيه شعبة تسمى المنهى. تستقل نهراً يصل إلى الفيوم. يقال إن يوسف عليه السلام احتفره أيام توليه لأمور ملك مصر. وهو يعرف إلى الآن ببحر يوسف. وهو نهره ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة، بخلاف بقية ما يتشعب بالديار المصرية من خلجان النيل. فيسقي الفيوم عامة، سقيا دائماً لا ينقطع، ثم يبحر فاضل مائه في بحيرة هناك[1].

مشاهدة للمؤلف في بحر يوسف

ومن العجب ـ وهو مما رأيته بعيني ـ أنه ينقطع ماؤه من فوهته أوان انقطاع المياه من خلجان الديار المصرية، ويندى دون فوهته، ثم يكون له بلل دون المكان المندى، ثم يجري جرياً ضعيفاً دون مكان البلل، ثم يستقل نهراً جارياً لا ينقطع إلا بالسفن. ويتشعب منه أنهار، تعم الفيوم لسقي قراه ومزارعه وبستانينه وعامة أماكنه.

[مسار النيل في صعيد مصر]

ثم نعود إلى ذكر عمود النيل الممتد: فنقول:

إنه من دَرْوَة سَرَبَام[2] حيث يتشعب المنهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقاً إلى مدينة الفسطاط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر) حتى يتعداها (٤٨) ثم يتفرق فرقتين

---

(١) ذكر المسعودي أن يوسف عليه السلام اتخذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه. (صبح الأعشى: ٣٢٦/٣).

(٢) انظر ما كتبه ابن دقماق في (الانتصار: ١٩/٥) ومنه أن دروة سر مام (كما سماها ـ هي دورة الشريف وكذلك ذكره القلقشندي في (صبح الأعشى: ٣٣٠/٣).

[٤٧] تأخذ إحداهما إلى دمياط، والأخرى إلى رشيد. وعندهما انتهاء النيل، ويصب في البحر الشامي.

ومن مبدأ هبوطه من أسوان ماراً في الصعيد إلى أن تصب فرقتاه في البحر الشامي، تقسم منه البحار والأنهار، وتتشعب منه الخلج والمساقي. تجري في زيادته وتنقطع في نقصه.

[وصف أصل النيل لعالم مغربي]

وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدكالي (وهو ممن أقام بمالي خمساً وثلاثين سنة، مضطرباً في بلادها، مجتمعاً بأهلها تبين)، قال: «المستفيض ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كأن عليها الغمائم. ثم يتفرق نهران: يصب أحدهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي؛ والآخر يصل إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي».

توغل هذا العالم في الأسفار لمعرفة منبع النيل

قال الشيخ سعيد الدكالي: «ولقد توغلت في أسفاري في الجنوب مع النيل فرأيته متفرقاً على سبعة أنهر، تدخل في صحراء منقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة، وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً مجتمعاً. كلا الرؤيتين في بلاد السودان. ولم أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها».

[ما قيل في أصل النيل]

قلت: والأقوال في أول مجرى النيل كثيرة. ذكر فيها المسعودي وغيره ما لا فائدة فيه.

والشائع على ألسنة الناس أن أحداً ما وقف على أوله بالمشاهدة. وجعل كل واحد منهم سبباً لعدم الوقوف على حقيقته أوله.

فقال بعضهم: إن أناساً صعدوا الجبل فرأوا وراءه بحراً عجاجاً، ماؤه أسود كالليل، يشقه نهر أبيض كالنهار، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله، ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك. وزعموا أنه هرمس الهرامسة، وهو المسمى [٤٨] بالمثلث بالحكمة. ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام. بلغ ذلك الموضع وبني به (٤٩) قبة، قالوا: وسمي بالمثلث، لاجتماع الثلاثة له: النبوة، والحكمة، والملك.

وقال بعضهم: إن أناساً صعدوا الجبل، وكلما تقدم منهم واحد، ضحك وصفق بيديه وألقى بنفسه إلى ما وراء الجبل. فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك، فرجعوا.

وزعم بعضهم: أن أولئك إنما رأوا حجر الباهت. فبكل كل من رآه منهم، ضحك وتقدم إليه والتصق به، حتى مات.

وسيأتي إن شاء الله ما ذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصية هذا الحجر.

[بحث ملوك مصر عن منبع النيل]

وقال بعضهم: إن ملكاً من ملوك مصر الأول جهز أناساً للوقوف على أوله. فانتهوا إلى جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وانعكست عليهم أشعتها، أحرقت غالبهم فرجع البقية.

وقال بعضهم: إنهم انتهوا إلى جبال براقة لماعة كالبلور. فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم.

وقال بعضهم ـ وهو الصحيح ـ والله أعلم: إنه لتوغل منبعه في الخراب المنقطع من وراء خط الاستواء، تعذر السلوك إليه: لبعد المسافة وشدة الحر.

[رأي المؤلف]

فإن قال قائل: فما منع قدماء الملوك، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق ما هي عليه، أن يجهزوا من يقف على حقيقة أوله؟ قلنا له: وأي فائدة تفي بركوب هذا المهلك في أرض لا ينبت بها نبات ولا يعيش فيها حيوان، ولا يعرف مقدار ما يستعد له المسافر، ولا ما يستظهر به الظهر.

وإنما غالب ما يقال في هذا (والله أعلم) مما أظهره نظر العلم لا نظر العيان، والله من ورائهم محيط.

[بقية أنهار الربع الثاني]

وإذ فرغنا من الكلام في النيل، فلنذكر بقية الأنهار الشهيرة الواقعة في هذا الربع الثاني، فنقول:

ومن ذلك **نهران** ينصبان من الجبل المشبه برأس صاد بالخط المغربي [صـ].

يأخذ أحدهما مشرقاً ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاي، شمالي كوكورة وجنوبي محالان جاي. ثم يخرج مشرقاً إلى بحيرة أخرى يتبحر بها غربي مدينة زافون. ثم يخرج متشاملاً شمالاً بغرب، على غربي أرض المليح السواخة. ثم تتشعب منه شعبة تأخذ جنوباً إلى مدينة أوذغست وتستمر سائرة نهراً مادا إلى مدينة فاس، فيصب في البحر الشامي.

وثانيهما ينصب آخذاً إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر الشامي.

ومن ذلك **نهر** يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة ماراً بين أسفي والمزنة حتى يصب في البحر الشامي، شرقي طنجة.

ومن ذلك **أنهار ثلاثة** تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان: تجري من جنوب سجلماسة، واحداً بعد واحد. وتصب الثلاثة مفرقة في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بمعلقة بالخط المغربي [ـلا] وراء خط الاستواء. يصب في المحيط. وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار، في ضمن ذكر الجبال، وذلك جميعه منقول من خط الرسم.

والربع الثالث:

[أنهار الربع الثالث]

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، ما يذكر من الأنهار:

[نهر الوادي الكبير في إشبيلية]

فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قرطبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محفوف بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه ـ أيام ملك المسلمين لها ـ أوقات مسرة ولهو.

وحكى الفتح بن خاقان، قال: «ركب عبد الجليل بن وهبون، وأبو الحسن غلام البكري من إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سواداً من ظرف الظبي النافر، ومعهما غلام وضيء قد أطلع وجهه البدر ليله تمامه، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء، فقال عبد الجليل ارتجالا:

كأنما الشمعتان إذ سمتا ... خدا غلام محسن الغيد

وفي حشا النهر من شعاعهما ... طريق نار الهوى إلى كبدي

وقال غلام البكري:

أحبب بمنظر ليلة ليلاء ... تجنى بها اللذات فوق الماء

في زورق يزهى بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الفيناء

قرنت يداه الشمعتين بوجهه ... كالبدر بين النسر والجوزاء

والـتـاح فـوق الـمـاء ضـوء مـنـهـمـا كـالـبـرق يـخـفـق فـي غـمـام سـمـاء

قلت: **ومن هذا** النهر أخذت إشبيلية، فقال بعضهم «لسب إشبيلية عقربها، وسادرها أرقمها. يريد بالعقرب شرفها المطل، وهو عقربي الشكل، وبالأرقم نهرها، قالوا: وهو من العجائب.

وحكى[1] ابن خاقان[2]، قال: «ركب [الأستاذ][3] أبو محمد بن صارة [مع أصحاب له][4] في نهر إشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقياناً، وطارت دواريقها في سماء اللهو عقباناً؛ وأبدى نسيمها من الأمواج [والدوارات سرراً وأعكاناً، فقال [في زورق يجول جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف]، فقال[5] بديهاً:

تـأمـل حـالـنـا والـجـوُّ طـلـق مـحـيـاه، وقـد طـفـل الـمـسـاءُ

وقـد جـالـت بـنـا عـذراء حـبـلـى تـجـاذب مـرطـهـا رخـاء رضـاءُ

بـنـهـر كـالـسـجـنـجـل كـوثـريٍّ تـعـبـس وجـهـهـا فـيـه الـسـمـاء

ولما وقف عليها ابن خفاجة، استحسنها واستظرفها واستطابها. فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها:

ألا يـا حـبـذا ضـحـك الـحـمـيـا بـحـانـتـهـا وقـد عـبـس الـمـسـاء

وأدهـم مـن جـيـاد الـمـاء نـهـد تـنـازع حـبـلـه ريـح رخـاء

إذا بـدت الـكـواكـب فـيـه غـرقـى رأيـت الأرض تـجـذبـهـا الـسـمـاء

[نهر سرقسطة]

ونهر سرقسطة. وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب.

وذكر ابن ظافر[6] أن المستعين بن هود ركب هذا النهر يوماً لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله. وهو نهر غزر ماؤه وراق، وأزرى على نيل مصر ودجلة والعراق. قد اكتنفته البساتين

---

(١) من هنا وحتى عبارة (وبهجته أبهى من الغمر) استدركت بخط مغاير وورقة أضيفت على ما يبدو بعد نسخ الأصل.

(٢) كذا في الأصل وفي نسخة أخرى (ابن ظافر).

(٣) إضافة عن نسخة أخرى.

(٤) عن النسخ السابقة.

(٥) إضافة عن نسخة أخرى ما بين معكوفين.

(٦) في نسخة أخرى: ابن خاقان.

من جانبيه، وألقت ظلالها عليه، فما تكاد عين الشمس تنظر إليه. هذا على اتساع عرضه. وبعد سطح مائة وأرضه. وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله، وأحاطت به إحاطة الطفاوة بالغزالة. وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتى] حوت السماء. وأهلة الهالات طالعة من المروج في سحاب، وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب. فلا ترى إلا صيوداً كالصيد الصوارم، وقدود اللهاذم، ومعاصم الأبكار النواعم. فقال الوزير أبو الفضل ابن حسداي[1]، والطرب قد استهواه، وبديع ذلك المرأى قد استرق هواه وارتجل:

لـلّـه يـوم أنـيـق واضـح الـغـرر ... مـفـضـض مـذهـب الآصـال والـبـكـر

كـأنـمـا الـدهـر لـمـا سـاء، أعـتـبـنـا ... فـيـه بـعـتـبـى وأبـدى صـفـح مـعـتـذر

نـسـيـر فـي زورق حـف الـسـفـيـن بـه ... مـن جـانـبـيـه بـمـنـظـوم ومـنـتـشـر

مـد الـشـراع بـه نـشـراً عـلـى مـلـك ... بـذ الأوائـل فـي أيـامـه الأخـر

هـو الإمـام الـهـمـام الـمـسـتـعـين حـوى ... عـلـيـاء مـؤتـمـن فـي هـدي مـقـتـدر

تـحـوي الـسـفـيـنـة مـنـه آيـة عـجـبـاً ... بحر تجمع حتى صار في نهر [٥٠ مكرر٢]

تـثـار مـن قـعـره الـنـيـنـان مـصـعـدة ... صـيـداً كـمـا ظـفـر الـغـواص بـالـدرر

ولـلـنـدامـى بـه عـب ومـرتـشـف ... كـالـراح تـعـذب فـي ورد وفـي صـدر

والـشـرب فـي ود مـولـى خـلـقـه زهـر ... يذكو، وغرته أبهى من القمر[2] [٥٠ مكرر٣]

[بقية أنهار الأندلس]

ومن ذلك **نهر** ثان ينصب من ذلك الجبل أيضاً. ينزل على مدينة إلبيرة، وينصب إلى المحيط.

ومن ذلك **نهران** ينصبان [٥١] من الجبل الفاصل بين طليطلة ووادي آش[3]، المبني بسفحه الجنوبي قبة الزهرة. يأخذ الأول منهما جنوباً إلى قرطبة، وينصب في البحر الرومي. ويأخذ الثاني شمالاً بين بطليموس وقورة، ويصب في البحر المحيط.

---

(١) كذا رسمها.

(٢) نهاية الورقتان المضافة.

(٣) انظر عن وادي آمش: (نزهة المشتاق: ٥٦٧ــ ٥٦٨ــ ٥٧٠).

[بعض الأنهار الأخرى]

ومن ذلك **نهر** ينصب وراء خليج البنادقة، من وصلة الأم الخارجة من البحر الشامي، شرقي رومية الكبرى. يأخذ من هذا النهر غرباً بشمال مدينة لبطيرة شمالي فرنسة، ويصب في البحر المحيط.

ومن ذلك **نهر** يصب من الجبل المحيط، حيث يسمى بجبل قاقونا آخذاً شرقي مدينة سوسية إلى مدينة قسطنطينية العظمى، ويصب في البحر الرومي عندها.

ومن ذلك **نهر** ينصب من الجبل المحيط المذكور، شرقي هذا المصب، آخذاً على بلاد الصقلب، ماراً شرقي بلاد الجركس والماجار إلى أن ينتهي إلى مدينة قرم وينصب في بحر بنطس.

[أنهار آسيا]

ومن ذلك نهر ينصب من جبال همذان وخلاط من شمالي ماردين، آخذاً على شمالي ملطية، حتى يشق بين مدينتي شهر وقرمى. ويصب في البحر الشامي.

[نهر جيحان][1]

ومن ذلك نهر **جيحان**، يخرج من بلاد الروم تحت حصن المنقب. يأخذ ما بين عين زربا وكفريثا. ثم يمد إلى المصيصة ويصب في البحر الشامي.

[نهر سيحان][2]

ومن ذلك **نهر سيحان**، يخرج من شماليه ويمر على أذنة. ثم يصب في البحر الشامي.

[عشرة أنهار أخرى]

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار: منها اثنان ينصبان من الجبل الأم المذكور؛ وثمانية تنصب من الجبلين المكتنفين شرقاً وغرباً لبحيرة جارس، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار. تنصب هذه العشرة الأنهار في هذه البحيرة (٥٢) المذكورة.

[أربعة أنهار تنصب من حيال الديلم]

ومن ذلك أربعة أنهار تنصب من جبال الديلم: ينزل الأول غربي أرجان، ويليه الثاني ينزل

(١) انظر: (٤٤٤/٤).

(٢) المصدر السابق.

من شرقيه، ويليه الثالث ينزل من شرقي المسن، ويليه الرابع ينزل من سابور، وتصب الأربعة في البحر الهندي.

[نهر دجلة][1]

ومن ذلك نهر دجلة. ينصب من جبال شهرزور وآمد. ويمتد بين آمد وميافارقين إلى الموصل. ثم يمده الزابان: الزاب الأكبر[2] والزاب الأصغر[3]. وهما نهران كبيران. ثم يأخذ إلى تكريت غربي ديار بني شيبان (تامرى وعكبرا والدادان) إلى بغداد.

ثم يتشعب ما بين بغداد والمداين، جنوبي بغداذ وشمالي المداين شعبة منه، تأخذ منه شرقاً محضاً. هو المسمى بالنهروان[4]. ثم يمد عمود دجلة مستقيماً على الجنوب، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جرجرايا جنوبي النعمانية؛ وشرقي جبل جرجرايا شعبة أخرى، تأخذ شرقاً محضاً، تمر بين حلوان وبعقوبا. ثم يمد عمود دجلة إلى واسط. فإذا عداها إلى سوادها، لاقاه الفرات هناك. ويجتمع الكل إليه نهراً واحداً، يمد إلى المفتح. ويتشعب منه نهر معقل، وهو النهر المشهور. وينصب بعضه إلى بطائح البصرة. ويستدير باقيه بالمربد والأبلة شرقي البصرة. ثم يمد عمود دجلة مستقيماً على الجنوب. ثم تتشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تجيء على جنب الأبلة فتشق أرضها عرضاً، وتلاقي الشعبة المستديرة بها. ثم يمد عمود دجلة آخذاً جنوباً إلى عبادان، ويصب هناك في البحر الهندي.

[نهر الفرات][5]

ومن ذلك نهر الفرات، يصب من جبال الروم ويأخذ على ملطية [٥٢] إلى سميساط، إلى الرقة، إلى قرقيسيا، إلى الرحبة، إلى الدالية، إلى عانة، إلى هيت، إلى الأنبار.

ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك ونهر صورا[6]، ونهر الصراة، وهو المشهور، وإياه عنى الشاعر[7] في شعره، بقوله: [الكامل]

---

(١) (صبح الأعشى: ٣٩٨/٤ ـ ٣٩٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر بتوسع (معجم البلدان: ٣٢٤/٥).
(٥) انظر (صبح الأعشى: ٣٩٧/٤) وغيره.
(٦) لعله يريد (نهر كوثى) كما في المصدر السابق.
(٧) الشاعر هو المتنبي والبيت من قصيدة له مطلعها:
شوقي إليك نفى لذيذ هجوعي ... فارقني فأقام بين ضلوعي

أوما وجدتم في الصراة ملوحة ... مما أرقرق في الفرات دموعي؟

ثم يمتد عمود الفرات ويمر ما بين القصر وبين الكوفة على بابل ويستدير منه شعب بخانقين. وتكون هي جزيرة بوسطه. ويصب ذلك الشعب من تحت خانقين في بطائح الكوفة ثم يأخذ عمود الفرات فوق خانقين من حيث استدار ذلك الشعب عليها مائلاً على الجنوب مشرقاً. ثم يتشعب منه شعب أخر إلى بطائح البصرة. وينعطف عمود الفرات آخذاً شرقاً بشمال على وراب قليل إلى سواد واسط. ويلاقي هناك دجلة. ويجتمع عمودهما هناك نهراً واحداً، حتى يصب غربي عبادان، في البحر الهندي[1].

[نهر الساجور]

ومن ذلك نهر الساجور[2]. يصب من جبال الروم آخذاً شرقاً حتى يحاذي منبج. ثم يصب في الفرات، ويتشعب منه شعب، لولاها لم يذكر الساجور. وهو نهر يسمى نهر قويق، يمد من مغاربه إلى أن ينزل حلب. ويسقي الأرض المزارع. ويتناهى إلى شرقي قنسرين. ويبحر هناك بحيرات لطيفة. وإنما ذكرناه لشهرة نهر قويق ولهذا علمناه بالأحمر.

[نهر العاصي][3]

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي. يصب من وراء نهر بعلبك، من منابع شتى في وطاءة أرض، قلت من قرية تعرف باللبوة ومغارة الراهب. ثم يأخذ شمالاً ماراً حتى [٥٣] يقارب غربي حمص. فيصب هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع. ثم يخرج منها ويمر غربي حمص إلى حماه إلى شيزر إلى أفامية. فيصب في بحيرة بها. ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب. إلى ديركوش، إلى بلد يعرف بالإقليم. ثم ينزل العمقا إلى أنطاكية إلى السويدية. ويصب في البحر الشامي، حيث ينعطف هناك، وقد سمينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد على الشام شرقي طرابلس المستجدة البناء، حيث يسمى الجبل هناك بلبنان. يجري من قرية تعرف الآن برشعين، فيدخل تحت قناطر معقودة جددها الإبرنس حيث غلبت الفرنج على طرابلس. فعرفت به، فيشق المدينة المستجدة ويصب في البحر الشامي.

---

(١) وهو المسمى لشط العرب المعروف.

(٢) قال عنه ياقوت في (معجم البلدان: ١٧٠/٢): اسم نهر بمنبج....

(٣) عن النهر وسبب تسميته وأسماء أخرى له انظر (صبح الأعشى: ٨٣/٤).

[نهر بردى][1]

ومن ذلك نهر بردى. ويخرج من عين في صحراء الزبداني بين بعلبك وبين دمشق ثم يمده نهر يخرج من الجبل الممتد على الشام من مكان يعرف الآن بالفيجة تحت حصن عزتا ويمد إلى دمشق. وينقسم قبلها وبعدها أنهاراً، يعم دورها وبساتينها، ويسقي بعض قراها ومزارعها، ثم يبحر فاضل مائه شمالي الغوطة في بحيرة هناك.

[نهر الأردن][2]

ومن ذلك نهر الأردن[3] [٥٤].

ولا يسمى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طبرية. ويسمى الآن الشريعة. ويشق وادي كنعان شقاً في الطول حتى ينتهي إلى بحيرة زغر (وهي سدوم[4]، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالمنتنة)؛ والوادي بالغور. وله في كل مكان اسم بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحة، وهي عين بعيدة العمق جداً، ونهر بانياس.

وتسمى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية[5]. وترمي تحت جسر يعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمد فتتلاقى هي والشريعة القبلية بقرية تعرف بالبقارية، ويأتيان جسر الصنيرة إلى الجسر العادلي، وهو تحت عقبة فيق، قرب الدير الأسود، ثم تأتي جسر شامة المقارب لقرية المجامع. وتمد فيلاقيها نهر الزرقاء، دون دامية، ثم تمد فترمي في البحيرة المُنْتِنَة.

وسنذكر أصل الشريعة الشمالية. وهو من دير الهرير والجولان واليرموك ووادي الأشعري والفوار والمدان، مع ما ينضاف إلى ذلك من ينابيع. ويتحصل من البلاد المرتفعة، ويجتمع تحت حمة جدن. وهي تحت فيق، وعليها قبو معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعلة من العلل يبرئها، بإذن الله، إذا استحم منه العليل.

---

(١) انظر: (معجم البلدان: ٣٧٨/١) وبتوسع.

(٢) انظر بتوسع المصدر السابق: ١٤٧/١).

(٣) حتى نهاية الفقرة استدرك بخط مغاير وورقة محيطية.

(٤) المصدر السابق: ٢٠٠/٣).

(٥) انظر (كشف الظنون: ٨٤/٤).

قالوا: ولم تزل على هذا حتى أتى بعض قدماء الحكماء فهدم القبو والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرى واحد، إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريح، والثاني لمن به جرب. والماء الغمر لسائر الأسقام. وماء هذه الحمة عذب، وآثار الأبنية باقية [٥٤ مكرر].

الربع الرابع:

[أنهار الربع الرابع]

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرقي الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكر من الأنهار:

فمن ذلك **نهران** يصبان من الجبل المشبه بصليب ذهب أحد شعبه.

ينصب أحدهما من جنوبي هذا الجبل واقعاً شرقي مدينة طغان الواقعة في شمال هذا الجبل بغرب يمر بين طغان وتركستان مغرباً، حتى يصب في بحيرة خلاط.

والنهر الثاني منهما ينصب من شرقي هذا النهر الأول وعلى سمته يمتد، ثم يتشعب على شعبتين: الشعبة الجنوبية منهما تأخذ شمالي مدينة طغورا مشرقاً على قصر الدهال المقارب لبلاد كنفد، ثم ينعطف آخذاً إلى الجنوب يشق بلاد الهند حتى يصب في البحر الهندي، شرقي كوام. والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبي الأرض المحفورة، على ما قيل، حتى تصب في البحيرة البلاعة.

[نهر أثيل][1]

ومن ذلك نهر أثيل. وهو المركب عليه مدينة السراي. ومخرجه من عين تنبع في ذيل جبل قاقونا، ثم يقتبل الجنوب آخذاً بغرب في صحارى القبجاق على شمالي معادن الفضة، حتى يصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك نهران ببلاد الخطا، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها، يأخذ الشمالي منهما مشرقاً ويبحر جنوبي خان بالق. ثم يمتد مشرقاً بجنوب حتى ينتهي إلى المالق والآخر ينتهي إلى باش وبالق، وينتهي عندها.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين. ينزل على قراقرم ويأخذ مشرقاً على بلاد الهياطلة حتى يصب في بحيرة السودان هناك.

ومن ذلك **نهر** ينصب من الجبل الممتد من وراء العوج. ينزل من شرقيه [٥٥] على مدينة قلنبر، ويبحر في بحيرة هناك.

---

(١) انظر: (نزهة المشتاق: ٨٣٤/٢) حيث سماه آثل. وكذلك في (صبح الأعشى: ٤٦٥/٤).

[نهر الطيب][1]

ومن ذلك نهر يسمى نهر الطيب. يخرج من قشمير السفلى.

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل، شمالي السد حتى يصب في بلاد عبدة الشياطين، في بحيرة هناك، تسمى بحيرة الشياطين.

[نهر جيحون][2]

ومن ذلك نهر جيحون. ينزل من جبل قاقونا. وتمده أنهار من الجبال فيمتد حتى يخرج من هذا الربع الغربي القسيم له، فيصب في بحر طبرستان.

[نهر سيحون][3]

ومن ذلك نهر سيحون. الآخذ على بلاد فرغانة ويمده نهر الشاش ويخرج إلى حائط عبد اللّه بن حميد حتى يصب في بحر طبرستان.

[نهر السغد][4]

ومن ذلك نهر السغد. ينصب من جبال البتم، وينتهي إلى بخارا، ويبحر في بحيرة هناك.

[نهر مكران][5]

ومن ذلك نهر مكران. ينصب من جبل الديلم فيمتد آخذاً على مدينة المحمدية، على كرمان إلى بلاد السند.

[نهر عماس]

ومن ذلك نهر عماس، في بلاد الترك.

ومن ذلك الأنهار العشرة. الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط. وتمده أنهار من جبال النوشادر الواقعة شرقي الصين حتى يصب في نهر حمدان، ثم يمتد الجميع نهراً واحداً حتى يصب في المحيط.

---

(١) انظر (نزهة المشتاق: ١٩٣/١).

(٢) (معجم البلدان: ١٩٦/٢).

(٣) قال عنه ياقوت: نهر مشحور كبير بما وراء النهر قرب خجندة.... وهو في حدود بلاد الترك. (معجم البلدان ـ ٢٩٤/٣).

(٤) عند ياقوت سماه (نهر الصفد). انظر بتوسع (معجم البلدان: ٤٠٩/٣).

(٥) انظر ما كتبه ياقوت في (معجم البلدان: ١٧٩/٤) وعن تفسير كلمة مكران والناحية أيضاً.

[نهر حمدان الأعظم][1]

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم. وهو ينزل من جبال أرمويه ونانوس على مدينة أطراغا، ويبحر هناك. ثم يمد مشرقاً إلى مدينة لوقر. وينعطف في الصين حتى تلاقيه هناك الأنهار العشرة ـ أعني المتقدمة الذكر ـ دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول. يقال إنه يصب به نهر كل المنصب من الصين الداخل. ويمتد الجميع نهراً واحداً موغلاً في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهندي، إلى [٥٦] وراء خط الاستواء، ثم يصب هناك في البحر المحيط.

[نهر الكر ونهر الرس]

ومن ذلك نهران: أحدهما نهر الكر[2] والآخر نهر الرس[3]. يصبان من جبل الديلم يسمى جبل قالبولا. ويجيء الكر على تفليس. ويلاقي الرس نهر ينزل من سبلان بين ترزند ووزنان، ثم يصب الكر جنوبي شروان. ويصب الرس غربيه، كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان.

[نهر قره صو]

ومن ذلك نهر يسمى الآن قراصو. وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشماخي ويسكب في بحر طبرستان.

[نهر أرس][4]

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس. يأتي على شرقي المكان المسمى الآن صحراء بيلسوان، ويصب في بحر طبرستان.

ومن ذلك ـ على ما قيل ـ نهران ينزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج ومأجوج. ينزل أحدهما جنوبي السد، والآخر من شماليه. وهكذا صوره صاحب جغرافيا في لوح الرسم.

فهذه هي جميع الأنهار المشتهرة في جميع المعمورة وما قاربها. ولم نخلٍّ منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره في لوح الرسم. وإن كان، فهو القليل، وفيما ذكرناه كفاية.

---

(١) انظر ما كتب عنه في (حدود العالم: ٣١).

(٢) ذكره في (حدود العالم: ٣٦) وقال إنه يصب في بحر الخزر. بينما في (تقويم البلدان: فيصب في البجكان: ٦٠).

(٣) كما في الحاشية السابقة فقد ذكره أيضاً صاحب (حدود العالم: ٣٨) وزعم إنه يصب في بحر الخزر وقال أنه يتحد مع نهر سماه (أرس) لعله السابق ـ الرس وما ذكر من قبل التصحيف ـ.

(٤) انظر (حدود العالم: ٣٦) وما كتب.

[البحيرات المشهورة]

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة ونحن نقسمها نصفين: نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً.

[بحيرات النصف الشرقي من المعمورة]

فالنصف الأول هو الشرقي فيه ما يذكر من البحيرات:

فمن ذلك بحيرة **كيماسا**. بجزيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة **أطراغا**(١) بالصين، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة **سرنك** بالهند، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة **السوكران** ببلاد الهياطلة، شرقي قراقرم بشمال، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة [٥٧] **بخارا**، وهي عذبة.

ومن ذلك بحيرة **خوارزم**(٢)، وهي ملح.

ومن ذلك بحيرة **تهامة**، يصب بها نهر اتكش في بلاد الترك.

ومن ذلك بحيرة **زره**(٣) ببلاد سجستان، وهي مالحة.

وذلك على ما نقل في لوح الرسم.

[بحيرات النصف الغربي من المعمورة]

والنصف الثاني وهو الغربي، به من البحيرات ما يذكر:

فمن ذلك بحيرات النيل الثلاث(٤).

[البحيرتان حيث منبع النيل]

أعلاها بحيرتان، حيث تنصب في أوله، ثم البحيرة الكبرى التي دونهما ونسميها البطيحة(٥).

---

(١) انظر (نزهة المشتاق: ١٩٩ـ ٢٠٨).

(٢) (تقويم البلدان: ٤٤).

(٣) (تقويم البلدان: ٤٤).

(٤) سبق الحديث عنهما في ذكر نهر النيل وانظر (تقويم البلدان: ٣٧).

(٥) الحاشية السابقة والمصدر نفسه أيضاً.

[بحيرة الفيوم خارج مصر]

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان خلف بلاد غانة، وهي عذبة.

[بحيرة الفيوم التي بمصر][1]

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضاً. وهي عذبة. ولم ننبه على أن هاتين البحيرتين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنعلم أن أرضهما لم تغير ماءهما ولا أفسدت طعمهما.

[بحيرة زاقون]

ومن ذلك بحيرة **زاقون**. يحر بها النهر المنصب من الجبل المشبه بـ (لا) بالخط المغربي.

ومن ذلك بحيرة بين قصر عيسى وبين كوكورة؛ وبحيرة بين كوكورة ومجالات جاي.

[بحيرتان عند بنزرت][2]

ومن ذلك **بحيرتان** عند بنزرت من بلاد إفريقية: إحداهما مالحة، والأخرى عذبة. تجري العذبة في الشتاء ستة أشهر أخرى تمام السنة، وتسكب في العذبة فلا تملح. وبها أنواع من الحيتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوع منها. فإذا فرغ الشهر، ذهب ذلك وجاء غيره، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان في الشهر الماضي شيء البتة إلى مدة ذلك الشهر من السنة الآتية. وحكى لي ذلك المغاربة، فسبحان من بيده الأمر كله!

[بحيرتان بأقصى المغرب][3]

ومن ذلك **بحيرتان بأقصى المغرب**: إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم في غاية الاتساع. بوسطها جزيرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلاً وتسمى بأبي سلهام. تمدها أودية تنحدر من جبال غمارة. وفي تلك الجزيرة يأوي عرب ذلك الموضع بذخائرهم ورعي بهائمهم.

والأخرى **بأزغان** شمالي مكناسة. تمدها أنهار تنحدر من جبال أزور جنوبي مكناسة، وليس لمياههما منفذ.

---

(١) انظر (معجم البلدان: ٢٨٦/٤).

(٢) انظر (تقويم البلدان: ٣٨) وسماها بحيرة تونس العذبة والأخرى (بحيرة تونس الملح) ووأوجز في شرحهما.

(٣) سماها في (تقويم البلدان: ٣٨): بحيرة سودان.

[بحيرات أخرى]

ومن ذلك **بحيرة ابزو**، وهي مالحة.

ومن ذلك **بحيرة الإسكندرية**، وهي مالحة.

ومن ذلك **بحيرة تنس**[1]، وهي مالحة.

ومن ذلك **بحيرة جارش**، بالشمال، وهي عذبة.

[بحيرة طبرية]

ومن ذلك **بحيرة طبرية**[2]، وهي عذبة.

(وبها الحمة المعروفة بحمام طبرية. وللنمس فيها أكاذيب. وهي صورة تنور مثل تنور الكلس تكون سعته نحو عشرة أذرع تقريباً. يخرج منه ماء يدير حجري رحى. مهما وضع فيه احترق لإفراط حرارته. قد استخرج منه جدول في عرض الجبل يمتد نحو ألف ذراع تقريباً، لتقلّ ببعد المدى حرارته. ثم يأتي بيتين مسقوفين ـ وسقوفهما بالحجر ـ أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها مملوح مكبرت).

[بحيرة زغر][3]

ومن ذلك **بحيرة زغر**. وهي المخسوف بها، وهي المنتنة.

[بحيرات أخرى]

ومن ذلك **بحيرة دمشق**[4] وهي عذبة.

وهي ذلك **بحيرة حمص**، وهي عذبة.

ومن ذلك **بحيرة أفامية**[5]، وهي عذبة.

ومن ذلك **بحيرة أنطاكية**[6]، وهي عذبة، وتعرف ببحيرة يغرا، وهي متوسطة المقدار.

---

(١) انظر (تقويم البلدان: ٣٩) وفيه تنيس وهي المعروفة. وكذلك (حدود العالم: ١٢).

(٢) المصدر السابق وهي مشهورة حتى وقتنا.

(٣) المصدر السابق وفيها يصب نهر الأردن ونهر الشريعة.

(٤) المصدر السابق: ٤٠.

(٥) (تقويم البلدان: ٤١).

(٦) المصدر السابق.

ومن ذلك **بطائح العراق**[1]: اثنتان بالبصرة، وواحدة بالكوفة، الجملة ثلاث بحيرات عذبة.

ومن ذلك **بحيرة خلاط**: وهي مالحة.

ومن ذلك بحيرة **أيودان**: وهي مالحة.

وذلك منقول من لوح الرسم، أو محقق بالسؤال، وإن حصل في بعضه إخلال. وفيما أتينا به غنى عما سواه. وبعض الشيء في هذا الباب استدارك، إذ المراد بذلك ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة، وفي الدليل الواحد كفاية.

[رمل الهبير]

وإذ انتهينا إلى هنا نذكر رمل الهبير، لأنه مما هو ممتد في الأرض. فكان من أعلامها المشهورة في الآفاق.

قال صاحب كتاب «معرفة أشكال الأرض»: «وأما الرمل الهبير، فطوله من وراء (٦٠) جبلي طيىء إلى أن [٥٩] يتصل شرقاً بالبحر. ويمضي من وراء جبلي طيىء إلى أرض مصر، ثم إلى بلد النوبة. ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر، ومنه عرق يضرب من القادسية إلى البحرين. فيعبر البحرين، فيمر على مشارق خوزستان وفارس إلى أن يرد إلى سجستان. ويمر مشرقاً إلى مرو آخذاً على جيحون في برية خوارزم. ويأخذ في بلاد الخرلخية إلى بلد الصين والبحر المحيط في جهة المشرق. وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب. وفيه جبال عظام لا تتوقل ولا ترتقي. وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان. ومنه أصفر لين اللمس، وأحمر قانيء، وأزرق سماوي، وأسود حالك، وأكحل مشبع كالنيل، وأبيض كالثلج. وبعضه يحكى الغبار نعومة، وبعضه خشن جريش اللمس.

ونحن نبين كل شيء بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد، وفوق كل ذي علم عليم[2]!

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنّا نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الآثار البينة في أقطار الأرض ما جرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ما قدمنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسنذكرها مبينة، وبالله التوفيق [٦٠].

---

(١) ذكرهما بتوسع في (تقويم البلدان: ٤٣).

(٢) عرف ياقوت في (معجم البلدان: ٣٩٢/٥): الهبير من الأرض أن يكون مطمئناً وما حوله أرفع وقيل: المطمئن في الرمل، وقال: الهبير: رمل زرود في طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبي سعيد الجنابي القرمطي عام ٣١٢هـ....

[المساجد الثلاثة]

فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة: **المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى.**

وهي التي تشر إليها الرحال، وتجد إليها الركائب الترحال، تسري إليها سرى السحائب في المحال، وتسمو والكواكب غرقى سمو حباب الماء حالاً على حال.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس»، رواه الإمام أحمد.

ويتبع كل مسجد منها بما تعلق بذيل أستاره، وتألق بإشراق نوره وإسفاره، مما ضمه نطاق سوره، وأفيض عليه بركة سوره، إلى غير ذلك من آثاره ومواطن تجد الدموع فيها النثار.

وأول ما نبدأ به:

ذكر الكعبة(1)

البيت الحرام: أول بيت وضع للناس. ورفع على قديم الأساس. بني مثالاً للبيت المعمور، ودعي إليه كل مأمور. وأذن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحج، ودعا إليه الناس فأتوه من كل فج. حجته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقادم. ويقال إنه لم يبق نبي حتى حجه. وعدة أنبياء دفنوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرمة، ومشاعره محرمة، عظم في الجاهلية والإسلام، وحرم من حيث بنيت الأعلام ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [٣٢]. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزيارة قصد الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، والشاهد لمن حج وقبله بأداء فرضه. سماء الدعاء، وحرم تحريم الدماء. يأمن به الحمام ساكناً، ومن دخله كان آمناً.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [٩٦ - ٩٧].

وعن أبي ذر الغفاري، قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة،

---

(١) قبلة كل مسلم ذكرت تاريخها المصادر منذ القديم وحتى وقتنا الحاضر منها تاريخ مكة للأزرقي، تاريخ ابن فهد، تاريخ ابن النهرواني، وشفاء الغرام في ذكر بيت الله الحرام للفاسي المكي والعقد الثمين في ذكر البلد الأمين له وغيرها أكثر من أن تعد وتحصى.

رواه البخاري، وأبو عروبة وزاد: وأينما أدركتك الصلاة فهو مسجد.

قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [٦١] فقال بعضهم: تأويله «إن أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركاً وهدى للعالمين للذي ببكة»، قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن علي بن أبي طالب والحسن وسعيد (وأظنه ابن جبير) ثم قال: وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس. واختلف هؤلاء في صفة وضعه أول، فقال بعضهم: خلقه قبل الأرض، ثم دحيت الأرض من تحته. وأسند هذا عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء، فدحيت الأرض من تحته. ونحوه عن مجاهد وقتادة والسدي، وقال آخرون: موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض. وأسند عن قتادة، قال: ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم. وحين أهبط قال الله: أهبط معك بيتي يطاف به كما يطاف حول عرشي. فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين. حتى إذا كان زمن الطوفان، رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض. فصار معموراً في السماء، ثم إن إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك، فبناه على أساس قديم كان قبله. وقوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعني للبيت الذي ببكة، قال الزمخشري: وهو علم للبلد الحرام. ومكة وبكة لغتان. وقيل مكة البلد، وبكة موضع المسجد، وقيل: بكة موضع البيت، ومكة ما حوله، وقيل: بكة البيت والمسجد، ومكة الحرم كله.

وقال عطاء بن أبي رباح[1]: وجه آدم إلى بكة حين استوحش. فشكا ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه. فلما انتهى إلى بكة. أنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة. فكانت على موضع البيت الآن. فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان، فرفعت تلك الياقوتة. حتى بعث الله عز وجل إبراهيم فبناه. فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [٢٦] رواه أبو عروبة.

وروى أبو الوليد الأزرقي بسنده عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]، قال: إن الله (تبارك وتعالى) بعث ملائكة، فقال ابنوا لي بناء في الأرض تمثال البيت وقدره. وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، قال: وكان هذا قبل خلق آدم عليه السلام، والله أعلم!

---

(١) انظر (تاريخ مكة للازرقي: ١/ ٣ـ ١٢).

(٢) المصدر السابق.

وقيل إن آدم أول من بناها. وقيل شيث بن آدم. وكانت قبل بنائه خيمة من ياقوتة حمراء، يطوف بها آدم.

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال: ذكر لنا أن قواعد البيت من حراء، وذكر لنا أن البيت من خمسة أجبل: حراء[١] ولبنان[٢] والجودي وطور سينا[٣] وطور زيتا[٤].

قال ابن جريح: بني أساس البيت من خمسة أجبل، (فذكر مثله).

وحكى السهيلي أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالحجارة. وقيل رفعت الكعبة في الطوفان وأودع الحجر الأسود أبا قبيس. وبقي موضعها ربوة، حجها هود وصالح. فيقال إن يعرب قال لهود: ألا تبنيه؟ قال إنما يبنيه نبي يتخذه الله خليلاً. ولما بناه إبراهيم دلته عليه السكينة، وكانت تنزل عليه كالحجفة.

بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للكعبة][٥]

وقال الأزرقي: لما بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة، جعل طول بنائها في السماء تسعة أذرع، وطولها في الأرض ثلاثين ذراعاً، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين ذراعاً. وكانت غير مسقوفة. ثم بنتها قريش في الجاهلية. فزادت في طولها في السماء تسعة أذرع. فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعاً. ونقصوا من طولها في الأرض ستة أذرع وشبراً، تركوها في الحجر.

[إعادة تجديدها أيام عبد اللّٰه بن الزبير][٦]

ولم تزل كذلك حتى كان زمن عبد اللّٰه بن الزبير. فهدمها وبناها على قواعد إبراهيم، وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً.

[بناء الحجاج للكعبة][٧]

ثم بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، فلم يغير ارتفاعها، ونقض الحجر وأعاده كما كان في الجاهلية.

---

(١) الجبل المعروف بمكة حيث كان يتعبد فيه النبي (ص) قبل البعثة.

(٢) جبل لبنان: تثنية لُبْن: جبلان قرب مكة يقال لهما لبن الأسفل ولبن الأعلى وفوق ذاك جبل يقال له المبرك به برك الفيل بعرنة وهو قريب من مكة. لعله المقصود. (يا معجم البلدان: ١١/٥).

(٣) جبل قرب أيلة. وقيل جبل بالشام... (المصدر السابق: ٤٨/٤).

(٤) جبل بقري رأس عين عند قنطرة الخابور... (المصدر السابق).

(٥) (تاريخ مكة: ٢٥).

(٦) انظر تفصيل ذلك في (تاريخ مكة للازرقي: ١٣٨ـ طبعة أوروبا).

(٧) انظر المصدر السابق.

[تواريخ بناء الكعبة المشرفة][1]

وأعلم أن الكعبة بنيت في الدهر خمس مرات:

[بناء الملائكة للكعبة المشرفة][2]

إحداهن، بناء الملائكة أو آدم أو شيث، على ما تقدم.

[بناء إبراهيم خليل اللَّه عليه السلام][3]

الثانية بناء إبراهيم.

[بناء قريش للكعبة المشرفة][4]

الثالثة بناء قريش. والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت، فكانت فوق القامة. فأرادوا تعليتها. وكان بابها لاصقاً بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جرهم إلى أن بنتها قريش. فقال أبو حذيفة بن المغيرة: يا قوم! ارفعوا باب الكعبة، حتى لا يدخلها أحد إلا بسلم! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم. فإن جاء أحد ممن تكرهونه رميتم به فسقط وصار نكالاً لمن يراه. فرفعت بابها. وجعلت لها سقفاً، ولم يكن لها سقف. وزادت ارتفاعها، كما تقدم. وكان عمر النبي ﷺ إذ ذاك خمساً وعشرين سنة، وقيل خمساً وثلاثين. فحضر الحجر الأسود موضعه من الركن. ثم رضوا بأن يضعه النبي ﷺ.

[بناء الكعبة المشرفة على يد ابن الزبير][5]

الرابعة بناء عبد اللَّه بن الزبير. والسبب في ذلك، على ما ذكر السهيلي، وأن امرأة أرادت أن تجمر الكعبة، فطارت شارة من المجمرة في أستارها. فاحترقت، وقيل طارت شارة من أبي قبيس، فوقعت في أستار الكعبة، فاحترقت. فشاور ابن الزبير من حضره في هدمها. فهابوا ذلك، وقالوا: نرى أن يصلح ما وهى منها ولا تهدم، فقال: لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها. فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم. فأمرهم أن

---

(١) عن البناء انظر كتاب (عرق الطيب في أخبار مكة وبلد الحبيب للتلعفري من تحقيق فالح البكور فقد استفاض في ذكر ذلك).

(٢) (تاريخ مكة للازرقي: ٣).

(٣) سبق ذكر ذلك.

(٤) (تاريخ مكة للأزرقي: ١٠٤/١).

(٥) سبق ذكر ذلك.

يزيدوا في الحفر. فحركوا حجراً منها. فرأوا تحته ناراً وهولاً أفزعهم، فبنوا على القواعد.

وفي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد. فطاف الناس بتلك الستارة. ولم تخل من طائف. حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير، اشتد الحرب وشغل الناس حينئذ، فلم (٦٥) ير طائف يطوف [٦٤] بها إلا جمل. وتمم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خلفاً أي بابي من ورائها وأدخل الحجر فيها. وذلك لأن خالته عائشة رضي الله عنها حدثته أن رسول الله ﷺ قال: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنوا الكعبة، فاقتصروا على قواعد إبراهيم. ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتها وجعلت لها خلفاً وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر. فقال ابن الزبير: فليس بنا عجز عن النفقة، فبناها على مقتضى حديث عائشة.

وحكى أبو الوليد الأزرقي أنه لما عزم على هدمها، خرج أهل مكة إلى منى. فأقاموا[١] بها ثلاثاً، خوفاً أن ينزل عليهم عذاب لهدمها. فأمر ابن الزبير بهدمها. فما اجترأ على ذلك أحد. فعلاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي أحجارها. فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا. فلما تم بناؤها خلقَّها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي، وقال: من كانت لي عليه طاعة، فليخرج فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل، ومن لم يقدر فليذبح شاة[٢]، ومن لم يقدر عليها فليتصدق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشياً، وخرج الناس مشاة، فاعتمروا من التنعيم، شكراً لله تعالى. فلم ير يوم أكثر عتيقاً وبدنة منحورة وشاة مذبوحة وصدقة من ذلك اليوم، ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السهيلي[٣]: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة، قال: لسنا من تخليط أبي خُبَيْب بشيء (يعني عبد اللّه بن الزبير). فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ إلا في ارتفاعها. ثم جاءه الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة عن رسول الله ﷺ بالحديث المتقدم، فندم وجعل ينكت بمخصرة في يده الأرض، ويقول: «وددت أني تركت (٦٦) أبا خبيب، وما تحمل من ذلك»[٤].

---

(١) (تاريخ مكة: ١٤١) ففيه القصة حيث ينقل عنه المؤلف.

(٢) المصدر السابق: ٤٥.

(٣) في (الروض الآنف: ١/٢٢٢).

(٤) وأضاف السهيلي وهذه المرة الخامسة.

[بناء الكعبة على يد الحجاج][1]

وتولى البناء ـ في زمن عبد الملك بن مروان ـ الحجاج بن يوسف الثقفي. وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذي هدمه الحجاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركنين، وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسده بيِّنٌ إلى الآن، وجعل في الحجر من البيت دون سبعة أذرع. وعلامة ذلك في داخل الحجر لوحان من مرمر منقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعاً.

وقيل إن الكعبة بنيت مرتين أخريين، غير الخمس.

[بناء العمالقة للكعبة المشرفة][2]

إحداهما بناء العمالقة بعد إبراهيم.

[بناء جرهم][3]

والثانية بناء جرهم بعد العمالقة.

[ترميم الكعبة]

قال السهيلي[4]: إنما كان ذلك إصلاحاً لما وَهَى منه. لأن السيل كان قد صدَّع حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم عليه السلام مع العمالقة وجرهم إلى أن انقرضوا. وخلفتهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم: لكثرتهم بعد القلة، وعزهم بعد الذلة. وكان أول من جدد بناءها، بعد إبراهيم، قصيّ بن كلاب. وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل.

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري ـ مرفوعاً ـ أن أول من جدد الكعبة بعد كلاب بن مرة، قصيّ.

[أغلاق الكعبة وتحليتها بالذهب في الجاهلية]

وحكى السهيلي أن أول من اتخذ الكعبة غلقاً تبع[5]. ثم ضرب لها عبد المطلب باباً من

---

(١) سبق الحديث عنه.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) انظر (الروض الأنف: ١/٢٢١).

(٥) انظر عن مسيرة تبع (تاريخ مكة للأزرقي: ١/٨٥).

حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزالين الذهب. وهو مما استخرجه عبد المطلب من بئر زمزم، لما احتفرها بعدما طمَّها الحارث بن مضاض، لما أخرج الله جرهم من مكة بسبب إحداثهم في الحرم واستخفافهم بالحرم وبغي بعضهم على بعض. فتغور ماء زمزم. وعمد الحارث إلى [ما] كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداهما إلى الكعبة، وقيل سابور، وجاء تحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفَّى عليها. ولم تزل دارسة حتى حفرها عبد المطلب واستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

واتخذ عبد المطلب من الغزالين المذكورين حلية للكعبة، فهو أول ذهب حليت به الكعبة.

[تحلية الكعبة بالذهب في الإسلام]

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك بعث إلى واليه على مكة خالد بن عبد اللّه القسري بستة وثلاثين [٦٦] ألف دينار. فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطيم التي في جوفها، وعلى الأركان، وهو أول من ذَهَّب البيت في الإسلام.

وذكر السهيلي أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة، حمل إليه من طليطلة، من جزيرة الأندلس. وكانت لها أطواق من زبرجد وياقوت. وكانت قد احتملت على بغل قوي، فتفسخ تحتها.

ثم لما آلت الخلافة إلى الأمين، رفع إليه أن الذهب الذي عمله الوليد قد رقَّ. فأرسل إلى عامله على ضواحي مكة، سالم بن الجراح، بثمانية عشر ألف دينار ليضربها بصفائح على باب الكعبة، فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيَّد عليها ثمانية عشر ألف دينار. وضرب الصفائح والمسامير وحلقتي الباب والعتبة. فالذي كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

[تجديد باب الكعبة في زمن الناصر محمد بن قلاوون]

قلت: ثم جدد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقى الله عهدها. عمل بمصر مصفحاً بالفضة. وأنا كتبت نسخة ما كتب عليه، وجهز به برس بغا الناصري.

[ترخيم الكعبة في أيام الوليد]

قال الأزرقي: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر في جوفها. فوزَّر به جدرانها، وفرشها بالرخام، فجميع ما في الكعبة من الرخام هو من عمل الوليد، وهو أول من فرشها بالرخام وأزَّر به جدرانها.

[ترخيم المظفر يوسف بن رسول][1]

قلت: ثم تقلّع غالب ذلك. وغالب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر يوسف بن عمر بن رسول، صاحب اليمن. واسمه في الرخام داخل الكعبة، حيث يصلّي المصلّي، بين العمودين تجاه وجهه في الجدار المتصل بالركن اليماني.

واختلف أهل السير في أول من كسا الكعبة الديباج.

[أول من كسا الكعبة الديباج][2]

فقال ابن إسحق: هو الحجاج بن يوسف. وقال ابن بكار: هو عبد اللّه بن الزبير. وقال الماوردي: أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة (٦٨) تحمل البزّ وأخذ فيها أنماطاً، فعلقها على الكعبة. وذكر جماعة ـ منهم الدارقطني ـ أن نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلّت العباس صغيراً. فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج.

وحكى الأزرقي أن معاوية كسا الكعبة الديباج، قال: وكانت تكسى يوم عاشوراء، ثم إن معاوية كساها مرتين[3].

[المأمون وكسوته الكعبة]

ثم كساها المأمون ثلاث مرات[4]. فكان يكسوها الديباج الأحمر يوم التروية، والقباطي يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر يتخرق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة، فقالوا: الديباج الأبيض، ففعله.

قلت: وهي الآن تكسى في العام مرة واحدة في وقت الموسم. وتحمل إليها الكسوة من الخزانة السلطانية بالديار المصرية، صحبة الركب. فيتولى ذلك أمراء الركب. ويحضرون بأنفسهم فتكسى، ويأخذ الأشراف وبنو شيبة الكسوة العتيقة ويقتسمونها. ويأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض، وتحمل إلى سائر البلاد للبركة.

---

(١) يوسف (المظفر بن عمر المنصور نور الدين بن علي بن رسول التركماني اليمني شمس الدين الرسولي (٦١٩ـ ٦٩٤هـ) ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن. وقاعدتها صفاء. (معجم الأعلام: ٩٦٨).

(٢) انظر: (تاريخ مكة للأزرقي: ١٧٥ـ ١٧٩).

(٣) انظر ما كتبه الأزرقي حول هذا الموضوع حيث يورد أكثر من رواية (تاريخ مكة: ٧٦).

(٤) انظر الخبر في المصدر السابق: ١٧٨.

[كسوة اليمن في عصر مؤلفنا وما شاهده أثناء حجه]

وعهدي بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تحت الكسوة المصرية. وهما سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات جاءت في القرآن في ذكر الكعبة.

ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، صعدت أنا وأمراء الركب المصري[1] لتلبيس الكعبة الشريفة، حتى كنا على سطحها. فرأيته مبلطاً بالمرمر والرخام الأبيض. ومن جوانبه جدر قصار فيها حلق لمرابط الستور، تجرّ فيها الكسوة بحبال، ثم تربط في تلك الحلق.

وأنا أحمد [الله]، إذ بيدي توليت خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبيسها الكسوة الجديدة.

وحملت الكسوة العتيقة في تلك السنة إلى السلطان [٦٨] بمصر، لتجهز إلى السلطان أبي الحسن المريني مع ما يجهز عوض هدية بعثها في هذه السنة، صحبة مريم زوجة أبيه وعريف السويدي وجماعة من أكابر دولته. وعوض بنو شيبة والأشراف عنها من بيت المال بمصر.

[غسل الكعبة]

والعادة جارية أن تغسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من ذي القعدة، وتسمَّر ستورها. وتلبس يوم الأضحى، وتغسل بماء الورد عند عود الركب من منى، أوان منصرفهم.

وكل ذلك حضرته في هذه السنة وتوليته بيدي، ولله الحمد!

وأما أول من كسا الكعبة مطلقاً

[التبابعة وكسوة الكعبة]

فحكى الأزرقي[2] عن ابن جريج أن تبّعاً أول من كسا الكعبة كسوة كاملة. أري في المنام أن يكسوها. فكساها الأنطاع. ثم أري يكسوها الوصائل. فكساها، وهي ثياب حبرة من عصب.

ثم كساها الناس بعده في الجاهلية[3].

قال السهيلي: ويروى أن تبّعاً لما كساها المسوح والأنطاع، انتفض البيت. فزال ذلك عنه

---

(١) المتتبع لتاريخ الكسوة للكعبة الشريفة يرى أنه إلى عهد قريب كانت الكسوة تأتي مع الركب المصري حيث تصنع في مصر وترسل إلى الكعبة الشريفة دفق مراسم معروفة إلى أن شيد معملاً للكسوة في وقتنا الحاضر في المملكة العربية السعودية.

(٢) (تاريخ مكة: ١٧٣).

(٣) المصدر السابق.

حين كساها الخصف، وهي ثياب غلاظ. فلما كساها الملاء والوصائل (وهي ثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة)، قبلته، ذكره قاسم في «الدلائل».

وروى الأزرقي(١) بأسانيد متفرقة، أن النبي ﷺ كسا الكعبة، ثم كساها أبو بكر. وكساها عمر من بيت المال القباطي. وكساها عثمان، ومعاوية، وعبد اللّه بن الزبير، ومن بعدهم.

وقال تبّع لما كسا البيت:

وكسونا البيت الذي حرَّم اللّه ... مُلاء مُعَضَّداً وبُرُودا

فأقمنا به من الشهر عشراً ... وجعلنا لبابه إقليدا

ونحرنا بالشعب ستة ألف ... فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤُمُّ سُهَيْلا ... فرفعنا لواءنا معقودا [٦٩]

وأما صفة الكعبة

[وصف الكعبة ومقدار ذرعها](٢)

فاعلم أن الكعبة، البيت الحرام، مربعة البنيان في وسط المسجد ارتفاعها من الأرض سبعة وعشرون ذراعاً، وعرض الجدار، وجهتها الآن، أربعة وعشرون ذراعاً، وهو الذي فيه بابها، وعرض مؤخرها مثل ذلك؛ وعرض جدارها الذي يلي اليمن ـ وهو فيما بين الركن اليماني والركن العراقي، وهو الذي فيه الحجر الأسود ـ عشرون ذراعاً. وإلى وسط هذا الجدار كان يصلّي النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة. وعرض جدارها الذي يلي الشام. وهو الذي فيما بين الركن الشامي والركن الغربي، أحد وعشرون ذراعاً؛ وميزاب الكعبة على وسطه يسكب في الحجر. ومن أصل هذا الجدار إلى أقصى الجدار ستة عشر ذراعاً.(٣)

وعرض باب الحجر الشامي خمسة أذرع إلا شيء يسير؛ وعرض بابه الغربي ستة أذرع إلا شيء يسير؛ وجدار الحجر مدور من بابه الشامي إلى بابه الغربي، كالطيلسان وعرضه ذراع؛ وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار.

[الحجر الأسود](٤)

والحجر الأسود، في الركن العراقي المقابل لزمزم، وهو [على] سبعة أشبار من الأرض.

---

(١) المصدر السابق: ١٧٥.

(٢) (تاريخ مكة: ٢٠٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر (تاريخ مكة للأزرقي: ٢٤٦).

[باب الكعبة]

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض، وعلوه ستة أذرع؛ وعرضه أربعة أذرع.

[الملتزم](1)

وما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع. ويسمى ذلك الموضع الملتزم: لأن رسول الله ﷺ حين فرغ من طوافه التزمه ودعا فيه، ثم التفت فرأى عمر، فقال: «ها هنا تسكب العبرات».

[موضع الخلوق ومقام إبراهيم](2)

ومن الباب إلى مصلّى آدم عليه السلام حين فرغ من طوافه ركعتين [٧٠] وأنزل (٧١) الله تعالى عليه: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. ثم نقله ﷺ إلى الموضع الذي هو فيه الآن. وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة: لئلا ينقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو يترك الناس الصلاة خلفه لأجل الطواف حين كثر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من وجهه. ثم حمله السيل في أيام عمر وأخرجه من المسجد. فأمر عمر برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ.

وبين موضع الخلوق ـ وهو مصلّى آدم عليه السلام ـ وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

ومن الركن الشامي إلى اللوح المرمر المنقوش في الحجر الذي بنى هناك ابن الزبير ركن البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع.

[الحطيم](3)

وفيما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعاً ويسمى ذلك الحطيم. لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها؛ وقيل لأنه حطم من البيت، وقيل لأن من حلف هناك كاذباً انحطم دينه ودنياه.

وما بين الركن العراقي (وهو الذي فيه الحجر الأسود) إلى مصلّى النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، عشرة أذرع. وكان يستقبل بيت المقدس، ويجعل الكعبة بينه وبين المقدس. ولهذا لم يبن توجهه إلى بيت المقدس إلا لماهاجر إلى المدينة.

---

(١) الحاشية السابقة. وقد ذكر: الملتزم والمدعا والمتعوذ ما بين الحجر والباب.

(٢) (المصدر السابق: ٢٧٥).

(٣) انظر بتوسع (تاريخ مكة للأزرقي: ٣٦٧).

[المستجار]

وبين الركن اليماني وبين الباب المسدود في ظهر الكعبة أربعة أذرع. ويسمى ذلك الموضع **المستجار من الذنوب**. وعرض الباب خمسة أذرع، وأرتفاعه سبعة أذرع، وبينه وبين الركن الغربي ثلاثة عشر ذراعاً.

وبين الركن الغربي وآخر قواعد إبراهيم ـ وهناك اللوح المدمر المنقوش ـ أزيد من سبعة أذرع، وإلى هناك بنى ابن الزبير.

وقد قدمنا أن ارتفاع الكعبة في الهواء سبعة وعشرون ذراعاً [٧١].

وأما صفة المسجد الحرام المحيط بالكعبة (٧٢)

فنقول: قد ذكر الأزرقي والماوردي والسهيلي وغيرهم، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض:

كان المسجد الحرام، أعني المحيط بالكعبة فناء لها وفضاء للطائفين. ولم يكن له على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر جدار يحيط به. فضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها. وكانت الدور محدقة بالكعبة. وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية.

[ذكر عمل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما][١]

فلما استخلف عمر، وكثر الناس، قال: «لا بد لبيت الله من فناء! وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم». فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد.

واتخذ للمسجد جداراً قصيراً، دون القامة. وكانت القناديل توضع عليه، وكان عمر أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

ثم لما استخلف عثمان، ابتاع منازل ووسعه بها. وبنى الأروقة للمسجد، فيما ذكر الأزرقي والماوردي وغيرهما.

[ذكر بنيان عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنه][٢]

ثم إن ابن الزبير [زاد] في المسجد زيادة كثيرة. واشترى دوراً، من جملتها بعض دار الأزرق، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار، وجعل فيها عمداً من الرخام.

---

(١) انظر (تاريخ مكة للأزرقي: ٣٠٦).

(٢) المصدر السابق: ٣٠٧.

[تعمير عبد الملك بن مروان رضي الله عنه للمسجد](1)

ثم عمره عبد الملك بن مروان، ولم يزد فيه، لكن رفع جداره، وجلب إليه السواري في البحر إلى جدة، وسقفه بالساج، وعمره عمارة حسنة.

[توسعة الوليد بن عبد الملك رضي الله عنه](2)

ثم وسعه ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام.

[وضع أعمدة رخام في عهد المنصور رضي الله عنه](3)

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة رخام.

[زيادتا المهدي له](4)

وزاد فيه المهدي مرتين: إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها توفي المهدي، واستقر بناؤه إلى الآن.

[رواق المسجد الحرام وسقفاه وأساطينه](5)

وأما الرواق فنقول: إن له سقفين، أحدهما فوق الآخر؛ وبينهما فرجة قدر الذراعين، أو نحوهما.

فأما الأعلى منهما، فسطوحه فرش مسقف بالدوم اليماني. (٧٣) وأما الأسفل منهما، فهو مسقوف بالساج، مزخرف بالذهب.

[أساطينه]

وعدد أساطينه (وذلك من الرخام والحجر الأبيض، سوى ما جدد في دار الندوة وسوق الحنطة) أربعمائة وأربع وثمانون أسطوانة. بين كل أسطوانتين ستة أذرع: منها في الجانب الشرقي الذي يلي المسعى مائة أسطوانة وثلاث أساطين، وفي الجانب الشمالي مما يلي الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة، وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أساطين؛ وفي الجانب الشامي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة(6).

---

(١) المصدر السابق: ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٩.

(٣) (تاريخ مكة للأزرقي: ٣١٠).

(٤) انظر بتوسع المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق: وبتوسع صفحة: ٣١٩.

(٦) انظر المصدر السابق.

[شراء النبي لاسطوانة بوزنها ذهباً من يهودية]

وفي وسط هذا الشق أو نحو الذي يلي المسجد سارية خمس أساطين: ذكر أنها كانت ليهودية فسامها النبي ﷺ فيها، فأبت بيعها إلا بوزنها ذهباً؛ ففعل النبي ﷺ ذلك، فوضعت في ميزان، ووضع مثقال واحد فرجح المثقال ببركة رسول الله ﷺ.

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ست؛ ومن ناحية الوادي والصفا عشر؛ ومن ناحية بني جمح أربع؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان(١).

وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أسطوانة بالحجارة مبيضة، وطول كل أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذرع ما بين كل أسطوانتين ستة أذرع ونصف.

[عدد طاقات المسجد (حناياه)](٢)

وعدد طاقاته وهي الحنايا المعقودة على الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقاً، سوى ما في دار الندوة.

[ذرع المسجد الحرام](٣)

وذرع المسجد الحرام من باب بني جمح إلى باب العباس، الذي عند العلم الأخضر، ويعرف بباب بني هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع، وعرضه ما بين دار الندوة إلى باب الصفا ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذرع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقي الذي يلي المسعى مائتا ذراع وثلاثة عشر ذراعاً [٧٣] من وسط جدار الكعبة الغربي إلى جدار المسجد الغربي الذي يلي بني جمح [٧٤] مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعاً؛ ومن وسط جدار الكعبة الجنوبي إلى جدار المسجد الذي يلي الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعاً، ومن وسط جدار الكعبة الشمالي الذي يلي الحجر إلى جدار المسجد الذي يلي دار الندوة مائة ذراع وتسعة وثلاثون ذراعاً؛ ومن ركن الكعبة العراقي ويقال له الشامي إلى المنارة التي تلي المروة مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعاً؛ ومن ركن الكعبة الشامي ويقال له الغربي إلى المنارة التي تلي باب بني سهم (وهو باب العمرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعاً؛ ومن الركن اليماني إلى المنارة التي تلي أجياد الكبرى وبين الحزورة مائتا ذراع وثمانية

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) (تاريخ مكة للأزرقي وبتوسع: ٣٢١).

(٣) راجع الكروتي التي وضعها الأزرقي في (تاريخ مكة: ٣١٤)، وأيضاً (المصدر السابق: ٣١٩).

أذرع؛ ومن الركن الأسود إلى المنارة مستمرة تلي المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا ذراع وثمانية وعشرون ذراعاً.

[ذرع جدران المسجد الحرام](١)

وارتفاع جداره في السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعاً؛ ومما يلي الوادي والصفا اثنان وعشرون ذراعاً؛ ومما يلي بني جمح اثنان وعشرون ذراعاً؛ ومما يلي دار الندوة سبعة عشر ذراعاً ونصف.

[الشرفات التي في بطن المسجد وخارجه](٢)

وعدد شرفاته من داخله وخارجه، أربعمائة وخمس وتسعون شرافة، هذا من خارجه.

وعددها من داخله أربعمائة وثمان وتسعون شرافة، فجميعها ألف شرافة إلا سبع شرافات.

[المسجد الحرام قد يراد به الكعبة كلها](٣)

واعلم أن المسجد الحرام يطلق ويراد به عين الكعبة، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾. إذ لم يقل أحد من المسلمين بالاكتفاء بالتوجه إلى استقبال المسجد المحيط بالكعبة. وهذا هو أصل حقيقة اللفظ، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ وبقوله ﷺ لما سأله أبو ذر عن أول مسجد وضع أول، قال: المسجد الحرام [٧٥].

[قد يراد بالمسجد الحرام ما أحاط بالكعبة المشرفة](٤)

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به المسجد المحيط بالكعبة. وهو الغالب في الاستعمال على وجه التغليب المجازي، كما في قوله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**». وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على قول من روى أنه كان نائماً في المسجد المحيط بالكعبة.

---

(١) (تاريخ مكة للأزرقي: ٣٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) (تاريخ مكة الأزرقي: ٣٠١).

(٤) المصدر السابق.

[قد يطلق على مكة أم الحرم بأكمله المسجد الحرام][1]

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة أو الحرم بكماله، على قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكة. لأنه ﷺ كأن نائماً في بيت أم هانيء لما أسري به، وكما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، على قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بكماله.

وهذا كله على وجه التغليب المجازي. ولا ريب فيه. وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام. والمجاز أولى منه، والله أعلم.

[بئر زمزم][2]

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سقيا إسماعيل وهزمة روح القدس جبريل، طعام طعم، وشفاء سقم، لا تنزف ولا تذم، ولا يتوجه إليها ذم؛ لقية عبد المطلب. ودليل سؤدده ولا كذب، وفي الحديث: «ماء زمزم لما شرب له».

قال السهيلي[3]: كانت زمزم سقيا إسماعيل بن إبراهيم. فجرها له روح القدس بعقبه. وفي ذلك إشارة إلى أنها لعقب إسماعيل وراثة وهو محمد ﷺ وأمته ﷺ، والقصة في ذلك معروفة.

وتلخيصها أن إبراهيم عليه السلام لما احتمل إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، احتمل معه لهما قربة ماء ومزود تمر. وتركهما بمكة وعاد. فلما فرغ التمر والماء عطش إسماعيل، وهو صغير، وجعل ينشغ للموت، جعلت هاجر تسعى من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا، لترى أحداً. حتى سمعت صوتاً عند الصبي، فقالت: (٧٦) قد أسمعت، إن كان عندك غوث. ثم جاءت الصبي. فإذا الماء ينبع من تحت خده. فجعلت تغرف بيديها، وتجعل في القربة. وسيأتي بعد ذلك له خبر، قال النبي ﷺ لو تركته لكان عيناً(أو قال: نهراً معيناً).

[سبب تسميتها بزمزم][4]

قال الحربي: سميت زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته، وقال المسعودي: سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول. فتزمزم عندها. والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها، عند شرب الماء. وأنشد المسعودي:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عن بئر زمزم من حفره وفضائله وغير بده انظر: (تاريخ مكة للأزرقي: ٢٧٩– ٣٠١).

(٣) (الروض الأنف: ١/١٦٦).

(٤) علل ذلك السهيلي في المصدر السابق: ١/١٦٧.

زمـــزمـــت الـــفـــرس عـــلـــى زمـــزم وذاك فـــي ســـالـــفـــهـــا الأقـــدم

وذكر البرقي عن ابن عباس: أنها سميت زمزم، لأنها زمت بالتراب، لئلا يسيح الماء يميناً وشمالاً، ولو تركت لساحت على الأرض، حتى تملأ كل شيء.

[طم زمزم ثم تجديد عبد المطلب لها][١]

وقد ذكرنا طم الحارث بن مضاض إياها. ولم تزل دارسة، حتى أري عبد المطلب أن احفر طيبة. فسميت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقيل له: احفر برة. وقيل: احفر المضنونة، ضننت بها على الناس إلا عليك. ودل عليها بعلامات ثلاث: بنقرة الغراب الأعصم، وأنها بين الفرث والدم، وعند قرية النمل.

وروي أنه لما قام ليحصرها، رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب، ولم ير الفرث والدم. فبينا هو كذلك، ندت بقرة لجازرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فنحرها في الموضع الذي رسم له. فسال هناك الفرث والدم، فحفر عبد المطلب حيث رسم له.

وقيل لعبد المطلب في صفتها: إنها لا تنزف أبداً. وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط. وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله. فوجدوا ماءها [٧٦] يثور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود. رواه الدارقطني. وروى الدارقطني أيضاً مسنداً عن النبي ﷺ: «من شرب من ماء زمزم، فليتضلع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها». أو كما قال: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شرب له». وروي أن أبا ذر تقوت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة، فسمن حتى تكسرت عكنه.

وذكر الزهري في سيره أن عبد المطلب اتخذ حوضاً لزمزم يستقي منه. وكان يخرب بالليل، حسداً له، فلما غمه ذلك، قيل له في النوم: «قل: لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبلّ. وقد كفيتهم». فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعد من أرادها بمكروه، رمي بداء في جسده، حتى انتهوا عنه[٢] [٧٧].

الصفا والمروة

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾.

---

(١) انظر ما ذكره الأزرقي فيما سبق. وأيضاً السهيلي في (الروض الأنف: ١/١٦٧).

(٢) (تاريخ مكة للأزرقي: ٢٩٧).

[وصف الصفا]

أما الصفا فحجر أزرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس، قد كسر درج إلى آخر موضع الوقوف. وأكثر ما ينتهي الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

[وصف المروة]

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قعيقعان. كأن قد انقسم على جزأين، وبقيت بينهما فرجة، يبين منها درج عليها إلى آخر الوقوف.

[المسعى]

«وذرع ما بين الصفا والمروة، وهو المسعى، سبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً».

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعاً.

«وذرع ما بين الحجر الأسود والصفا مائتا ذراع واثنان وستون ذراعاً».

[موضع الهرولة]

ومن الميل الأصفر إلى الميل الأخضر الذي بإزاء دار جعفر بن العباس، وهو موضع الهرولة، مائة وخمس وعشرون ذراعاً.

ومن الميل الثاني إلى المروة أربعمائة وخمس وسبعون ذراعاً.

فجميع ما بين الصفا والمروة سبعمائة وثمانون ذراعاً.

دار الندوة

[مبدأ ظهور قريش بمكة]

قال الماوردي: لم تكن مكة ذات منازل، وكانت قريش، بعد جرهم والعمالقة، ينتجعون جبالها وأوديتها. ولا يخرجون من حرمها انتساباً إلى الكعبة لاستيلائهم عليها، وتحصيصها بالحرم لحلولهم فيه. ويرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأن. وكان كلما كثر فيهم العدد ونشأت فيهم الرياسة، قوي أملهم وعلموا أنهم سيقدمون على العرب. وكان فضلاؤهم يتخيلون أن ذلك لرياسة في الدين وتأسيساً لنبوة ستكون. فأول من ألهم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب. وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة. وكان يخطبهم فيه، ويذكر لهم أمر نبينا ﷺ.

---

(١) وهم أهل البيت والعدد كما قيل عنهم فما بعد. انظر (جمهرة أنساب العرب: ١٢).

[دار الندوة][1]

ثم انتقلت الرياسة إلى قصيّ بن كلاب، فبنى بمكة دار الندوة [٧٨] ليحكم فيها بين قريش، ثم صارت لتشاورهم[2] وعقد الألوية في حروبهم. وكانت هذه الدار، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها، ولا يعقد لواء الحرب لهم ولا لغيرهم إلا فيها، ولا يعذر غلام إلا فيها، ولا تدرع جارية من قريش إلا فيها: يشق عليها درعها ثم تدرع وينطلق بها إلى أهلها؛ ولا تخرج عير من قريش ويرحلون إلا منها، ولا يقدمون إلا نزلوا فيها.

قال الكلبي: «وكانت أول دار بنيت بمكة، ثم تتابع الناس فبنوا الدور. كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد، حتى دانت لهم العرب».

قال الماوردي: صارت بعد قصيّ لابنه عبد الدار[3]، فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن بن عبد الدار بن قصي، وجعلها دار الإمارة.

وروى الأزرقي أن معاوية اشتراها لما حج. وهو خلفية، بمائة ألف درهم[4].

وذكر السهيلي أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي فباعها في الإسلام[5] بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية في ذلك، وقال: «بعت مكرمة آبائك وشرفهم». فقال حكيم: «ذهبت المكارم إلا التقوى. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزقّ خمر، وقد بعتها بمائة ألف. وأشهدكم أني جعلت ثمنها في سبيل الله! افأينا المغبون؟»[6].

[دخولها في المسجد الحرام]

قال الحارثي: هي اليوم ـ يعني دار الندوة ـ في المسجد الحرام.

قال الأزرقي: وهي جانبه الشمالي، وقد تقدم ذكرها [٧٩].

منى

حيث ترمى الجمرات، وتهمى العبرات، ذوات الليالي المقمرات، والأيام التي سلخ من

---

(١) (الروض الأنف: ١/١٤٩).

(٢) كذا عرفها السهيلي في المصدر السابق وقال: ولفظها مأخوذ من لقط النّديّ والنادي والمنتدى: وهو مجلس القوم الذي يندون حوله: أي: يذهبون قريباً منه، ثم يرجعون إليه....

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق حيث ذكر تسلل تاريخها السابق.

الكافور ثياب عشاياها المعنبرات، يحلى بها من كل ترب عاطله، ويلتقي في كل سرب كل ذي دين وماطله.

وهي بطحاء بين جبلين، مهدفة الجوانب، فيها مجتمع الحجيج. والمحصب منها موضع الجمرات. وهي على مدرجة السوق الأعظم، حيث ينصب كل سنة، أيام الموسم. يجتمع فيه الخليطان من شام ويمن، وتنزل الركوب به في منازلهم: من شرف الوادي إلى حيث تنحر البدنات تحت العقبة الأولى، حيث تنصب سقايات الحاج.

وكانت في قديم الإسلام موسم لقاء الحبائب، ومكان موعد كل مفارق.

وثلاث ليالي منى معروفة موصوفة، قد أكثر فيها الشعراء وترنم بها المتيمون[1].

وبمنى بيوت هي كالقرية. منها ما هو مسكون، ومنها ما هو برسم بضائع الكارم، أيام الموسم، تكرى بأجرة طائلة.

وبها آبار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع على الحجيج، وهو ماء ثقيل وبيء: لما يحمل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحي، ودماء القرابين.

[مسجد الخيف][2]

وفيها مسجد الخيف. وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات. والخيف هو البستان. وجدد بناؤه في الأيام الزاهرة الناصرية، سقى اللّٰه عهدها!

[مسجد الكبش][3]

وفيها مسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش. وهو على يسار المتوجه من منى إلى عرفات. يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به. وينزل المصريون منه إلى منى، وينزل المكيون منه إلى معرف، ويقع تجاه مسجد الخيف منحرفاً عنه على ذروة من الجبل. يحيل بينهما مجرى ماء من ماء الشتاء، ينزل فيما يليه إلى الطريق العظمى ركبان العرب.

---

(١) منى: بالكسر والتنوين:... سمي بذلك لما يُمْنَى به الدماء أي يراق قال اللّٰه تعالى: ﴿من منيٍّ يُمْنَى﴾ وقيل: لأن آدم ـ عليه السلام ـ تمنى فيها الجنة وقيل...
ومن ترنم الشعراء بها قول العرجي:

نلبث حولاً كله كاملاً	لا نلتقي إلا على منهج
الحج إن حجت وماذا منًى	وأهله إن هي لم تحجج

(معجم البلدان: ١٩٨/٥).

(٢) انظر (تاريخ مكة للأزرقي: ٤١٠) وعن فضل الصلاة فيه انظر المصدر السابق صفحة ٤٠٠.

(٣) (تاريخ مكة للأزرقي: ٤٢٥) وعن فضل الصلاة فيه انظر المصدر السابق صفحة ٤٠١.

جمع [المزدلفة]

جمع ـ هي المزدلفة. وكلها مشعر إلا بطن محسر. ومنها تؤخذ حصى الجمرات. وبذلك فسر علي وابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ قالا: يعني المزدلفة.

[المزدلفة][1]

ومسجد المزدلفة عن يسارك إذا مضيت إلى عرفات. وفيه يجمع بين المغرب والعشاء، إذا نفر الحاج من عرفات. وهي التي عنى الشريف الرضي بقوله: [الخفيف]

عارضا بي ركب الحجاز نسائله ... متى عهدُهُ بأيام سلعِ؟

واستملا حديث من سكن الخيف ... ولا تكتباه إلا بدمعي

فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي!

لهف نفسي على ليال تقضت ... لي بجمع! وأين أيام جمع [٨٠]

[المشعر الحرام]

قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: المشعر الحرام قزح، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة.

وقيل: المشرع الحرام ما بين جبلي المزدلفة إلى مأزمي عرفة إلى وادي محسر. وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام.

والصحيح أنه الجبل. لما روى جابر أن النبي ﷺ لما صلّى الفجر ـ يعني بالمزدلفة ـ ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام. فدعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر.

وقوله «عند المشرع الحرام» معناه مما يلي المشعر الحرام، قريباً منه. وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة. وإلا فالمزدلفة كلها موقف، إلا وادي محسر. وجعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت «المزدلفة» و«جمعاً» لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي دنا منها، وقال قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين. ويجوز أن تكون وصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله تعالى، أي يتقربون بالوقوف فيها. وعن علي: «لما أصبح رسول الله ﷺ وقف على قزح، فقال: هذا قزح! وهو الموقف»، وجمع كلها موقف.

---

(١) راجع (تاريخ مكة للأزرقي: ٤١٥).

أنصاب الحرم(١)

هي العلامات المبنية على حدود الحرم.

[أول من بنى أنصاب الحرم](٢)

وأول من بناها إبراهيم (صلوات اللّٰه عليه). وأشار له جبريل إلى مواضعها. هكذا ذكره أبو عروبة والأزرقي وغيرهما.

[تجديد النبيّ ﷺ ثم الصحابة للأنصاب](٣)

وروى الأزرقي أن النبي ﷺ أمر بتجديد العلامات التي على الحرم، التي عملها إبراهيم، وجبريل يريه مواضعها، ثم عمر، ثم عثمان، ثم معاوية.

وهذه العلامات بينة إلى الآن، بحمد اللّٰه تعالى.

[حد الحرم](٤)

وحد الحرم، من طريق مدينة النبي ﷺ ـ دون التنعيم عند بيوت نضار ـ على ثلاثة أميال من مكة، ومن طريق اليمن، طرف أضاة لبن في ثنية لبن، على سبعة أميال.

ومن طريق العراق [٨١] على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال.

ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد اللّٰه بن خالد، على تسعة أميال.

ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن نمرة، على سبعة أميال.

ومن طريق جدة، منقطع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه **حد ما جعله** اللّٰه تعالى حرماً لما اختص به من التحريم وباين **بحكمه** سَائر البلاد.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن هذا البلد يعني مكة، حرمه الله يوم خلق السموات والأرض.

وفي رواية قيل إن لخلق السموات والأرض فيكون تحريمها قبل خلق السموات الأرض.

---

(١) (تاريخ مكة للأزرقي: ٣٥١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر بتوسع في (تاريخ مكة للأزرقي: ٣٦٠).

[تحريم مكة في اللوح المحفوظ]

وروي عن رسول الله ﷺ، أن إبراهيم حرّم مكة، ومعناه أظهر حرمتها.

قال السهيلي: روي في التفسير أن اللّه تعالى لما قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالت أتينا طائعين، لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم، فلذلك حرمها، فصارت حرمتها لحرمه المؤمن، إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه.

وأرض الحرم لما قالت: أتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر، فلا حرمة إلا لذي طاعة، جعلنا اللّه من أهل طاعته.

وصح عن رسول الله ﷺ، أنه قال: إن هذا البلد حرمه اللّه يوم خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمه اللّه إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره، ولا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه.

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويجتنبون قطع شجره.

قال الواقدي: لما إرادت قريش البنيان قالت لقصي: كيف تصنع في شجر الحرم؟، فحذّرهم من قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك، فكان أحدهم يجرف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله.

قال: وأول من ترخص في قطع [٨٢] شجر الحرم عبد اللّه بن الزبير.

قال السهيلي: ابتنى ابن الزبير دوراً بقعيقعان وترخص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة.

وكذلك روي عن عمر: أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى، وكانت أطرافها هناك ثياب الطائعين بالكعبة، وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطعها ووداها ببقرة.

[عرفات][١]

ملتقى الخليطين من شام ويمن، ومجمع البحرين من الزعقة إلى عدن، به يتجلى اللّه على عباده ويهبهم المغفرة، وبها الصخرات موقف رسول الله ﷺ، حيث تقف المحامل وعلى قنة[٢] هذا الجبل قبة آدم بهذا تسمى، ويقال ان هناك تعارف آدم وحواء بعد أن أميطا.

---

(١) عن حدود عرفات والموقف منها انظر (تاريخ مكة للأزرقي: ٤١٨).

(٢) كذا رسمها، لعلها (رقمة).

وعرفات علم للموقف تسمى بجمع كأذرعات، واختلف في تسميتها بذلك، فقيل لأنها وصفت لإبراهيم، فلما أبصرها عرفها.

وقيل: إن جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر يريه إياها، فقال: قد عرفت.

وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا كما تقدم.

وقيل: لأن الناس يتعارفون فيها وهي من الأسماء المرتجلة، لأن عرفة لا تعرف في أسماء الأجناس [٨٣].

المساجد

[مسجد نمرة]

مسجد نمرة: ويسمى مسجد إبراهيم، يقال إن إبراهيم الخليل عليه السلام بناه، ولا يصح هذا وهو على يمين السالك من مكة إلى عرفات قريب الطريق مدانياً لعرفة، وعادة الخطابة به في وقتنا لإمام الطائفة المالكية بمكة المعظمة وجدره قائمة وكذلك منبره ولا سقف له.

[مسجد عائشة]

مسجد عائشة رضي الله عنها: مر بالتنعيم في الحل عند أول الحرم. ولا يحضرني من بناه، وكل مسجد هناك يسمى بهذا، وأشهرها **المصاقب** للطريق على **يسار** الداخل إلى مكة، وإنما نسب إلى عائشة لكونها اعتمرت من التنعيم، ولعلها أحرمت في البقعة التي بني بها المسجد، وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

[مسجد ميمونة]

مسجد ميمونة رضي الله عنها، وسمي بذلك لمكان قبرها، وهناك مات أبو جعفر المنصور، ودفن محرماً على ما هو مذكور في موضعه.

وميمونة هي بنت الحارث أحدى أزواج رسول الله ﷺ.

وكانت أختها أم عبد الله بن العباس.

المواقيت

روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ **وقت** لأهل المدينة ذا الحُلَيفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم.

وقال: هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون

ذلك فمن حيث أنشأ حتى **أهل** مكة من مكة، أخرجاه في الصحيحين.

فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله ﷺ لا يجوز لأحد يريد الحج والعمرة أن يتجاوزها إلا محرماً، وأما من لم يرد الحج أو العمرة، فكذلك عند فقهاء الأمصار وقولان عند الشافعي وموضع ذلك كتب الفقه.

[ذو الحليفة]

فأما ذو الحليفة، فهو أبعد المواقيت على عشر [٨٤] مراحل من مكة أو يشبع منها، وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام.

ومنها يحرم الآن الركب الشامي، وبها آبار تسمى آبار علي، وبعض الناس يقول بئر المحرم.

[الجحفة]

والجحفة موضع على ثلاث مراحل من مكة وهي بضم الجيم وسكون الحاء المهملة بعد الجيم.

وذكر ابن الكلبي أن العماليق أخرجوا بني عبيل وهم إخوة عاد من يثرب، فنزلوا الجحفة وكان اسمها مَهْيعة بفتح الميم وسكون الهاء على وزن مقتلة.

[وقيل بكسر الهاء على وزن قبيلة، فجاءهم سيل فاجتحفهم فسميت الجحفة، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أصابهم حمًّى، فدعا النبي ﷺ أن ينقل حماها إلى الجحفة، وهي شرقي رابغ ممر الركب المصري ومن رابغ محرم الآن.

[قرن المنازل](١)

وقرن المنازل بفتح القاف وسكون الراء موضع على مرحلتين من مكة، وقد غلط **الجوهري** في قوله: بفتح الراء وقوله إن أويساً القرني منسوب إليها بل هو منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد(٢).

[يلملم](٣)

وَيلَمْلَم ويقال ألملم بالهمزة عوضاً عن الهاء موضع معروف على مرحلتين من مكة، وهو بفتح الباء واللام وسكون الميم بعد اللام.

---

(١) (معجم البلدان: ٢/١١١).
(٢) انظر (معجم البلدان: ٤/٣٣٢).
(٣) قال ياقوت في (معجم البلدان: ٥/٤٤١): موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن...

[ذات عرق][1]

ومن المواقيت ما لم يذكره النبي ﷺ في الحديث وهو ميقات **العراقيين**، وهو ذات عرق وبينة وبين مكة خمس مراحل [٨٥].

المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم[2]

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه وبجانبه حجرته المعظمة التي ضمت أعظمه ولله القائل:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال أنس: قدم رسول الله ﷺ فنزل في علو المدينة، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم إنه أرسل إلى ملإ بني النجار، فجاؤوا متقلدين سيوفهم وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله، حتى ألقي بفناء أبي أيوب.

قال: وكان يصلّي حيث أدركته الصلاة في مرابط الغنم، ثم إنه أمر بالمسجد فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا، فقالوا: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا؟ فقال: لا واللّه ما نطلب ثمنه إلا إلى اللّه تعالى[3].

قال أنس: وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر النبي ﷺ بالنخل فقطع، وبقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت.

قال: وصفّوا النخل قبلة، وجعلوا اعضادتيه حجارة.

قال: فكانوا يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم وهم يقولون:

«اللهمَّ إنه لا خير إلا خير الآخرة ... فانصر الأنصار والمهاجرة[4]

رواه البخاري ومسلم.

---

(١) قال عنها ياقوت (معجم البلدان: ١٠٧/٤): ذات عرقٍ: مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة...

(٢) عن أمور المسجد المعظم انظر (وفا الوفا: ١/الباب الثالث: من ص ٣٢٢ وحتى خاتمة الجزء الأول).

(٣) المصدر السابق: ٣٢٣/١.

(٤) وكان يقول (ص) وهو ينقل اللبن أيضاً:

هذه الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

(وفا الوفا: ٣٢٨/١).

وروي عن الشفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ حين يبني المسجد يؤمه جبريل إلى الكعبة ويقيم له القبلة.

قال السهيلي: بني مسجد رسول الله ﷺ وسقف بالجريد، وجعلت قبلته من اللبن.

ويقال: بل من حجارة منضودة بعضها على بعض وحيطانه باللبن، وجعلت عمده من جذوع النخل، فنخرت في خلافة عمرة فجددها.

قال الحافظ: أبو عبد اللّه الذهبي: كانت هذه القبلة في شمالي المسجد لأنه ﷺ ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس فلما حولت القبلة بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة».

قال أبو سعيد الخدري: كان سقف مسجد النبي ﷺ من جريد النخل، وأمر عمر ببناء **المسجد**، وقال: «أكِنَّ الناس من المطر وإياك أن تحّمر أو تصفّر فتفتن الناس».

وعن عبد اللّه بن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر(١) وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد [٨٦] وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج، رواه البخاري في صحيحه.

وعن عكرمة قال: قال لي عبد اللّه بن عباس ولابنه عليّ: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ نداَه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فجعل ينفض التراب ويقول: ويح عمار **تقتله** الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار.

قال: يقول عمار أعوذ باللّه من الفتن(٢)، رواه البخاري.

وزاد معمر في جامعه أن عماراً كان ينقل لبنتين لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن رسول الله ﷺ: فقال النبي ﷺ: للناس أجر ولك أجران وأخر زادك من الدنيا شربة لبن **تقتلك** الفئة الباغية(٣).

وعن خارجة بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة قال: بنى رسول الله ﷺ مسجده سبعين

---

(١) عن زيادة عمر رضي الله عنه انظر (المصدر السابق: ٢/٤٨١).

(٢) انظر نحوه في (وفا الوفا: ١/٣٣١).

(٣) المصدر السابق.

ذراعاً في ستين ذراعاً أو يزيد، فلما كان عثمان[1] وزاد فيه جعل طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة كما كانت في زمن عمر، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة، وهي التي دفن فيها رسول الله ﷺ وصاحباه رضي الله عنهما، فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في **المسجد** فيصلّي إليه العوام ويودي إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله ﷺ من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين حرفوهما حتى التقيا كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً [٨٧].

ثم إن الوليد بن عبد الملك[2] زاد فيه، فجعل طوله مائتي ذراع، وعرضه في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين، ثم زاد فيه المهدي[3] سنة ستين ومائة من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون[4] سنة ستين ومائتين وأتقن بنيانه ونقش فيه هذا ما أمر به عبد اللّه المأمون في كلام كثير.

قال العلاّمة أبو زكريا النووي رحمه اللّه: فينبغي للمصلّي أن يعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمنه ﷺ، فإن الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي هذا أفضل هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، إنما يتناول ما كان في زمنه لأنه هو الذي حصلت الإشارة إليه، لكن إذا صلّى في جماعة فالتقدم إلى الصف الأول ثم إلى ما يليه أفضل فليتفطن لذلك.

وذرع ما بين المنبر ومقام النبي ﷺ الذي كان يصلّي فيه حتى توفي أربعة عشر ذراعاً وشبر.

وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعاً وشبر [٨٨].

---

(١) انظر (وفا الوفا: ٢/٥٠٠).

(٢) المصدر السابق: ٢/٥١٣.

(٣) المصدر السابق: ٢/٥٣٥.

(٤) المصدر السابق: ٢/٥٤٠.

بيوت النبي صلّى اللّه عليه وسلم

قال السهيلي: كانت بيوت النبي ﷺ تسعة بعضها من جريد مطينٌ بالطين، وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض، مسقفة بالجريد أيضاً.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبي: لم يبلغنا أنه ﷺ **بني** له تسعة أبيات حين بني المسجد ولا أحسبه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتاً حينئذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين، فكان ﷺ بناها في أوقات مختلفة واللّه أعلم.

وقال الحسين بن أبي الحسن: كنت أدخل بيوت النبي ﷺ وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي، وكان لكل بيت حجره، وكانت حجرة عليه السلام أكسيةً من شعر مربوطة في خشب عَرْعَرٍ(١).

وفي تاريخ البخاري أن بابه ﷺ كان يقرع بالأظافير أي **أخلق** له.

ولما توفي أزواجه ﷺ خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان، فلما ورد كتابه بذلك ضج [أهل] المدينة بالبكاء كيوم وفاته.

قال السهيلي: وهذا يدل على أن بيوته ﷺ إذا أضيفت إليه فهي إضافه ملك كقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ وإذا أضيفت إلى أزواجه كقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فليست إضافة ملك، وذلك أن ما كان ملكاً له فليس موروثاً عنه(٢). [٨٩]

مسجد قباء(٣)

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ أسسه لبني عمرو بن عوف، ثم انتقل إلى المدينة.

وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله ﷺ حين أسسه كان هو أول من وضع حجراً في قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر [فوضعه]، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر، ثم أخذ الناس في لبنيان.

وذكر الخطابي عن الشموس بنت النعمان قالت: كان رسول الله ﷺ حين بنى مسجد قباء يأتي بالحجر قد صره إلى بطنه فيضعه، فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

---

(١) انظر (وفا الوفا) ٥٤١/٢) حيث ذكر الحديث أيضاً السمهودي.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) عن مسجد قباء وتأسيسه وما جاء في فضل الصلاة فيه وتمد يده وغيرها انظر (وفا الوفا: ٧٩٧/٣ ـ ٨١٢).

قال السهيلي: وهذا أول مسجد بني في الإسلام.

وفي أهله نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: هو مسجدي هذا.

وفي رواية أخرى قال: وفي الأرض خير كثير.

وقد قال لبني عمرو بن عوف حين نزلت ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [١٠٨] وأما الطهور الذي أثنى اللّٰه به عليكم، فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستجمار بالحجارة، فقال: هو ذاكم فعليكموه[١].

قال السهيلي[٢]: وليس بين الحديثين تعارض كلاهما أسس على التقوى، غير أن قوله سبحانه من أول يوم يقضى مسجد قباء: لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول النبي ﷺ دار هجرته والبلد الذي هو مهاجره.

قال الهاشم بن عبد الرحمن عمار بن ياسر أول من بنى مسجداً للّٰه يصلّى فيه، رواه أبو عروبة[٣].

وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمار في خبر بناء مسجد المدينة.

قال السهيلي: إنما عنى بهذا مسجد قباء لأنه هو الذي أشار على النبي ﷺ [٩٠] بنيانه وهو الذي جمع له الحجارة، فلما أسسه رسول الله ﷺ استتم بنيانه عمار.

وعن عبد اللّٰه بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين[٤]، متفق عليه.

وفي رواية: كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً، وكان ابن عمر يفعله[٥].

---

(١) (وفا الوفا: ٧٩٨/٣).

(٢) ذكر ذلك في المصدر السابق وذكر القول نفسه.

(٣) في الأصل: عرزبة.

(٤) (وفا الوفاء: ١٠٣/٣).

(٥) الحاشية السابقة.

مسجد الضرار[1]

روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء وكان يأتيهم رسول الله ﷺ ويصلّي فيه حسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول الله ﷺ يصلّي فيه ويصلّي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوانهم زعموا.

وأبو عامر هو الذي سماه النبي ﷺ الفاسق[2].

وقال لرسول الله ﷺ: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين،

فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآتٍ بجنود ومخرج محمداً وأصحابه من المدينة، فبنو مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء، وقالوا[3] للنبي ﷺ بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية، ونحن نحب أن تصلّي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال ﷺ: إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء اللّه صلينا فيه، فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآيات، فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر ابن السكن ووحشي قاتل حمزة، [٩١] فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه، ففعلوا وأمر أن يجعل مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة[4].

وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه اللّه أو بمال غير طيب فهو لاحق لمسجد الضرار.

وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد عامر فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد، فقال: لا أحب أن أصلي فيه فإنه قد بني على ضرار، وكل مسجد بني على ضرار أو رياء فإن أصله ينتمي إلى المسجد الذي بني ضراراً.

وعن عطاء: لما فتح اللّه الأمصار على عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضارّ أحدهما صاحبه.

---

(١) (المصدر السابق: ٣/٨١٤ ـ ٨١٨).

(٢) انظر (معجم وفا الوفاء: ٣/٨١٧).

(٣) انظر أسماء بناة مسجد الضرر حيث ذكرهم السمهودي في (وفا الوفا: ٣/٨١٧).

(٤) انظر وبدقة المصدر السابق: ٣/٨١٦.

وذكر ابن إسحاق الذين اتخذوا مسجد الضرار، وذكر فيهم جارية بن عامر[1]، وكان يعرف بحمار الدار وهو جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف.

وذكر فيهم ابنه مجمعاً، وكان إذ ذاك غلاماً حدثاً قد جمع القرآن، فقدموه إماماً لهم وهو لا يعلم بشيء من شأنهم.

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب في أيامه أراد عزله عن الإمامة، وقال: أليس إمام مسجد الضرار؟ فأقسم له مجمع أنه ما علم شيئاً من أمرهم، وما ظن إلاّ الخير، فصدقه عمر وأقره.

مساجد المدينة

قال السهيلي: كانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد النبي ﷺ كلهم يصلون بأذان بلال، كذلك قال بكير بن عبد اللّه بن الأشج فيما روى عنه أبو داود في مراسيله والدارقطني في سننه فمنها:

- **مسجد راتج[2].**
- **ومسجد بني عبد الأشهل.**
- **ومسجد بني عمرو بن مبذول[3].**
- **ومسجد جهينة[4] وأسلم.**

وأحسبه قال:

- **ومسجد بني سلمة.**

وسائرها مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق في المساجد التي في الطريق مسجداً بذي الخيفة، كذا وقع في كتاب أبي بحر ـ بالخاء معممة ـ ووقع في كتاب قرى على ابن السراج وابن الأخليلي وأحمد بن خلد.

---

(١) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: جار ابن عمرو.
(٢) (وفا الوفا: ٣/٨٦١).
(٣) المصدر السابق: ٣/٨٦٨).
(٤) (وفا الوفا: ٣/٨٥٥).

بقيع الغرقد[1]

وهو مدفن أهل المدينة النبوية.

وفيه تدافن أكثر أهل المدينة.

وفيه قبة العباس بن عبد المطلب[2] عم النبي ﷺ.

وفيها معه الحسن بن علي[3]، وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي ﷺ ألا أن يخاف أن يراق في ذلك محجم دم، فمنعه مروان وكادت الفتنة أن تقع، وأبى الحسن ألا أن يدفن مع جده، فكلمه عبد اللّه بن جعفر ومسور بن مخرمة، فدفن بالبقيع في قبة العباس.

وفيها أيضاً زين العابدين[4] وابنه محمد الباقر[5] وابنه جعفر الصادق[6].

وفي البقيع أيضاً قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[7]، وكان موضع القبة وما حوله بستاناً لرجل من الأنصار اسمه كوكب، وكان يقال حشّ كوكب، والحشّ البستان، فاشتراه عثمان رضي الله عنه، وزاده في البقيع، وكان يقول: إنه يدفن ههنا رجل صالح، فكان أول من دفن بهذه **الديار**. وفي البقيع أيضاً قبة إبراهيم ابن النبي ﷺ، وقبة فاطمة الزهراء.

وفي البقيع أيضاً جماعة من أزواج النبي ﷺ وعمته صفية[8].

وفيه خلائق من الصحابة والتابعين.

وفيه قبة مالك بن أنس إمام دار الهجرة[9]، وأول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون[10].

قال المطلب بن عبد اللّه ابن حنطب: أول من دفنه النبي ﷺ بالبقيع عثمان بن مظعون، ثم قال لرجل عنده: اذهب إلى تلك الصخرة فائتني بها حتى أضعها عند قبره، فمن مات من أهلنا دفناه عنده، رواه ابن أبي شيبة.

---

(١) انظر (وفا الوفا: ٤/١١٥٤).

(٢) المصدر السابق: ٣/٩١٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) (وفا الوفا: ٣/٨٩١).

(٨) المصدر السابق: ٩١١.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) المصدر السابق.

قال علي بن أبي طالب: ثم أتبعه إبراهيم ابن النبي ﷺ، رواه ابن أبي شيبة أيضاً.

قال الأصمعي: قطعت غرقدات في هذا الموضع حين دفن فيه عثمان بن مظعون فسمي بقيع الغرقد [٩٣] لهذا.

وقال الخليل[١]: البقيع من الأرض موضع فيه أروم شجر وبه سمي بقيع الغرقد، والغرقد شجر كان نبت هناك.

والبقيع يلي باب المدينة الذي في جهة الشرق الذي وراء دار عثمان بن عفان، ومنه يخرج إلى البقيع.

المسجد الأقصى[٢]

معهد الأنبياء، ومتعهد الأولياء، وثاني البيت الحرم في البناء، وأولى القبلتين حال الابتداء، شيدت ملوك بني إسرائيل معابده، وشدت بقباب البروج معاقده، ثم تدارك بنو أمية ذماه، وصفحوا أرضه وسماه، وهذا هو على ما هو عليه من حمل الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام، ومن حضره القدس إلى حضره القدس، وبسط له بساط الأنس، ودنا من ربه مقاماً لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل إليه ملك مقرب ولا نبيّ كريم، وقد أمّ في ذلك المسجد بالنبيين وصعد منه إلى أعلى عليين الأعليين، وإلى صفيح تلك البقعة المحشر، ومنها يوم القيامة المنشر، والصخرة بها عرش اللّه الأدنى، ومقام الفخار الأسنى وهي التي تزف إليها عروس الكعبة زفّا، وتُقسم الناس لشقاوة وزلفى سرة المسجد الأقصى وقلب [٩٤] الفضائل التي لا تحصى.

وقد تقدم حديث أبي ذر: أول مسجد وضع المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى وبينهما أربعون عاماً.

وروي عن علي بن أبي طالب قال: كانت الأرض ماء، فبعث اللّه ريحاً فمسحت الأرض مسحاً، وظهرت على الأرض زبده فقسمت أربع قطع خلق من قطعة مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة؛ ذكره أبو الفتح ابن الجوزي.

---

(١) (معجم العين: ب ق ع).

(٢) عن بيت المقدس وفضائله انظر الكثير من المصادر والمراجع منها (الروض المغرس في فضل بيت المقدس لعبد الوهاب بن عمر بن الحسين الحسيني المتوفى عام ٨٧٥هـ ـ مخطوط في مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة المنورة).

[بناء سليمان لبيت المقدس عليه السلام][1]

وروى ابن منده بسنده أن كعباً قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على أساس قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

قال ابن الجوزي: سكن الجبارون في الأرض المقدسة، فسلط عليهم يوشع، ثم سلط الكفار على بيت المقدس، فصيروه مزبلة، فأوحى اللّه عز وجل إلى سليمان فبناه[2].

وروى عن سعيد بن المسيب قال: أمر اللّه تعالى داود أن يبني مسجد بيت المقدس، قال: يا رب وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهراً سيفه، قال: فرآه في ذلك المكان، قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما ارتفع انهدم، فقال داود: يا رب: أمرتني أن أبني لك بيتاً. فلما ارتفع هدمته، فقال: يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي لم أخذته من صاحبه بغير ثمن؟ إنه يبنيه رجل من ولدك، فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض فقال: هي بقنطار، فقال سليمان: قد استوجبتها، فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذلك؟ قال: لا بل هي خير، قال: فإنه قد بدا لي، قال: أوليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين **بالخيار** ما لم يتفرقا[3].

قال عبد اللّه بن المبارك: هذا أصل الخيار، فلم يزل يراده ويقول له مثل قوله الأول استوجبها منه بسبعة قناطير، فبناه سليمان حتى فرغ منه وتغلقت أبوابه، فعالجها سليمان أن يفتحها فلم تنفتح حتى قال في دعائه لصلوات أبي داود إلا تفتحت الأبواب، ففتحت الأبواب، قال: ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني **إسرائيل** خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار [٩٥] لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا واللّه عز وجل يعبد فيه.

وقال أبو عمرو الشيباني: أوحى اللّه إلى داود إنك لم تتمم بناء بيت المقدس، قال: أي ربّ، ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم، قال: أي رب، أولم يكن في طاعتك، قال: بلى وإن كان.

وقال كعب[4]: أوحى اللّه تعالى إلى سليمان أن ابن بيت المقدس، فجمع حكماء الإنس، وعفاريت الجن، وعظماء الشياطين، ثم فرق الشياطين، فجعل منهم فريقاً يبنون، وفريقاً يقطعون الصخور، وفريقاً يقطعون العمد من معادن الرخام، وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر

---

(١) انظر (الروض المغرس: الفصل الثالث: ورقة ١٣ و).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) ذكر الرواية بسنده إلى وهب من منبه عن كعب. (المصدر السابق: ١٥ ظ).

والمرجان، وأخذ في بناء المسجد، فلما ثبت البناء، وكان عليه حَيْر[1] بناه داود، فأمر بهدمه، ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء، فقال: أسسوا على الماء فألقوا فيه الحجارة، وكان الماء يلفظ الحجارة، فاستشار في ذلك. فأشاروا عليه أن يتخذوا قلالاً من نحاس ثم يملأها حجارة، ثم يكتب عليها ما على خاتمه من ذكر التوحيد، ثم يلقيها في الماء فتكون أساس الماء، ففعل فثبت وبني عمل بيت المقدس عملاً لا يوصف وزينه بالذهب والفضة، وألوان الجوهر في سمائه وأرضه وأبوابه وجدره، ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد للّه، وأنه هو الذي أمر ببنائه، وأنه من انتقصه أو شيئاً منه، فقد ضادّ اللّه وأنه كان قد عهد إلى داود في ذلك ثم أوصى سليمان بذلك من بعده، ثم اتخذ طعاماً وجمع الناس.

وروى عبد اللّه بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ قال: هو سور بيت المقدس الشرقي.

وقد أضربنا عن كثير مما ورد في البناء السليماني والعجائب التي كانت فيه لعدم صحته بالنقل.

وأما ما ورد في فضله[2] فمنه حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ صلاة الرجل في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بست وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد [٩٦] الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

وعن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: صلاة في بيت المقدس أفضل أم صلاة في مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان ولبسطة قوس من حيث يرى بيت المقدس أفضل وخير من الدنيا جميعاً[3].

وصح عن موسى عليه السلام أنه لما احتضر قال: يا رب أَدْنِني من الأرض المقدسة رمية بحجر، ونزله أبو ذر وأكثر فيه الصلاة، وصلّى فيه ابن عمر، ومات فيه عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبو أبي بن أم حرام، وأبو ريحانة واسمه سمعون، وذو الأصابع، وأبو محمد البخاري، هؤلاء من أهل بيت المقدس، ماتوا به والذين أعقب منهم عُبادة وشداد وسلامة بن

---

(١) في المصدر السابق (صين) وأضاف الناسخ (كذا).

(٢) انظر الفصل الخامس من المصدر السابق.

(٣) ذكر الحديث في (المصدر السابق: ٢١ ظ).

قيصر وفيروز الديلمي، والذين لم يعقب منهم أبو ريحانة وأبو محمد البخاري وذو الأصابع.

وقال أبو الزاهرية[1]: أتيت بيت المقدس أريد الصلاة، فدخلت المسجد وغفلت عني سدنة المسجد حتى أطفئت القناديل وانقطعت الرجل وغلقت الأبواب فبينا أنا كذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان قد أقبل وهو يقول سبحان الدائم القائم سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح، سبحان اللّٰه وبحمده سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى، ثم أقبل حفيف يتلوه يقول ذلك، ثم أقبل حفيف بعد حفيف يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد، فإذا بعضهم قرب مني فقال: آدمي؟ فقلت: نعم، فقال: لا روع عليك هذه الملائكة؟ قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى مَن الأول؟ قال: جبريل، قال: ثم الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل، قلت من يتلوهم بعد ذلك؟ [٩٧] قال: الملائكة، قلت: سألتك بالذي قواكم لما أرى ما لقائلها من الثواب؟ قال: من قالها مرة في كل يوم لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له[2].

وروى أبو عبد اللّٰه بن باكويه بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفي قال: قال لي أستاذي أبو عبد اللّٰه بن أبي شبة كنت ببيت المقدس وكنت أحب أن أبيت في المسجد وما كنت أترك، فلما كان في بعض الأيام بصرت في الرواق بحصر قائمة، فلما أن صليت العتمة وراء الإمام أتيت الحصر فاختبأت وراءها وانصرف الناس والقوّام ثم خرجت إلى الصخرة، فلما سمعت غلق الأبواب وقعت عيني على المحراب وقد انشق ودخل منه رجل ثم رجل إلى أن تم سبعة واصطف القوم على الطريق ولم أزل واقفاً شاخصاً زائل العقل إلى أن انفجر الصبح، فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا.

وبه إلى ذي النون قال: بينا أنا في بعض جبال بيت المقدس سمعت صوتاً يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخدام، ولهت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت قلوبهم طول القيام بين يدي الملك العلام، فتبعت الصوت فإذا أمرد مصفر الوجه يميل ميل الغصن إذا حركته الريح عليه شملة قد إئتزر بها وأخرى قد اتشح بها، فلما رآني توارى عني بالشجر، فقلت: ليس الجفا من أخلاق المؤمنين فكلمني وأوصني، فخر ساجداً وجعل يقول: هذا مقام من لاذ بك واستجار بمعرفتك وألف محبتك فيا إله القلوب احجبني عن القاطعين لي عنك، قال: فغاب عني ولم أره.

وروي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يوم ينادي المنادي من مكان قريب﴾ قال: من صخرة بيت المقدس.

---

(١) انظر ما ذكره من رواية للخبر في المصدر السابق: ٢٣ و).

(٢) ورد أكثر من رواية للحديث المذكور في المصدر السابق.

وقال يزيد بن جابر في الآية يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول: أيتها العظام النخرة، والجلود الممزقة، والأشعار المتقطعة، إن اللّه أمرك أن تجتمعي للهيئات [٩٩].

وروي عن ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال: إن الجنة لتحنُّ شوقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جنة الفردوس وهي صرة الأرض، يعني الصخرة.

وبه عن أبي إدريس الخولاني قال: يحول اللّه صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السموات والأرض، ثم ينصب عليها عرشه، ثم يقضي بين عباده يصيرون منها إلى الجنة وإلى النار.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، قال: من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس(١).

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب﴾ قالوا هو إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس، هلموا إلى الحساب، إن اللّه يأمركم أن تجمعوا لفصل القضاء، وهذه هي النفخة الأخيرة، والمكان القريب صخرة بيت المقدس.

قال كعب ومقاتل: هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقال ابن **السائب** باثني عشر ميلاً.

وروي أن كعباً قدم المياسة، فرشى من أحبار يهود بضعة عشر ديناراً على أن دله على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرغ من بناء المسجد وصلّى مما يلي ناحية باب أسباط، فقال كعب: قام سليمان بن داود على هذه الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله فدعا اللّه عز وجل بثلاث، فأراه تعجيل إجابته في دعوتين وأرجو أن يستجيب في الثالثة، فقال: اللهمَّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب، فأعطاه اللّه عز وجل، وقال: اللهمَّ هب لي ملكاً وحكماً يوافق حكمك ففعل اللّه عز وجل ذلك به، ثم قال: اللهمَّ لا يأت هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه إلا أخرجته من خطيئته كيوم ولدته أمه(٢).

هذه نبذة يسيرة من ابتداء وضعه.

---

(١) انظر الفصل الرابع عشر من الكتاب المذكور.

(٢) انظر نحوه في الروض المغرس: ورقة ١٥ و).

[فتح بيت المقدس في عهد عمر رضي الله عنه][1]

وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس على خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستيلاء الفرنج عليه ثم فتحه على يد الملك الناصر [٩٩] صلاح الدين يوسف بن أيوب وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل ثم استنقاذه منهم بعد ذلك على يد الناصر داود بن المعظم، فليس هذا موضعه، وسيأتي إن شاء اللّٰه تعالى في التاريخ بذلك والإشارة إليه، فهناك ذكره أنسب ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى وما اشتمل عليه من المزارات على ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وقد ألف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تأليفاً صغيراً أسماه «سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد» نقلت منه ما يليق بهذا الموضع معتمداً في ذلك على ما حرره بالذرع ونبتدىء بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها فنقول:

[الصخرة والبناء المحيط بها][2]

أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول فارتفاعه ثمانية عشر ذراعاً يعلو ذلك كرسي القبة وارتفاعه عشرة أذرع وربع ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع في دوره ستة عشر طاقة زجاج مذهبه بظاهرها شبابيك وهي مثمنة الأركان كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع، والبناء من ظاهره مكسوّ منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر ومن أعلاه سبعة أذرع إلى الميازيب بالفص المذهب المشجر المختلف، وتحتوي كل تثمينة على سبع طاقات اثنتان في الطرفين مسدودتان والخمسة مركب عليها الزجاج ومن ظاهرها الشبابيك الحديد ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع مكسو بالفص الصفة المذكورة مشخص في كل تثمينة منه ثلاثة عشر محراباً[3].

[أبواب المسجد الأقصى]

ولها أبواب أربعة:

[الباب القبلي]

فالقبلي ارتفاعه ستة أذرع وربع وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن أمامه من خارج رواق

---

(١) المصدر السابق الفصل التاسع والعشرين.

(٢) انظر وصفاً عنها في كتاب (القدس: ١٧٣) للدكتور شوقي شعث.

(٣) وصفه ابن بطوطة في رحلته بأنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه... (رحلة ابن بطوطة: ٥٧).

مفروش [١٠٠] بالرخام الأبيض المشجر، طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً ونصف وعرضه أربعة، سقفه بسط مدهون، والوسط أمام الباب قنطرة بالفص المذهب محمول على ثمانية أعمدة من الرخام منها غرابي اثنان في طرفيه بين الأعمدة الغرابي والخضر هناب رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث، تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب ويغلق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش وعلى يمنة الداخل ويسرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع في رؤوس التثمينة الأولة خاصة وتقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع بأعلاها سقف بسط مدهونة بأنواع الدهان ارتفاعه خمسة عشر ذراعاً محمول على حائط الصخرة والأعمدة والحائط من باطن التثمينة ملبس جميعه بالرخام بغير فص بانبذارته رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة كل تثمينة من هذا السقف محمولة على سارتين ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع، دور كل سارية أحد عشر ذراعاً وثلثا ذراع، وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع، وجهها الذي يلي الصخرة بقرنتين، ومع السارية عمودان أحدهما شحم ولحم والآخر أخضر مرسيني بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع ودوره ذراعان وثلثا ذراع، وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف بعلوها **البساتل** ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه، يعلو **البساتل** قناطر بالفص المذهب البديع بهذه التثمينة الأولى ثمانية سوار وستة عشر عموداً منها أبيض وأزرق عشرة وأخضر مرسيني وشحم ولحم ثلاثة [١٠١] وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرع لتثمينة ثانية عليها سقف مقالي مذهب ارتفاعه ارتفاع السقف الأول ومقاليه مركبه بغير تسمير لأجل كنس السقف والسقف الذي يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن، وبآخر هذه التثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة والحامل للقبة أربعة سواري مربعة ملبسه بالرخام مثل الأولى بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام الشحم واللحم والأخضر المرسيني يعلو ذلك قناطر من **الوجهين** فص مذهب والباطن رخام أبيض وأسود، جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عموداً منها شحماً ولحماً، وكان دوره ثلاثة أذرع ونصف، وارتفاعه خارجاً عن القواعد سبعة أذرع وثلثا ذراع.

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعاً، ومن ظهور الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف.

قال: ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع، وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه الأعمدة والسواري له أربعة أبواب الشمالي منها مغلف والثلاثة مفتوحة.

فأما القبلي فيصعد إليه بدرجتين ومن حد عتبته من داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع، وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملون ارتفاع ذراعين، ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزين من الخشب المنقوش دوره أربعة وسبعون ذراعاً.

[أثر قدم النبي صلّى اللّه عليه وسلّم]

وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار، قيل إنه قدم النبي ﷺ ليلة المعراج، وقبالة القدم المشار إليه مرآة من السبع معادن يسمونها درقة حمزة محمولة [١٠٢] على ثلاثة أعمدة لطاف منهن اثنان زوجان في جسد.

[الشباك والشرفة]

وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذرع، تعلوه شرفة خشب مدهونة، وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد، والمحراب الذي يصلّي به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلي داخل الدرابزين الخشب المقدم الذكر.

[المغارة]

وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة معقود قنطرة بالرخام الغريب على عمودين شمعية ينزل إلى باطنها بأربع عشرة درجة طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال، وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام.

[المحرابان]

وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار، كل محراب على عمودين رخام لطاف.

[مقاما الخضر وإبراهيم الخليل عليهما السلام]

وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر، طولها من الشرق للغرب ذراع وثلثا ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع يواجهها عمود رخام قائم للسقف وعمود راقد مرد لها، وبالركن الشمالي من المغارة صفة نقر في الصخرة يسمونها مقام الخليل، عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب ذراع وربع.

[الباب الشرقي]

وأما الباب الشرقي من بناء الصخرة فهما بابان أحدهما داخل الآخر، جعل الباب الخارج

وقاية للداخل من الأمطار والثلوج ملبس بالرخام زجاب[1] ما بين البابين، عرض أربعة أذرع وربع، وطول خرجته اثنا عشر ذراعاً ونصف على يمنة الخارج بيت للبواب، وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف، وعلى يسرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسيني وزرق، وعقد ما بين البابين بالفص المذهب، ومن عتبة الباب الثاني منها إلى العمد سبعة أذرع وثلثان. [١٠٣] وهو الحامل للسقف البسط ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً، ومن باطن الشباك الحديد إلى الدرابزين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع، ومن حد هذا الباب الشرقي على يسرة الداخل منه طالباً للقبلة على مسافة تسعة أذرع عمودان مرسيني أخضر بأعلاهما دقيسي مذهب يطلع من باطنه إلى سقف الصخرة والقبة.

[الباب الشمالي]

وأما الباب الشمالي ويسمى باب الجنة فله خرجة كالتي في الباب السري، وصفتها وحليتها، وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيف إشارة على الرخامة السوداء التي يصلّي الناس عندها، وفقدت هذه الرخامة من مدة زمانية، وعمل مكانها رخامة خضراء والناس يصلون ويدعون عندها.

[الباب الغربي]

وأما الباب الغربي فله خرجة كالبابين السري والشمالي، وسعه ما بين تثامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالي خلا السعة من الشباك الحديد لدرابزين الصخرة، فإنه ستة أذرع وثلثا ذراع، هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها.

[الصحن]

وأما الصحن المحيط بها فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول.

وذرعه من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً.

ومن الشرق للغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع.

وذرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلالم الموصلة للجامع ثلاثة وخمسون ذراعاً، ومن رأس السلالم إلى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعاً ونصف وربع.

---

(١) في نسخة أخرى (رحاب).

وبأعلى هذه السلالم أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركنين من البناء، منها عمودان صوان أحمر والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع.

[صفة السبع درج]

ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب.

وشرقي هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعاً، قناطر مثلها أعمدتها اثنان أخضر [١٠٤] مرسيني، وفيما بين هاتين القنطرتين في أسفل الحرم صفة كبيرة تسمى صفة السبع درج، يقال إنها مأوى الصالحين والسياح في الليل، وعليها يركعون، وبجانب القنطرة المذكورة أولا مدهون صورة محراب بخديه عمودان رخام لطاف.

[قبة الميزان]

وفي ركنها الغربي قبتان من رخام واحدة تعلو الأخرى، كل منهما قطعة واحدة تسمى قبة الميزان محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام والشحم واللحم بقواعد شمعية والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكمالها ثمانية أذرع وثلثان، وارتفاع العمد السفلى ذراعان وسدس، وارتفاع العمد الفوقا ذراع ونصف وربع **وتعرف أيضاً بقبة النجو.**

[المدرسة المعظمية]

وبالقرنة القبلية من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعاً، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع، لها بابان يفتحان للشمال يحدهما ثلاثة أعمدة من الرخام، كل عمود به أربعة في جسد واحد ملفوفة مثعبنة، وتلو ذلك عمودان لطاف، وارتفاع بنائها تسعة أذرع من أرض صحن الصخرة، ويدخل من البابين المذكورين لرواق طوله ثمانية عشر ذراعاً ونصف في عرض ستة بسقف شامي مذهب ثلاثة عشر مربعاً، بصدره القبلي ثلاث طاقات مطلة على الحرم وأبواب الجامع.

وبالجهة الغربية منه قبة معقودة بكل جهة من جهاتها القبلية والشمالية والغربية ثلاث طاقات ولجهتها الغربية للدخول إليها من الرواق المذكور، وطاقة تطل على الرواق المذكور.

[قبة سكن الإمام]

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكورة قبة ألطف من هذه يسكن الإمام، وقيم المكان، وحاصل الزيت، ورتب الملك المعظم لها إماماً مفرداً يصلّي الصلوات الخمس، ورتب لها خمسة وعشرين نفراً من طلبة النحو وشيخاً لهم، وشرط أن يكونوا [١٠٥] خنفته من جمله مدرسته التي

خارج الحرم، ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيا من عمل القدس الشريف، وعلى سقفها مكتوب أنه اهتم بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة.

وأمام الشبابيك الشمالية التي بالقبة الغربية من هذا الرواق على تقدير خمسة أذرع ممشاة معقودة عدتها سبع عشرة درجة، عرض كل درجة ذراع يتوصل منهن إلى أسفل الحرم.

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صفة عليها رخامة منقوشة مزولة لأحراح ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلثان، وعرضها ذراع وثلث، وارتفاعها ذراع ونصف.

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبة لطيفة مكسوة من ظاهرها بالبياض خلوة لبعض المتصدرين بالحرم الشريف، يفتح بابها للشمال وتتمة جهاتها الثلاث، بكل منهن طاقة مطلة على الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان يعلو أحدهما قبة من الغرب، والأخرى في الشمال سقف على عمودين رخام يصلّي عليها المبلغون في الصلوات الخمس.

وذرع ما بين عتبة الباب الشرقي إلى حد الدرج نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة **الشرق** ستة وسبعون ذراعاً.

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معقودة على أربعة أعمدة وساريتين يحدهن القبلي والشمالي خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم، وارتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع أسوة ارتفاع القناطر التي على سائر السلالم، ولقي ثلاث قناطر منهن مفتوحة يخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة بدرج البراق، وعدتهن ستة وثلاثون درجة، وذرع ما بين أول درجة من هذه الدرج إلى حد السور الشرقي مائة وستة وخمسون ذراعاً وثلث.

وذرع ما بين الباب الشرقي البراني وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

[وصف القبة والمحراب]

وهذه القبة محمولة على اثني عشر عموداً أخضر مرسيني وشحم ولحم، طول كل عمود خارجاً عن قواعده ثلاثة أذرع وثلث وربع وثمن، [١٠٦] وارتفاع[١] سقفها بالبسط الملبّس بالرصاص ثمانية أذرع، جميع ما بين الأعمدة محروف، وما بين العمود والعمود متكاية من الحجر الصوان المجلي تقدير شبر لا غير، طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف، وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملون، **فحدّا** المحراب عمودان رخام أبيض

(١) عن ما ورد بارتفاع القبة انظر (الروض المعزس: الفصل الخامس والعشرين).

وبأعلى هذه الأعمدة قناطير ملبسة بالفص المذهب والأخضر المختلف الألوان، ارتفاع القناطر ذراعان وربع، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية عشر ذراعاً، وبباطن هذه القبة قبة محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسيني وشحم ولحم ما بين العمود والعمود أربعة أذرع، سعتها ثمانية أذرع ونصف بأعلى الأعمدة قناطر ملبسة بالفص، طول أربعة أذرع ونصف والقبة الخشب من أعلى ذلك.

[السلسلة وقصة رفعها للسماء]

روى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب بسنده إلى أبي ماك بن ثعلبة قال: سمعت إبراهيم ابن طلحة بن عبيد اللّه يحدث عن أبيه عن جده يرفعه: أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين المحق من المبطل فالمحق ينالها والمبطل لا ينالها، وأن يهودياً استودع مائة دينار **فجحدها**، فجاؤوا إلى السلسلة، وقد سبك اليهودي **الذهب** في عصا وناولها صاحب المال، وحلف لقد أعطيته دنانيره، وحلف الآخر أنه لم يأخذ فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم.

ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة؛ واللّه تعالى أعلم [١٠٧].

[الباب الشمالي والممشاة]

وذرع ما بين الباب الشمالي من أبواب الصخرة المسمى بباب الجنة إلى منتهى الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وساربتين مائة وثمانية أذرع، وينزل من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف وأمام الدرج ممشاة مستطيلة مفروشة بالبلاط عرضها خمسة أذرع وربع، وينتهي متشاملاً إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء(١)، وطول هذا الممشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعاً، إن شاء اللّه ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم.

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شمالي الصحن مسطبتان طول كل منهما ثمانية أذرع ونصف من الشرق إلى الغرب، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلثا ذراع يصلّي الناس عليها.

---

(١) عرف مؤخراً بباب الملك فيصل.

[قبة المعراج](١)

ومن هذا الباب الشمالي على مسافة اثنين وأربعين ذراعاً طالباً للغرب عمل مسطبه ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعاً وثلث، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع بني عليها قبة مثمنة تسمى قبة المعراج، بابها يفتح للشمال سعته ذراع وثلث، وطوله ذراعان وثلث بظاهر القبة المذكورة حاملاً لأركان من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عموداً، طول كل عمود خارجاً عن القواعد ذراعان وثلثا ذراع، والتثمينة التي بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكي مشجرة بأزرق يصعد إلى بابها بثلث درج رخام، ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن أرضها مفروشة بالرخام الأبيض، وحيطانها من داخل كذلك مثل الظاهر بباطنها من الأعمدة أيضاً ثمانية عشر عموداً، وبأعلى الرخام المذكور طاقات نصاص شبه الجبس المكندج ثلاثة وزجاج أربعة، وبأعلى الطاقات كرسي القبة، وعرضها من الشرق المغرب سبعة أذرع، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع، سعة محرابها ذراع وثلثا ذراع، وهو بأول المسطبة لجهة القبلة، والباب والسلالم بآخرها لجهة الشمال وتتمة المسطبة يصلّي عليها الناس، ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع خمسة عشر ذراعاً وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة [١٠٨] مكان الهلال محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية، طول كل واحد منهن تقدير ذراع.

[باب الحديد]

وذرع ما بين الباب الغربي إلى رأس القناطر التي أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلثا ذراع، وهي أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالأزرق وساريتين، وينزل من هذه القناطر بأربعة وعشرين درجة إلى الحرم، ومن حد هذه الدرج إلى الصور الغربي وهو الذي فيه الباب الحديد المعروف الآن بباب القيسارية، وفيه باب الميضاة وسائر الأبواب الغربية الآتي ذكرها إن شاء اللّه عند ذكر أبواب الحرم خمسة وثمانون ذراعاً وثلث ذراع.

[بئر الرمانة]

وبظاهر هذا الصحن من فم الصهاريج المركب على فوهة كل منهن خرزة رخام، أو حجر منحوت، سبعة لهن تسعة أبواب منها بالجهة القبلية بئر تعرف بالرمانة، له بابان هذا الباب الذي بالصحن وباب بسفل الحرم أمام الجامع.

---

(١) هذه القبة أنشأها عام ٥٩٧هـ الأمير عز الدين أبو عمرو عثمان الزنجلي متولي القدس الشريف. (القدس الشريف: ٨٢).

[بئر الشوك وبئر الورد]

وبالجبهة الشرقية بئران يعرف أحدهما بالشوك ويعرف الآخر ببئر الورد، له بابان جميعهما من صحن الصخرة.

[بئر باب الجنة]

وبالجبهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة.

[بئر الكأس وغيره][1]

وبالجهة الغربية ثلاثة آبار أحدها يعرف بالكأس، لأن على فوهته كأس رخام طويل، والآخر له بابان من الصحن، والآخر بفرد فم.

[صهاريج سفل الحرم]

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سفل الحرم من الصهاريج فنقول:

في سفل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً بالجهة القبلية ستة بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وباب الجامع واحد، وداخل باب الجامع الشرقي واحد، ويسمى بئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذي داخل باب الجامع، والآخر في مكان يعمل فيه **بحازه** الحرم.

[البئر الأسود]

والبئر الأسود له ثلاثة أبواب، أحدها ينزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة له بابان.

[بئر الحاكورة]

وبئر في الحاكورة التي عند الباب الشرقي وله بابان [١٠٩] واحد في الحاكورة، وباب خارج عنها.

[آبار الجهة الشرقية]

وبالجهة الشرقية ثلاث آبار منها بالقرب من باب الرحمة واحد له بابان.

---

(١) أنشىء في عام ٥٨٩هـ. (القدس: ١٥٤).

[آبار الجهة الشمالية]

وبالجهة الشمالية ثلاث آبار، بئر بني إسرائيل، وبئر بباب شرف الأنبياء، وبئر بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللآوي وخانقاه الأسعردي.

[آبار الجهة الغربية]

وبالجهة الغربية ثلاث آبار أحداهنّ بباب **فوان**، والآخر عند باب الرباط المنصوري، وله بابان في الحاكورة، وباب خارج عنها يعرف بابن عروة، وبئر عند الباب الحديد مغطى بحصر الأروقة.

[آبار أخرى]

وهذه الآبار الاثنان والعشرون معمرة بالمياه، وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة، واحد عند درج الميزان، والثاني عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم.

وقد استوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما اشتمل عليه، فلنذكر ما بباطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك:

[السور]

ونبتدي أولاً بذكر السور المحيط بذلك جميعه صفة السور القبلي وما صاقبه من المساجد وغيرها.

[صفة السور الغربي]

وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبة طولها من المحراب للشمال ستة أذرع وعرضها ستة ونصف وبصدرها محراب، ويتلوها من جهة شرقها باب الزاوية الفخرية، ويتلو باب الزاوية الفخرية من الشرق صفة عشرة أذرع وربع، وعرضها ثلاثة ونصف.

[جامع المقاربة في السور الشرقي]

ويتلو هذه المسطبة باب **جامع المغاربة**، وطول جامع المغاربة من محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف، ومحرابه لطيف مركب على عمودين رخام لطاف، ومن ظاهر حائط هذا المحراب إلى حائط جامع النساء خارجه في الزاوية

الفخرية التي إلى جانبه، وطول دهليزه أحد عشر ذراعاً وثلثا ذراع، وعرضه [١١٠] أربعة أذرع وثلثا ذراع.

وفي باطن سوره الشرقي مسطبة لطيفة عرضها ذراع ونصف، وطولها ثمانية أذرع ونصف وربع وثمن.

وفي ثخائن السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به، وله باب واحد يفتح للشمال، سعته أربعة أذرع، وارتفاعه خمسة أذرع، وقولنا جامع المغاربة لغلبة هذا الاسم على ألسنة الجمهور، ولو قلنا مسجد المغاربة لما علم الجمهور بالقدس، وكذلك جامع النساء كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة، وإنما لكل منها إمام مفرد يصلّي فيه الصلوات الخمس لا غير.

[جامع النساء]

ويتلو جامع المغاربة فضوة كبيرة يتلوها جامع النساء، وطوله من الشرق للغرب اثنان وستون ذراعاً ونصف ذراع، وعرضها من القبلة للشمال إثنان وعشرون ذراعاً وثلثا ذراع، وهي رواقات سقفها اثنا عشر عقداً، كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط على ستة عضائد، وبصدره من الشبابيك خمسة، عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلثا ذراع، وتمتد الشبابيك دون هذا المقدار، وبحائطه الغربي شباك مطل على حارة المغاربة، وباب هذا الجامع يفتح للشمال. وبكل هذا أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد واحد، طولها خارجاً عن القواعد ذراعان إلا ربعاً، وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلّي الناس عليها، ويدخل من الباب المذكور وينزل بخمس درج إلى الأروقة المذكورة.

ومن باب جامع النساء على مضي سبعة وعشرين ذراعاً من جهة الشرق الباب الفرعي من أبواب الجامع المسمى الآن بالمسجد الأقصى [١١١] [١١٢].

صفة السور الشرقي

[مهد عيسى]

تقدم أن في قرنة السور القبلي مهد عيسى عليه السلام وشماليه رواق معقود على ستة عقود قد خربت مساطبه من العمائر القديمة، وبعض أرضه مبسوطة بالفص طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشف إلى حد مهد عيسى.

[مسجد باب الرحمة]

وشمالي هذا الرواق على مضي ثلاثمائة ذراع مسجد باب الرحمة، وطوله من الشرق للغرب ثلاثون ذراعاً، وعرضها قبلة وشمال أربعة عشر ذراعاً ونصف، وسعة محرابه ثلاثة أذرع وربع، يصلي فيه إمام مفرد، وهو معقود بالحجر المنحوت ست قباب، اثنتان مرتفعتان وأربع منبسطة على عمودين صوان بيض في الوسط وساريتين في وسطه، طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ودوره أربعة أذرع ونصف، وهذا المسجد متخذ باطن الباب من المسميين بباب الرحمة[١]، وهما بابان قديمان قد سدّا، على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من خارج بالجديد طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف، وخلف كل منهما بابان بالصفة المذكورة، إلا أنهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش، قد سّمرا وأحكم غلقهما.

قيل إنهما من بقايا العمائر السليمانية سميا بأبواب الرحمة.

وينتهي السور الشرقي برواق طوله من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً ونصف، ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلث، ويعقبه في أول السور الشمالي باب أسباط وسيأتي ذكره إن شاء الله.

وليس في هذا السور الشرقي الآن باب يسلك منه للحرم الشريف، ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين، ويقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلقهما لما فتح القدس، فلم يفتحا إلى الآن.

[مقبرة باب الرحمة][٢]

وقد اتخذ الناس ظاهر هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم، وفيها قبر شداد بن أوس، ويتلو المقبرة المذكورة واد عميق [١١٣] يعرف بوادي جهنم[٣]، يزرع وفيه كروم وبساتين ومنه يتطرق إلى عين وفيه ابنية عجيبة وآثار غريبة ونقوب ومعابد قديمة، وهو موقوف على المدرسة الصلاحية.

[طور زيتا]

وحد هذا الوادي من الشرق طور زيتا الذي يقال إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه،

---

(١) انظر كتاب (القدس: ٢٠٩) عن القائمة التي أعدت عن الآثار الإسلامية في العصر الأموي حيث ذكر أن تشييده في القرن الأول الهجري.

(٢) انظر (المصدر السابق: ١٩٩).

(٣) انظر نهاية الأرب حيث فسر قوله تعالى: **﴿فضرب فيهم سور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾**: حيث الحائط هو ثيب المقدس ووراء وادي: جهنم ومد دونه باب الرحمة.

وبه قبر رابعة العدوية يزار قصداً، وفيما بين السور الشرقي وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين تقدير عدتها مائة شجرة يستظل الناس تحتها ويصلون.

قال الصاحب تاج الدين أحمد ابن أمين الملك: ولقد مضى علي في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربع فرأيت له في كل فصل محاسن في غيره لم تجمع وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكي الأروع وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرته، قال: وأما ما شاهدته بالعيان أنني جلست وقتاً في بقعة منه فكللت بأزاهر من الشقائق والبهار والأقحوان وإلى جانبي فقير عليه أطمار رثة يبدي تبسماً وتارة يعلن صوته بالتسبيح والتكبير ترنماً ويقول سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل الفاخرة، وجعلك تحتوي على مكنوز الدنيا والآخرة، فقلت له: يا سيدي أما فضله وبركته فقد صدق العيان فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر لكن ما كنوز؟ الدنيا؟ فقال: ما من زهرة تراها إلا ولها في النفع والضرر خواص يعرفها أهل الاختصاص، فقلت: لملك تظهر للعيان شيئاً مما عرفت يزداد به اليقين تبصره وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة، فأخذ بيدي ومشى خطوات إلى جهة من جهات الحرم ومد يده أخذ قبضة من ذلك الكلأ وقال: هل معك [١١٤] خاتم أو درهم؟ فقلت: نعم، فأخرجت درهماً مما معي بذلك الكلأ فعاد كالدينار في صفرته، ثم أخذ حشيشة أخرى وعركه بها فعاد أبيض أنقى مما كان أولاً، وقال: هذه رموز احتوت على تلك الكنوز، ولم يترك نبي اللّٰه شيئاً من المواهب التي منحه اللّٰه إياها والمنافع التي وصلت إليه من الإنس والجن على اختلاف صورها ومعناها إلا وأودعه في هذا الحرم، فأين من يفهم تلك المعاني أو من كان لها يعاني، ثم أخذ منهجاً غير ما كنت أسلكه، فسألته التثبت والتلبث، فقال: الدني من صرف نظره إلى العرض الأدنى، والسري من صرف زمانه بالتهجد في هذا المعنى، أوصيك أن تغتنم الفرصة في ركعات تقدمها بين يديك، فما سواها فان، ولا تلتفت إلا إلى ما يقربك من الرحمن، فقلت: يا سيدي ومثلك من يفتح لي أبواب الصواب، فقال: ما بعد السّنة والكتاب من باب، ثم فارقني ممهرولاً معلناً بصوته ومرتلاً يقول: سبحانك يا دائم، سبحانك يا قدوس، سبحانك يا رحمٰن، سبحانك يا محيي النفوس، فجعلت هذا الذكر لي ديدناً، وكلما اشتاقت له مني عين أطربت بذكره أذناً.

صفة السور الشمالي

[باب أسباط][1]

وفيه عدة أبواب.

أولها من جهة الشرق باب يسمى باب أسباط: وهو تلو الرواق المقدم ذكره الذي هو نهاية السور الشرقي، وارتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وربع وثمن ذراع، ويعقب هذا الباب من غربه رواق معقود على عشرة سواري طوله اثنان وسبعون ذراعاً، وعرضه ثمانية أذرع بصدره أربعة شبابيك مطلة على بركة بني إسرائيل وهي بركة قديمة عميقة ويعقب هذا الرواق ساحة وهي أرض كشف بعضها مصب مياه لبركة بني إسرائيل، وبعضها كشف قصد أن **يبني به** أروقة وإلى الآن [١١٥] لم يكمل، وطولها أربعة وسبعون ذراعاً.

[المدرسة الكريمية]

ويعقب هذه الأرض المدرسة الكريمية وصارت ما أمامها من الأروقة بحائطين غربية وشرقية وجعلوا مصيفين قدامها، وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب خمسة وعشرون ذراعاً، وجعل قدام هذه الأروقة مسطبه يصعد إليها بأربعة درج بارزة في الحرم طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعاً، وهذه المدرسة بناها كريم الدين عبد الكريم ناظر الخواص **الشريفة** السلطانية الناصرية[2].

[باب حطة][3]

ويعقب هذه المدرسة باب يسمى باب حطة، عرضه أربعة أذرع وثلثا ذراع، وارتفاعه ثمانية أذرع، أمامه ممشاة مفروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعاً، وعرضها خمسة أذرع **وكسر** يصعد من آخر بدرج إلى ثلاثة قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يدخل منهن إلى صحن الصخرة، ويحذي هذا الباب مسطبتان لطيفتان عرض كل منهما ذراعان، الشرقية منها لصيقة للمدرسة **الكريمية** المذكورة، وتلو الغربية رواق طوله اثنان وسبعون ذراعاً في العرض

---

(١) ويدعي أيضاً (باب القديس أسطفان) والبناء الموجود حالياً قد أمر بتشييده السلطان سليمان من سليم الأول العثماني سنة ٩٤٥هـ. (القدس: ٦٠).

(٢) من شيوخها: أبو عبد الله محمد الغرناطي وشرف الدين عبد الرحمن الفرقشندي وغيرهم من أبناء الشيخ جار الله المعروف بابن أبي اللطف الحصفكي، (القدس: ٩٤).

(٣) من الآثار الإسلامية حيث أعيد بناءه عام ٦١٧هـ في العصر الأيوبي. (المصدر السابق).

المذكورة، وفي سوره ثلاثة شبابيك للرباط العلمي الدواداري.

وبأوله من الشرق بالقرب شباك للتربة الأوحدية[1] من بني أيوب.

[رواق به زاوية الصاحب وزاوية اللاوي]

ثم يتلو هذا الباب رواق طوله سبعة وأربعون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع ونصف، معقود على ثمانية سواري، بأوله شباكان أحدهما مفتوح تتوصل منه إلى زاوية الصاحب أمين الدين المعروف بأمين الملك وتلوهما باب [١١٦] يصعد من باطنه إلى زاوية اللاوي، وتلو الباب مسطبة فيها صهريج.

[رواق بأعلاه خانقاه الأشعري ومدرسة آل ملك الجوكندار]

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود عقدين على ثلاثة سواري طوله تسعة عشر ذراعاً ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع ويصلّي به الآن بعض النسوة الصلوات الخمس خلف الأئمة، وبأعلاه خانقاه مجد الدين الإسْعردي التاجر ومدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، وبأوله جوار الصهريج المذكور سلم يصعد منه إلى المدرسة والخانقاه المذكورتين.

[رواق حيث المدرسة سنجر الجاولي][2]

ويعقب هذا الرواق كشف ليس له أروقة وهو صورة مسطبة عالية، وينزل من وسطها بستة درج إلى الحرم وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شبابيك، المدرسة للأمير علم الدين سنجر الجاولي رحمه اللّٰه، وليس لها استطراق إلى الحرم.

[مغارة إبراهيم]

ومن حد هذا الكشف طالباً لجهة الغرب خلوتان لكل منهما باب يفتح للجهة القبلية من الحرم، وداخلهما كله في باطن السور الشمالي وهي من جبل صخر **أصم** صفة مغارة.

وقيل يعرف قديماً بمغارة إبراهيم، وفي الشرقية منهم شباك لطيف.

---

(١) شيدت عام ٦٩٧هـ في عهد المماليك البحرية.

(٢) من أوقاف الأمير سنجر الجاولي عن أمراء الملك الظاهر بيبرس وكان نائباً لغزة وتولى نظارة الحرمين الشريفين ونيابة بيت المقدس زمن الملك الناصر قلاوون. توفي عام ٧٤٥هـ (القدس: ٩٧ـ حاشية).

[خلوة شيخ الحرم]

وإلى جانب هاتين الخلوتين خلوة لشيخ الحرم، وبها **شباك** كان على الحرم الشريف وطولها ستة عشر ذراعاً، وأمامها مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلث، وبأعلى هذه الخلوة خلوة يصعد إليها بسلم تسعة درج في حد الباب الذي يفتح للشرق.

[مأذنة ودار بني جماعة]

ويتلو ذلك رواق على عقدين طوله من الغرب طالباً للشرق خمسة عشر ذراعاً، وعرضه تسعة ونصف، وتلوه سلم مستطيل جداً يصعد من أعلاه إلى مأذنة وإلى دار هناك لبني جماعة، وهذه المآذن هي أقصى السور الغربي، وارتفاعها ثلاثة وخمسون ذراعاً، وبأعلاها درابزينان خشب منقوشة وهي مكللة من [١١٧] العمد الرخام اللطاف بإحدى وثلاثين عموداً.

صفة السور الغربي

ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه باب الطهارة، فإنه الآن غير نافذ، وأمام كل باب منها شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلّي الناس عليها ويستظلون خلا باب **الغوانمة** فليس قدامه شيء.

[باب الغوانمة](١)

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة، وأول أبوابه من هذه الجهة باب **الغوانمة**، وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع، يصعد إليه من الحرم الشريف بعشرة درج، وبحده الشمالي خلوة للبواب بارزة في الحرم تقدير خمسة أذرع، ومن حد هذه الخلوة إلى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون ذراعاً.

[خلوة لبعض المجاورين]

ومن الباب المذكور على مضي ثمانية عشر ذراعاً طالباً للقبلة باب لطيف لخلوة في باطن عرض السور لبعض الفقراء المجاورين.

[حاكورة علاء الدين الأعمى]

ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية أربعة وعشرين ذراعاً حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى، وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين، وله **تأثيرات** حسنة في

---

(١) انظر (الأنس الجليل: ٢/٢٢). وأيضاً (٣/٣٠).

الحرم من المواعيد والأبنية، وطول الحاكورة طالباً للشمال خمسة وأربعون ذراعاً في عرض سبعة أذرع وكسر.

ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة كشف بلا أروقة.

[باب الرباط المنصوري][1]

ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصوري، طوله ستة، وعرضه خمسة ونصف، وأمامه ممشاة يتوصل بها إلى السلم الذي يتوصل منه إلى صحن الصخرة قبالة الباب الحديد الآتي ذكره.

[رواق فيه خلوة القيم والبوّاب]

ويحد الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين طوله تسعة أذرع، وعرضه عرض الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به.

وهذا العقد أول العقود في السور الغربي، وعمل في ثخانة الحائط التي في أوله مع ثخانة السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب بالباب المذكور [١١٨]، وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشرون يومئذ للنظر في مصالح[2].

[جزء فيه خلوة سكن القيم]

وتلو الباب المذكور عرضه عرض الأروقة، وطوله مائة وثمانية أذرع معقود على ست عشرة سارية وعلى تقدير عشرة أذرع، من أوله شباك القاعة التي هي سكن الناظر على أوقات الحرم، وهي من الحرم، وفي آخره خلوة لطيفة سكن القيم وترسم القناديل.

[ممشاة إلى الصحن الشريف]

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد[3] طوله أربعة أذرع ونصف، وعرضه ذراعان وثلثا ذراع. وأمامه ممشاة مبلّطة يتوصل منها إلى سلم الصحن الصخرة الشريفة، عرضه ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف، وعدد درجة إحدى وعشرون درجة وليس بأعلاه قناطر أسوة بقية السلالم.

---

(١) انظر عنه (الأنس الجليل: ٢/٤٣).

(٢) كذا الأصل. وفي نسخة أخرى (المصالح).

(٣) انظر (الأنس الجليل: ٢/٣٠).

[رواق فيه باب لخلوة بعض الفقراء]

وتلو هذا الباب رواق على ثمانية سواري طوله ثمانية وخمسون ذراعاً، وعرضه عرض سائر الأروقة، وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقراء.

[باب مزخرف يشتمل على صفي حوانيت وقف]

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عمل من قريب واستجد فتحه، ينزل إليه بعشرة درج، له مساطب في خديه طول كل منها سبعة أذرع، وعرضها خمسة أذرع وثلثا ذراع قد اتقنت عمارته، وارتفاعه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع. وعقد بوجهين منقوش بالحجر الملون، وطراز كتابته بالذهب نقر في الحجر وأبوابه مصفحة بالنحاس المذهب المخرم، متقن العمارة والزخرفة، ويتوصل منه إلى القيسارية المستجدة، ويشتمل على صفي حوانيت بعضها وقف على الحرم وبعضها وقف على المدرسة[1] والخانقاه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز رحمه اللَّه وسيأتي ذكرهما عن **كثب** إن شاء اللَّه.

[رواق جانب باب الطهارة]

وإلى جانب هذا الباب رواق معقود على ساريتين كبار جداً، طوله خمسة عشر ذراعاً، وعرضه إلى خارج الساريتين، سبعة أذرع وثلثا ذراع [١١٩] وإلى باطنهما خمسة أذرع ونصف، بصدره شباك لقاعة من وقف الحرم، وبجانب الشباك خلوة لطيفة للقيم والبواب.

[باب الطهارة]

وإلى جانب هذا الرواق باب الطهارة وهو يشتمل على طهارتين إحداهما للنساء والثانية للرجال على ثلاثة وعشرين بيتاً، وفسْقيّة كبيرة، وبأعلى ـ طهارة النساء مساكن **تكرى** لوقف الحرم.

وباب الطهارة ينزل إليه من أرض الحرم بأربع درج، وطول الباب أربعة أذرع وثلثا ذراع، وعرضه ثلاثة وثمن، وبعده سبع درج إلى دهليز مستطيل يتوصل منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى علو طهار النساء، وطهارة النساء في أوائل الدهليز على يمين الداخل.

[رواق فيه خلوتان وبآخره مأذنة الحرم ومحراب للصلاة]

ويتلو باب الطهارة رواق طوله ثلاثة وستون ذراعاً، وعرضه سبعة ونصف معقود على تسعة سواري، وفيه في ثخان السور بابان لخلوتين أحديهما للقيم والأخرى برسم فقير.

---

(١) هي المدرسة التنكزية: انظر (الأنس الجليل: ٢/٣٥).

وفي آخره من جهة القبلة محراب ملاصق المأذنة يصلّي فيه صلاة مفرده.

ويجاوره المأذنة المختصة بالحرم، وارتفاعها ثمانية وأربعون ذراعاً، وبأعلاها درابزينان من الخشب، وهي مكللة من العمد الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

[باب السلسلة][1]

ويتلو المأذنة بابان قد غلق الشمالي منهما، وسمر، المأذنة إلى جانبه ويسمى الباب المفتوح باب السلسلة ويعرف قديماً باب السحرة، سعته خمسة أذرع وثلث، وطوله ثمانية ونصف وكذلك المغلوق.

وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلى سلالم صحن الصخرة بعقد قبالة المعظمة، ذرعها ستة وسبعون ذراعاً وربع.

[رواق حيث المدرسة التنكزية وسكن الصوفية]

ويتلو الباب رواق معقود على عشرة سواري طوله سبعة وخمسون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع وربع، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف، وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم، وهذا الرواق فيه شباكان للمدرسة. التنكزية أبوابهما من **الأبنوس** والعاج وداخلهما المدرسة، وظهره حامل للخانقاه التنكزية، وفي آخره باب لطيف يصعد منه إلى [١٢٠] أعلى المدرسة وسكن الصوفية.

وفي آخر سواريه ستة أعمدة صوّان كبار.

[مسطبة تلو الرواق السابق]

ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبة ارتفاعها ذراع، وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعاً إلا ثمن.

[باب حارة المغاربة][2]

وعرضها عرض الرواق المذكور.

---

(١) هو وباب السكينة متحدان. ومنها يخرج إلى الشارع الأعظم المعروف بخط سيدنا داود عليه السلام. وكان باب السلسلة يعرف بباب داود عليه السلام. (الأنس الجليل: ٣١/٢).

(٢) سمي بباب المغاربة لمجاورته جامع المغاربة الذي تقام فيه الصلاة الأولى ولأنه ينتهي إلى حارة المغاربة ويسمى بباب النبي (ص) أيضاً. (الأنس الجليل: ٣١/٢).

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذرعاً تجد باب حارة المغاربة وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

[مسطبة نهاية السور الغربي وبداية القبلي]

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة وهي نهاية السور الغربي وأول السور القبلي، وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التي هي أول السور القبلي من جهة الغرب وقد تقدم ذكرها.

وإذا قد استوعبنا صفة السور المحيط فلنذكر الآن ما وعدنا بذكره مما اشتمل عليه سوى صحن الصخرة.

[الخلاوي]

ونبدأ بما هو تحت صحن الصخرة وعدته تسع خلاوي أحدها جعل حاصلاً لأصناف الحرم.

[خلاوي مصلى للحنابلة]

فمنها بالجهة القبلية ثلاثة منهن ما على أبواب مساطب ومُقرّشات كرم، وفيه أبواب الرواق المعظمي التي تحت مدرسته وهو مصلى للحنابلة بإمام مفرد وبجانبه **الشرقي** حاصلان يجعل منهما زيت الحرم وأصنافه.

[خلاوي في الجهة الشرقية]

وفي الجهة الشرقية من تحت صحن الصخرة أربع خلاوي منها عمل قدام أبوابه حاكورة وغرست أشجار، والجهة الشمالية خالية من الخلاوي والحواصل.

خلوتان في الجهة الغربية

وبالجهة الغربية خلوتان أحديهما جعلت حاصلاً لأصناف الحرم، وفيه أبواب للرواق المعظمي.

[قبة موسى][١]

وقبالة أبواب الرواق المعظمي من الغرب قبة موسى عليه السلام، وهي أمام باب السلسلة،

---

(١) انظر (الأنس الجليل: ٢/ ٢١) وفيه أنه ليس بموسى النبي (ص) وقد أمر بعمارتها الملك الصالح نجم الدين أيوب عن الملك الكامل في سنة وفاته وهي ٦٤٩هـ وكانت تعرف بقبة الشجرة.

وأمام رواق الحنابلة بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعاً، وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعاً، وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعاً [١٢١] ونصف، وارتفاعها نصف ذراع بصدر المسطبة القبلي القبة المذكورة، طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال عشرة أذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك، وارتفاع كرسي القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع، تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض مفروشة بالرخام، بابها يفتح للشمال، عرضه ذراع ونصف، وطوله ذراعان وثلثان، ويحذيه شباكا حديد في طول الباب وعرضه، وبكل جهة من جهاتها شباك حديد يغلق على كل شباك زوج أبواب وهي محمولة على الأركان، وبين كل حائط وأخيه قوس عقد، وبأعلى كرسي القبة كرسي ثاني فيه خمس طاقات زجاج، وبأعلى الكرسي الثاني القبة المعقودة تقدير ارتفاعها من ظهير الكرسي الثاني ثمانية أذرع وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية حتى ولا في خدي المحراب.

صفة قبة سليمان[١]

وهذه القبة بالجانب الشمالي من الحرم، وهي مسامته للصهريج والسلم الذي يصعد منه إلى الخانقاه الأسعردية والمدرسة السيفية آل ملك، ومن واجهة الصهريج إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً، وهو يفتح للشمال، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع وثمن، يحديه عمودان رخام ومستطبتان يمنى ويسرى، طول كل منهما خمسة أذرع وربع، وعرضهما مثل ذلك.

ويحدي الباب المذكور شباكان مطلان على هذه المسطبتين، طول كل شباك منهما ذراعان وثلثا ذراع، وعرضه ذراع وثلثان.

يدخل من هذا الباب إلى قبة مثمنة، وتتمة التتمينات مسدودة بها أربعة وعشرون عموداً من الرخام، طول كل عمود خارجاً عن القواعد ذراعان ونصف في كل تثمينه من المسدودات أربعة أعمدة حاملين للرخامة التي في عقد القناطر.

وبحدي المحراب عمودين لطيفان طول كل منهما ذراع [١٢٢] ونصف وفي نهاية العمد عند نهاية كرسي القبة زجاج بدائرها، سبعة القبة ستة أذرع ونصف، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعاً.

وعلى يمنة المصلّي في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربع، وعرضها من الجهة القبلية ذراع، ومن الشمالية ثلثي ذراع يدع الزوار عندها، ويقال إنها من الآثار السليمانية وأن الدعاء عندها مستجاب.

---

(١) المصدر السابق: ٧١/٢.

وفي حائط هذه القبة القبلي من خارج عمودان من الرخام وبها تكمل ما بهذه القبة من الأعمدة ثلاثون عموداً.

صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام(١)

ويسمى الآن اصطبل سليمان.

قال الصاحب تاج الدين: هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه، وله من داخل الخانقاه الصلاحية يعني المجاورة لمقصوره الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالختني وبه يعرف الآن **سُلمان** أحدهما ستة وثلاثون درجة، ينزل منها إلى بعض أقسام المجلس المذكور، والثاني أربعة وخمسون درجة، ينزل منها إلى بقية أقسام المجلس المذكور.

قال: والمكان في غاية النور لما عمل له من المناور والطاقات **المحكمة**، وهو رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوان وأركان البناء.

وعرض هذه المجالس من القبلة إلى الشمال منها ما عرضه ثمانية أذرع، ومنها ما عرضه تسعة أذرع، ومنها ما عرضه عشرة أذرع، وارتفاع عقوده من الأرض التي بها الأبواب النافذة لرأس وادي عين سلوان منها ما تقدير ارتفاعه عشرون ذراعاً ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعاً.

ويقال إن إحدى هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وفي إحدى اسطواناته حلقة يقال أن البراق ربط بها ليلة الإسراء.

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب، فمنها ما أمكن قياس طوله الذي أمكن التطرق [١٢٣] إليه، فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعاً.

ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت بحيطان منها ما هو في وقتنا هذا مملوء بالتراب المهول.

ومنها ما هو صفة حواصل، ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخانقاه المذكورة.

قال: ونطاق النطق ضاق عن استيعاب وصف هذا المجلس، لكن الأماكن إلى أمكن التطرق إليها والمشي لما هو نافذ منها دل على أن البقعة المسماة بالجامع تعني المسجد الأقصى موضع الخطبة الآن، وبقعة جامع النساء وغالب الممشاوات التي بالحرم والأشجار المزروعة كلها معلقة على هذه العقود والسواري.

---

(١) انظر (الأنس الجليل: ٢/٢٦.

قلت: ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن ورأيت من عجائب الأبنية بها ما يملأ العين، وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الحتني، ثم أفضيت منها إلى الكروم **وظاهر** المسجد [١٢٤].

قبر الخليل عليه السلام

وما جاوره من قبور نبيه والأزواج وكلها داخل ذلك المسور، وفي حدود ذلك المكان المنور:

روى الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين الرميلي المقدسي بسنده إلى كعب الأحبار قال: أول من مات ودفن بحبرى[١] ساره، وذلك أن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعاً ليقبرها فيه، فقدم على صفوان وكان على دينه، وكان مسكنه وناحيته حَبْرى، فاشترى منه الموضع بخمسين درهماً، وكان الدرهم ذلك العصر خمسة دراهم، فدفنت ساره فيه، ثم توفي إبراهيم فدفن لصيقها، ثم توفيت ربقة زوجة إسحاق فدفنت فيه، ثم توفي إسحاق فدن لزيقها[٢]، ثم توفي يعقوب فدفن في الموضع، ثم توفيت زوجته ليقا فدفنت معهم، فأقام ذلك الموضع على ذلك زمن سليمان، فلما بعثه الله يوحي إليه ابن علي قبر خليلي جيراً حتى يكون لمن يأتي بعدك لكي يعرف، فخرج سليمان وبنوا إسرائيل من بيت المقدس حتى قدم أرض كنعان، فطاف فلم يصبه، فرجع إلى بيت المقدس فأوحى الله إليه يا سليمان خالفت أمري؟ قال: يا رب قد غاب عني الموضع، فأوحى اللّه إليه: أمضي فإنك ترى نوراً من السماء إلى الأرض فهو موضع قبر خليلي، فخرج سليمان ثانياً فنظر فأمر الجن فبنوا على الموضع الذي يقال له الرامه، فأوحى اللّه إليه أن هذا ليس هو الموضع ولكن إذا رأيت النور قد التزق بأعنان السماء، فخرج سليمان فنظر إلى النور قد التزق بأعنان السماء إلى الأرض فبنى عليه الحير[٣].

قلت: ولم يكن لهذا الحير باب وإنما المسلمون لما افتتحوا البلد فتحوا له باباً وبناؤه بناء محكم، وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر منها ما طوله سبعة وثلاثون شبراً، [١٢٥] وقد أقيم بهذا الموضع خطبة، ورتب به إمام ومؤذنون، وفي قبلته باب ينزل منه بدرج كبيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض يأخذ متشاملاً إلى فجوة منها ثلاث نصائب قبور في حائطه يقال إنها

---

(١) سماها ياقوت في (معجم البلدان: ٢١٢/٢): حبرون وقد غلب على اسمها الخليل ويقال أيضاً حَبرى.... الخ. وذكر الرواية السابقة.

(٢) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: لعيا.

(٣) المصدر السابق.

قبر الخليل وزوجته وإسحاق، وهناك طاقة لا يعرف إلى أين تنتهي، لكنه يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم فيها الموتى وتلك أمثال القبور من فوق، ولقد أتيت إلى هذا السرداب ومشيت به زحفاً لضيقه ولتطاطي سقفه لا يقدر راجل على المشي منتصباً به وهو خطوات يسيرة تنتهي إلى الفجوة المذكورة وهي نحو أربعة أذرع في مثلها، وهيئة القبور في قبلة المسجد الآن قبران الأيمن قبر إسحاق والأيسر قبر زوجته.

[موضع قبر إبراهيم وسارة ويعقوب عليهم السلام

وفي شماليه ما هو منفصل عن المسجد بقبتين متقابلتين، قبران الأيمن قبر إبراهيم الخليل والأيسر قبر سارة زوجته.

وفي شمالي الحرم قبة مفردة مسامتة لقبه الخليل وفيها قبر يقال إنه قبر يعقوب، ولا شك ولا ريب أن إبراهيم صلوات اللّه عليه ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور، وأما تعيين موضع القبر فاللّه أعلم.

[ظهور قبر إبراهيم وصحبه عليهم السلام

قال علي بن أبي بكر الهروي: حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك[1] انخسف موضع في هذه المغارة، فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل وهي مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

[قبر آدم ونوح وسام في المغارة]

حكى ذلك شهاب الدين الواسطي قال: وقيل إن قبر آدم ونوح وسام في المغارة.

قال: والمغارة تحت هذه المغارة التي تزار الآن واللّه أعلم.

[موضع فيه قبر يوسف عليه السلام]

ووراء الحرم موضع فيه ينسب إلى يوسف عليه السلام، يقولون إنه لما بني المكان أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم فسمع بانيه عليه السلام ــ وهو سليمان ــ [١٢٥] قائلاً يقول: دعوه خارج الحرم فعليه خراج مصر.

قلت: وهذا الحرم مؤزز جدره بالرخام الملون والمذهب، وعليه أوقاف جليلة ويمد فيه كل

---

(١) بردويل اسم اطلقه العرب على بضروين أحد ملوك الصليبيين. (المنجد: ١٢٤).

يوم بعد العصر سماط ويفرق فيه من الخبز على الواردين لحبستهم، ويقال إن موسى عليه السلام لما خرج من مصر اصطحب معه تابوت يوسف ودفنه هناك قريباً من آبائه ولم يدفنه عندهم لما ناله من الملك فلذا يقال والعهدة على قائله واللّه أعلم.

ولقد زرت الخليل صلوات اللّه عليه وسلامه في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، فأخبرني جماعة من المباشرين أن في بعض الليالي العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن غالب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف، ويفرق أيضاً مع الخبر. طعام العدس بالزيت الطيب والسماق، وفي بكرة النهار يطبخ أيضاً قدر من الدشيش ويفرق على الواردين، وفي بعض أيام الأسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك، وله خدام برسم غربلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه لا يبطلون ليلاً ولا نهاراً.

وأهراء القمح والطاحون والفرن نافذ بعض ذلك إلى بعض، بحيث إن القمح يفرغ في الأهراء ويخرج خبزاً مخبوزاً، ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام لا ينقطع له مدد ولا يحصر بضبط ولا عدد، ولما استولى الفرنج على بلد الخليل عليه السلام أجروا هذا السماط **وزادوا على** من كان قبلهم وبالغوا في صلة هذا المعروف، ثم زاد ملوك الإسلام في السماط وهو معروف يشمل المأمور والأمير والغني والفقير.

وقلت من قصيد مدحته عليه الصلاة والسلام.

هذا خليل اللّه إبراهيم قد لاحت	لنا أعلامه الشمُّ الذرى
هذا الذي سنَّ القِرى لضيوفه	كرماً ولولاه لما سنَّ القِرى

وقلت في أخرى:

هذا الذي مد السماط فما انطوى	ذاك السماط تكرماً وسل الورى
هوذا صاحب السماط ولكن	صاحب الحوض نجله وذووه
ذو فناء يقري به كل ضيف	لم يخيب تحت الدجى طارقوه
منعم سيد جواد كريم	منذ مدوا سماطه ما طووه

وقلت في أخرى حين زرته في ذي الحجة سنة خمس وأربعين [١٢٧]:

خليل إله العرش أول من قرى	ضيوفاً وها قد جئته واستضفته
أتيت كريماً لا تزال رحابه	مطبقة بالوفد حين نظرته
وعن ناره الضيفان في غسق الدجى	وليس سواها بارقاً ثم شمته
فتى الجود شيخ الأنبياء جميعهم	ووالدهم حقًّا يقينًا علمته

وقلت عند الوداع في هذه السنة:

هذا الخليل وهذه أبناؤه ... يكفيك بعد فراقه أبناؤه

هيهات لا توفي أقل حقوقه ... ولو أن جفنك لا يجف بكاؤه

فامسك فؤادك إن ملكت عنانه ... هيهات قد طارت به أهواؤه

وتعز عن أهل الكثيب وإنما ... من أين للصب الكئيب عزاؤه

قلت: وكأن قدومنا هذه المرة على الخليل عليه السلام يوم الإثنين رابع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، فبتنا ليلتنا نتبرك بما حَوتُه تلك القبور من العظام العظام، وأعفر الوجوه في تلك البقعة المشرفة في مواضع أقدام أولئك الأقوام.

[لقاء المؤلف مع حفيد لتميم الداري]

ثم أصبحنا وقد حمدنا السرى عند الصباح، وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصباح، فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزتنا من النوبة الخليلية الطرب، بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أي عبد اللّه محمد بن الخليلي التميمي الداري، وهو بقية هذا البيت الجليل، والمنتهى إليه النظر على وقف الحبيب [١٢٨] سيدنا محمد (ص) وبلد إبراهيم الخليل، والتمسنا منه إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتب لهم بهذه النطيّة، والمشرّف لهم به على سائر البرية، فأنعم بإجابة الملتمس وجاء به أقرب من رجع النفس، وهو في خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير من لم الحسن أبي محمد المستضيء باللّه أمير المؤمنين وبطانتها من كتان أبيض على تقدير كل أصبع منه ميلان أسودان مشقوقان بميل أبيض جعل أكياس يضمنها صندوق من أبنوس يلف في خرقة من حرير والكتاب الشريف في خرقة خف من أدم أظنها من ظهر القدم، وقد موه سواد الجلد على الخط لا أنه أذهبه وما أخفى من المشرفة ما كتبه، وهو بالخط الكوفي المليح القوي فقبلنا تلك الآثار، وتمتعنا منه بعدد الأنوار، ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصه شاهداً لهم بمضمونه، ومزيلة لشك الشاك المريب وظنونه، ومضمون ما كتب لهيئته وسطوره[١].

نسخة كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه[٢] لتميم الداري وأخويه في سنة تسع من الهجرة

---

(١) ذكر المؤلف القصة ووافقه ابن الحنبلي في كتابه (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٨٢/٢) حيث ذكر أنه شاهده أيضاً وأضاف أن الكتاب لا زال في أيدي أحفاد تميم الداري وهم تشيفيدون منه حتى عصر المؤلف.

(٢) في كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٠٠ــ ١٠١) ذكر المؤلف معتمداً على العديد من المصادر أنه الداريون وفدوا على النبي (ص) مرتين قبل الهجرة وبعدها فكتب لهم كتاباً بذلك في أول مرة ثم عاد فجدده وبصيغته قريبة من الأولى مع اتفاق واختلاف في إحدى الروايات بأسماء الشهود.

بعد منصرفه من غزوة تبوك في قطعة ادم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه نسخته لهيئته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم

الداري وأخويه حبرون والمرطوم

وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن [١٢٩]

نطيه بت بذمتهم ونفذت وسلمت ذلك

لهم ولأعقابهم فمن آذاهم آذاه

اللّه فمن آذاهم لعنه اللّه، شهد عتيق

ابن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

وكتب علي بن بوطالب وشهد.

هذه نسخة الكتاب الشريف وأبو قحافة ألف وباء وواو ثم قحافة وبوطالب باء وواو ثم طالب، وليس في بو ألف بين ذلك ليعرف.

وكتب في ذكر علي رضي الله عنه مقدمه وشهد مؤخره بين ذلك أيضاً ليعرف، وقد رأيت ذلك كله بعيني ومن خط المستضيء نقلت وهو خطه المعروف المألوف، وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشك فيها ولا أرتاب، وقرأنه من الكتاب النبوي نفسه وهو موافق لما كتبه المستضيء[1] نقلاً منه على أن آثاره كادت تتعفى وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتتخفى، وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالي في الحرم الخليلي الملاصق لقبر زوج يعقوب عليه السلام منه إلى المأذنة يحصره مخزن العدس، وقد كنت رأيت ذلك مرة متقدمة بالحصن سكن بني الخليلي بظاهر البلد لما أتيت زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصري في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ولكني إذ ذاك لم أنقله [١٣٠].

قبر يونس بن متى

قبر يونس بن متى عليه السلام بقربه جلحول على يسار الذاهب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام، ويعرج الزائر إليه وعليه بناء قبة وله خادم زرته مرات وآخر عهدي به في ذي

---

(١) هو أبو محمد الحسن بن يوسف (المستنجد باللّه) بن محمد (المقتفي لأمر اللّه) العباسي تولى الخلافة من أبيه عام ٥٦٦هـ. واستمر حتى مات عام ٥٧٥هـ وكانت خلافته تسع سنين ومات عن خمس وأربعين سنة. وكان كثير المعروف والحلم. (المقنع: ٥٣).

الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وكتبت على جدار القبة بيتين خطرا لي في ذلك الوقت وهما:

....[1]

....

قبر موسى بن عمران

قبر موسى بن عمران عليه السلام بالقرب من أريحا وتعرف القرية بشيخان[2]، رأيت بخط علاء الدين ابن الكلاس ما صورته: قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللّه بن يونس الأرموي عن والده قال: زرت قبر موسى عليه الصلاة والسلام الذي بالقرب من أريحا.

قال الشيخ إبراهيم: وكان إذ ذاك لم تبن عليه قبة ولا مشهد، قال: فقلت في نفسي: اللهمَّ أرني ما أزداد به يقيناً في صحة هذا القبر، قال: فبينا أنا نائم رأيت كأن القبر انشقَّ وخرج منه إنسان طوال قال: فجئت إليه وسلمت عليه وقلت له: من أنت؟ قال موسى بن عمران، وهذا قبري وأشار إليه، ثم قعدنا وإذا بالقرب منا رجل يطبخ في قدره، فلما استوى طعامه، احضره إلينا وإذا هو شورباه أرز، فأكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق وأنا ثلاث ملاعق والرجل ثلاثاً، ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت.

قال الشيخ عبد اللّه: وكتب عليَّ عزم العود إلى بلاد العجم إلى عند شيخي، فقال لي موسى عليه السلام: أنت [١٣١] لا تسافر إلى شيخك، وكيف تسافر وأنت تريد تتزوج بامرأة من نسل الرسول وترزق منها أربعة أولاد. وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة وضم الإبهام إلى باطن كفه يحكيه.

قال الشيخ إبراهيم: فكان كما ذكر موسى عليه السلام لم يسافر والدي وتزوج بامرأة شريفة وهي أمي ورزق أربعة أولاد أنا أحدهم، ولما حضرته الوفاة قلت له: يا سيدي أنت راضٍ عني؟ فقال: كيف لا أرضى عنك وقد بشرني بك موسى عليه السلام [١٣٢].

مسجد دمشق

مسجد دمشق مسجد عظيم قديم لا يعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بنائه، فتح المسلمون الشام وهو كنيسة لأهل دمشق يتعبد فيها زمن الروم، وقد كان قبلهم معبداً لأمم

---

(١) بياض في الأصل. يبدو أن المؤلف قد أغفلهما.

(٢) قيل إن شيحان جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس وهو الذي أشرف منه موسى عليه السلام... (معجم البلدان: ٣/٣٧٩).

مختلفة وتزعم الكلدانية أنه من بنائهم وأنهم بنوه فيما بنوا من الهياكل السبعة التي اتخذوها للكواكب السبعة، جعلوه بيتاً للمشتري قالوا: ولهذا استمر التعبد فيه، إذ كان المشتري طالع الديانات والتأله. هذا ما زعموه.

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دحيهم: حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود وما كان من حد الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد.

وقال الوليد بن مسلم: لما أمر الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش فأتوا به الوليد، فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه فدلَّ على وهب بن منبه فأقدمه عليه فأخبره بموضع ذلك اللوح.

ويقال: ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام، فلما نظر إليه وهب حرك رأسه ثم قرأه فإذا هو[1]:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

ابن آدم لو نظرت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، وإنما تلقى ندمك لو قد زلَّت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب وودعتك القريب، ثم صرت تدعى فلا تجيب، فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحل بك أجلك وتنتزع منك روحك، فلا ينفعك مال جمعته ولا ولد ولدته ولا أخ تركته ثم تصير إلى برزخ المنوي ومجاورة الموتى، فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الضعف، والصحة قبل السقم، قبل أن يؤخذ بالكُظْم ويحال بينك وبين العمل.

وكتب في زمان سليمان داود عليه السلام.

ولما فتح المسلمون دمشق على ما يأتي ذكره إن شاء اللّه تعالى دخل أمير الجيش أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بالأمان من [١٣٣] غرب البلد، ودخل خالد بن الوليد بالسيف من شرقه، فكانت دمشق نصفين والكنيسة كذلك، فاتخذوا منها النصف الشرقي المفتوح عنوة مسجداً يصلون فيه ويصلي النصارى في النصف الآخر، فتأذى المسلمون بمجاورة النصارى لهم في مكان تعبدهم وكرهوا قرع النواقيس بإزائهم، واشتد ذلك على الوليد بن عبد الملك وكان

---

(١) ذكر القصة ونص الكتاب المسعودي في (مروج الذهب: ١٦٦/٣).

(٢) انظر (الكامل: ٢٩٤/٢) لابن الأثير وفيه قصة الفتح.

مُغْزّي في سلطانه بعمارة المساجد وبناء المعابد، فأعطى رجلاً ديته حتى أتى القسطنطينية ودخل في زي النصارى كنيستها العظمى يوم الأحد والملك فيها فمن دونه فلبث حتى رأى أن جمعهم قد استكمل، ثم قام فأذن فأخذ وأحضر لدى الملك، وقد جلس إلى جانبه البطريك واستدارت بهما القسوس والشمامسة، فقال له الملك: من أنت؟ وما حملك على ما صنعت؟ فقال: أما أنا فرجل من المسلمين من أهل دمشق، وأما ما حملني على ما صنعت فأنشدك اللّٰه أيها الملك هل ساءك ما فعلت وكرهته أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ونحن في معبد في شطره النصارى نسمع نواقيسهم ونُسار بمحاورتهم، فأراد أمير المؤمنين أن يعرفك أننا نساء بذلك كما ساءكم ما فعلت، فخلى عنه[1] وكانوا قد هموا بقتله، ثم قال له: صالحونا على عوض فصولحوا عنه بنصف كنيسة مريم، وكانت شطرين ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بنائه وتحصين فنائه أبقى منه ما أبقى وجدد ما جدد.

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرىء حدثني أبي عن أبيه المغيرة أنه دخل يوماً على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموماً، فقال: يا أمير المؤمنين ما سبيلك؟ فقال: يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد، وقد بعثت إلى هؤلاء لندخل كنيستهم في المسجد، فأبوا وقد أقطعتهم قطائع كبيرة، وبذلت لهم مالاً فامتنعوا، قال: لا تغتم يا أمير المؤمنين قد دخل خالد من الباب الشرقي بالسيف، ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان فما سمهم أي موضع بلغ السيف؟ فإن يكن لنا فيه حق أخذناه، قال: فرجت عني فتولَّ أنت هذا [١٣٤] فتولاه فبلغت المسحة إلى سوق الريحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع، وكسر بالقاسمي فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد، فبعث إليهم، فقال: هذا حق قد جعله اللّٰه لنا لم يصل المسلمون في غضب ولا ظلم بل نأخذ حقنا، قالوا: قد أقطعتنا أربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضل بذلك علينا فافعل، فتمنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه، فأعطاهم كنيسة حميد بن درة وكنيسة أخرى عند سوق الجن وكنيسة مريم وكنيسة المصلبة، ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة، فقال بعض الأقساء للوليد والفأس على كتفه وعليه قباء سفرجلي، وقد شد قباه: أني أخاف عليك من الشاهد، قال: ويلك إني ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد، ثم إنه صعد، فأول من وضع فأسه في هدمها الوليد بن عبد الملك وكبَّر الناس.

وقال يعقوب الفسوي: سألت هشام بن عمار عن هدم الكنيسة، فقال: كان الوليد قال

---

(١) ويروى أن مثل هذه القصة جرت مع معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه.

للنصارى: ما شئتم إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة، فأنا أهدم كنيسة توما وكانت أكبرهما، قال: فرضوا أن هدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد، وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يصلى فيه قال: وهدم الكنيسة في أول خلافته، وكانوا في بنيانه تسع سنين ولم يتم بناؤه.

وقال يزيد بن أبي مالك: أرسل إليَّ الوليد حين أراد أن تنقض الكنيسة فأتاه النصارى، فقالوا: كنيستنا لا نهدمها قال: فإني أتركها وأهدم كنيسة توما، لأنها لم تكن في العهد، فلما رأوا ذلك قالوا: فإنا نتركها لكم وتدع لنا كنيسة توما، فصعد الوليد وصعدنا معه، فكان أول من ضرب بفأس في هدمها، قال: وأراد أن يبني المسجد أسطوانات إلى الطاقات، فدخل بعض البنّآئين، فقال: لا ينبغي أن يبنى هكذا ولكن ينبغي أن يبنى فيه قناطر وتعقد أركانها، ثم يجعل أسطانين وتجعل عمداً وتعقد فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمد البنا، ويجعل بين كل عمودين ركناً، قال: فبني كذلك.

وقال: إبراهيم بن هشام الغساني: [١٣٥] حدثني أبي عن يحيى بن يحيى قال: لما همّ بهدم كنيسة مرتحنا ليزيدها في المسجد يعني الوليد صعد منارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات، وفيها راهب يأوي في صومعة فأحذره من الصومعة، فأكثر الراهب كلامه، فلم تزل يد الوليد تدق في قفاه حتى أحدره من المنارة، ثم هم بهدم الكنيسة، فقال له جماعة من نجاري النصارى ما تخسر على هدمها؟ فقال: أتخافون، هات المعول يا غلام، ثم أتي بسلم، فنصبه على محراب المذبح، وصعد فضرب بيده حتى أثر فيه أثراً كبيراً، ثم صعد المسلمون فهدموه وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة الكنيسة التي **بحمام** القاسم حذاء، دار أم البنين في الفراديس.

قال يحيى بن يحيى: أنا رأيت الوليد فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

وروى الوليد بن مسلم عن أبي جابر وغيره، قالوا: لما كان الوليد وأراد بناء المسجد، فقال: إنا نريد أن نزيد في مسجدنا كنيستكم هذه، ونعطيكم عوضها حيث شئتم، وإن شئتم أعطيتكم ثمنها وأضعِف لكم الثمن، فأبوا ذلك وقالوا: لنا ذمة وعهد والله إنا لنجد ما يهدمها أحد إلا جنّ، قال: فأنا أول من يهدمها، فقام وعليه قباء أصفر فضرب وهدم الناس معه.

قال: أحمد بن المعلى فأخبرني شيبة بن الوليد قال: حدثني أبي قال: كنت أمر بعبد الرحمن بن عامر **اليحصبي** وهو شيخ كبير أزرق وهو جالس بالروضة فيقول لي: ألا تأتي حتى أكتب لك ارتجاز جدك وهو يضرب بالفأس في الكنيسة، قالوا: إنه لا يهدمها أحد إلا جنّ، فقام جدك يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد وأمره الوليد أن يتخذ فاساً صغيرة ففعل، ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد حتى علا الكنيسة، ثم التفت إلى يزيد بن تميم، فقال: أين الفأس؟

فأتاه به، فقال: إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يجنّ وأنا أول [١٣٦] من يجنّ في اللّه وأخذ برقبة قبائه، فوضعها في منطقته ثم أخذ الفأس فضرب به ضربات، ثم ناوله جدك فضرب به بعده وتناول الفأس كل من حضر وصاح النصارى على الدرج وولولوا، فالتفت إلى يزيد بن تميم وهو على خراجه، فقال: ابعث إلى اليهود حتى تأتوا على هدمها، ففعل فجاء اليهود فهدموها.

قال ابن المعلى: وأخبرني همام بن محمد بن عبد الباقي قال: حدثني أبي قال: حدثني أبي قال: حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد اللّه بن عبد الملك بن مروان قال: لما أراد الوليد بناء مسجد احتاج إلى الصناع فكتب إلى الطاغية[1] أن وَجه إليَّ بمائتي صانع من صناع الروم، فإني أريد أن أبني مسجداً، وإن لم تفعل غَزوتُك بالجيوش، وخرجتُ الكنائس وفعلت فكتب إليه لئن كان أبوك فهمها فاغفل عنها، إنها لوَصْمةٌ عليه، ولئن كنت فهمتها وَغُيِّبَتْ عن أبيك إنها لوصمة عليك، وأنا موجه إليك ما سألت، فأراد أن يعمل لها جواباً فجلس عقلاء الرجال يذكرونه، فقال الفرزدق: أنا أجيبه، قال اللّه تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ فَسَرِّيَ عنهم.

وعن **خالد** بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه قال: كتب ملك الروم إلى الوليد إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقاً فقد خالفت أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك، فلم يجبه أحد، فوثب الفرزدق فقال: أنا أبو فراس ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ﴾، قال: فكتب به الوليد إلى ملك الروم.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملاّس حدثني أبي عن أبيه عن جده قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلت وتمت وقعت. فشق ذلك عليه، فأتاه بنّاءٌ فقال: أنا أتولى بناءها على أن لا يدخل أحد معي في بنائها، ففعل فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء ثم بناها، فلما استقلت على وجه الأرض غطاها بالحصر وهرب، فأقام الوليد يطلبه ولا يقدر، فلما كان بعد سنة قدم فقال له: ما دعاك إلى الهرب؟ قال: تخرج حتى أريك، فأتوا فكشف [١٣٧] عن الحصر فوجد البنيان قد انحطّ حتى صار مع وجه الأرض، فقال: مِنْ هذا كنت تؤتى ثم بناها حتى قامت.

وقال عمر بن الدرفس الغساني: رأيت قبة مسجد دمشق وقد حفر لأركانها حتى بلغوا الماء، وألقي على الماء جران الكروم وبني الأساس عليه.

وقال إبراهيم بن أبي حوشب: كان جدي أحد قومة المسجد في بنائه، فحدثت أن الوليد

---

(١) أي ملك الروم.

بعث إليه عند فراغه من القبة ولم يبق إلا عقد رأسها، فقال: إني عزمت على أن أعقدها بالذهب، قال: يا أمير المؤمنين اختلطت؟ هذا شيء [لا] يقدر، فقال: يا ما جن تقول لي هذا، وأمر به فضرب خمسين سوطاً، ثم قال: اذهب، فافعل ما أمرت به، قال: فذكر لي أنه عمل لبنة من ذهب فحملها إليه، فلما رأها وعرف ما فيها قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً.

وقال أبو بكر أحمد بن البرامي: ثنا أبي سمعت بعض شيوخنا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد قيل له: اتعبت الناس في طينه كل سنة، فأمر أن يسقف بالرصاص من كل بلد فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً، فكتب إليه بعض عماله وجدنا عند امرأة منه شيئاً فأبت أن تبيعه إلا وزناً بوزن، فكتب إليه خذه بما أرادت، فأخذه منها وزناً بوزن، فلما وفاها قالت: هو مني هدية للمسجد، وقالت: أنا ظننت أن صاحبكم يظلم الناس، وقيل كانت يهودية.

وقال الوليد بن مسلم: لما أراد الوليد بناء المسجد كان سليمان بن عبد الملك على الصناع.

وروى محمد بن عائذ عن شيخه قالوا: ما تم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة. لقد كان يفضل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه في الخزانة.

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام: سمعت أبي يقول: ما في مسجد دمشق من الرخام شيء إلا رخامتا المقام الغربي، فإنه يقال إنهما من عرش سبأ، وأما الباقي فكله مرمر.

المقام: هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما [١٣٨] السماقي البراق لا يدرى ما قيمتهما.

قلت: قوله في ذلك مردود، فقد أجمعت الحكماء على أن الرخام مواد بيض، فأما الملون فكله حجار، وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقر مئتين من الإبل وإن كان اللوحان[١] رخاماً بزعمه ففيه من أنواع الملون كالعرابي والمنقط والمشحم والأخضر والسماقي غير اللوحين شيء كثير، والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام، وقد استجد شيء كثير منه في الحائط الشامي، جدده الظاهر بيبرس واستجد بعد ذلك كثير.

وقوله المقام الغربي إشارة إلى محراب مقصورة الخطابة، فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي في ذلك الوقت إلا هذا المحراب، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة.

---

(١) في نسخة أخرى: الثاني.

قال دُحَيْم: وحدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح عن أبيه قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم.

وقال أبو تقي هشام بن عبد الملك حدثنا بن الوليد بن مسلم قال: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وظهر من تزويقه وبنائه وعظم مؤنته، تكلم الناس وقالوا: مَحَقَ بيوت الأموال في نقش الخشب وتزويق الحيطان، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: قد بلغني مقالتكم وليس الأمر على ما ظننتم ألا وإني أمرت بإحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة.

وقال الوليد بن عمر بن مهاجر قال: حسبوا أنه أنفق على المكرمة التي قبلي مسجد دمشق وكانت سبعين ألف دينار.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن **لهيعة** السكسكي قال: ذكر أن الوليد بن عبد الملك **حين** بنى مسجد دمشق **مر برجل** يعمل في المسجد وهو **يبكي** فقال: ما قصتك؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت رجلاً جمالاً **فلقيني** يوماً رجل فقال: أتحملني إلى مكان كذا وكذا؟، وذكر موضعاً في البرية فقلت: نعم، فلما حملته وسرنا بعض الطريق التفت إليّ فقال لي: إن بلغنا الموضع الذي ذكرته لك وأنا حيٌّ أغنيتك، وإن متّ قبل بلوغي إليه فاحمل جثتي إلى الموضع الذي أصف لك **فإن** ثَمَّ قصراً **خراباً**، فإذا بلغته فامكث إلى ضحوة النهار ثم عد سبع شرفات من القصر واحفر تحت ظل السابعة منها على قدر قامة ستظهر لك بلاطة فاقلعها فإنك سترى تحتها مغارة فادخلها فإنك ترى في المغارة سريرين على أحدهما رجل ميت فاجعلني على السرير الآخر ومُدنِّي عليه وحمل ما معك مالاً من المغارة وارجع إلى بلدك، فمات الرجل في الطريق ففعلت ما أمرني به، وكان معي أربعة جمالٍ وحمارة **فأوسقتها** كلها مالاً من المغارة وسرت بعض الطريق وكانت معي مخلاة نسيت أن أملأها وداخلني الشَّرَهُ فرجعت بها وتركت الجمال والحمارة في الطريق، فلم أجد المكان وعدت فلم أجد الدواب فبقيت أدور أياماً فلما يئست رجعت إلى دمشق فلم أحصل واضطرني الأمر إلى ما ترى أعمل في التراب كل يوم بدرهم وكلما ذكرت حالي لم أملك نفسي أن أبكي، فقال له الوليد: لم يقسم اللّه لك من تلك الأموال شيئاً وإليّ صارت فبنيت بها هذا المسجد، ثم وهبه شيئاً.

وقال أبو قصي القدري: وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق، فكان أربعمائة صندوق، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وبلغ الوليد أنهم تكلموا فقال: يا أهل دمشق إني رأيتكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس.

وقال خالد بن تبوك: اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن **يزيد** بن معاويه بألف وخمسمائة دينار.

وقال: أحمد بن إبراهيم الغساني: ثنا أبي عن أبيه عن زيد بن واقدٍ قال: وكلني الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة، فعرفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافى والشموع تزهر بين يديه، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة، وإذا فيها صندوق فإذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا فأمر به الوليد، فرد إلى المكان وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة، [١٣٩] فجعل عليه عموداً مسقط الرأس.

وقال ابن البرامي: سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول: لما كان في أيام الوليد وبنائه المسجد، احتفروا فيه فوجدوا باباً مغلقاً، فأتى الوليد ففتح بين يديه فإذا مغارة فيها تمثال رجل على فرس في يده الواحدة الدرة التي كانت في المحراب، ويده الأخرى مقبوضة، فأمر بها فكسرت فإذا فيها حبتان حبة قمح وحبة شعير، فسأل عن ذلك فقيل له: لو تركت الكف لم يُسوس في هذه المدينة قمح ولا شعير.

قلت: وحكى لي شيخنا أبو عبد اللّه محمد بن أسد النجار الحراني الكاتب المجود، وكان يباشر به بعض العماير أنه فتح في حضرته الشرقية المعروفة بتحت الساعات لكشف قنى الماء، فإذا تحت المسجد أقباء معقودة وعمد منصوبة يفرق بينها عضائد محكمة وقد أحكم بناؤها وشدت في سلاسل الأساس معاقدها **قد** الصفاح والعمد والبناء الذي ما هو في قدرة أحد، قال: ودخلناها وجلنا في جوانبها.

[الكنيسة وما يحيط بها]

وحكى لي المعلم علي بن محمد بن التقي المهندس قال: حدثني أبي عن أبيه قال: كان لهذه الكنيسة رواق يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة في كل جهة باب، فالشرقي باب جيرون، وكان الباب الغربي تلقاه وراء المسرون به ما بين العصرونية[1] وبينها، وبقي إلى زمن العادل أبي بكر ففكه لما عمّر القلعة ونقل حجارته وعمده إليها، قال: وكان في هذا الرواق قلالي وصوامع.

---

(١) لعله يقصد المدرسة العصرونية كانت في محلة حجر الذهب [العصرونية اليوم] شرق القلعة وغربي الجامع الأموي من إنشاء الإمام شرف الدين محمد بن أبي عصرون الدمشقي في عام ٥٧٥ـ أبان العهد الأيوبي وتوفي عام ٥٨٥ ودفن بها (معجم دمشق التاريخي: ١٩٩/٢).

قلت: ومن آخر ما نقض منها الباب وما يجاوره برأس القباقب مما يلي عقبة **الكتان**[1] وبنى منه منارة الجامع الشرقية بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعمائة، وتأخر من حجارته بقايا اشتريت لعمارة الجامع **اليلبغاري** جوار بردا سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وثم بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم موجود بين المدرسة النووية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام، [١٤٠].

[تعويض عمر بن عبد العزيز نصارى الشام عوض كنيسة]

وقال ابن المعلى: أخبرني أبي العباس ثنا ضمرة عن علي بن أبي حَملة قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت النصارى: يا أمير المؤمنين قد علمت حال كنيستنا، قال: إنها صارت إلى ما ترون، فعوضهم كنيسة من كنائس دمشق لم تكن في صلحهم يقال لها كنيسة توما.

قال ابن المعلى: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم فكلمهم ورفع لهم في الثمن حتى بلغ مائة ألف، فأبوا، فكتب إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيستهم إلا أن ترضيهم فأعظم الناس ذلك وفيهم بقية من أهل الفقه، فشاورهم محمد بن سويد مستولي دمشق، فقالوا هذا أمر عظيم ندمع إليهم مسجدنا وقد أذنّا فيه بالصلاة وجمعنا فيه يهدم ويعاد كنيسة، فقال رجل منهم: ههنا خصلة لهم كنائس عظام حول المدينة **ديرمران** وباب توما والراهب وغيرها إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم ولا يبقى حول دمشق كنيسة إلا هدمت وإن شاؤوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلاً، ثم عرضوا عليهم ذلك فقالوا: انظرونا ننظر في أمرنا فتركهم **ثلاثاً**، فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضت علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجل هو لنا بأمان على ماضي الغوطة، فكتب إلى عمر فسره ذلك وسجل لهم كنائسهم أنهم آمنون أن تخرب أو تسكن وأشهد لهم شهوداً بذلك.

[نية عمر بن عبد العزيز بالتعديل في مسجد دمشق]

وقال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد بن محمد بن مهاجر سمعت أخي عمراً قال: سمعت عمر بن عبد العزيز وذكر مسجد دمشق فقال: رأيت أموالاً انفقت في غير حقها فأنا مستدرك ما استدركت منها، فراده في بيت المال أعمد إلى ذلك الفسيفساء والرخام فاقلعه وأطينه وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالاً وانزع تلك البطائن وأتبع جميع ذلك، فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد

---

(١) قيل عنها: محلة كانت في حي العمارة إلى الشمال والجنوب من باب القراديسي، (المرجع السابق: ٢/٨٤).

(٢) انظر ما كتب عن ذلك في (المرجع السابق: ٢/٢٠٧).

[١٤١] عليهم، فخرج إليه أشرافهم فيهم خالد القسري، فقال لهم: ائذنوا لي حتى أكون أنا المتكلم، فأذنوا له، فلما أتو دير سمعان استأذنوا على عمر ثم قال له خالد: بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا، قال: نعم، قال: واللّه ما لك ذلك، فقال عمر: لمن هو **لأمتك** الكافرة، وكانت نصرانية أم ولد، فقال: إن كانت كافرة فقد ولدت مؤمناً، فاستحى عمر وقال: صدقت فما قولك ما ذاك لي؟ قال: لأنا كنا معشر أهل الشام وإخواننا من أهل مصر والعراق نغزو فنعرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيراً بالصغير من فسيفساء وذراعاً في ذراع من رخام فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجر على ما حملوه إلى دمشق، ويحمل أهل حمص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق، ويحمل أهل الشام ومن ورآهم حصتهم إلى دمشق، فذاك قولي ما ذاك لك، فسكن عمر.

ثم جاءه بريد من والي مصر يخبره أن قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين، فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشرة من المسلمين يحسنون الرومية ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا إلى كلامهم، فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد، فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد، فأذن لهم فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبلة، فكان أول ما استقبلوا المقام، ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة فخرّ رئيسهم مغشياً عليه، فحمل إلى منزله فأقام ما شاء اللّه أن يقيم ثم أفاق فقال له أصحابه بالرومية: ما قصتك وما الذي عرض لك؟ قال: كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل، فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلغونها، فلذلك أصابني ما أصابني، فلما قدموا على عمر أخبروه، فقال: لا أرى مسجد دمشق إلا غيظاً على الكفار، فترك ما كان همّ به من أمره. [١٤٢].

[قصة عمر بن عبد العزيز مع وفد رومي حول المسجد]

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام ثنا أبي عن أبيه عن جده قال: أراد عمر بن عبد العزيز أن يجرد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب، وقال: إنه يشغل عن الصلاة، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه أنفق عليه فيء المسلمين وأعطياتهم وليس يجتمع منه شيء ينتفع به، فأراد أن يبيضه بالجص، فقيل له: تذهب النفقات فيه، فأراد أن يستره بالخزف، فقيل له: ضاهيت الكعبة فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم فاستأذنوا في دخوله، فأذن لهم وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال: احفظوا ما يقولون، فلما وقفوا تحت القبة قال رئيسهم: كم للإسلام؟ قالوا: مائة سنة، قال: فكيف تصغرون أمرهم؟ ما بني هذا البنيان إلا ملك عظيم، وأتى الرسول عمر فأخبره فقال: أما إذ غائظ العدو فدعه.

[سبق بني أمية للعباسيين]

وقال: أحمد بن إبراهيم بن قلاس ثنا أبي عن أبيه قال: لما قدم المهدي يريد بيت المقدس ومعه أبو عبيد اللَّه الأشعري كاتبه فقال: يا أبا عبيد اللَّه سبقنا بنو أمية بثلاث: بهذا البيت لا أعلم على الأرض مثله، وبنبل الموالي، وبعمر بن عبد العزيز لا يكون واللَّه فينا مثله أبداً، فلما أتي بيت المقدس ودخل الصخرة قال: يا أبا عبيد اللَّه هذه رابعة.

[إعجاب المأمون بمسجد دمشق]

قال أحمد وثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم ويحيى بن أكثم قال: ما أعجب ما في هذا المسجد؟ قال المعتصم: دهنه وبقاوه فإنا ندعه في قصورنا فلا تمضي عليه عشرون سنة حتى يتغير، قال: مالك أعجبني منه] فقال يحيى بن أكثم: تأليف رخامه فإني رأيت فيه عقداً ما رأيت مثلها، قال: ما ذاك أعجبني، قالا: فما هو؟ قال: بنيانه على غير مثال متقدم.

[عجائب الدنيا الخمس كما يراه الشافعي رضي الله عنه]

وقال الشافعي: عجائب الدنيا خمس: منارة ذي القرنين، والثانية أصحاب الرقيم بالروم، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ، وجاء أهله إليها يرون صاحبهم [١٤٣] من مسافة مائة فرسخ، الرابعة مسجد دمشق، والخامس الرخام والفسيفساء فإنه لا يدرى له موضع، قلت: كذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر.

[التمييز بين الفسيفساء بأنواعه]

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهَّب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ومن هذا النوع المسحور، وأما المكون بمعجون، وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صنادق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة، وعمل منه قبله للجامع التنكزي ما على المحراب، غير أنه لا يجيء تماماً مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر، والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعة متناسقة على مقدار واحد، والجديد قطعة مختلفة، وبهذا يعرف الجديد والقديم.

[مدى حسن مسجد دمشق]

وروى الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان قال: ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدها.

[القلة في مسجد دمشق]

وروى أحمد بن البراقي بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال: سمعت الأعراب وهم يدورون المسجد يقولون: لا صلاة بعد القليلة، فقيل له: رأيت القليلة؟ قال: نعم وهي تضيء مثل السراج، قلت: من أخذها؟ قال: أما سمعت المثل منصور سرق القلة وسليمان شرب المرة. منصور الأمير وسليمان صاحب الشرطة يعني صاحب شرطته، وذلك أن الأمير كان يحب البلور فكتب إلى صاحب شرطة متولي دمشق أن ينفذ إليه القليلة، فسرقها ليلاً وبعث بها إليه، فلما قتل الأمين رد المأمون القليلة إلى دمشق ليشنع بها على الأمين، وكانت في محراب الصحابة، فلما ذهبت جعل موضعها برنية زجاج رأيتها ثم انكسرت، فلم يجعل مكانها شيء.

[ستر مسجد دمشق باللبود]

وقال علي بن أبي حجلة: كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود خشنة فدخلته الريح فهزته فثار الناس فخرقوا اللبود.

قلت: وأما بناؤه فهو وثيق البناء أنيق البهاء قد بني بالحجر والكلس إلى منتهى حوائطه وشرف بالشراريف في أعاليه واتخذت له ثلاثة منابر، اثنان في ضاحي قبلته شرقاً وغرباً، والثالثة في شامة وتعرف بالعروس، ويدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أصول، اثنان مستجدان فالأصول باب الزيادة وهو في حائطه القبلي، وباب الساعات وهو في حائطه الشرقي تفضي إلى حضرة الساعات المعمولة الأوقات تدار بالماء وتعلق بها أبواب الساعات، وتجاهه في الحائط الغربي باب البريد وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكراً من ذكرى حبيب ومنزل»[1] للرفاق وهو حضرة فسيحة في جانبها حوانيت للفواكه والشمع والعطر وللشراب وأطايب المأكول وبها القني من المياه الجارية توقد عليها المصابيح بالليل فيموه الماء ذهب شعاعها وتطرب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها.

والرابع باب النطافين، وهو في حائطه الشمالي يلاصقه الخانقاه الشميساطية ويقاربها الأندلسية.

أما البابان المستجدان فهما الباب [١٤٤] النافذ إلى الكلاسة والباب النافذ إلى الكاملية وهما جناحا باب النطافين[2] والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطافين قد فصصت حوائطه

---

(١) يشير إلى شهرة قول امرىء القيس:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) ويدعى باب السلسلة وباب الكلاسة وباب العمارة وهو الباب الشمالي للمسجد الأموي. (معجم دمشق التاريخي: ٢٥/١).

بالفسيفساء الرومي المذهب والملون بغرائب الأشجار والصباغة ويدور به رواق قد أزرت جدره وسواريه بالرخام الملون وعقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر، وجعل على قنطرة منها طاقات صغار يفصل بين كل اثنين منها عمود رخام أو سارية، وفي قبلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر قد عقدت على المحراب الكبير الذي يصلّي به خطيب الجامع وعامة الناس، ومقصوره الخطابة وبها المنبر وأمامه سدة الأذان، وإلى جانبه الأيسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

[محراب الصحابة]

وفي شرقي هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة، وهو محراب المسلمين الأول وبه تصلّي المالكية الآن.

[محراب اللازوردة]

وغرب المحراب الكبير محراب يعرف باللازوردة يصلّي به الحنفية جوار دار الخطابة، ثم يليه باب الزيادة ويليه من الغرب محراب تصلّي به الحنابلة.

[حسن هندسة المحاريب والقبة]

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذن، وقد وقف في كل محراب منها وقف على مدرس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة، كل طائفة في محرابها، وكل أروقته بالعمد والعضائض عليها طاقات القناطر المعقودة بعضها على بعض وقد أزرت جدر هذه الأروقة بالرخام الأبيض والمجزع والأحمر المنقط والأخضر المرشوش والأسواد الغرابي والأبقع والمعجون الأزرق.

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسر القبلي والشامي فمن الرخام إلى أعلى الجدر والأركان معمول بالفسيفساء مسقوف بالبطائن المعمولة بالذهب.

[مشاهد على أسماء الخلفاء الراشدين]

وقد جعل في أركان المسجد الأربعة أربعة مشاهد اتخذت على أسماء الصحابة الأربعة، فالشرقي بقبلة على اسم أبي بكر وبه عدة خزائن كتب وقف، وشامية مشهد على اسم علي، والغربي بقبلة مشهد على اسم عمر ويعرف الآن بمشهد عروة، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يسمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف، وشامية مشهد على اسم عثمان وبه يصلّي نائب السلطان في شباكه والحاكم الشافعي إلى جانبه وبهذا الشباك يحكم الحاكم بعد الصلاة كأنه كرسي ملك له، وبهذا المشهد تعقد مجالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل القضايا

المعضلة التي لا ينفرد بها حاكم فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم.

[مشهد السجن]

وداخل مشهد علي مشهد لطيف يعرف بالسجن، يقال إنه سجن به زين العابدين حين أقدم على يزيد، وجواره في زاوية الرواق الشامي شرقي الباب النافذ إلى الكاملية مقصورة قد جاورتها جماعة من الفقراء [١٤٥] وتعرف بالحلبية، وبها خزانة كتب وقف، وفي كل من ذلك إمام يؤتم به ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ.

وفي هذا المسجد زيادات في شماله اتسع بها فناؤه وتفسحت أرجاؤه منها.

الزاوية الحلبية: المذكورة في أول حده الشمال من الشرق التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن.

والكلاسة وبها إمامان ومؤذنان، وفي شامها **الأشرفية والمدرسة العزيزية** ينفذ إليها، ولكل منهما إمام ومؤذن.

وجوار المدرسة العزيزية **التربة الصلاحية** من غربها هذا إلى عدة أئمة تقوم فيه احتساباً.

[من مزايا المسجد]

وقد فرش المسجد بالمرمر، ومقطعه من جبل المزة، وعمد قائمة بالرخام الملون والمنقوش المذهب، وكذلك عملت عضائده وذُهبت قواعد عمده ورؤوسها وأجري الماء في صحن عقدت عليه قبة في صحنه، وفي صحن في ركن النسر من داخل الرواق وفي جميع مشاهده وزياداته وفي ميضأة اتخذت أسفل المنارة الشرقية منه هذا إلى ما في حضرة باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية، وأسواق قائمة، وسرج تتقد ليلاً كالأنجم، وبيوت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم.

[القبة]

فأما القبة فما لا يجول مثلها في ظن ولا يدور في فكر، قد تعلق أفرقها بالغمام عابثاً، وحلق طائرها إلى أخويه النسرين يبغي أن يكون لهما ثالثاً قد بنيت على قناطر ممتدة على قناطر بعقود محكمة وقطع صخور منظمة إلى سقوف مذهبه ومحاسن موجزة مشهبة وعلى رأس القبة هلال عالٍ في أنبوبة طول الرمح قد علقت هي وكل الأسطحة بالرصاص وحكمت ميازبه وجمع فيه من كل حسن غريبه.

[لماذا سمي باب الساعات]

قال أبو محمد بن زبر القاضي: سمي باب الساعات لأنه عمل هناك بيكار الساعات يعلم بها كل ساعة تمضي عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس، وغراب من نحاس فإذا تمت الساعة خرجت الحية وصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت.

[طلاسم في المسجد]

وكان في الجامع قبل حريقة طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن، ولم يكن يوجد في الجامع شيء من [١٤٦] الحشرات قبل الحريق، فلما احترقت الطلسمات وجدت. ومما كان فيه طلسم للصنونات لا تعشش فيه ولا يدخله غراب، وطلسم للفار، وطلسم للحيات والعقارب، وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفار وفيه طلسم للعنكبوت.

[حريق المسجد عام ٤٦١](١)

وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وكان سببه أن أمير الجيوش بدر الجمالي ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة، فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان وقع القتال بين المشارقة والمغاربة، فضربوا داراً كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرت إلى الجامع، وكانت العامة تعاون المغاربة، فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع فجلَّ الأمر وعظم، فجعلوا يبكون ويتضرعون.

[وصف الحريق عن العماد الكاتب]

ووصف العماد الكاتب هذا الحريق في كتاب فقال: وفي النصف من شعبان هذه السنة احترق جامع دمشق ففجع الإسلام بمصابه، وصلت النار في محرابه، واشتعل رأس القبة شيباً ما شبت وأكلت النار أم الليالي منها ما ربت، وطار النسر بجناح الضرام، وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام، فكأن الجحيم استجارت به، فتمسكت بذيله، وكأن النهار ذكر ناراً عنده فعطف على ليله فواهاً له مسجداً حرقته نفحات أنفاس الساجدين وعلقت فيه لفحات قلوب الواجدين، ثم تداركه الله بالألطاف والإطفاء وأتاه بالشفاء بعد استفاء، وقال حسبه اصطلاء واصطلاماً، وحقق فيه قوله ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾.

وقال ابن العين زربي في الحريق المذكور:

---

(١) عن الحريق وسببه انظر (تاريخ الذهبي حوادث عام ٤٦١) وقد نقل عن ابن الأثير حوادث العام نفسه.

لهف نفسي على دمشق التي كا ... نت جمال الآفاق والأقطار
وعلى ما أصاب جامعها الجا ... مع للمعجبات والآثار
إذ أتته النيران طولاً وعرضاً ... عن يمين من قطرة ويسارِ
ثم مرت على حدائق نخل ... فإذا الحجر موضع الجمّار

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فوارة الماء في سنة تسع وستين وثلاثمائة.

قال: وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحناي: أنشئت الفوارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشرة وأربعمائة، وأمر بجر القصعة من ظاهر حجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريف [١٤٧] فخر الدولة حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني وتحته بخط محمد بن أبي نصر الحميري، وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة من جمال تحاكت بها، فأنشئت كرة أخرى.

قال ابن عساكر ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين وزواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبي: ثم عمل لها الشاذروان في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشر وستمائة، قال: وارتب القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جيرون وفي رتارها الأوسط ست أنابيب صغار تفور حول الفوارة وعليها درابزينات، فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة تلفت هذه القصعة وبنى عوضها هذه البركة الممثمنة.

قلت: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرائفيين وتشعث وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر، وتعلقت شرر النار حتى وصلت إلى دائر المنارة الشرقية وشرعوا في إصلاح ما وهى من ذلك وجدوا غالبها متداعية وحجارتها مفخرة مفطرة، فوقف عليها الحكام وقامت البينة بالضرورة الداعية إلى نقض المنارة وتجديد بنائها فنقضت جدرها الأربعة إلى حد أوتار الرواق القبلي ونقض الجدار القبلي والجدار الشرقي في الأرض، وحفر ما بين الجدران في وسط المنارة عدة قامات، وبني ذلك لبنة واحدة، وبنيت المنارة بنياناً جليلاً لم يبنَ من زمن الوليد أجلَّ منه ولا أوثق.

[مقامة للصفدي في حريق الجامع الأموي]

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفا الصفدي من مقامة انشأها في الحريق المذكور من فصل يتعلق بالجامع.

فسألت الخبر ممن غبر فقال: إن الحريق وقع قريباً من الجامع، وانظر إلى شبح الجو كيف انتشرت فيه عقائق اللهب اللامع، فبادرت إلى صحنه والناس فيه قطعة لحم والقلوب ذائبة بتلك النار كما يذوب [١٤٨] الشحم، ورأيت النار وقد نشرت في حداد الظلام معصفرات ذوابها، وصعدت إلى السماء عذبات ذوابها:

ذوائب لجّت في علوٍّ كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

وعلت في الجو كأنها أعلام مليكه النصر، وكان الواقف في الميدان يراها وهي ترمي بشرر كالقصر، فكم زمر أضحت لذلك الدخان جاثية، وكم نفس كانت في النازعات وهي تتلو ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾، ولم تزل النار تأكل ما يليها، وتغني ما يستغلها ويعتليها إلى أن ارتفعت إلى المنارة الشرقية ولعبت ألسنتها المسودة في أعراض أخشابها النقية، وثارت إليها من الأرض لأخذ الثار، وأصبح صخرها كما قالت الخنساء كأنه علم في رأسه نار، فنكست وكانت للتوحيد شبابة، ولمعبدها المطرب شبابة، وابتلي رأسها من الهدم والنار بشقيقة، وأدار الحريق على دائرها رحيقه.

وبالأرض من حبها صفرةٌ فما تنبت الأرض إلا بهارا

وأصبح باب الساعات وهو من آيات الساعة، وخلت مصاطب الشهود من السنّة والجماعة وعادت الدهشة، وقد آل أمرها إلى الوحشة، وحسنها البديع وقد ثلث النار عرشه، كأن لم أر بها سعيراً ولا شاهدت من بنائها وقماشها جنة وحريراً.

[وصف لابن غانم عن الحريق]

وقال جمال الدين عبد اللّٰه بن غانم من كتاب عن كافل الشام تنكز رحمه اللّٰه إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة: وأضحى فم الفوارة يصاعد خمرات أنفاس، وسوق النحاسين يرسل منه إلى سور الجامع شواظ من نار ونحاس، وأقعد بيت الساعات إلى قيام الساعة، ودخل إلى باب الجامع لكن لغير طاعة، وكاد يصلّي من به يصلي ويقبل على صف العابدين فتولى، واهتزت المأذنة بحمى **نافض**، وتشعث وجه المشهد **الآتكزي** فكأنما أصابته عين الروافض، وترقرت عيون العابدين من الألم، ورق صحن الجامع لمأتم [١٤٩] هداه الساجدين من المأذنة بنار على علم، وما زالت **مراءاة** اللهب حتى خربت المنار، وصف بعد ذلك في صحن الجامع ما فضل عن أكل النار.

قلت: وهذا المسجد معمور بالناس كل النهار وطرفي الليل لأنه ممر المدارس والبيوت والأسواق وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء ومشايخ العلم والإقراء ووجوه أهل التصدير

والإخفاء وطائف الحديث وقراء الأسباع والمجاورين من ذوي الصلاح فلا تزال أوقاته معمورة بالخير آهلة بالعبادة **قلَّ** أن يخلو طرفة عين في ليل أو نهار من مصلٍّ أو جالس في ناحية منه لاعتكاف أو مرتل لقرآن أو رافع عقيرته بأذان أو مكرر في كتاب علم أو سائل عن دين أو باحث في معتقد أو مقرر لمذهب، أو طالب لحل مشكل من سائل ومسؤول ومفتٍ ومستفتٍ، هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنساً لحديث أو مرتقباً لقاء أخ أو متفرجاً في فضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلاً في سمائه هذا إلى فسحة الفضاء وطيب الهواء وبرد رواقاته أوقات الهجير وحسن مرأى ميازيبه أحيان المطر، وفي كل ناحية من وجهها قمر.

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يستقل به إلا ديوان ملك وعليه جلائل الأوقاف، إلا أن الأيدي العادية قد استولت على كثير منه نسبة الأكابر والمناصبات وغير ذلك مما عمل عليه على سبيل النصبات، وقد أضيف إليه وقف المصالح، وقد كان أفرد زمن نور الدين رحمه اللّه وهو لا يجاوز تسعين ألفاً في السنة جعل لها مصاريف أخذ **بحجتها** كل مال المسجد، وغلَّ بالباطل ورتب منه لغير ذوي الاستحقاق وحمل حتى كل مطاه وأخذت حتى قصرت خطاه، وها هو الآن قد اختلت أحواله وأكلت وشربت أمواله، وأصبح نهباً مقسماً، وسواماً صيح في حجراته، وآل حال مباشريه إلى أسوأ الحال وشرّ المآب:

وكـانـوا غـيـاثـاً ثـم أضحـوا رزيـة ... ألا عـظـمـت تـلـك الـرزايـا وجَـلَّـتِ

وقد اتفقت كلمة السفار في الآفاق إلى أنه فرد في محاسنه بديع في نظرانه[1]، [١٥٠].

مقام إبراهيم ببرزة

روي مكحول عن ابن عباس قال: ولد إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة بجبل قاسيون[2].

وعن حسان بن عطية قال: أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله، فأقبل إبراهيم في طلبه في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، فالتقى هو وملك الجبل في صحراء **يعفور** فعبى إبراهيم ميمنة وميسرة وقلباً، وكان أول من عبّى الحرب هكذا فالتقوا فهزمه إبراهيم واستنقذ لوطاً وأهله، فأتى هذا الموضع الذي يبرزه فصلّى فيه.

وروى أحمد بن حميد بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه أن الإشارات التي فوق الشق

---

(١) قالوا: عجائب الدنيا أربع: قنطرة سنجة، ومنارة الإسكندرية، وكنيسة الرها، ومسجد. (معجم البلدان: ٤٦٥/٢).

(٢) ذكر ذلك أيضاً ياقوت في (معجم البلدان: ٣٨٣/١) وقال عنه غلط فقد أجمعوا على أن مولده كان ببابل من أرض العراق.

في الجبل موضع رأى إبراهيم في الجبل عند الشق أنه مكان إبراهيم فمن صلّى فيه ودعا أجابه اللّه، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع من الجبل أدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون، وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّى في موضع الشق لمنام رآه.

وعن أبي الحسين محمد بن عبد اللّه الرازي قال: قال أحمد بن صالح: أدركت الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام وبرزة ويقصدونه ويصلون فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شريف، ويذكرون ذلك عن شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الحبل خارجاً عن المسجد وهو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمرود صاحب دمشق.

وعن عروة بن رويم عن أبيه عن علي: سمعت رسول الله ﷺ، وسأله رجل عن الإشارات بدمشق، فقال: لها جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه وفي شرقيه ولد إبراهيم، وفيه آوى اللّه عيسى ابن مريم وأمه من اليهود، وما من عبد أتى معقل روح اللّه فاغتسل وصلّى فيه ودعا إلا لم يرد خائباً وهو حبل كلمة اللّه والحديث طويل.

وهو موضوع وإنما ذكرته لئلا يغترَّ به، [١٥١].

مغارة الدم(١)

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أبا مسهر عن مغارة الدم، فقال: مغارة الدم موضع الحمرة، موضع الحوائج، يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

وقال محمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد ثنا الوليد: سمعت سعيد بن عبد العزيز حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل اللّه أن يسقينا، فسقانا.

قال مكحول: وخرج معاوية والمسلمون إلى موضع الدم يستسقون، فلم يبرحوا حتى سالت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل ابن آدم نسأل اللّه أن يسقينا، فأتى مطر فأقمنا في الغار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدت مع أبي وجماعة نسأل اللّه سقيا إلى موضع قتل ابن آدم أخاه، فأرسل اللّه علينا مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار فدعونا اللّه فارتفع عنا وقد رويت الأرض.

---

(١) انظر عنها ياقوت في (معجم البلدان: ٢/٤٦٤).

وقال محمد بن يوسف الهروي: سمعت يزيد بن محمد وأبا زرعة وأحمد بن المعلى وسليمان بن أيوب بن حذلم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام بن خالد وأحمد بن أبي الحواري وسليمان بن عبد الرحمن والقاسم بن عثمان الجوعي يقولون: سمعنا الوليد بن مسلم يقول: سمعت ابن عباس يقول: كان أهل دمشق إذا احتبس عنهم القطر وغلا سعرهم أو جار عليهم سلطان، وكانت لأحدهم حاجة صعدوا إلى موضع ابن آدم المقتول، فيسألون اللّٰه فيعطيهم ما سألوا.

قال هشام: ولقد صعدت مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل اللّٰه سقيا، فأرسل اللّٰه علينا مطراً غزيراً حتى أقمنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذكر عند كعب قال: اختبأ إلياس عليه السلام من ملك في الغار الذي تحت الدم عشر سنين حتى أهلك اللّٰه الملك وولى غيره، فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام فأسلم، وأسلم من قومه خلق سوى عشرة آلاف منهم، فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.

مقام عيسى بالربوة(١)

روى هشام بن الوليد عن مسلم قال: حدثني الأوزعي عن حسان بن عطية أن ملكاً من بني إسرائيل حضره الموت وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه، وكان يؤملون أن يدرك ابنه فيملكوه، قال: فمات فجزعوا عليه، فلما خرجوا بجنازته وفيهم عيسى ابن مريم دنا من أمه فقال: أرأيت إن أنا أحييت لك ابنك أتؤمنين بي وتتبعيني؟ قالت: نعم، فدعا اللّٰه فجعلت اكفانه تنحلّ عنه حتى استوى جالساً، فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة، وطلبوه حتى انتهى إلى شعب النيرب، فاعتصم منهم بقلعة على صخرة متعالية، فأتاه إبليس فقال: جئتك وما أعتذر إليك من شيء هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شبر من الأرض صنعوا بك ما صنعوا، فلو ألقيت نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القدس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم، فقال: يا غويّ الطويل الغواية إني واجد فيما علمني ربي عز وجل أني لا أجرب ربي حتى أعلم أراضٍ عني أم ساخط علي، فأقبلت أم الغلام فقالت: يا معشر بني إسرائيل كنتم تبكون وتشقون ثيابكم جزعاً عليه، فلما أحياه اللّٰه لكم أردتم قتله، [١٥٣] قالوا: فما **تأمرينا به**؟ قالت: ائتوه فآمنوا به، فأتوه فقالوا: خصلة بيننا وبينك أن أنت فعلتها اتبعناك قال: وما هي؟ قالوا: تحيي لنا عزيراً قال: دلوني على قبره فنزل عيسى معهم حتى انتهوا به إلى قبره، قال: فتوضأ وصلّى ركعتين ودعا فجعل قبر يتفرج عنه التراب فخرج قد إبياض نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فعلك يا بن مريم؟ فقال: لم أصنع بك هذا

(١) ذكر ذلك ياقوت في (معجم البلدان: ٣/٢٦).

فعل قومك زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أحييك لهم وهذا في هدى قومك يسير. قال: فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتباعه، فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس واللحية فما لنصف رأسك ولحيتك قد أبيض؟ قال: سمعت الصيحة فظننت أنها دعوة الداعية حتى أدركني ملك قال: إنما هي دعوة ابن مريم، فانتهى الشيب إلى ما ترى واختلف أهل التفسير في تعيينها.

وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1]، قال: تدرون أين هي؟ قالوا: اللّٰه ورسوله أعلم، قال: هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة مدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام.

وروي عن ابن عباس قال: الربوة أنهار دمشق.

وكذا قال سعيد بن المسيب ويزيد بن شجرة وقال كعب: أمر اللّٰه تعالى عيسى ابن مريم وأمه أن يسكنا دمشق وهي إرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي أرض ذات أشجار وأنهار يعني أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته: أن بني إسرائيل همت بعيسى فأمره اللّٰه أن ينطلق إلى دمشق.

وقال الحسن: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ ذات معيشة فقوتهم وتحملهم، قال: هي الربوة، هي دمشق.

وقيل الربوة في القرآن هي الرملة.

روي مرفوعاً عن النبي ﷺ وزاد فيه، ولا يزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتي أمر اللّٰه وهم كذلك، قلنا يا رسول الله وأين هم؟ قال: بأكناف بيت المقدس.

عبد الرزاق [١٥٤] في تفسيره عن أبي هريرة قال: الرملة من فلسطين.

ويروى عن قتادة هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر.

ويروى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر وآويناهما إلى ربوة قال: الكوفة، والمعين الفرات وقيل غير ذلك، والراجح عند الأكثرين أنها ربوة دمشق، وهذه الأقوال واهية وإنما ذكرناها للتعجب اقتداء بالحافظ أبي القاسم بن عساكر رحمه اللّٰه.

---

(١) انظر المصدر السابق.

الكهف بقاسيون[1]

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق: أبو الفرج محمد بن عبد اللّه بن المعلم أنه ابتدأ ببناء الكهف سنة سبعين وثلاثمائة قال: وباللّه ربي اعتصم من الكذب وأسأله أن ينطق بالصدق لساني رأيت جبريل عليه السلام في النوم فقال لي: إن اللّه يأمرك أن تبني مسجداً يصلّي فيه ويذكر اسمه وهو هذا، فقلت: وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميته أنا كهف جبريل وقلت: أنّى لي بذلك؟ قال: إن اللّه سيوفق لك من يعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد عمرو بن العاص مسجد عظيم بمدينة الفسطاط، بناه عمرو بن العاص موضع فسطاطه وما جاوره، وموضع فسطاطه منه حيث المحراب والمنبر، وهو مسجد فسيح الأرجاء مفروش بالرخام الأبيض وعمده كلها رخام ووقف عليه نحو ثمانية من الصحابة وصلوا فيه، ولا يخلو من سكنى الصلحاء معمور الأوقات بالذكر ويعقب صلاة الصبح فيه أوقات مشهودة ومواسم خير لا تعد.

وحكى ابن ظافر قال: روي لي أن ابن قلاقس وابن المنجم اجتمعا في منار الجامع في ليلة ظهر بها الهلال للعيون، وبرز في صفحة بحر الليل كالنون ومعهما جماعة من غواة الأدب الذين ينسلون إليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربة وإلى مستقرها جارية ذاهبة قد شمرت للمغرب الذيل واصفرت خوفاً من نجمة الليل، والهلال في حمرة الشفق كحاجب الشائب أو زورق الورق، فاقترحوا عليهما أن يصنعا في ذلك الوقت النزيه على البديهة، فصنع ابن قلاقس:

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة ... وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبقت شعاعاً منه يخلفها ... كأنما احترقت بالماء في الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها ... في إثرها زورق قد صيغ من ورق

وصنع ابن المنجم:

يا ربّ سامية في الجو قمت بها ... أمد طرفي في أرض من الأفق
حيث العشية في التمثيل معركة ... إذا رآها جبان مات للفرق
شمس نهارية للغرب ذاهبة ... بالنيل مصفرة من هجمة الغسق

---

(١) انظر (معجم البلدان: ٤/٢٩٥) وما ذكره عن الكهف أيضاً.

وللهلال انعطاف كالسنان بدا | من سورة الطعن ملقىً في دم الشفق

وحكى علي بن ظافر أيضاً قال: أخبرني ابن المنجم الصواف قال: صعدت إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان فصادفت به ابن قلاقس وابن المنجم في جماعة من الأدباء فأنصعت إليهم فلما غابت الشمس وفاتت ودفنت في المغرب حين ماتت وتطرز حداد الظلام يعلم هلاله وتحلى زنجي الليل بخاله، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا في صفة الحال، فأطرق كل منهما مفكراً، وميز ما قذفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني مخيرة، فلم يكن إلا كرجع الطرف أو وثبة الظرف حتى أنشدا:

وكان ما صنعه نشوء الملك:

وعشي كأنما الأفق فيه | لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت لمغربها الشمـ | ـس ولاح النهار للنظار
أقرض الشرق مبغوه الغرب ديناراً | فأعطى الزمن نصف سوار

وكان الذي صنعه ابن قلاقس: لا تظن الظلام قد أخذ الشمس وأعطى النهار النهار هذا هلالا.

إنما الشرق أقرض الغرب دينا | راً فأعطاه رهنه خلخالاً

قال: وهذا مما هو أردت في معناه الخواطر، وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة أبي الفتوح بن قلاقس لتصنيفه السوار، وعلى كل حال فقد أبدعا ولم يتركا للزيادة في الإحسان موضعاً، [١٥٥].

مسجد قرطبة

مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطولاً وعرضاً، وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة، وعرضه ثمانون باعاً، ونصفه مسقف ونصفه صحن للهواء، وعدد قسي مسقفه تسعة عشر قوساً، وفيه من السواري أعني سواري مسقفه بين أعمدته وسواري قبلته صغاراً وكباراً مع سواري القبة الكبرى وما فيها ألف سارية، وفيها ثريات كبيرة للوقيد، منها واحدة يوقد فيها ألف مصنباح وأقلها يحمل اثني عشر مصباحاً، وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه، وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوسي، ارتفاع الجائزة منها شبر في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع، وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً، وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة، والسموات المذكورة كلها مسطحة، فيها ضروب صنائع من الضروب المسدسة والمدرب وهو صنعة الفص وصنعه الدواير والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً، بل كل سماء منها مكتف بما

فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بألوان حمرة الزنجفرية، والبياض الإسفيداجي، والزرقة اللازوردية، والزرنوق الباروقي، والخضرة الزنجارية، والتكحيل النقسي تروق العيون وتستميل النفوس بإتقان ترسيمها ومختلفات ألوانها وتقسيمها.

وسعة كل بلاط من بلاط سقفه ثلاثة وثلاثون شبراً، وبين العمود والعمود خمسة عشر شبراً، ولكل عمود منها رأس رخام وقاعدة، وقد عقد بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسي غريبة عليها قسي أخر على عمد بن الحجر المنحوت متقنة، وقد جصص الكل منها بالجصّ والجيار ورتبت عليها بخور مستديره ثابتة بينها ضروب صناعات الفص **بالمغرة**، وتحت كل سماء منها إزار خشب.

ولهذا المسجد الجامع قبله تعجز الواصفين [١٥٦] أوصافها على وجه المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس منها أشف من قامة، وكل هذه القسي **مزججة بصبغة القوط**. قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها، وفي عضادتي المحراب أربعة أعمدة اثنان أخضران واثنان زر روريان لا تقوم بمال ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس بعمور الأرض مثله صنعه. خشبه أبنوس وبقس وعود المجمر.

ويحكى في كتب تواريخ بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه سبع سنين، وكان عدد صناعه ستة رجال غير من يخدمهم ويتصرف لهم، ولكل صانع منهم في اليوم نصف مثقال محمدي.

وعن شمال المحراب بيت فيه عدد وطسوت ذهب وفضة وحسك وكلها الوقيد الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان.

وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان الذي خطه بيمينه وفيه نقط من دمه.

ولهذا الجامع عشرون باباً مصفحة بصفائح النحاس وكواكب النحاس، وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الإتقان.

وفي الجهة الشمالية منه الصومعة الغريبة الشكل والصنعة الجليلة الأعمال الرائقة ارتفاعها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي: منها ثمانون ذراعاً إلى الموضع الذي يقف عليه المؤذن بقدميه، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعاً، ويصعد إلى أعلى المنار بدرجين أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي إذا افترق الصاعدان أسفل الصومعة لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى، والذي في الصومعة من العمد بين داخلها وخارجها ثلاثمائة عمود بين صغير وكبير.

وفي أعلى الصومعة على القبة التي على بيت المؤذنين [١٥٧] ثلاث تفاحات، واحدة من ذهب، واثنتان من فضة تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلاً من الزيت، ويخدم الجامع كله ستون رجلاً. [١٥٨]

بقية المزارات الأخرى

وأما سائر المزارات فكثيرة جداً لا تدخل تحت الحصر ولا يحيط بها قلم الإحصاء، وإنما نذكر منها ما يحضرنا ذكره في هذا الوقت مما هو ببلاد الشام على ما يغلب على الظن صحته لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبه أماكن لا حقيقة لها واللّٰه أعلم.

[قبر مالك بن الأشتر](١)

فمن ذلك قبر مالك بن الأشتر النخعي، قيل إنه على باب مدينة بعلبك من الشمال، والصحيح أنه بالمدينة.

[قبر حفصة رضي الله عنه](٢)

قبر حفصة زوج النبي ﷺ، قيل إنه ببعلبك والصحيح أنها أم حفص أخت معاذ بن جبل فإن حفصة ماتت بالمدينة.

[دير الياس عليه السلام](٣)

دير إلياس النبي ﷺ ويقال إنه كان محبوساً.

مشهد إبراهيم عليه السلام(٤) بقلعة بعلبك، جدد بناءه الملك الأشرف موسى.

[قبر اسباط عليه السلام](٥)

قبر أسباط ببعلبك.

[قبر نوح عليه السلام](٦)

قبر نوح عليه السلام بقرية تعرف بالكَرك من أعمال بعلبك.

---

(١) عند ياقوت المقصود في بعلبك أيضاً (معجم البلدان: ١/٤٥٤).

(٢) المصدر السابق وعنه ينقل المؤلف. (٣) المصدر السابق.

(٤) يرى صاحب الروض المعطار أن هناك مشهداً لإبراهيم عليه السلام في حران فيما ذكره ياقوت في المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر عن الكرك: (معجم البلدان: ٤/٤٥٢).

[قبر شيث عليه السلام]

قبر شيث بقرية تعرف تسرعين بالقرب من كرك نوح.

[قبر إلياس عليه السلام]

وقبر إلياس النبي عليه السلام.

[قبر حزقيل عليه السلام]

قبر **حزقيل** أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع غربي كرك نوح.

[قبر بنيامين عليه السلام]

قبر **بنيامين** شقيق يوسف عليه السلام بقرية ظهر حمار من البقاع.

[قبر شيبان الراعي عليه السلام]

قبر شيبان الراعي بالبقاع بالقرب من **حزقيل** في مشهد مبني عليه.

[قبر أيوب عليه السلام]

قبر أيوب عليه السلام بقرية تعرف بدير أيوب من أعمال نوى، كان بها أيوب عليه السلام، وبها ابتلاه اللّٰه عز وجل، وبها العين التي ركضها برجله والصخرة التي كان عليها.

[قبر سعد التكروزي]

وبالقرية أيضاً قبر سعد التكروزي فقير صالح له شهرة.

[قبر الصحابة بقرية محجة][1]

مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بمحجة على يسار الذاهب إلى زرع كان بها وقعة أجنادين في فتوح الشام. [١٥٩]

وبها حجر ذكر أن النبي ﷺ جلس عليه، وهذا ليس بصحيح فإنه ﷺ لم يَعَدّ بُصْرى.

وذكر أن بجامعها سبعين نبياً.

---

(١) ذكرها ياقوت في (معجم البلدان: ٦٠/٥) وقال إن بها حجر يزار زعموا أن النبي (ص) جلس عليه. ويعقب ياقوت بقوله: والصحيح أن النبي (ص) لم يتجاوز بصرى. وذكر أن يقال إن بجامعها سبعين نبيًا.

[قبر اليسع عليه السلام]

قبر اليسع بقرية تعرف **ببسر** من أعمال زرع.

[الجران]

نجران ـ شرقي بسر ـ يقال إن بها الأخدود ولا يصح لأن الأخدود باليمن واللَّه أعلم.

[قبر عبد الرحمن بن عوف]

قبر عبد الرحمن بن عوف بقرية تعرف بالدور على باب زرع واللَّه أعلم.

[الهميسع]

الهميسع أبو اليسع في ذيل اللجاة واللَّه أعلم.

[سام بن نوح]

سام بن نوح على باب نوى ـ وبها قبر الشيخ محيى الدين النووي.

وبها الشيخ علي الجزيزي شيخ الطائفة الجزيزية.

مبرك الناقة

مبرك الناقة موضع معروف ببصرى، ويقال إن ناقة النبي ﷺ بركت به هناك، أما قدوم النبي ﷺ بصرى فلا شك فيه، وأما أن ناقته بركت في هذا الموضع بعينه فلا نقطع به، ولكن الظاهر أنه هو فاللَّه أعلم.

وفي هذا الموضع مصحف شريف عثماني وعليه أثر دم.

وقيل ببصرى دير يقال له: دير الناعقي، كان به **بحيرا** الراهب، وبه اجتمع برسول الله ﷺ.

[قرية دنين]

وشرقي بصرى قرية تعرف بدنين بها قدم رسول الله ﷺ في صخرة سوداء على ما ذكروا واللَّه أعلم.

[قبر وهب من بن منبه رحمه اللَّه]

وقريب بصرى قرية تعرف بغضب بها قبر وهب بن منبه.

[قبر هارون ومشهد له مع موسى عليهما السلام]

قدم هارون عليه السلام ببلده بصرخد.

وبهذه البلدة مشهد ذكروا أن موسى وهارون عليهما السلام كانا به لما خرجا من التيه.

[قبر هارون عليه السلام]

قبر هارون في السيق ببلاد الشوبك.

[قبر أبي عبيدة بن الجراح]

قبر أبي عبيدة بن الجراح بقرية عمتا من الغور وعليه بناء ولخادمه مرتب جارٍ أجري له في الأيام التنكزية بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

[قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه]

قبر معاذ بن جبل بالقصير العيني.

[قبر أبي هريرة]

قبر أبي هريرة بقرية تبنى بالساحل من أعمال الرملة [١٦٠].

البَلْقاء[١]

[الكهف والرقيم]

البلقاء يزعم بعض الناس أن الكهف والرقيم هناك وهذا ليس بصحيح.

قال الهروي: وقد زرنا الكهف والرقيم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها أبسس، خربة، بها آثار عجيبة قريبة من مدينة ابلستين.

ويقال إن مدينة دقيانوس هي طليطلة، والصحيح الذي ببلاد الروم.

وسيأتي ذلك في موضعه.

[قبر جعفر الطيار في مؤتة]

قبر جعفر الطيار بقرية مؤتة من أعمال كرمل الشوبك وبها أيضاً.

---

(١) عرفها ياقوت في (معجم البلدان: ٤٨٩/١) وذكر فيها الكهف والرقيم.

[قبور صحابة في مؤته]

قبر زيد بن حارثة، وقبر عبد اللّٰه بن رواحة، والحارث بن النعمان. وعبد اللّٰه بن سهل، وسعد بن عامر القيسي، وأبي دجانة الأنصاري استشهدوا رضي الله عنهم في غزوة مؤتة وهي غزوة مشهورة.

[قبر سليمان بن داود]

قبر سليمان بن داود شرقي بحيرة طبرية.

قال شهاب الدين ابن الواسطي في تصنيفه: والصحيح أن سليمان دفن إلى جانب أبيه في بيت لحم وهما في المغارة التي بها مولد عيسى عليهم السلام.

[قبر لقمان وابنه]

قال: ومن شرقيها أيضاً قبر لقمان الحكيم وابنه على ما قيل.

[قبر أم موسى وقبور أربعة من أولاد يعقوب]

قبر أم موسى بن عمران بقرية يقال لها أربل من أعمال طبرية عن يمين الطريق، وبها أربعة من أولاد يعقوب وهم دان والساخور وزبولون وكاذ.

[قصر يعقوب وجبّ يوسف عليهما السلام]

قصر يعقوب عليه السلام وبيت الأحزان، وجب يوسف عليه السلام في الطريق إلى بانياس [١٦١] وهذا هو المشهور.

قال ابن الواسطي: والصحيح أن جبّ يوسف في طريق القدس عند بلد يقال له سنجيل.

وقال في موضع آخر: سَيْلُون[1] قرية كان يعقوب عليه السلام ساكناً بها، وأن يوسف عليه السلام خرج منها مع إخوته والجب الذي رمي فيه بين سنجيل ونابلس عن يمين الطريق.

[قبر شعيب وزوجته عليهما السلام]

قبر شعيب عليه السلام بقرية يقال لها حطين، ويقال حطيم وقبر زوجته على الجبل على ما قيل.

---

(١) قال عنها ياقوت (معجم البلدان: ٢٩٩/٣): قرية من قرى نابلس بها مسجد السكينة وحجر المائدة. والأكثرون بكنيسة صهيون ويقال إن سيلون منزل يعقوب النبي وأن يوسف عليه السلام خرج منها مع إخوته فألقوه في الجب بين سنجيل ونابلس عن يمين.

[قبر يهوذا بن يعقوب]

قبر **يهوذا** بن يعقوب بقرية رومة من أعمال طبرية.

[قبر صفورا بنت شعيب]

قبر صفورا بنت شعيب زوجة موسى بن عمران بقرية كفرمنده، قيل إنها مدين على ما زعم.

قال ابن الواسطي: والصحيح أن مدين شرقي طور سينا.

وبهذه القرية الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى منها أغنام شعيب.

قال: والصخرة باقية هناك، وبها اثنان من أولاد يعقوب وهما أشير ويعتالي.

وعند هذه الأماكن جبل يقال له الطور.

قيل إن موسى من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله اللّٰه.

[قبر راحيل أم يوسف]

قبر راحيل أم يوسف عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل.

[قبر لوط عليه السلام]

قبر لوط بقرية كفر **بريك** شرقي بلد الخليل.

[مقام لوط]

مقام لوط بقرية **يامين**، وبها كان يسكن بعد رحيله من زغر والموضع الذي خسف بقومه هو اليوم البحيرة **المنتنة**.

[الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام]

وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بزغر.

[قبر عبادة من الصامت]

قبر عبادة بن الصامت بالرملة.

[مشهد الحسين]

مشهد الحسين بعسقلان كان رأسه بها، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون [١٦٢] الرأس إلى القاهرة ودفن بها في المشهد المعروف به خلف القصرين على زعم من قال ذلك، والأغلب

أنه لم يتجاوز دمشق لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية، وكانت دمشق دار ملكه وملك بني أمية، ومن المحال أن يتجاوز الرأس المحمول إلى السلطان لغير حضرته.

[مشهد رأس الحسين بباب الفراديس]

وله بدمشق مشهد معروف داخل باب الفراديس، وفي خارجه مكان الرأس على ما ذكروا وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن والمدى بعيد بين مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان.

وفي هذا المشهد دفن رأس الكامل صاحب ميافارقين، وفي ذلك قال ابن المهيّار الكاتب:

أيـــن غـــازٍ غـــزا وجـــاهـــد قـــومـــاً	أثـخـنـوا بـالـعـراق والـمـشـرقـيـن
لـم يـشـنـه أن طـيـف بـالـرأس مـنـه	فـلـه أسـوة بـرأس الـحـسـيـن
وافـق الـسـبـط بـالـشـهـادة والـد	فـن وقـد حـاز أجـره مـرتـيـن
لـم واروا فـي مـشـهـد الـرأس ذاك	الـرأس فـاسـتـعـجـبـوا مـن الـحـالـتـيـن

[قبر يحيى وزكريا عليهما السلام]

قبر يحيى وزكريا يقال إنهما بسبسطية.

وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال: وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك، فلما كان الليل واضئيت بين يديه الشموع فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق فإذا فيه سفط وفي السفط رأس يحيى بن زكريا مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكريا، فأمر به الوليد، فرد إلى المكان، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة فجعل عليه عمود مسفط الرأس.

قال زيد بن واقد: رأيت رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير.

وقال القاسم بن عثمان الجوعي: سمعت الوليد بن مسلم وسأل أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: بلغني أنه ثم، وأشار بيده نحو العمود المسفط الرابع من الركن الشرقي.

وقال هشام بن عمار: **حدثنا** محمد بن شعيب قال: دخلت مع شداد بن عبد اللَّه من باب الدرج فقال لي: ترى ههنا كتاباً بالرومية؟ قلت: نعم، فصلّى ركعتين وقال: ههنا رأس يحيى بن زكريا.

وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزعي: أين بلغك رأس يحيى بن زكريا؟ قال: في العمود الرابع المسفط. [١٦٣]

[قبر سعد بن عبادة]

سعد بن عبادة يقال إنه بقرية المشيخة من غوطة دمشق ولا يصح.

[قبر خالد بن الوليد]

خالد بن الوليد يقال إنه خارج حمص ولا يصح، وإنما هو خالد بن يزيد بن معاوية يقول حزم: فإن عمر بن الخطاب، كان قد عزل خالداً عن حمص **وأشخص** إلى المدينة فمات بها، ووجد عليه عمر بعد موته.

[قبر ضرار بن الأزور]

ضرار بن الأزور خارج باب شرقي مع خلق من الصحابة استشهدوا في فتح دمشق، وبمقابر باب الصغير خلق من الصحابة استشهدوا في فتح دمشق، وكذلك من سكن دمشق منهم، وكذلك سائر بلاد الشام وبمصر والعراق والعجم والمغرب، وبجزيرة العرب منهم رجال وبمكة والمدينة مشاهير وأعلام.

[البيوت المعظمة عند الأمم]

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم، فأول ذلك ما كانت عباد الكواكب تعظمه وهي سبعة بيوت في الأرض يرون أن كلاً منها هيكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة، لاعتقادهم أن الكواكب أجسام حية ناطقة تجري بأمر اللّه في كل ما يحدث من العالم، فقربوا إليها القرابين لتنصفهم، فلما رأوها تخفى في النهار وبعض أحانيين الليل عملوا لها تماثيل وبنوا لها [١٦٤] البيوت والهياكل ظناً أنهم إذا عظموا تلك التماثيل الموضوعة لها تحركت الأجسام العلوية بمرادهم.

وقد قال حكاية عن قولهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

والأبيات السبعة التي كان إليها حجهم.

[بيت اللّه الحرام][1]

أولها البيت الحرام، كان يأتيه منهم من يعقرب بزحل، قلت: وإن صح قولهم من قصدها ولاء البيت الحرام بالتعظيم، فلا عجيب فإنه ما زال معظماً في الإسلام.

---

(١) (مروج الذهب: ٢/٢٣٨).

وقيل الإسلام يحج إليه طوائف الأمم في كل الأوقات زاده اللّٰه إبقاء وإدامة ووصل شرفه يوم القيامة.

[بيت بفارس][1]

وثانيها بيت فارس على رأس جبل أصفهان وبينهما ثلاثة فراسخ كان يأتيه منهم من يتقرب بالمشتري ثم جعله يتاسف لما تمجس بيت نار فعظمه المجوس.

[بيت في الهند][2]

وثالثها بيت مندرسان ببلاد الهند، كان يأتيه منهم من يتقرب بالمريخ وقد ذكره أبو عبيد البكري، وقال: إن به من القوى الدافعة والجاذبة والمنفردة أوصافاً لا يسع ذكرها ثم قال: وهو بيت مشهور، من أراد البحث عنه فليبحث.

[بيت كاوسان شاه][3]

ورابعها بيت كاوسان شاه، كاوس الملك بمدينة فرغانة كان يأتيه منهم من يتقرب إلى الشمس.

قال أبو عبيد البكري: وهدمه المعتصم ولهدمه خبر ظريف ذكر في كتاب الزمان.

[بيت غمدان][4]

وخامسها بيت غمدان، بناه الضمان بمدينة صنعاء، كان يأتيه منهم من يتقرب بالزهرة، وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه والآن مكان بركة وآثاره كالجبل الضخم، وكان الوزير عيسى بن الجراح لما نفي إلى اليمن احتفر به قبراً وبني عليه سقاية.

قال البكري: وزعم أهل اليمن أنه سيبنى على يد غلام يخرج من بلاد [١٦٥] سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيراً عجيباً.

[بيت بأعلى بلاد الصين][5]

وسادسها بيت بأعلى بلاد الصين، بناه ولد عامور بن سوبل بن يافث بن نوح يأتيه منهم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق وفيه ذكره (مندوسان) والمؤلف كما يبدو ينقل عنه.

(٣) المصدر السابق: ٢٤٢/٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

تتقرب بعطارد خاصة ولسائر الكواكب السبعة السيارة عامة وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كوى، يقابل كل كوة صورة على صورة كوكب من الخمسة والعشرين ولهم فيه أسرار بزعمهم.

[بيت النوبهار](١)

وسابعها بيت النوبهار بناه موشهر الهندي بمدينة بلخ، وكان يأتيه من الصابئة من يتقرب بالقمر، وكان يسعى المتولي السدانة برمك، وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه والت ولايته إلى أبي خالد البرمكي، فلهذا قيل خالد بن برمك، ولهذا قيل البرامكة، وكان من أعلى المباني تشييداً، وكان يلبس بالحرير الأخضر تنشر عليه شقاق منه طول كل شقة مائة ذراع، فيقال إن الريح خطفت بعض تلك الشقاق فرمت به على مسيرة خمسين فرسخاً، وهذا يدل على علوه الزائد، وكان قد كتب على باب النوبهار بالفارسية: قال بيوراشف الملك أبواب الملوك يحتاج إلى ثلاث خصال عقل وصبر ومال، ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ كتب تحت هذه الكتابة بالعربية، كذب يوراشف الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم «باب السلطان».

[بيوت اليونان]

وأما بيوت اليونان فهي ثلاثة هياكل وهي مشهورة في العالم؛ أولها.

[بيت بأنطاكية](٢)

بيت بأنطاكية داخل مدينتها على يسرة المسجد الجامع وخربه المسلمون، ولما أتى ثابت بن قرة بن زكريا الحراني مع المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين أتى هذا الهيكل وعظمه.

[الهرم](٣)

وثانيها وهو الهرم الذي يعد من الفسطاط، [١٦٦].

[بيت المقدس](٤)

وثالثها بيت المقدس، قد شرع في بنائه ثم شرع داود عليه السلام في تكميل بنائه مسجداً ثم تم على يد ابنه سليمان عليهما السلام.

---

(١) (مروج الذهب: ٢/٢٤٨).
(٢) (مروج الذهب: ٢/٢٤٣).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

قال البكري: فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل، فكانت اليونانية اختارت له جبل لبنان فاتخذوا له هناك هيكلاً فيه نقوش عجيبة في الحجر لا يتأتى مثلها من الخشب.

[بيوت الصقلب]

وأما بيوت الصقلب فهي بيوت ثلاثة، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات استرقت عقولهم.

[بيت على جبل مشهور](1)

فأولها بيت فيه آثار مرسومة تدل على الكائنات.

قال البكري: وهذا البيت على الجبل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم، قلت لعله يكون على الجبل المستدير وهو المسمى في الشمال بجبال قاقونا.

[بيت على الجبل الأسود](2)

وثانيها على الجبل الأسود يحيط به مياه عجيبة ذوات طعوم مختلفة وفيه صنم كبير على صورة رجل شيخ بيده عصا يحرك بها عظام الموتى وتحت رجله اليسرى غرائب سود من صور الغداف وغيرها.

[بيت يحيط به البحر](3)

وثالثها يحيط به خليج من البحر في وسطه قبة عظيمة بها صنم على صورة جارية.

[بيوت الصابئة](4)

وأما ما كان للصابئة فكان لهم هياكل تسمى بأسماء وهي هيكل العلة الأولى وهيكل العقل وهيكل الصورة وهيكل النفس مستديرات الأشكال وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربيع، وكانت لهم فيها دخن وقرابين يطول وصفها.

قال البكري: والذي بقي من هياكلهم بيت نجران في باب الرقة يعرف بمغلنيا(5) وهو هيكل آزر أبي إبراهيم [١٦٧] عليه الصلوات والسلام، ولهم في آزر وأبيه كلام كثير.

---

(١) المصدر السابق: ٢/٢٤٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) (مروج الذهب: ٢/٢٤٧).
(٥) كذا رسمها في الأصل وفي المصدر السابق: مغلتيا وفي نسخة أخرى مصليتان.

قال البكري: ولهم في هياكلهم مخاريق قد وصلت تقف السدنة من وراء الجدر وتتكلم بأنواع الكلام فتجري الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق إلى تلك الصور المجوفة، فيظهر لها نطق على حسب ما دبر على هيئة هندسية.

[تعريف الصابئة]

ثم قال[1]: والصابئة حشوية اليونان وإنما يضافون إلى الفلسفة إضافة نسب لا إضافة كلمة لأنهم يونانيون وليس كل يوناني بحكيم.

قال أبو عبيد البكري: وعلى باب حران كتابة بالسريانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون الإنسان نبات سماي.

[من طقوس الصابئة]

قال: والصابئة تقرب في بعض الأوقات ثوراً أسود تسد عيناه ويضرب وجهه بالملح، ثم يذبح وينظر في أعضائه وما يظهر منه في الجراحات والاختلاج فيستدل به على أحوال السنة ولهم في قرابينهم أسرار ومخبأت.

[هيكل في الصين]

وهيكل في أقاصي الصين وهو بيت مدور له سور وأبواب في داخله. قبة مسبعة عظيمة البنيان، وبه بئر مسبعة الرأس متى أكب إنسان على رأسها تهور على رأسه فيها، وعلى رأس البئر شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم قلم السندهند، «هذه البئر تؤدي إلى مخزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلو السما بما كان ويكون وتؤدي إلى خزائن رغائب هذا العالم لا يصل إلى الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا.

قلت: هذا ما ذكره البكري ذكرته كما ذكره والعهدة عليه فيما نقله.

[بيوت النيران]

وأما بيوت النيران، فأول من ذكرها أفريدون[2] قال: لأنه [١٦٥] زعم أنه من جنس الكواكب النورية وبالنور صلاح العالم لأنها عندهم أصل كل حي ومبدأ أكل تمام لأنها تجذب الحيوان إليها كالفراش الطائر بالليل، وما يصاد بالليل بالسرج من الوحش والطير والسمك كما

---

(١) الكلام للمسعودي أيضاً في المصدر السابق.

(٢) (مروج الذهب: ٢/٢٥٢).

يصاد في البصرة بإيقاد السرج في الزواريق فيطلع السمك من الماء حتى يقع في الزواريق ويبطل أقوال المجوس في اجتذاب النار للحيوان، إن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الاسفار فإذا رأى النار ظنه فرجة إلى النهار فقصده[١].

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به[٢].

وبيوتهم المشهورة خمسة.

[بيت ببخارى][٣]

فأولها بيت ببخارى بناها أفريدون.

[بيت بطوس][٤]

وثانيها بطوس.

[بيت بدار ابجرد][٥]

وثالثها بيت دار ابجرد في أرض فارس، كان زرادشت نبيّ الفرس على ما زعموا قد أمر يستاسف الملك أن يطلب ناراً كان يعظمها جم الملك، فوجدت بخوارزم فنقلها يستاسف إلى دار ابجرد.

قال البكري: والمجوس تعظم هذه النار وهي أكرم نيرانهم.

[بيت بإصطخر][٦]

ورابعها بيت بإصطخر من فارس، ويقال إنه مسجد سليمان عليه السلام.

وقال المسعودي[٧]: وقد دخلته وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر، فرأيت بنياناً عجيباً وهيكلاً عظيماً، وفي أعلاه صور من الصخر محكمة عظيمة المقادير من الخيل وسائر الحيوان يحيط بذلك كله سور من الحجر فيه صور الأشخاص قد شكلت وأتقنت، يزعم من جاوز هذا الموضع أنها صور الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) (مروج الذهب: ٢/٢٥٢).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) (مروج الذهب: ٢/٢٥٤).

وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار لها هبوب وحفيف يذكر من هناك من المسلمين أن سليمان حبس الريح فيه وأنه كان يتغدى ببعلبك من [١٦٩] أرض الشام ويقيل بمدينة تدمر في الملعب المتخذ فيها وهي في البرية بين العراق ودمشق من أرض الشام وبين تدمر والشام ستة أيام، ثم يتعشى بهذا المسجد وبتدمر خلق من العرب من قحطان.

[بيت بمدينة جور](١)

وخامسها بمدينة جور التي يضاف إليها الماوردج وبيت نار، بناه أزدشير، له يوم عيد، وهو على عين هناك عجيبة وإليه منتزهاتهم.

وفي وسط جوربنيان كانت تعظمه الفرس يعرف بالطربال خربه المسلمون وإنما فصل ماوردهم لصحة التربة وصفاء الهواء وألوان سكانها في غاية الحسن من اعتدال الحمرة والبياض وبين جور وشيراز وهي قصبة فارس عشرون فرسخاً، فسبحان الذي مَنّ علينا بالإسلام وهدانا إليه وعلمنا ما لم نكن نعلم وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً.

[من الآثار المعظمة عند الشعوب]

ومما نتبع به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي لفي جسمه أو رسمه ما يذكر.

[صنم الخطا]

فمن ذلك صنم الخطا المحجوج في نهاية الشرق المتشابك وهو قريب من السند.

[قصر الدهاك]

ومن ذلك قصر الدهاك ما بين مدينة طفورا، وبين مدينة باش بالق شرقي طفورا وغربي باش بالق.

[حائط القلاص]

ومن ذلك حائط القلاص ويعرف بالحائط المحيط ويعرف بحائط عبد اللَّه بن حميد جنوبي بلاد الغزنة واسبيجاب.

[مدينة إصطخر]

ومن ذلك مدينة إصطخر وهي مدينة عجيبة البناء من بناء سليمان عليه السلام.

---

(١) (مروج الذهب: ٢/٢٥٤).

[قصر سنداد]

ومن ذلك قصر سنداد وهو بالعراق قريب النيل بأرض الأزير على نهر سنداد، وكان مسكن آل مخرق وفيه قال الأسود بن يعفر: [١٧٠]

ماذا أؤمل بعد آل مخرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد

أهل الخورنق والسدير ومأرب ... والقصر ذي الشرفات من سنداد

دار تخيَّرها لطيب مقيلها ... كعب بن مامة وابن أم دؤاد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

[قصور الحيرة]

ومن ذلك قصور الحيرة بين العراق والشام.

[الخورنق]

ومن ذلك الخورنق والسدير وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص اسمه سنمار للنعمان بن قيس وكمله في عشرين سنة، فلما وقف عليه النعمان استجاده وأثنى على سنمار، فقال له سنمار: لو شئت أن أجعله يدور مع الشمس لفعلت، فأمر به أن يطرح من أعلى شرفاته، فضرب به المثل، فقيل:

جزاه جزاء سنمار، وفي ذلك يقول الشاعر:

جزتني بنو قيس وما كنت مذنباً ... جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

بنى القصر للنعمان عشرين حجة ... يعلي عليه بالقراميد والخشب

فلما استوى البنيان واشتد رصفه ... وأَضحى كمثل الطود والشادخ الصَّعبِ

رمى بسنمار على أم رأسه ... وذاك لعمر اللّه من أعظم الخَطب

ثم ترهب هذا النعمان في الجاهلية وانخلع من ملكه ولبس المسوح، وفيه قال عدي بن زيد:

وتذكَّر رب الخورنق إذ ... فكر يوماً وللهدى تفكير

راقه ماله وكثرة ما يملك ... والنهر معرضاً والسدير [١٧١]

فارعوى قلبه وقال وما ... غبطة حيٍّ إلى الممات يصير

[مقر سنافادو]

ومن ذلك مقر سنافادو.

[الرصيف بين صرخد والعراق]

ومن ذلك الرصيف الممتد بين صرخد والعراق ممتداً في البرية، يقال إنه من عمل سليمان بن داود عليهما السلام، وهو يتصل في موضع وينقطع في أخرى يتوصل السالك معه من الشام إلى العراق ومن العراق إلى الشام في أقرب مدة.

[مدينة تدمر]

ومن ذلك مدينة تدمر بين العراق وبين الشام وما فيها من عجائب البناء وكبار العمد.

[ملعب بعلبك](١)

ومن ذلك ملعب بعلبك والباقي منه عمد بقلعتها الآن وما في سورها من الأحجار العظام والصخور الراسية كالجبال، يقال إنه من بناء سليمان بن داود عليهما السلام.

[مدينة شهباء](٢)

ومن ذلك مدينة شهبة من بلاد حوران، بها من الأبنية الباقية والعمد العالية والآثار الدالة ما هو من خلايل الآثار.

[مدينة جرش](٣)

ومن ذلك مدينة جرش من بلاد حوران، يحكى الهول عن غرائب آثارها وقد أضحت خاوية على عروشها خاوية من أهلها وسكانها، لا يحسّ بها مسيس ولا يوجد بها أنيس.

[جب يوسف](٤)

ومن ذلك جب يوسف، وهو قريب قرية اسمها شورى، ويدانيها جسر يعقوب وهو معروف مشهور كل ذلك ببلاد صفد.

---

(١) لا زالت قائمة ومعروفة.

(٢) الحاشية السابقة.

(٣) وتقع في المملكة الأردنية حالياً ولا زالت قائمة.

(٤) سبق التعريف به.

[منازل عاد][1]

ومن ذلك منازل عاد بين الحجاز والشام وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾.

وبها البئران، بئر الناقة وبئر عاد المقسوم بينهما الشرب، ولما مر رسول اللّه ﷺ بأرض عاد في غزوة تبوك وجد بعض من سبق من أصحابه **قد ملأ** من بئر الحجر، فأمر بأن يراق الماء فقالوا: يا رسول اللّه قد عجنّا منه العجين، فأمر بأن يطعموه الإبل وأن يشربوا من بئر الناقة [١٧٢] وهما معروفان هناك، وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.

[جب بابل حيث حبس دانيال]

ومن ذلك جب بابل الذي حبس به دانيال، ألقاه فيه بختنصر وألقى معه أسدين حتى أتاه بأمر من اللّه نبي من أنبياء بني إسرائيل فقال: يا صاحب الجب.. فأجابه دانيال: قد سمعت فما تريد، فقال: أنا رسول اللّه إليك لأستخرجك من موضعك، فقال دانيال: الحمد للّه الذي لا ينسى من ذكره. والحمد للّه الذي لا يكل من توكل عليه إلى غيره. والحمد للّه الذي يجزي بالإحسان إحساناً، والحمد للّه الذي يجزي بالإساءة غفراناً، «والحمد للّه الذي يكشف ضرنا من كربنا» ثم استخرجه، وأن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.

وعن ابن عباس قال: «من قال عند كل سبع اللهمَّ رب دانيال ورب الجب ورب كل أسد مستأسد احفظني واحفظ علي لم يضره سبع».

[الأخدود]

ومن ذلك الأخدود المحتفر لأصحاب الأخدود المذكورين في القرآن الكريم، وهو بنجران من اليمن.

[البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن]

ومن ذلك البئر المعطلة والقصر المشيد وهما قريب الفج الخالي بمشارف اليمن.

[سدّ مأرب]

ومن ذلك سدّ مأرب وهو ببلاد سبأ من اليمن وبه قصر القشيب كان ببلقيس.

---

(١) معروفة ومشهورة فانظر قصتهم في (مروج الذهب: ١٣٣/٢).

[قصر غمدان]

ومن ذلك قصر غمدان بصنعاء اليمن، وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم، كان مسكن التبابعة من حمير، ومنهم شمر بن ملك وأسعد أبو كرب وكفى بذكريهما طافا الأرض وبلغا الآفاق، وهذا قصر غمدان هو المذكور في الأشعار والمشهور في الأخبار وفيه يقول ابن أبي الصلت:

[البحر البسيط]

فاشرب هنيئاً عليك التاج مغتبقًا[1] في قصر[2] غمدان داراً منك محلالا.

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادت بعد أبوالاً

[بئر برهون]

ومن ذلك بئر برهوناً ببلاد حضرموت من بلاد اليمن، وهو الذي لم يعرف عمقه ولا علم أن إنسانًا نزله.

[قصر زيدان باليمن]

ومن ذلك قصر زيدان المشهور بمدينة طغار باليمن، وكانت تسمى قديماً مدينة يحصب.

[قصر بالشاذناخ]

ومن ذلك قصر بالشاذناخ وهو بباب نيسابور من خراسان، كان دار السلطنة لبعض ملوكها ولم يؤخر ذكره إلا لأنه شبه ببناء غمدان، فكان كأن لذكره به تعلقاً:

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً بالشاذيَاخ ودع غمدان باليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه وهو هَوْذة بن علي وابن ذي يزن

وعلى باب قصر الشاذياخ صلب علي بن الجهم فقال حين صلب ارتجالاً:

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الإثنين مغلولاً[3] ولا مجهولا

نصبوا بحمد اللّه ملء عيونهم[4] حسباً[5] وملء قلوبهم تخييلا

ما ضره أن بُزَّ عنه ثيابه فالسيف أهول ما يرى مسلولا

---

(١) في الديوان: مرتفعاً.

(٢) في الديوان: رأس.

(٣) في نسخة أخرى: مسبوقاً.

(٤) في نسخة أخرى: قلوبهم.

(٥) في نسخة أخرى: مشرقاً.

[دار الأنماط]

ومن ذلك دار الأنماط، وكانت بفسطاط مصر يباع بها قماش النساء وفاخر اللباس والأمتعة، ويجلب إليها من كل أرض، وكان يحبس على حوانتها أهل الفراغ واللهو، وكانت من عجائب المباني وغرائب الآثار.

وحكى ابن ظافر: أن ابن قلاقس جلس لمصر فيها مع جماعة، فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك **وعلى** شمس تحت سماء **النقاب** في غصن أوراق الشباب، فحدقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب والمريض إلى الطبيب، فجعلت تتلفت تلفت الظبي المذعور أفرقه القانص فهرب، وتثنى تثني **الغصن** الممطور عانقه النسيم فاضطربَ، فسألوه العمل في وصفها، فقال: هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الأزدي القيرواني:

أعرض لما أن غرضت فإن يكن   حذراً فأين تَلَفُّتُ الغِزلان

ثم صنع:

لها ناظر في ذرى ناضر   كما ركب السن فوق القناة

لوت حين ولت لنا جيدها   فأيُّ حياة بدت من وفاة

كما ذعر الظبي من قانصٍ   فمر وكرر في الالتفات

ثم صنع:

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها   لم أشك منه لوعة إلا عتا

كلمت محاسنها فودَّ البدر أن   يحظى ببعض صفاتها أو ينعتا

قد قلت لما أعرضت وتعرضت   يا مؤنساً يا مطعمًا قل لي متى

قالت: أنا الظبي الغرير وإنما   ولى وأوجس خيفة فتلفتا

[أهرام مصر]

ومن ذلك الأهرام بمصر وأجلها الهرمان بحيرة مصر وقد أكثر الناس القول في سبب ما بنيا له فقيل: هياكل للكواكب وقيل قبور ومستودع [١٧٣]، قال: وكتب، وقيل ملجأ من الطوفان وهو أبعد ما قيل فيها لأنها ليست شبيهة بالمساكن وأقربها إلى الصحة، والله أعلم أنها إما هياكل كواكب وإما مواضع قبور لقد فتح أكبرهما في زمان المأمون حين قدم مصر، فلم يظهر منه ما يدل على موضع له وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهباً فوزنه، وحسب مقدار ما أنفقه فوجدهما سواء بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشيء لعلمهما السابق أنه سينفق عليه مثل هذا المقدار، فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينفق عليه، ووجدت هذا في كثير من الكتب فراجعت التواريخ

الصحيحة والكتب المسكون إليها، فلم أجد المأمون وجد به شيئاً ولا استفاد زائداً عن ما يعلم الناس به علماً وأدل الأدلة على أن أجدها هيكل بعض الكواكب، وأن الصابئة كانت تأتي حقيقة إليها بحج الواحد وتزور الآخر ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم واللّٰه أعلم بحقيقة أمورها وجلية أحوالها، وهي أشكال لهينة كأن كل هرم لهبة سراج أخذه في أسافلها على التربيع متلو به في عمود الهواء أخذه في الجو حتى إلى التثليب لولا استدارة سفل أبلوج السكر لشبهناها به، ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمناسبة اقتضته، ولقد أصعدت غير مرة ماراً على الأهرام بجميع بلاد الجيزة، ورأيت منها ما دثر بعضه وما دثر كله فإذا هي مصفحة البناء شيئاً على شيء لا فسحة فيها في أوساطها كما تكون ساحات الدور بين الجدران وإنما هي بناء ملتصق على بناء بعضها فوق بعض، ووجدت بعض الأهرام مبنية بالطوب، وهذا أكبر دليل على أنها لم تتخذ ملجأ من [١٧٤] الطوفان.

فأما مقدار الهرمين المشار إليهما في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما، فإنه مذكور في الكتب ذكراً مستوعباً لم أحققه بالقياس وأبالي بحقيقي في هذا الكتاب أن أذكره بمجرد التقليد مع إمكان التحقيق مع كثرة ترددي عليها وسكني بالقاهرة في جوارها ولعذر مانع في وقت هذا التأليف، فعدت عن معاودتها بالنظر والتحقيق على أن الهدم قد شرع في قلع هذه الآثار ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن نبه لها الدهر طرفاً غافياً وقلباً غافلاً، فأصبحت هاوية الأركان تابعة السكان فلقد صدق عليها المتنبي قوله:

أين الذي الهرمان من بنيانه ... من قومه ما يومه ما المصرعُ
تتخلف الآثار عن سكانها ... حيناً ويدركها الفناء فتتبعُ

وإن فيها لعبرة للمعتبر، وتذكرة للمذَّكر، وآية لمن أناب، وتبصرة في الدنيا لمن يلد في الفناء ويعمر للخراب.

وحكى ابن ظافر قال: ذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام **الأفضل** خرجوا متنزهين في الأهرام ليروا عجائب مبانيها ويتأملوا غرائب ما سطره الدهر من العبر فيها وأقرح بعض من كان معهم العمل فيها، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز [الأندلسي][1].

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً ... على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعنان السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزاً من الأرض عالياً ... كأنهما نهدانِ قاما على صدر

---

(١) بياض في الأصل: يبدو أن المؤلف قد أغفاهما.

[أبو الهول]

ومن ذلك أبو الهول وهو اسم لصنم يقارب الهرم الكبير في وهدَة منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب لا يبين من فوق سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم، وعنقه أشبه شيء برأس راهب حبشي عليه غفارية على وجهه صباغ أحمر إلى حُوَّة لم يحل على طول الأزمان وقديم الآماء، وهو كبير ولو كان شاخصاً كله لما قصر عن عشرين ذراعاً طوله في غاية مناسبة التخطيط، يقال إنه طلسم يمنع الرمل عن المزدرع وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويره لهم أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدرع.

وفي أبي الهول يقول أبو منصور ظافر الحداد:

تـأمـل هـيـئـة الـهـرمـيـن وانـظـر	وبـيـنـهـمـا أبـو الـهـول الـعـجـيـب
كـعـمـار بـيـن عـلـى رحـيـل	بـمـحـبـوبـيـن بـيـنـهـمـا رقـيـب
وفـيـض الـبـحـر عـنـدهـمـا دمـوع	وصـوت الـريـح بـيـنـهـمـا نـحـيـب
وظـاهـر سـجـن يـوسـف مـثـل صـب	تـخـلـف فـهـو مـحـزون كـئـيـب

[حائط العجوز]

ومن ذلك حائط العجوز وهو حائط يستدير [١٧٥] بالديار المصرية ممتدًّا على جانب المزدرع بها كأنه قد جعل حاجزاً بين الرمل والمزدرع على أنه غير عالي الدر أمشيت معه إلى دندرا من الصعيد الأعلى وقد دثر غالبه ومنقطعه أكثر من متصله وهو مبني من طوب ليس بعريض السمك ولا عالي الجدار، ووقفت على الكتب المؤلفة في أخيار مصر أنه من بناء امرأة اسمها دلوك وأنه يصل إلى ما بين العريش ورمج منتهى الحد الفاصل بين مصر وبين الشام وليس له هناك أثر بل ولا في أسافل أرض مصر، ويذكر في تلك الكتب بسبب بناء العجوز له حرافة لسنا نرضى ذكرها ولا يعرف من بنى هذا الحائط حقيقة ولا ما بني له عن يقين ولكنا قلنا على الظن الغالب.

[شامة وطامة]

ومن ذلك شامة وطامة وهما صنمان من حجر على قاعدتين ببلاد الصعيد.

[البرامي][١]

ومن ذلك البرامي بالصعيد في أماكن منه وأشهرها برباه إخميم من ورائها على شرقي النيل حيث ينعطف الرمل ملتفًّا على الريف رأيت بها مختلفات من صور الحيوان من نوع الإنسان

---

(١) البرابي: أي المقابر في اللغة القبطية.

والدواب والوحش والطير على صور مختلفة وأشكال متباينة مصبغة بأنواع الأصباغ مرسومة في الجدر والسقوف والأركان من باطن البناء وظاهره لم تنطمس رسومها ولا حالت أصباغها، كأن يد الصانع ما فارقت صورها وكف الصباغ ما مسح دهانها.

قال لي الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش إنه سافر قصداً إليها وأقام مدة يردد نظرة فيها ويحدد نظره في أوضاعها، فرآها تشتمل على هيبة العلويات [١٧٦] المرصودة بأسرها مما لا يعمل كل موضوع منها إلا برصد محرز مما لا يسع زمان واحد بعضه، قال: فعلمت أنها ما عملت في زمان واحد بوضع حكيم واحد لقصر مدد الأعمار عن زمان يفي برصد تلك الهيئة الكاملة.

قال: وإنما تكون والعلم للّه مما توارث عملها على حكم الأرصاد المحررة، عدة حكماء في أزمنة طويلة حتى استقل ذلك المجموع وتمت تلك الهيئة.

[عمود الصواري بظاهر الإسكندرية]

ومن ذلك عمود الصواري بظاهر الإسكندرية وهو عمود مرتفع في الهواء تحته قاعدة وفوقه قاعدة يقال إنه لا نظير له من العمد في علوه ولا في استدارته، ويحكى عنه حكايات منها ما هو مسطر في الصحف، ومنها ما هو مستفيض على الألسنة مما لا نرى ذكره.

[منارة الإسكندرية]

ومن ذلك المنارة بها وشهرتها كافية ولم يبق منها إلا ما هو في حكم الأطلال الدوارس والرسوم الطوامس.

وقد كانت المنارة مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر، طالما جمعت أخدانًا، وكانت لجياد الخواطر ميدانًا.

حكى ابن ظافر: أن ابن قلاقس والوجيه أبا الحسن علياً ابن الدوري طلعا المنارة والوجيه يومئذ في عنفوان شبابه وصباه، وهبوب شماله في الجنوب وصباه، وابن قلاقس مغرم به مغرى بحبه، مكب على تهذيبه، مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه، ولم تكن وقت بينهما تلك الهنات، ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة، فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة فقال بديهاً:

وسامية الأرجاء تهدي أخا السرى ... ضياء إذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها برداً من الأنس ضافياً ... فكان بتذكار الأحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة ... ألاحظ فيها من صحابي أنجما

فخيل أن البحر تحتي غمامة وأني قد خيمت في كبد السما

فاشتد سرور ابن قلاقس وفرحه وقال يصفها ويمدحه:

ومنزل جاور الجوزاء مرتقيًا كأنما فيه للنسرين أوكار
راسي القرارة سامي الفرع في يده للنون والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان النظم فاطردت خيل لها في بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسناً فيه أبو حسن إلا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لمّا حلّ ذروتها بجوهر الشعر بحر منه زخار
ما زال يذكي بها نار الذكاء إلى أن أصبحت علماً في رأسه نار

[الملعب]

ومن ذلك الملعب بها، وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه في كل سنة وترمى به كرة، فمن وقعت في كمه آل إليه الملك، وحضره عمرو بن العاص في الجاهلية، ووقعت الكرة في كمه فقالوا: أخرمت العادة؟ قال: فإن مثل هذا لا يملك، وهذه واقعة مشهورة، لا حاجة إلى الإطالة بها.

ومكان هذا اللعب عمر بنو خليف القصر المنسوب إليهم.

وحكى أن ظاهر أن ابن قلاقس حضر يوماً عند بني خليف بظاهر الاسكندرية في قصر رسا بناؤه وسما، وكاد يمزق بمزاحمته أثواب السما، قد ارتدى جلابيب السحائب، ولات عمائم الغمام. وابتسمت ثنايا شرفاته، واتسمت بالحسن حنايا غرفاته، وأشرف على سائر نواحي الدنيا وجه السحائب بما اؤتمنت عليه من ودائع أمطارها. والرمل بفنائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه، والجو قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمة نسيمه، والنخل قد أظهرت جواهرها. ونشرت غدائرها، والكل ينثر لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه، والبحر يرعد غيظاً من عبث الرياح به، فسأله بعض الحضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنه، وغبط به ساكنه، فجاشت لذلك لجج بحره، وألقت جواهره لترصيع لبه ذلك القصر ونحره فقال:

قصر بمدرجة النسيم تحدثت فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية وأقام في أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وصفه فافترَّ عن نور يروق ونور
الروح يسحب حلة من سندس تزهو بلؤلؤ طلها الموفور

والنخل كالغيد الحسان تقرطت ... بسبائك المنظوم والمنثور
والرمل في حبك النسيم كأنما ... أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد منه وكأنه ... درع تسن بمعطفي مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا ... في الأفق بين كواكب وبدور
وكذا بني خليف لم يزل ... يثني المعاطف في حبير حبور

[مدينة لبدة]

ومن ذلك مدينة لبدة وهي خراب يباب، لها صنمان عظيمان من الرخام الأبيض في زي امرأتين وغالب بناء هذه المدينة في جدرها وسقوفها وفرش دياراتها وأرضها من الرخام الأبيض، وكان يجري إليها واد يصب إلى البحر الشامي وترسي السفن البحرية إليه وطفات الوادي ومجاري الماء مرصوفة بالرخام، فغلب عليها سافي الرمل فقطع مدد الوادي وأخلى أوطانها وأجلى سكانها، وهذه المدينة ببرقة مما يقابل أطرابلس الغربية.

[مدينة المعلقة]

ومن ذلك المعلقة، وهي مدينة بإفريقية على ساحل البحر الشامي على نحو ستة عشر ميلاً من تونس يقال إنها كانت لابنة الملك الذي قال اللّه، [١٧٧] وقوله الحق في حقه: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

بها آثار عظيمة وأحجار كبيرة ومهاوٍ بعيدة، وأشراب عميقة تظهر لمن تأملها العجب العجاب واللب اللباب ومن عظيم ما حوته من الأحجار أنه على طول المدد وتراخي عنان الأبد أنه ينقل من أحجارها إلى وما جاورها ولا ينقطع مددها ولا يظهر نقص في كثرتها.

[مدينة شرشال]

ومن ذلك مدينة شرشال، وهي مدينة تقابل مليانة بالغرب الأوسط على ساحل البحر الشامي، يقال إنها كانت مدينة الملك الغاصب للسفن المعني بقوله تعالى في سورة الكهف، وقد تقدمت الآية عند ذكر ابنة هذا الملك فيما قيل وبنى مدينة تزيد على الوصف في اتساع الأفنية وارتفاع الأبنية وعظم القناطر المرفوعة والأفنية المعقودة والقواعد المشيدة والجذُر السميكة مما تشهد له جوال الأرض وسفار الآفاق وسمار الحديث بأنه لا شبيهة لها في تحسين بنائها وتحسين صناعاتها.

[صخرة سبتة]

ومن ذلك صخرة سبتة يقال إنها المعنى بقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ وهي مشهورة هناك.

[هيكل الزهرة في الأندلس]

ومن ذلك هيكل الزهرة بالأندلس في ذيل الجبل الآخذ بين طليطلة ووادي آش في شرقيه بشمال مطل على البحر المحيط وقد تقدمت الإشارة إليه.

[باب الصفر]

ومن ذلك باب الصفر في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة ذات الألسن العديدة من سكان الشمال عمل الباب على نقب كان فتح في جبل حيث خرجت من البحر الشامي طريقاً للأندلس إلى البر المتصل.

[قصر عباس عمرو الغنوي][1]

وقد [١٧٨] رأيت أن أعقب ذكر هذه الآثار بما هو ممثلها أو أبلغ في الاعتبار وهو أبلغ في الاعتبار، وهو قصر عباس، وهو بين سنجار ونصيبين وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ما ذكرنا فإنه في العبرة كما أشرنا.

حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلكان في تاريخه قال: مر أبو الربيع قرواش ابن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلاً على بساتين ومياه كبيرة، فتأمله فإذا هي في حائط منه مكتوب[2].

يا قصر عباس بن عمرو ... كيف فارقك ابن عَمرك؟
قد كنت تغتال الدهور ... فكيف غالك ريبُ دهرك
واهاً لعزك بل لجودك ... بل لمجدك بك لفخرك!

وكتبه علي بن عبد اللّه بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان وتحته مكتوب[3].

---

(١) انظر عن القصر وترجمته (معجم البلدان: ٣٥٩/٤).

(٢) ضبطنا الأبيات عن المصدر السابق حيث ذكرها.

(٣) الحاشية السابقة.

يا قصر ضعضعك الزَّما ... ن وحط من علياء فخرك
ومحا محاسن أسطر ... شرفت بهنَّ متون جُدرك
واهاً لكاتبها الكر ... يم وقدره الموفي بقدرك

وكتبه الغضنفر بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وهذا هو عدة الدولة بن الأمير ناصر الدولة أخي سيف الدولة وتحته مكتوب(1).

يا قصر ما فعل الألى ... ضُربت قبابهم بقعْرك
أخنى الزمان عليهم ... وطواهم لطويل نشرك
واهاً لقاصر عمر من يختال ... فيك وطول عمرك [١٧٩]

وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وهذا هو والد قرواش فكتب ولده قرواش تحته:

يا قصر ما صنع الكرا ... م الساكنون قديم عصرك(2)
عاصرتهم فبددتهم ... وشأوتهم طُرًّا بصبرك
ولقد أثار(3) تضجّعي ... يا بن المسيب رقم سطرك
وعلمت أنه لاحق ... بك دائب في قفو أثرك(4)

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة، وعزم على هدمه وقال هذا مشؤوم ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل سيار باني الرقة ورأس عين من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وكان يتولى اليمامة والبحرين، وسيره المعتضد لحرب القرامطة في عشرة آلاف فارس، فقتل الجميع وسلم وحده وعمرو بن الصفار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان في خمسين ألف فارس وأخذوه وسلم الباقون.

---

(1) الحاشية السابقة.

(2) في المصدر السابق ورد على النحو:

يا قصر أين ثوى الكرام...

(3) في المصدر السابق: أطال.

(4) ورد نحوه في المصدر السابق.

[قصر البصرة]

وكذلك قصر البصرة وكان قبل أن تخط البصرة منزله تنزلاً الأكاسرة في مصيداتهم، وتخرج إليه الأساورة في منتزهاتهم، وتهدم حتى جدده الحجاج، فعرف به، فقيل قصر الحجاج، وكان يعرف بقصر قباذ.

وقال: قال أبو الغراف: قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهلية، فليس الفرزدق الديباج والخز، وقعد في قبة، وشاور جرير دهاة بني يربوع وشيوخهم، فقالوا: «ما لبس آباؤنا إلا الحديد» فلبس درعاً وتقلد سيفاً وتأبط رمحاً وركب فرساً، وأقبل في أربعين من بني يربوع وجاء الفرزدق في هيئة فتقاولا فقال جرير:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة   عليه وشاحا حليه وخلاخله

اعدوا مع الخز الملاب فإنما   جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير في معرة بني حصن ووقف الفرزدق بالمربد، وقد أبثر جرير عليه.

[قصر الكوفة](1)

وكذلك قصر الكوفة، وقد هدم فلم يبق منه باقية، وله حكاية مشهورة ولهذا ذكرناه.

قال عبد الملك بن عمير: كنت مع عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء برأس مصعب بن الزبير، فوضع بين يديه، فرآني قد ارتعدت فقال لي: ما لك؟ فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر في هذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن يديه، ثم كنت فيه مع المختار بن أبي عبيد فرأيت رأس ابن زياد بين يديه، ثم كنت فيه مع مصعب ابن الزبير فرأيت رأس المختار بين يديه، ثم هاأنا فيه معك ورأس مصعب بين [١٨٠] يديك، فقام عبد الملك من مقامه ذلك وأمر بهدم ذلك الطاق.

ولمناسبة هاتين الواقعتين ذكرنا هذين القصرين لما فيهما من العبرة لمن تفكر، فسبحان الله الباقي وكل شيء هالك، الدائم وما سواه ليس كذلك.

[قصر هرقل]

ومنها قصر هرقل وهو **بالشرق** الأعلى الشمالي، ويعرف في زماننا بقصر شمس الملوك، ولم يبق منه اليوم إلا الجوسق والحمام، والجوسق الآن خانقاه للفقراء ولم يزل منزلاً للملوك ومنزلاً لأهل البلد لأشرافه، لإشرافه على نهر بردى والوادي ونزله السلطان صلاح الدين.

---

(١) انظر (معجم البلدان: ٣٦٣/٤).

وحكى ابن ظافر قال: دخل أبو خالد بن صقير القيسراني على الأمير تاج الملوك أبي سعيد نورنجت أتابك طغتكين صاحب دمشق وبين يديه بركة فسيحة الفناء صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجر النسيم عليها ما رق من أذياله وصفا، وهو تارة يرشف رضابها، ويجعد ثيابها، وتارة يسكبها مبرداً، ويحبكها مسردا، فأمره بوصفها، قال:

أوماترى طرب النسيـ ... م إلى الغدير إذا تحرك

بل لو رأيت الماء يلـ ... حب في جوانبه لسرك

وإذا الصبا هبت عليـ ... ـه أتاك في ثوب منوك.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم قال: قرأت بخط أبي الحسن رشأ بن نظيف **وأنبأنيه** أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم عنه أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن يحيى الدقاق حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم قال: قرأت على قصر بدمشق لبني أمية:

ليت شعري ما حال أهلك ... يا قصر وأين الذين عالوا بناكا

ما لأربابك الجبابرة الأملاك ... شادوك ثم حلُّوا سواكا

ألزهدٍ يا قصر فيك تحاموك ... ألا تبتني ولست هناكا

ليت شعري وليتني كنت أدري ... ما دهاهم يا قصر ثم دهاكا

ومن خلفه هذا جواب عنهم:

أيها السائل المفكر فيهم ما إلى ... ذا السؤال قل لي دعاكا

أو ما تعرف المنون إذا حلت ... دياراً فلن تراعي هلاكا

إن في نفسك الضعيفة شغلاً ... فاعتبر وامضِ فالمنون وراكا

قال: وحدثني أبو الحسن بن الطحاوي حدثني ابن أبي هاشم قال: قرأت بحلوان على قصر لعبد العزيز بن مروان [١٨١]:

أين رب القصر الذي شيد القصر ... وأين العبيد والأجناد

أين تلك الجموع والأمر والنهي ... وأعوانهم وذاك السواد

أين عبد العزيز أين ابن مروان ... وأين الحماة والأولاد

ما لنا لا نحسُّهم ونراهم أترى ... ما الذي دهاهم فبادوا

قال: وقرأت تحته هذا جواب عنهم:

أيها السائل المفكر فيهم ... كيف بادت جموعهم والسواد

ثم في القصر واذين بنوه ... أسفاً حين فارقوه وبادوا

أين كسرى وتبع قبل مروان ... ومن قبل تبع شداد

أين نمرود أين فرعون موسى ... أين من قبلهم ثمود وعاد

كلهم في التراب أضحى رهيناً ... حين لم تغن عنهم الأجناد

إن في الموت يا أخي لك شغلاً ... عن سواه والموقف الميعاد

ومما ينسحب على ذيل ذلك أنني نزلت في مسجد بغنية السلار من اليرموك بالشام، وكانت قديماً منازل غسان، ثم نزلها قوم من آل يسار، ثم صارت إلى بني السلار وكانوا أمراء نبلاء وسادة أجلاء ثم أبادهم الحدثان فقرأت على بعض جدران المسجد:

أرأيت أي منازل وديار ... أمست خلاء من بني السلار

العامرين مساجداً لإلههم ... الغامرين نداً ذوي الإعسار

وقد كتب آخر تحتها:

قلبي المشوق إلى بني السلار ... أبداً يقلب فوق جذوة نار

قوم لحسن صنيعهم أحببتهم ... حُبِّي لآل محمد الأطهار

فاقوا الوري بمناقب ومراتب ... ومواهب غمرت وطيب نجار

إن أقفزت أرض الغنيَّة منهم ... فعراصها ملأى من الأيثار [١٨٢]

[الأديرة]

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين أو ورد لذلك الدير ذكر في شعر قديم أو عصري.

[دير كلب](١)

فمنها: دير الكلب وهو قريب معلثايا في سفح جبل والماء ينحدر عليه وقلاليه مبنية بعضها فوق بعض في صعود الجبل، فمنظرها أحسن منظر وينبوعه ينصب عليه من أعلاه، وفيه من الزيتون والرمان والاس والكروم والزعفران والنرجس شيء كثير ولرهبانه مزارع في السهل، وغلاته كثيرة.

---

(١) انظر: (الديارات) ٤١٥) وانظر المصدر نفسه ص: ٢٠١.

قال الخالدي: ولهذا الدير خاصته في برء عضة الكلب الكلِب، وله عيد في وقت من السنة يخرج إليه خلق من النصارى نساء ورجال للإقامة عندهم وخلق من المسلمين للنظر إليه والنزهة فيه ويجتمع إليه أهل الرفث والمجان، ويستمع به الأغاني وأنواع الملاهي وتذبح به الذبائح وتشرب الخمور.

وحكى أن أخاً لأبي السفاح الشاعر عضه كلب كلِب فحمله إلى هذا الدير به فبرىء وأنشد له شعراً فيه لم أذكره(١).

دير أَبُّون(٢)

دير أيوب وهو دير بين الجزيرة **وثمانين** وهو دير جليل عند النصارى وبه جماعة من الرهبان ويزعمون أنه قبر نوح عليه السلام، وقد تقدم ما ذكرناه في أمر قبره بكرك البقاع والله أعلم أي بقعة ضمته، ولهم صهريج للماء زعموا أن له أنابيب من صفر يجري فيها الماء من جبل الجودي إلى الصهريج، وإلى جانبه ضيعة غنّاء كثيرة البساتين، يقال لها برزمهران.

دير الزعفران(٣)

وهو بالقرب من معليا(٤) بجانب الفلجة النافذة إلى الحسينية(٥)، وهو في لحف جبل تطل عليه قلعة أردمشت، وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها [١٨٣]، وهو كثير الرهبان والقلالي، ولرهبانه يسار ونعم ومزارع وبساتين، وفرش أرضه من الزعفران، وقلاليه بعضها من بعض كبناء دير الكلب بأحسن وصف وأملح تكوين، وله سور يحيط به، وشرابه مفضل في اللون والرائحة والعتق، وماؤه سائح من ينبوع في جبله.

قال الخالدي: اجتزت به في بعض السنين وعامل الناحية سعيد بن إسحاق فاحتبسني عنده أياماً للأنس فعملت فيه عدة أشعار منها:

وزعفرانية في اللون والطيب ... طيبة الخمر دكناء الجلابيب

---

(١) الشعر نقله ياقوت في (الخزل والدأل: ١٧٢/٢):
سقى ورعى الله دير الكلاب ... ومن فيه من راهب ذي أدب

(٢) انظر (الخزل والدأل: ٢٥٦/١) ومنه يقال: أبيون...

(٣) انظر (الخزل والدأل: ٥٣/٢) وانظر (الديارات للشابشتي: ١٩١) باسم عمر الزعفران.

(٤) كذا في الأصل وفي معجم البلدان: ١٥٨/٥: معلثايا: بليد قرب جزيرة ابن عمر..

(٥) قال عنها ياقوت في (معجم البلدان: ٢٦٠/٢): بلد في شرق الموصل على يومين بينها وبين جزيرة ابن عمر.

ثوت بحانة عمر الزعفران على ... مر الهواجر فيه والأهاضيب

وما الغطارفة الشباب إن شربوا ... خمراً بأبلج من رهبانه الشيب

شربتها من يدي حوراء مقلتها ... تضني القلوب بتبعيدٍ وتقريب

شمس إذا طلعت قالت محاسنها ... ها قد طلعت فيا شمس الضحى عيبي

ونمت سكراً ونامت لي معانقة ... فلا تسل عن عناق الظبي والذيب

دير قُنّى(١)

دير قنّى وهو ببغداد والمدائن ودير العاقول أسفل منها باثني عشر فرسخاً وإلى جانبه قرية كبيرة أخرجت عدة من الكتاب والوزراء وهو حسن البناء راكب على دجلة، وبات فيه الوزير علي بن مقلة ثم اصطبح فيه وقال:

باتت يديه تجني ثمار الجناح ... بدير قنّى من وجوه صلاح

حتى تلا الراهب مزموره ... وضمخ الأفق خلوق الصباح

فهل فتى يسعدني عاقداً ... ذيل غبوقٍ بذيول اصطباح

أطيعه في كل ما يشتهي ... كطاعة الرمس لأمر الرياح [١٨٤]

وفيه يقول البحتري من قصده يمدح ابن العياض الوزير وكان من دير قنى:

ما نقضي لبانة عند لبنى ... والمعنى بالغسانيات معنى

نزلوا ربوة العراق ارتياداً ... أي أرض أنشف داراً وأسنى

بين دير العاقول مرتبع أشرف ... مختلفة إلى دير قنى

حيث بات الزيتون من فوقه ... النخل عليه ورق الحمام تغنى

ما المعالي إلا المكارم تزداد ... وإلا مصانع المجد تبنى

قال الخالدي: وأنشدنا أبو العباس بن أبي خالد الأحول قال: أنشدني كاتب ابن طولون لنفسه(٢):

إن عجزاً كما يكون وغبناً ... أن نُرى صاحبَين في دير قَنَّى

حَبّذا روضة المدَبّح ليلاً(٣) ... وهواه ذاك الممسك رُدْنا

---

(١) انظر في ترجمته (الخزل والدأل: ٣/١٥٩) وأيضاً (معجم البلدان: قنى).

(٢) ضبطنا الأبيات عن (معجم البلدان: ٤/٣٩٩).

(٣) في المصدر السابق: ذيلاً.

قد جرى السلسبيل بالمسك فيها		فحوته الدنان دنا فدنا

كم خلونا بخسروانيَّ كسرى		وهو يُسقى طَوراً وطوراً يغنّى

تحت إفرندة من الورد إلا		أنها من أنامل البدر تُجنى[1]

وحكى جحظة البرمكي قال: كنت بحضرة إسماعيل بن بلبل بواسط أيام حرب العلوي البصري والموفق الناصر يقاتله، فلما انصرفت وافقني البحتري وكان قد زار ابن بلبل، فلما وصلنا إلى دير قُنّى قال لي: ويحك يا جحظة هذا دير قُنّى وهو من الحسن والطيب على ما ترى وأنت أنت وطنبورك طنبورك فهل لك أن نقيم به اليوم، فنشرب، ونطرب، وننعم ونلعب، فقلت: نعم! ولم يكن معنا نبيذ فسألنا عمن يقرب منا من العمال، وكتب ـ البحتري:

[يا ابن عيسى بن فرخان، وللفر		س بعيسى بن فرخان إفتخار

قد حللنا بدير قنّى وما نب		نعي قِرًى غير أن يكون عقار

فاسق من حيث كان يشرب كسرى		عصبة كلهم ظَماء حرار

من كميت تولت الشمس منها		ما تولت من سواها النار

فوجه إليهما دناً شراباً، ومائة دجاجة، وعشرين حملاً وفاكهة.

وعملت في الأبيات لحنًا فلم نزل نشرب عليه يومنا وليلتنا. وأخذت فيها مغنى فقلت:

وبات يسقينا جنانية		ضنت بها الشمس على النار

[دير العذارى][2]

دير العذاري: وهو بين سر من رأى وبغداد، بجانب العلث على دجلة، في موضع حسن، فيه رواهب عذارى. وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات. ولا يعد من دخله أن يرى من رواهبه جواري حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ.

قال الخالدي: ولقد اجتزت به فرأيته حسناً، ورأيت في الحانات التي حوله خلقاً يشربون على الملاهي، وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيت في جنينات لرواهبه جماعة يلقطن زهر العصفر، ولا يماثل حمرة خدودهن.

ثم إن دجلة أهلكته بمدودها حتى لم يبق منه أثر.

ولجحظة فيه أخبار وأشعار لأنه كان معانه ومأواه وإليه ينجذب به هواه.

---

(١) ما ورد في الأبيات السابقة بعض التغيير قياساً مع المصدر السابق.

(٢) انظر (الخزل والدأل: ٢/١٢٥).

وفيه يقول ابن المعتز: [الطويل]

أيا جيرة الوادي[1] على المشرع العذب ... سقاك حياً حَيُّ الثَّرى مَيّتُ الجدْب
وحسبك يا دير العذارى قليل ما ... يحن بما تحويه من طيبة قلبي
كَذَبتُ الهوى إن أقف اشتكي الهَوى ... إليك وإن طال الوقوف[2] على صحبي
وعجت به والصبح ينهب الدجى ... بأضوائه والنجم يركض في الغرب
أُصانع أطرافَ الدموع بمقلة[3] ... موقرة بالدمع غرْباً على غَربِ
وهل هي الا حاجةٌ قضيت لنا ... ولوم تحملناهُ في طاعة الحب

قال الخالدي: وأنشدني جحظة لنفسه: [البسيط]

قالوا قميصك مغمورٌ بآثار ... من المدامة والريحان والقار
فقلت: من كان مأواهُ ومسكَنُهُ ... دير العَذارى لدى حانوت خَمّار
وسادُهُ يدُهُ والأرض مَفْرَشُهُ ... لا يستطيع لشكرٍ حَلَّ أزرار
لم ينكر الناس منه أنَّ حُلَّته ... خضراءُ كالروضِ أو حمراءُ كالنار

وقال: وللصنوبرى فيه:

وللقسّ حزن يهيض الفؤاد ... ووجد يدل عليه النحيب
وقد كان عيراً لدى عانة ... فصب على العير ليث غضوب

وفيه يقول بعض القطاع أيضاً من كلمة له:

وألوط من راهب يدعي ... بأن النساء عليه حرام
يحرم بيضاء ممكورة ... ويغنيه في البضع عنها الغلام
إذا ما مشى غض من طرفه ... وفي الدير بالليل منه عُرام
ودير العذارى فضوح لهن ... وعند اللصوص حديث تمام

وقيل في راهبه فيه:

يا أيها القمر المنير الزاهر ... المشرق الحسن المضيء الباهر
أبلغ شبيهات السلام وهنها ... بالنوم واشهد لي بأني ساهر

---

(١) في الديوان: أيا سورة الوادي.

(٢) في الديوان: الطريق.

(٣) في المصدر السابق: بمقلتي.

[دير الباغوث](1)

دير الباغوث: وهو على شاطىء الفرات من جانبها الغربي في موضع نزه، وكانت العمارة قليلة حوله، وله خفراء من الأعراب، وله مزارع ومباقل وجنينات، وفيه هيكلة صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحسن، يقال إن لها مئين سنين لم تتغير أصباغها ولا حالت ألوانها.

قال المنبجي: اجتزت بدير الباعوث هذا واستحسنته واستنبطنة فلولا الوطن لاستوطنته، ورأيت في رهبانه ملل ما لَما عذر قد ترهب، فخاطبته وإذا به أحلى الناس ألفاظاً على لثغة فيه تجعل السين ثاء. فشديت سماريتي إلى جانب الدير، واشتريت شراباً من الرهبان، وبت منادماً لذلك الغلام. فلما أردت الرحيل قال: أتنصرف من عندنا أنت شاعر ولم تقل فينا شيئاً؟ فقلت بلى والله قد قلت: وأنشدته:

يا طيب ليلة دير مر باعوث ... فسقاه رب العرش صرف غيوث

وموَرد الوجنات من رهبانه ... هو بينهم كالظبي بين ليوث

حاولت منه قبلة فأجابني ... يا حسن ذا التذكير والتأنيث

حتى إذا ما الراح سهل حثها ... منه العسير برطله المحثوث

نلت الرضا وبلغت قاصية المنى ... منه برغم رقيبه الديوث

ولقد سلكت مع النصارى كل ما ... سلكوه غير القول بالتثليث

دير السوسي(2)

وهو في الجانب الغربي بسرَّ من رأى ومنه أرضها فابتاعها المعتصم من أهله.

حكى أحمد بن أبي طاهر قال: قصدت بسرَّ من رأى رائداً بعض كبارها بشعر مدحته به فقبلني وأجزل صلتي، ووهب لي غلاماً رومياً حسن الوجه، فسرت أريد بغداد، فلما سرت نحو فرسخ أخذتنا السحاب فعدلت إلى دير السوسي لنقيم فيه إلى أن يخف المطر، فاشتد القطر وجاء الليل فقال الراهب الذي هو فيه: أنت العشية بأنت هنا، وعندي شراب جيد، فتبيت تقصف ثم تبكر، فنتُ عنده. فأخرج لي شراباً جيداً ما رأيت أصفى منه ولا أعطر، وبات الغلام يسقيني والراهب نديمي حتى مت سكراً، فلما أصبحت رحلت وقلت:

سقى سر من راى وسكانها ... وديراً لسوسيها الراهب

---

(1) ذكره ياقوت في (معجم البلدان: ٢/٥٠٠).

(2) انظر عنه (الخزل والدأل ٢/٩٢) وفيه أنه سمي باسم رجل من أهل سوس سكنه مع رهبان معه فسمي به.

فـقـد بـت فـي ديـره لـيـلـة وبـدر عـلـى غُـصـنٍ صـاحِـبـي
غـزال سـقـانـي حـتـى الـصـبـا ح صـفـراً كـالـذهـب الـذائـب
سـقـانـي الـمـدامـة مـسـتـيـقـظـاً ونـمـت ونـام إلـى جـانـبـي
وكـانـت هنـاك وهـي تشرب الويل من جـنـاهـا الـذي خـطـه كـاتـبـي

وقد ذكره أبو الفرج وأنشد فيه قول ابن المعتز[1]:

يـا لـيـالـي بـالـمـطـيـرة والـكـر خ وديـر الـسُّـوسـي بـالـلّـه عُـودي
كـنـت عـنـدي أنـمـوذجـاً من الـجـنـة لـكـنـهـا بـغـيـر خـلـود
أشـرب الـراحَ وهـي تـشـرب عـقـلـي وعـلـى ذاك كـان قـتـل الـولـيـد

دير عبدون[2]

وهو بسر من رأى إلى جانب المطيرة قال: وسمي دير عبدون لكثرة إلمام عبدون أخي صاعد[3] به، وكان عبدون نصرانياً وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر **فاستوزره** وبلغ معه البالغ الغطيه.

وحكى البحتري: أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فصح ومعه ابن خرداذبة قال للبحتري فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها وأولها:

لا جـديـد الـصـبـى ولا ريـعـانـه راجـع بـعـدمـا يـقـضـى زمـانـه

فأمر لي بمائتي دينار وثياب خز وشهري بسرجه ولجامه، وأخوه حينئذ الموفق في قتال العلوي البصري، فسر بذلك وقال لي: يا أبا عبادة قل في هذا شعراً أنفذه إلى ذي الوزارتين يعني أخاه وكان اللقب بهذا فقلت: [المنسرح]

لـيـكـتـنـفـك الـسـرورُ والـفـرح ولا يـفُـتـكَ الإبـريـقُ والـقـدحُ [١٩٠]
فـتـح وفـصُـحٌ قـد وافـيـاك مـعـاً الـفـتـح يُـقـرا والـفـصـحُ يُـفْـتَـتَـحُ
فـانـعـم سـليـم الأقـطـارِ **تـغـتـبـق** الـ صـهـبـاء مـن دَنـهـا وتـصـطـبِـحُ
فـإن أردت اجـتـراح سـيـئـةٍ فـهـاهـنـا الـسَّـيـئـاتُ تـجـتـرحُ

---

(١) ضبطنا الأبيات عن المصدر السابق.
(٢) (الخزل والدأل: ٢/١٢٢).
(٣) في المصدر السابق: عبدون بن مخلد المتوفى عام ٣١٠هـ. وهو شقيق صاعد بن مخلد الذي أسلم على يد الموفق فاستوزره وحكى الأخبار السابقة.

وأقمنا يومنا إلى الليل وخلع على ابن خرداذبة وحمله وانصرفنا وأنشد الخالدي قول ابن المعتز فيه: [البسيط]

سقى الجزيرة[1] ذات الظل والشجر ... فدير عبدون هطال من المطر

دير زكّى[2]

وهو قريب البليخ والفرات في أنزه البقاع بين بساتين وأنهار وقلال وضياع.

وحكي عن الحسين بن يعقوب أنه قال: صرت إلى الرها فبت بها وخرجت قبل عيد الصليب بيوم، فإذا الدنيا وجوه حسان من نصرانيات خرجن لعيدهن عليهن جيد الثياب وفاخر الجوهر، وإذا روائح المسك والعنبر قد طيب الهواء منه وقد فرش لهن على العجل وهو يُجَرُّبهن وأخريات على الشهارى الخراسانية والبغلات المصرية والحمر الغرة ومشاة، وفي ذلك صبيان ما رأيت أحسن منهم وجوهاً وقدوداً وثياباً فتأملت منظراً لم أر أحسن منه قط وإذا هم يطلبون دير زكّى ليعبدوا فيه.

قال الخالدي: وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية[3] ذات قصور ودور وفيها يقول بعض الشعراء:

قصور الصالحية كالعذارى ... لبسن حليهن ليوم عرس
تقنعها الرياض بكل نور ... وتضحكها مطالع كل شمس

وفيها قال الصنوبري: [البسيط]

إني طربت إلى زيتون بطياس ... فالصالحية ذات الورد والآس
وصف الرياض كفاني أن أقيم على ... وصف الطلول فهل في ذاك من باس
وقائل لي أفق يوماً فقلت له ... من سكرة الحب أو من سكرة الكاس [191]
قل للذي لام فيه هل ترى كلفاً ... بأملح الروض إلا أملح الناس

وفيها قال أيضاً: [مجزوء الكامل]

الصالحية موطني أبداً ... وبطياس قراري
من فوق غُدْران تفيـ ... ـض وبين أنهار جواري

---

(1) في الديوان: المطيرة.

(2) (الخزل والدأل: ٢/٥٧)؛ (الديارات للشابشتي: ٢١٨).

(3) الصالحية قرية قرب الرقة عند بطياس. (مراصد الاطلاع: ٢/٨٣٠).

ومــدامــة بــزلــت فــأشــبــه فــتــلــهــا فَــتْــلَ الــســوار

يــا لائــمــي مــا الــعــار عــا رك فــامــض فــي الــعــار عــاري

لــهــفــي عــلــى مَــلــوِيِّــه الأ صــداغ مــســبــلــة الإزار[1]

قــد فُــضِّــضَــتْ بــالــيــاســمــ يْــن وَذُهِّــبَــتْ[2] بــالــجــلــنــار

وفيه قال: [الخفيف]

حبذا المرج[3] حبذا العمر لا بل حبذا الدير حبذا السروتان

قد تجلَّى الربيع من خلل الزهر وصاغ الحمام طيب[4] الأغاني

زينت أوجهُ الرياض فأضحت وهي تُزْهَى على الوجوه الحسان

أخضر اللون **كالزبرجد** في أحمر صافي الأديم كالعقمان

وبهار مثل الزنانير محفوف بزهر الخيريِّ والحوذان

سقاني بكل لون من الرا ح على كل هذه الألوان

وفيه يقول الصنوبري أيضاً من قصيدة: [الوافر]

أراق سجاله بالرقتين جنوبي صخوبُ الجانبين

وأهدى للرصيف رصيف مزن يعاوده طرير الطرتين

يضاحكها الفرات بكل فجٍّ فتضحك عن نضار أو لجين [١٩٢]

كأن عناق نهري دير زكَّى إذا اعتنقا عناق متيَّمين

أقاما كالسوارين استدارا على كنفيه أو كالدملجين[5]

ويا سفن الفرات بحيث تهوي هُوِيَّ الطير بين الحلتين[6]

تطارد مقبلات مدبرات على عجل تطاردَ عسكرين

ترانا واصلين كما عهدنا وصالاً لا ننغصه ببين

ألا يا صاحبيَّ خذا عناني هواي سلمتما من صاحبين

---

(١) في الديوان: الطور.
(٢) في المصدر السابق: أُذهبت.
(٣) في الديوان: الكرخ.
(٤) في الديوان: حلي.
(٥) الدملج: السوار يحيط بالمعصم.
(٦) في (الخزل والدأل: ٦١/٢): الجلهتين.

وكان اللهو عندي كابن أمي ... فصرنا بعد ذاك لعلتين

وله أيضاً من أخرى: [الخفيف]

يا نديمي أما تحنُّ إلى القصـ ... ـف فهذا أوان يَبدو الحنين
ما ترى جانب المصَلَّى وقد أشر ... ق من ظهوره والبطون
أسرجت في رياضه سُرج القطر ... وطابت سهوله والحزون
إن آذار لم يذر تحت وجه[1] ... الأرض شيئاً أكنه كانون
وكأن الفرات بينهما عين ... لجين يقوم فيها السَّفين
كبطون الحياتِ أو كمتون[2] ... المسرفات أخلصتها القيون
كم غدا نحو دير زكيٍّ من قلب ... صحيح فعاد وهو حزين
لو على الدير عجتَ يوماً لألهتك ... فنون وأطربتك فنون
لائمي في صبابتي قدمك مهلاً ... لا تلمني إن الملامَ جنون

ولأبي بكر المعوج فيه من قصيدة:

ما ترى الدير ما ترى أسفل الدير ... وقد صار وردة كالدهان [١٩٣]
لو رآه النعمان شق عليه ما ترى ... من شقائق النعمان

قال الخالدي عن الزهراوي قال: كان بالموصل جارية مغنية لقبت بالدير، وكان لها ابن عم يعشقها فطرقته يوماً زائراً، فاحتجب عني وعرفت أن عنده المغنية المعروفة بالدير وقد خلا بها فكتبت إليه:

وقد علمنا بأن مثواك بالدير ... فعيشا في غبطة وأمان
تتغنى طوراً وتسقيك طوراً ... وتلاقي السواء السوأتان
ثم أنشدت إذ سمعت نخيراً ... كنخير الرعود في نيسان
ما ترمى الدير ما ترى أسفل الدير ... وقد صار وردة كالدهان

قال الخالدي: وهذا التضمين حسن واقع في موقعه متمكن في مكانه، وهذا سبيل منه أن يكون البيت المضمن كان من الشعر المضاف إليه.

---

(١) في الديوان: بطن.

(٢) في الديوان: كظهور.

قلت بشرط نقله لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه ولا نترك التضمين أولى إذا كان بمعنى الأولى.

وقد ذكره أبو الفرج[1] وقال: وممن ذكره هارون الرشيد فقال في بعض غزواته وقد خلف جارية كان يحبها هناك:

سلامٌ على النازح المغترب ... تحية صبٌّ به مكتئب

غزال مراتعُهُ بالبليخ ... إلى ديرزكّى[2] فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً من أحبّ

سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب لمن لا أُحِبّ

قال: ويقال إنه قالها في ديرانية رآها في دير زكيّ فهويها.

دير القائم الأقصى[3]

وهو على شاطئ الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة.

قال أبو الفرج[4]: وقد رأيته وهو مرقب من المراقب التي كانت بين الروم والفرس على أطراف الحدود.

وقال إسحاق الموصلي: [١٩٤] لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة مررنا بالقائم وعنده الدير، فاستحسن الرشيد الموضع، وكان الوقت ربيعياً، وكانت تلك المروج مملوءة بالشقائق والزهر، فشرب على ذلك ثلاثة أيام ودخلت الدير أطوف فيه فرأيت ديرانية حين نهد ثدياها عليها المسوح ما رأيت أحسن من وجهها وجسمها، وكأن تلك المسوح عليها حلًى، فدعوت بنبيذ وشربت على وجهها أقداحاً وقلت:

بدير القائم الأقصى ... غزال شادن أحوى

برى حبي له جسمي ... ولا يدري بما ألقى

وأكتم حبَّه جهدي ... ولا واللّه ما يخفى

ثم دعوت بالعود فغنيت في الشعر صوتاً مليحاً طريفاً وما زلت أكرره وأشرب وأنظر إليها

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٥١٢).

(٢) في المصدر السابق: فجر.

(٣) (معجم البلدان: ٢/٥٢٦).

(٤) في المصدر السابق.

وهي تضحك من فعلي حتى سكرت، فلما كان من الغد دخلت على الرشيد وأنا ميت من السكر فقال لي: أين شربت؟ فأخبرته القصة، فقال: طيب وحيّاني ودعاني لشراب فشربت، فلما كان العشي قال: قم بنا حتى أتنكر وأدخل إلى صاحبتك هذه وأراها، فقمت معه وتلثم ودخل الدير فرآها وقال: مليحة واللّه وأمر من جاءه بكأس وخردادي وأحضرت عودي فغنيته الصوت الذي صنعته ثلاث مرات وشرب عليه ثلاثة أرطال ثم خرج وأمر لي بثلاثين ألف درهم فقلت: يا سيدي فصاحبة القصة أريد أن يبين عليها أثري، فأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر بأن لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراج، وأقطعهم إيّاه وجعل عليه من الخراج عشرة دراهم في كل سنة تؤدى ببغداد.

دير حزقيال[1]

قال سريح الخزاعي: اجتزت بدير حزقيال فبينا أنا أدور فيه إذا بسطرين مكتوبين على أسطوانة فقرأتهما فإذا هما: [١٩٥].

ربَّ ليل أمدًّ من نفس العا	شق طولاً قطعته بانتحابِ
ونعيم يوصل من كنت أهوى	قد تبدلته ببؤس العتاب
نسبوني إلى الجنون ليخفوا	ما بقلبي من صبوة واكتئاب
ليت بي ما ادعوا من فقد عقلي	فهو خير من طول هذا العذاب

وتحته مكتوب:

هويت فمنعت وطردت وشردت، وفرق بيني وبين الوطن، وحجبت عن الإلف والسكن، وحبست في هذا الدير عدواناً، وصفدت في الحديد زماناً.

وإني على ما نابني وأصابني	لذو مرّة باقٍ على الحدثان
فإن تُعْقِب الأيام أظفر بحاجتي	وإن أتولى يرم بي الرجوان[2]
فكم ميتٍ همًّا بغيظٍ وحسرةٍ	صبورٍ بما يأتي به المَلَوان

فدعوت برقعة وكتبت ذلك وسألت عن صاحبه فقالوا رجل هوي ابنة عم له، فحبسه عمه في هذا الدير وغرم على ذلك جملة للسلطان خوفاً أن تفتضح ابنته، ثم مات عمه فورثه هو وابنته وجاء أهله فأخرجوه وتزوج ابنة عمه.

---

(١) انظر: (الخزل والدأل: ٢/١٠).

(٢) في المصدر السابق:

وإن أبقَ مرمياً بي الرجوان

دير ماسرجبيس(١)

قال أبو الفرج: لم يذكر دياراته وله عدة ديارات منها دير بإزاء البركان في ظهر قرية يقال لها كاده.

حكي عن عبد اللّه الربيعي قال: دخلت أنا وأبو النصر البصري مولى بني جمح بيعة ماسرجبيس وقد ركبنا مع المعتصم نتصيد، فوقفت أنظر إلى جارية كنت أهواها وجعل هو ينظر إلى صورة في البيعة استحسنها حتى طال ذلك ثم قال أبو النصير:

فـتـنـتـنـا صـورة فـي بـيـعـة ... فـتـن الـلّـه الـذي صـورهـا
زادهـا الـنـاقـش فـي تـحـسـيـنـهـا ... فـضـل حـسـن أنـه نـصَّـرهـا
وجـهـهـا لا شـك عـنـدي فـتـنـة ... وكـذا هـي عـنـد مـن أبـصـرهـا [١٩٦]
أمـا لـلـقـس عـلـيـهـا حـاسـد ... لـيـت غـيـري عـبـثـاً كـسَّـرهـا

قال: فقلت له **شتان ما بيننا** أنا أهوى بشراً وأنت تهوى صورة؟ فقال لي: هذا عبث وأنت في حد.

قال حماد: ودعني عبد اللّه بن العباس في هذا الشعر غناء حسناً سمعته منه فنسبه إليه لكثرة شعره في أمرأة كان يهواها.

دير الروم(٢)

وهو بأرض بغداد.

قال **الشابشتي**(٣): كان مدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد، فينظر من فيه من المردان والوجوه الحسان وله فيه:

وجـوه بـديـر الـروم قـد سَلـبـت عـقـلـي ... فأصبحت في بؤس شديد من الخبل
فـلـم تـر عـيـنـي مـنـظـراً مـثـل حـسـنـهـم ... ولـم تـر عـيـن مـسـتـهـامـاً بـهـم مـثـلـي

وحكي عن جساس بن محمد قال: كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له: **عمرو بن يوحنا**، وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان من أفاضل أهل الأدب، وكان له مجلس يجتمع فيه الأحداث لا غير فإن حضره ذو لحية

---

(١) (الخزل والدأل: ١٨٣/٢) وفيه: ماسرجبيس (٤٥٢).
(٢) انظر (الديارات للشابشتي: ٣٣٧). وانظر (معجم البلدان: ٥١١/٢).
(٣) الحاشية السابقة.

قال له مدرك: إنه يقبح بك أن تختلط بالأحداث فقم في حفظ اللّه فيقوم. وكان عمرو ممن حضر مجلسه فعشقه وهام به فكتب إليه رقعة وتركها في حجره فقرأها فإذا بها:

بمجالس العلم التي بك تم جمع جموعها
إلا رقيت لمقلة عرفت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة فاللّه في تضييعها

فقرأ الأبيات ووقف عليها من حضر فاستحيا عمرو فانقطع عن الحضور وغلب الأمر على مدرك فترك مجلسه وتبعه وقال أشعاراً منها قوله:

يا من يريد وصالنا ويرده	ما قد يحاذر من كلام الناس [١٩٧]
صلني فإن سيقت إليك مقالة	منهم فعصب ما يقال براسي

قال جساس: ثم خرج مدرك إلى الوسواس فحضرته عائداً في جماعة من إخوانه فقال: ألست صديقكم القديم؟ فما منكم أحد يسعدني بالنظر إلى وجه عمرو.

قال فمضينا إليه وقلنا له: يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل ديناً فإن أحياءه لمروءة، قال: فما فعل؟ قلنا له: قد صار إلى حال ما **نحسبك** تلحقه قال: فنهض معنا، فلما دخلنا عليه سلم عليه عمرو وأخذ بيده فقال: كيف تجدك يا سيدي فنظر إليه ثم أغمي عليه ثم أفاق وهو يقول:

أنا في عافية إلا من الشوق إليكا	أيها العائد ما في منك لا تحنى عليكا
لا تعد جسماً وعد ملياً رهيناً في يديكا	كيف لا تهلك من يرمي بسهمي مقلتيكا

دير الزندورد[١]

وهو بالجانب الشرقي من بغداد وأرض ناحيته كلها فواكه وأترح وأعناب، وعنبها من أجودها يعتصر هناك ولهذا قال أبو فراس:

فَسَقِّني من كروم الزندورد ضُحًى	ماءَ العناقيد في ظل العناقيد

قال الشاشتي[٢]: حكى عبد الواحد بن طرخان قال: خرجت إلى دير الزندورد في بعض أعياده **متطرباً** ومتنزهاً ومعنا جحظة في جماعة من إخواتي فنزلنا موضعاً حسناً ووافقنا هناك جماعة من ظرف بغداد لجميعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء، فأقمنا به أياماً في أطيب عيش

---

(١) (الديارات للشابشتي: ٣٣٨)، (معجم البلدان: ٥١٣/٢).
(٢) (الديارات: ٣٣٨).

وقال جحظة فيه شعراً ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحناً حسناً وهو[1]:

سقياً ورعياً لدير الزندورد وما ... يحوي ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الأقداح مترعة ... من كفّ ساق مريض الطرف وسنانِ
والعود يتبعه نايٌ يوافقه ... والشدو يحكمه غصن من البانِ [١٩٨]
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا ... وذاك إنسان سوء فوق إنسانِ
هذا ودجلة للرائين مُعرضة ... والطير يدعو هديلاً بين أغصانِ
برٌّ وبحر فصيد البرّ مقترب ... والبحر يسبح شطاه بحيتانِ

ثم صنع لحناً وغنى فيه شعراً له منه[2]:

خليليّ الصَّبُوحَ دنا الصباح! ... فإن شفاء ما تجدان راحُ
فنبه فتية جبهوا قديماً ... عواذ لهم بزجرٍ فاستراحوا
رأيت الغانيات صددن عني ... وأعرضتِ المبتلة الرَّداح
وقلن مضت بشرَّتك الليالي ... فقلت: نعم وقد رثَّ السلاح

دير درمالس[3]

وهو في باب الشماسية شرقي دجلة قال الشابشتي: وموقعه في هذا الوقت في ظهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الديلمي وهو نزه كثير البساتين والشجر وبقربه أجمة قصب وهو كثير آهل وهو من البقاع المعمورة بالقصف وعيده أحسن عيد يجتمع نصارى بغداد فيه، وفيه يقول ابن حمدون النديم:

يا ديرَ دَرْمالس ما أحسنك ... ويا غزالَ الدير ما أفتنك
لئِن سكنت الدير في عِلَّةٍ[4] ... فإن في وسط[5] الحشا مسكنك

دير سمالو[6]

وهو بالجانب الشرقي من بغداد على نهر المهدي وهناك أرحية للماء، وحوله بساتين

---

(١) ضبطنا الأبيات عن الديارات للشابشتي.
(٢) الحاشية السابقة.
(٣) (معجم البلدان: ٢/٥٠٩).
(٤) في المصدر السابق؛ لئن سكنت الدير يا سيدي.
(٥) في المصدر السابق: جوف.
(٦) (معجم البلدان: ٢/٥١٧)، (الخزل: ٢/٨١) وغيرها.

وأشجار ونخل آهل بمن يطرقه من أهل الخلاعة، وفي عيد الفصح لا يبقى أحد من النصارى ببغداد حتى يأتي إليه، ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه وشعر منه:

ولربَّ يوم في سمالو تم لي فيه النعيم و**غيِّبت** أحزانه [١٩٩]

حتى حسبت لنا البساط سفينة والبيت ترقص حولنا حيطانه

قال خالد بن يزيد بن الكاتب: كنت بدير سمالو فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم بن المهدي قد وافاني فذهبت إليه فإذا برجل أسود **مسفراني** قد غاص في الفرش فاستجلسني فجلست، فقال أنشدني بيتاً من شعرك فأنشدته:

رأت من عيني منظرين كما رأت من البدر والشمس المضيئة بالأرض

عشية حياتي بورد كأنه خدود أضفت بعضهن إلى بعض

وناولني كأساً كأن رضابها دموعي لما صدعن مقلتي **غمضي**

وولى وفعل السكر في حركاته من الراح فعل الريح بالغصن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلّى ثم قال: يا بني شبه الناس الخدود بالورد وشبهت أنت الورد بالخدود زدني فأنشدته:

عاتبت نفسي في هواك فلم أجدها تقتل

وأجبت داعيها إليك ولم أجب من يَعْذل

لا والذي جعل الوجوه لحسن وجهك تمثل

لا قلت إن الصبر عنك من التصابي أجمل

فرحت حتى صار خارج المصلّى ثم قال زدني فأنشدته:

عش **فحبك** سريعاً قاتلي والهوى إن لم تصلني واصلي

ظفر الحب بقلب دنف لك والسقم بجسم ناحل

وبكى العاذل لي من رحمتي فبكاي من بكاء العاذل

فصاح وقال: يا بليق: كم لي معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً، قال: [٢٠٠] اقسمها بيني وبينه.

وحكى الشابشتي لخالد[١] **حكايات** وأنشدته شعراً منه قوله:

كبد **المستهام** كيف تذوب ما تقاسي من العيون القلوب

---

(١) راجع ما ذكر في (الذيل: ٣٤١).

يا مكان الهوى خلوت من الصبر فما للسلو فيك نصيب

وقوله:

ولم أدر ما جهد الهوى وبلاؤه وشدته حتى وجدتك في قلبي

أطاعك طرفي في فؤادي فحاذه لطرفك حتى صرت في قبضة الحب

دير الثعالب[1]

وهو في الجانب الغربي من بغداد بباب الحديد، وهو مكان منتزه لا يخلو من قاصد وطارق ولا يتخلف أحد من النصارى عن عيده فمواطنه معمورة وبقاعه مشهورة ولابن الدهقان فيه شعر طريف وهو من ولد إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن العباس ويكنى بأبي جعفر وأنشد له جحظه:

أحين قطعت لك الواصلين وجدت عليك ولم أبخل

غدرت وأظهرت لي جفوة وجرت عليَّ ولم تعدل

أأطمع في آخر من هواك ولم ترع لي حرمة الأوَّل

دير مِدْيان[2]

وهو على نهر كرخايا ببغداد، وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير على العباسية ويشق الكرخ ويصب في دجلة، وكان قديماً عامراً يصب الماء فيه ثم نضب البثوق.

قال الشابشتي[3]: وهذا الدير حسن عامر حوله البساتين ويقصد للتنزه، ولابن الضحاك فيه شعر منه:

يا دير مديان لاعريت من سكَنٍ ما هجت من سقم يا دير مديانا

هل عند قسك من علم فيخبرني أم كيف يسعد وجه الصبر من بانا [٢٠١]

سقياً ورعياً لكرخايا وساكنها بين الجنينة والروحاء من كانا

دير أشموني[4]

وأشموني امرأة بني الدير باسمها ودفنت فيه وهو **بقطربل.**

---

(١) المصدر السابق: ٣٤٣.

(٢) (معجم البلدان: ٥٣٢/٢)؛ (ذيل الديارات: ٣٥٣).

(٣) راجع (ذيل الديارات: ٣٥٣).

(٤) (معجم البلدان: ٤٩٨/٢).

قال جحظة: خرجت في عيد أثموني، فلما وصلت الشط مددت عيني أنظر موضعاً خالياً أصعد إليه أو رجلاً أنزل عليه، فرأيت قينتين من أحسن من رأيت فقدمت سميرتي نحوهما وقلت تأذنون لي في الصعود إليكما فقالتا: بالرحب والسعة، فصعدت وقلت: يا غلام طنبوري ونبيذي فقالتا: أما الطنبور فنعم، وأما النبيذ فلا، فجلست مع أحسن الناس خلقاً وأخلاقاً وعشرة فأخذت الطنبور وغنيت بشعر لي:

سقياً لأشموني ولذاتها ... والعيش فيها بين جناتها

إذ اصطباحي في بساتينها ... وإذ غبوقي في دياراتها

فشربنا بالأرطال وطاب لنا الوقت إلى آخر النهار.

قال محمد بن المؤمل: كنت مع أبي العتاهية في سميريته ونحن سائرون إلى أشموني فسمع غناء من بعض تلك النواحي، فاستحسنه وطرب له وقال لي: أتحسن أن ترقص؟ فقلت نعم، فقال: فقم بنا نرقص، فقلت في سميرية؟ أخاف أن نغرق، فقال: إن غرقنا أليس نكون شهداء الطرب.

دير سابر(١)

وهو في الجانب الغربي من دجلة بين المزرفة والصالحية في بقعة كثيرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمارين معمورة بأهل الطرب والدير حسن عامر ولابن الضحاك فيه:

وعواتق باشرت بين حدائق ... مفضضتهن وقد عنين فحاحا

اتبعت وخزة تلك وخزة هذه ... حتى شربت دماءهنَّ جراحا

أبرزتهن من الخدور حواسراً ... وتركت صَوْنَ حريمهن مُباحا [٢٠٢]

في دير سابر والصباح يلوح لي ... فجمعت بدراً والصباح وراحا

ومُنَعَّم نازعتُ فضل وشاحه ... وكسوتُه من ساعديَّ وشاحا

فاذهب بظنك كيف شئت فإنه(٢) ... مما اقترفت لذاذة(٣) وجماحا

وأورد الشابشتي(٤) فيه للحسين بن الضحاك أخباراً ظرافاً وأنشد له أشعاراً لطافًا منها:

---

(١) (معجم البلدان: ٥١٣/٢).

(٢) في المصدر السابق: فكله.

(٣) في المصدر السابق: تغطرساً.

(٤) (الديارات: ٥٤).

أمـا نـاجـاك بـالـوتـر[1] الـفـصـيـح ... وأن إلـيـك مـن قـلـب الـجـريـح
فـلـيـتـك حـيـن تـهـجـره ضـراراً ... مـنـنـت عـلـيـه بـالـقـتـل الـمـريـح
بـحـسـنـك كـان أول حـسـن ظـنـي ... أمـا يـنـهـاك حـسـنـك عـن قـبـيـح
ألا يـا عـمـرو هـل لـك بـنـت كـرم ... هـلـم إلـى صـفـيـة كـل روح
فـقـام عـلـى تـخـاذل مـقـلـتـيـه ... وسـلـسـلـهـا كـأوداج الـذبـيـح[2]
وأتـبـع سـكـرة سـلـفـت بـأخـرى ... وخـلـى الـصـحـو لـلـحـر الـشـحـيـح

وحكي عنه قال: كنا عند المتوكل في يوم **نوروز** والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل من غبر، وكان شفيع الخادم واقفاً عليه قباء مورد ورداء مورد وهو فيهما من أحسن الناس وجهاً، فجعل المتوكل يدفع إلى شفيع قطعة قطعة من ذلك العنبر ويقول: ادفعها إلى حسين **واغمر** يده **به ففعل** ذلك ثم كان آخر ما دفع إليَّ وردة حمراء حياني بها، فقلت:

وكالوردة الحمراء **حيابا** حمر من الورد ... يـسـعـى فـي غـلائـل كـالـورد
لـه عـبـثـات عـنـد كـل تـحـيـة ... بكفيه تستدعي الخليَّ إلى الوجد
تـمـنـيـت أن أسـقـى بـكـفـيـه شربة ... يـذكـرني ما قـد نـسـيت من العـهـد
سـقـى الـلّـه دهـراً لـم أبـت فـيـه لـيـلـة ... مـن الـدهـر إلا مـن جـيت عـلـى وعـد

فأمره المتوكل أن يسقيه وقال: قد أعطيناك أمنيتك، [٢٠٣].

دير قوطا[3]

وهو بالبردان على شاطىء دجلة.

قال الشابشتي[4]: وبينه وبين بغداد بساتين متصلة ومتنزهات منتظمة، كل ذلك شجر وكروم كثيرة الطراف.

قال: وهذا الدير يجمع أحوالاً كثير من عمارته وكثرة فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه ولعبد اللّه بن العباس الربيعي فيه[5]:

---

(١) في المصدر السابق: بالنظر.
(٢) ورد في المصدر السابق، ومسلسل بالسنيح وبالبتريح.
(٣) (معجم البلدان: ٢/٥٢٩).
(٤) (الديارات: ٦٢- ٦٣).
(٥) ضبطنا الأبيات (معجم البلدان: ٢/٥٢٩).

يا دير قوطا لقد هجت لي طربا ... أزاح عن قلبي الأحزان والكرَبا

بشادن ما رأت عيني له شبهاً ... في الناس لا عجماً منهم ولا عربا

واللّه لو سامني نفسي سمحت بها ... وما بخلت عليه بالذي طلبا

وأنشد الشابشتي له فيه قوله[1]:

يا حبذا يومي بالداليه ... تسربها قفصية صافيه

مع كل قرم متلف ماله ... لم تبق في الدنيا له باقيه

فخذ من الدنيا ولذاتها ... فإنما نحن بها عاريه

دير مرجرجس[2]

وهو بالمزرفة أحد الأماكن المشهودة والمواضع المقصودة، ويخرج إليه من يتنزه من أهل بغداد في السمريات لقربه وطيبه وهو على شاطىء دجلة والبساتين محدقة به[3] والحانات مجاورة له وبه كلّ ما يحتاج إليه.

وأنشد الشابشتي فيه لأبي حقبة القرشي:

ترنم الصيف[4] بعد عجمته ... وانصرف البرد في أزمته

ومثل لون النجيع صافية ... تذهب بالمرء فوق همته

ومن وفى وعده بزورته ... وكنت أوفى له بذمته

في دير مرجرجس وقد نفح الـ ... ـفجر علينا أرواح زهرته

وأنشد له فيه:

وقرعت صافية بماء سحابة ... فشجين حين قرعتهن سروراً [٢٠٤]

وشربت ثم سقيته فكأنني ... سببت فوق لهاته كافورا

وفتى يدير عليك في طرباته ... خمراً تولد في العظام فتورا

ما زلت أشربها وأسقي صاحبي ... حتى رأيت لسانه مكسورا

قال: وكتب فيه النميري إلى ابن المعتز في آخر شعبان:

---

(١) (الديارات: ٦٥).

(٢) انظر (الديارات: ٦٩ وفيه: من من من.

(٣) (الديارات: ٦٩).

(٤) والمصدر السابق: الطير.

يا أبا العباس قد شمر شعبان إزاره
ومضى يسعى فما يلحق إنسان غباره
فاغدُ نشرب صفوة الدن ونسلبه وقاره

فلم يرِّد عليه جواباً ولا أفهمه فيه خطاباً.

دير الخوات[1]

وهو بعكبرا وهو دير كبير عامر، وأكثر سكانه نساء مترهبات وعيده الأحد الأول من الصوم.

قال الشابشتي[2]: وتسمى ليلة الماشوش وهي يختلط فيها الرجال بالنساء فلا يرد أحد يده عن شيء وأنشد فيه جحظة:

وحانة... بعكبرا وسط السوق نزلتها وصارمي رفيقي
على غلام من بني الحليق فجاء بالجام وبالإبريق
أما رأيت قطع العقيق.

دير باشَهْرا[3]

وهو على شاطىء دجلة نزه كثير البساتين على طريق سر من رأى منزله المصعد والمنحدر، وفيه يقول أبو العيناء:

نزلنا دير باشهرا على قسيسه ظُهرا
فسقانا وروانا من الصافية العَذْرا
فقابلنا به الشمس وقبلنا به البدرا [٢٠٥]
وأحييت لذه الكاس ولكن قتلت سكرا

دير مرمار[4]

وهو بسر من رأى عند قنطرة وصيف حوله كروم وشجر وأنشد فيه الفضل بن العباس بن المأمون:

---

(١) (الديارات: ٩٣_ ٩٤)؛ (معجم البلدان: ٢/٥٠٨).
(٢) انظر الديارات.
(٣) (معجم البلدان: ٢/٤٩٩).
(٤) سماه ياقوت في (معجم البلدان: ٢/٥٣٦): مر ماري.

أنضيت في سر من را خيل لذاتي ... ونلت منها هوى نفسي وحاجاتي
عمّرت فيها بقاع اللهو منغمساً ... في القصف ما بين أنهار وجنَّاتِ
بدير مَرْمَار إذ نحيي الصّبوح به ... ونُعْمِل الكاس فيه بالعشيّات
فكم له من غزال[1] شادن لبق ... يصيدنا باللحاظ البابليّات

وحكى الشابشتي[2] أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد قال: قطعنا عن الموكب أنا وهو ويونس بن **بغا فشكا** المعتز العطش فقلت له: يا أمير المؤمنين إن في هذا الدير راهباً أعرفه وله مروءة حسنة، وفيه آلات جميلة، فهل لنا أن نعدل إليه؟ فقال: افعل، فصرنا إليه، فرحب بنا وتلقانا بأجمل ملقى، وجاءنا بماء [بارد][3] فشربنا، وعرض علينا النزول عنده وقال: **تبتردون** عندنا؟ فقال المعتز: إنزل بنا إليه، فنزلنا عنده فسألني الديراني عن المعتز ويونس فقلت: فتيان من أبناء الجند فقال: بل **مغلتات** من أزواج الحور، فقلت له: ليس هذا من دينك واعتقادك! فقال: هو الآن في ديني، فضحك المعتز، ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات، وكان من انظف طعام في انظف آنية، فأكلنا منه وغسلنا أيدينا، فقال لي المعتز: قل له بينك وبينه من تحب أن يكون معك من هذين ولا يفارقك، فقلت له، فقال: كلاهما، فضحك المعتز حتى مال من الضحك، ولحقنا الموكب فارتاع، فقال له المعتز: تحياتي عليك لا تنقطع عما [٢٠٦] كنا فيه فإنني لمن ثم مولى. ولمن هاهنا صديق، فجلسنا ساعة ثم أمر له المعتز بخمسين ألف درهم، فقال: لا والله لا قبلتها إلا على شرط، قال: ما هو؟، قال: يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أراد، قال: ذلك إليك، فاتفقنا ليوم جئناه فلم يبق غاية وقام بالموكب كله، وجاء بأولاد النصارى فخدموا أحسن خدمة، وسرَّ المعتز سروراً ما رأيته سرَّ مثله قط ووصله ذلك اليوم بمال كثير[4].

دير سرجيس[5]

وهو **بطيزناباذ**[6] بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق، وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر، وكان بهذا أحد البقاع المعمورة، ونزه الدنيا التي تبهج بها القلوب المسرورة.

---

(١) في المصدر السابق: أغيد غزلٍ.
(٢) (الديارات: ١٦٤).
(٣) إضافة عن المصدر السابق حيث ينقل عنه.
(٤) لا زال المؤلف ينقل حرفياً عن الشابشتي.
(٥) (معجم البلدان: ٢/٥١٤).
(٦) ذكرها ياقوت في (معجم البلدان: ٤/٥٤) وقال: موضع بين الكوفة والقادسية...

قال الشابشتي[1]: وقد عفت الآن آثارها وهدمت دياراتها.

قلت: وبلغني أن دياراتها خربت ولم يبق من رسومها إلا قباب خراب وجرن على قارعة الطريق في **القفر اليباب**.

قال الشابشتي[2]: ويسميه الناس معصرة أبي نواس وله فيه:

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم: أرجو الإله وأخشى طيزناباذا

أخشى قضيب كرم أن يُنازعني فضل الخطام إذا أسرعت إغذاذا

فإن سَلمت وما قلبي[3] على ثقة من السلامة لم أسلم ببغداذا

ما أبعد الرشد من قلب تضمّنه قطربل فقرى بنا[4] فكلواذا

وفيه يقول الحسين بن الضحاك:

أخويَّ هبَّا[5] للصبوح صباحاً هبَّا ولا تعدا النديم رواحا

هل تعذران بدير سرجس صاحباً بالصحو أو تريان ذاك جناحا

إني أعيذ كما بألفة بيننا أن تشربا بقرى الفرات قراحا [٢٠٧]

يا رُبّ ملتبس[6] الجفون بنومة نبهته بالراح حين أراحا

فكأَن ريَّا الكأس حين ندبته للكأس أنهض في حشاه جَناحا

فأجاب يَعْثَر في فضول ردائه عجلان يخلط بالعثار مِزاحا

فهتكتُ ستر مجونِه بتهُّتكي في كل ملهية وبُحتُ وباحا

ديارات الأساقف[7]

قال الشابشتي[8]: هذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة في أول الحيرة، وهي قباب وقصور

---

(١) (الديارات: ٢٣٣).

(٢) (الديارات: ٢٣٣).

(٣) في المصدر السابق: وما نفسي.

(٤) صوبناها عن المصدر السابق.

(٥) في المصدر السابق: حيّ.

(٦) كذا في الأصل. وفي (معجم البلدان: ٥١٤/٢): ملتمسن.

(٧) (الديارات: ٢٣٦ـ ٢٣٧).

(٨) المصدر السابق: ٣٦).

تسمى «ديارات الأساقف» وبحضرتها نهر يعرف بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخصيب، وعن شماله السدير، والديارات بين ذلك.

قال: وقصر أبي الخصيب هذا من أحسن متنزهات الدنيا، مشرف على النجف، والظهر كله يصعد من خمسين مرقاة إلى سطح حسن، ومجلس مشرف، ثم يصعد من خمسين مرقاة أخرى إلى سطح أفيح ومجلس عجيب الصنعة، وهو منسوب إلى أبي الخصيب مولى أبي جعفر المنصور.

وأنشد في هذه الديارات لعلي بن محمد بن جعفر العلوي قوله[1].

كم وقفة لك بالخور ... نق لا توازى بالمواقف
بين الغدير إلى السد ... ير إلى ديارات الأساقف
فمدارج الرُّهبان في ... أطمار خائفة وخائف
دمنٌ كأن رياضها ... يكسين أعلام المطارف
وكأنما غدرانها ... فيها عُشورٌ في مصاحف
وكأنما أنوارها ... تهتز بالريح العواصف
طرَرُ الوصائف يلتقيـ ... ـن بها إلى طررِ الوصائف
ملقى أوائلها أوا ... خرها بألوان الزخارف [٢٠٨]
بحرية شتواتها ... برية فيها المصائف[2]

دير زرارة[3]

دير بين الكوفة وحمام أعين على يمين الخارج من بغداد، نزه كثير الحانات والشراب، لا يخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف.

قال الشابشتي[4]: خرج يحيى بن زياد ومطيع بن إياس حاجيَّن، فلما قربا من زرارة قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن تقدم أثقالنا ونمضي إلى زرارة ونشرب في ديرها ليلتنا ونتزود من

---

(١) ضبطنا الأبيات عن الديارات.

(٢) وأضاف في المصدر السابق:

درية الحصباء كا ... فورية فيها المشارف
ثم انبرت سحاً [كبا ... كية] بأربعة ذوارف

(٣) (الديارات: ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٤) المصدر السابق: ٢٤٧.

خمرها، ونستوفي من مردها ما يكفينا إلى العودة ثم نلحق بأثقالنا، ففعلا، وسار والناس أقاما، ولم يزل ذلك دأبهما إلى أن عاد الحاج، فحلقا رؤوسهما وركبا بعيرين، ودخلا مع الحاج على أنهما قد حجّا، وقال مطيع:

ألم ترني ويحيى إذ حججنا … وكان الحج من خير التجارة

خرجنا طالبي[1] خير ودين … فمال بنا الطريق إلى زُرارة

فآب الناس قد غنموا وحجُّوا … وأبنا مُوقرين من الخسارة[2]

عمر مرتومان[3]

وهو بالأنبار على الفرات، وهو عمر كبير كثير القلايات، وللرهبان عليه سور محكم البنيان كالحصن العظيم، والجامع ملاصقه، وله ظاهر حسن، ولا سيما في أيام الربيع لأن صحاريه وسائر أرضه تكون كالخلل لكثرة نواره وطرائف أزهاره.

ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء.

وفيه يقول كشاجم:

أغدُ يا صاحبي إلى الأنبار … نشرب الراح في شباب النهار

واعمر العُمر باللذاذةِ والقصـ … ـف وحث الكؤوس والأوتار

فاغتنم غفلة الزمان وبادر … واقترض بلذَّة الليالي القصار

لا تفرّط فإنها خُلَسُ العيش … وبادر بوادر المقدار[4] [٢٠٩]

وأنشد الشابشتي[5] له فيه يصف عوداً في يد محسنة: [السريع].

جاءت بعودٍ كأن نَفْخَتَهُ … صوت فتاة تشكو فِراق فتى

دارت ملاويه فيه واختلفت … مثل اختلاف الكفَّين شُبكتا

يا حسن صوتيهما كأنهما … أختان في صنعة تَرَاسَلَتَا

وهو على ذا ينوب إن سكتت … عنها[6] وعنه تنوب إن سكتا

---

(١) في المصدر السابق: حجّ. (٢) وله فيه أخبار انظر.

(٣) (الديارات: ٢٥٨) وقد ضبطه: عمر يونان حيث صحف في الأصل المسالك كما نقل المحقق بينما يدون تنقيط في أصل الديارات.

(٤) أغفل البيت في المصدر السابق.

(٥) (الديارات: ٢٦١).

(٦) في الديوان: عنه.

دير الأبلق[1]

وهو بالأهواز.

وحكى المدائني قال: اصطبح في دير الأبلق في جماعة من أصحابه، فلما سكر قال:

يومي بدير الأبلق الفرد ... ما أنت إلا جنة الخلد

به وأمثال له لم يزل ... يحوز العيش أبو الهندي

دير سعيد[2]

وهو بالجانب الغربي من الموصل، مطلّ على دجلة، حسن البناء، حوله قلال كثيرة حسنة العمارة ظاهرة النضارة، في كل قلاية منها جنينات لرهبانه فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر، كثير النرجس وهو يقارب تل باذع[3]، ونزله في الربيع، كالوشي الملمع والحلي المرصع، وهو منسوب إلى سعيد بنَ عبد الملك بن مروان، أصح ما قيل في نسبته إليه لأنه ربما كان يتعهده أيام إمارته بالموصل.

ويقال: إن لترابه أثراً في دفع أذى العقارب، وأن ماؤه إذا رش في دارٍ قلّت العقارب به.

وحكي أن رهبانه ألزموا في وقت بجنائه فقاموا بثلاثمائة ألف درهم.

وللخالدي فيه شعر، منه:

ألا فاسترزق الرحمن خبرا ... وسر بالكأس نحو السكر سيرا

فأيام الهموم مقصصات ... وإسام السرور تطير طيرا

وله فيه: [٢١٠] [الطويل]

سعدت صحبتي بدير سعيد ... يوم عيد في حسنه ألفُ عيدِ

كم فتاة مثل المهاة سلبناها ... هاصليباً من بين نحرٍ وجيدِ

وغدير مثل الغزالِ حلَلْنا ... عقد زنارٍ خصره المعقود

وحططنا رحالنا بفناء ... الهيكل المونق البديع المشيد

والروابي مُشَهَّرات كغلما ... ن لنا في مُحَبّرات البُرود

فخدود مثل الشقائق في اللو ... ن تليها شقائق كالخدود

---

(١) (معجم البلدان: ٤٩٦/٢).

(٢) (المصدر السابق: ٥١٥/٢) وانظر (الخزل والدأل: ٧٧/٢).

(٣) كذا في الأصل. وفي (الخزل والدأل: ٧٧/٢): (بادع) وعقب المحقق على ذلك في الحاشية.

وإذا مـا الـهـزار غـرَّد فـي الـغـصـ ... ـن حـكـتـه الأوتـارُ فـي الـتـغـريـد
مـن رآنـا ونـحـن فـي الأرض صـرعـى ... قـال قـوم مـوتـى بـغـيـر لـحُـودِ

وله فيه[1]:

مَـا مَـرَّ بـالـنـفـس فـي هـوى قَـمَـرِ ... ونـال وصـلَ الـبـدورِ بـالـبـدر
وافْـتَـضَّ أبـكـار لـهـوهِ طـربـاً ... بـيـن[2] عـشـايـا الـمـدام والـسـكـر[3]
مـن لـم يـدر فـي ربـى الـحـدائـق ... مـن ديـر سـعـيـد رحـاه لـم يـدر
مـسـرة كـيـلـهـا بـلا حَـشَـفٍ ... ولـذة صَـفْـوُهـا بـلا كَـدرِ
قـد ضـربـت خـيـمـة الـغـمـام لـنـا ... ورش جـيـش الـنـسـيـم بـالـمـطـرِ
وعـنـدنـا عـاتـقـان حـمـراءُ كـالـشـمـس ... وأخـرى صـفـراء كـالـقـمـر
يـا تـاركـاً طـيـبَ يـومـه لـغـدٍ ... تـبـيـعُ عـيـن الـسُّـرورِ بـالأثـرِ

وقوله: [المنسرح]

قـد طـفـح الـقـلـب بـالـهـمـوم مـفـازة ... طُـفْـتَ بـكـأسٍ فـهـاتـيـهـا تَـطْـفَـحْ
فـي جـنـح لـيـلٍ تـرى كـواكـبـه ... وهـي إلـى الـغـرب كـلـهـا جُنَّـحْ [٢١١]
نـراك تـنـسـى سـرور يـومـك فـي ... ديـر سـعـيـدٍ وظـلـه الأَفْـيَـحْ
عـلـى بـسـاط مـن الـبـنـفـسـج قـد ... أَلـقـى مـن الـورد فـوقـهُ مَـطْـرَحْ
وكـأس راح يـديـرهـا قـمـرٌ ... لـحـاظُـهُ فـي قـلـوبـنـا تَـجْـرَحْ
قـد كـان فـيـمـا مـضـى يُـعَـرِّض بـالـ ... ـوصـل ولـكـن أراه قـد صَـرَّحْ

وقوله: [الهزج]

فـكـم مـن روحـة والـشـمـ ... ـس لـم تَـدْنُ لـتـطـفـيـل
إلـى ديـر سـعـيـد أو ... إلـى ديـر مـيـخـائـيـل
بـسـاقٍ كـمـهـاة مـغـ ... ـزل أو مـاء عـطـبـول
تـرى فـي وجـهـه وجـهـ ... ـك لـلـرقـة مـن مـيـلِ
فـأجـراهـا كـخـلـخـال ... مـن الـيـاقـوت مَـفْـتـول

---

(١) أي لأبي بكر الخالدي.

(٢) في الديوان: إلى.

(٣) في الديوان: البكر.

شربناها على أوجه حور كالتماثيل
إذا شين تمنطقن جميعاً بالخلاخيل

قال الخالدي: وأنشدني السري الرفاء لنفسه فيه: [الكامل]

وقَلالي الدَّير الذي[1] لولا النوى لم أرمها بقِلّى ولا بعقُوقِ
محمرة الحيطان[2] ينفح طِيبُها فكأنها مَبْنية بخلوقِ
فمتى أزور قباب مُشرفة الذُّرى فأورد بين النَّسر والعَيُّوقِ
وأرى الصوامع في غواربِ أكمها مثل الهوادج في غواربِ نُوقِ
حُمراً تلوح خِلالها بيضٌ كما فصّلت بالكافور سِمْط عقيقِ

وحكى ابن المستوفي في تاريخ إربل في ترجمة أبي حفص عمر بن محمد بن الشحنة الموصليّ النحويّ أنه نقل في مجموع بخطه، قال: كنت في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل يعرف بدير سعيد. وكان فيه راهب من النُّبل كنت آوي إليه إذا جئت الدير، فاتفق في ذلك اليوم أني خرجت من قلايته إلى بستان الدير ومعي جماعة من الكتاب كنت آنس بهم، ونحن على لذتنا وإذا قد أتانا رجل فجلس واندفع يغني ويقول هذا الصوت في الموضع الفلاني ليرينا أنه يعرف صنعة الغناء فأبرمني وأبرم الجماعة واستثقلناه فسألني بعض الجماعة أن أقول فيه على طريق العبث شيئاً فعملت في الحال:

ثقيل يصمُّ السمع من قبح صوته وتعمى له أبصارنا والبصائر
ولو لم يكن فوق البسيطة لم تزل مزلزلة بطنانها والظواهر
تغنى فقلنا هاتف البين قد دعا بفرقتنا أو ريب دهر مبادر
فيا ليت أن اللّه لم يك خالقي ويا ليته دارت عليه الدوائر

الدير الأعلى[3]

وهو بالموصل في أعلى جبل يطل على دجلة، يضرب المثل به في رقة الهواء وحسن المستشرف تحته، والجزائر تتفرق خلجانها وغدرانها بإزائه، ولم تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء والنظر إلى الماء.

---

(١) في الديوان: التي.
(٢) في الديوان: الجدران.
(٣) (معجم البلدان: ٢/٤٩٨).

ويقال إنه ليس للنصارى دير مثله.

وظهر عنده معادن الكبريت ومرقشيثا والقلفطار[1]، وأشياء من هذه الأنواع، ثم صانعت النصارى [٢١٢] حتى أبطلت خوفاً من تثقيل السلطان.

قال جعفر بن محمد الفقيه: اجتاز بنا بعض السنين أبو الحسين بن أبي البغل، فنزلت عليه وخرجت في غد يوم نزوله إليه، فجعل يصف من طيب الهواء فيه وطيب قراة رهبانه أثراً عظيماً، ثم أنشدني لنفسه فيه شعراً ولست أرضاه.

ومما قال الخالدي فيه:

واسَتشْرفت نفسي إلى مُشتَشْرَفِ   للدير تاه بحسنه وبطيبهِ
متفرق آذيّ دجلة تحتهُ   بغديرهِ وخليجه وقليبهِ
فنعمتُ بين رياضه وغِياضه   وسكرتُ بين شروقه وغروبه
غنى الجمال به فزاد الشغر من   تفضيضه والخد من تذهِيبهِ
واهتز غصن البان في زناره   وأضاء جيد الرِّيم تحت صليبه

وله:

فتكت فلا تأخُذَنَ من فتك   بما أخذَ الجهل أو ما تَركْ
أَدِرْها ألست ترى الدير في   بدائع من حُلل لم تُحَكْ
وبين البكور وبين الغُروب   وبين الرياض وبين البِرَكْ
غناء تشد إليه الرَحال   بلحنٍ تُحَلُّ عليه التِّكَكْ

دير مار نخايل[2]

وهو على ميل من الموصل يركب دجلة في بقعة حسناء تطل على كروم **وشجر** بري بحري سهلي جبلي، وبه قلال كثيرة في غاية الظرف، محفوفة بأنواع الشجر وأصناف الزهر.

وله عيد يكون قبل الشعانين، بأسبوع تخرج إليه النصارى بشبانهم وصبيانهم، ويمر لهم فيه يوم وليلة تتجاوب فيه ألحان وأغاني وقراءة الرهابين.

وحكي أنه أريد حفر بئر في بعض قلاليه، فأفضى الحفر إلى [٢١٣] صندوق من حجر

---

(١) ضبطنا الأسماء عن المصدر السابق.

(٢) انظر (معجم البلدان: ٥٣١/٢).

فكشف فإذا فيه ميت لم يتغير من جسمه شيء، وإذا ثيابه صحيحة، وعند رأسه صحيفة من صفرٍ فيها كتابة قديمة لم يقفوا على قراءتها، ولكنهم علموا أن فيها وقصد المسلمون لانتزاعه منهم، ثم دارت النصارى حتى خلّي لهم، فردوه إلى مكانه وعفّوا أثره.

قال الخالدي: والذي نظن أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام، وأنه هرب بدينه فمات في هذا الموضع ودفن فيه.

قال: وبين هذا الدير وبين الموصل وادٍ يعرف بوادي زمار، عليه رابية تعرف برابية العقاب، تشرف على دجلة والبساتين والجزائر والنهر، وهي غاية في الربيع.

وقال فيه:

ألست ترى التل يُبدي لنا ... طرائفَ من صنع آذارِه

وقد نقّط الزهر خد الثُّرى ... بدر هَميه وبدينارِه

وكتب في لازُوَرد الدجى ... بز نحفره وبز نجارِه

فلا تلق كأساً بتأخيرها ... ولا يوم لهو بإنظارِه

قال: وكان جحظة قد أنشدني لنفسه في دير العلث قوله:

سقياً ورعياً لدير العلت من وطن ... لا ديرِ حَنّة من ذات الأُكَيْراح

أيامَ أيامَ لا أصغي لعاذِلةٍ ... ولا تردُّ عناني إلى جذبة اللاحي

فاستحسنتها، وذكرت قول أبي نواس في دير حنة، وهي من عروضها وقافيتها، فقلت:

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي ... وخمره في الدجى صُبْحي ومِصْباحي

بسط البنفسج تبسيط في ... صُحون آسٍ وخيرات تفاح

بدائع لا لدير العلث هن ولا ... لديرِ حَنَّةَ من ذات الأُكَيْراح

حتى تخمّر خماري بَمعْرِفَتي ... وحبَّرَت مُلحي بالسكر ملاَّحي [٢١٤]

أيا مخايال لا تعدم ضُمن وُدجّى ... سِجالَ كل مُلث الوَدق سَحّاحِ

فإن أُقِم سُوق إطرابي فلا عجب ... هذا بذاك إذا ما قام نُوّاحي

قال: وكان في هذا الدير خمار يقال له الحارث، ويكنى أبا الأسد معروف بجودة الشراب، وكان المجّان من أهل الموصل يقصدونه، وكان له ابن حسن الوجه مهفهف القوام، خفيف الروح يقال له عبد المسيح، يسقينا ومعنا مغنٍّ مليح الغناء، غنانا من شعر حسان بن ثابت قوله:

انظر خليلي ببطن جلق هل ... تؤنس دون البَلقاء من أحد

وهو صوت معروف في الأغاني فاستحسناه، وكان معنا كاتب له عليَّ أيادٍ، فقال لي: أحب أن تعمل في عروض هذا الشعر شعراً تذكر فيه يومنا، فقلت:

لا في جفون تنوس في الغُفد وحسن ثغرٍ يلوح كالبرد
لا كنت ممن يُضقع أدْمُعَه بين الأثافي والنُّؤي والوتدِ
أحسن من وقفة على طللٍ قفرٍ وزجرِ العيران الأجد
كأسُ مُدام جلا المُدير بها أم الليالي وجدة الأبد
نشربها شعلة بلا حَرَق ونجتليها روحاً بلا جسد
هل أحد نال منك لَذَتنا يابا مخايال ليلة الأحد
سقياً لما خور حارت ولما خُصّ به من محاسنِ جُدْدِ
قلت له وابنه يطوفُ بها: عَمْرك فينا عِمارةُ البلدِ
بابنك ذا في جمال صُورتِه صرت أبا الظبي لا أبا الأسد
هات اسقنيها فإن سفكت دمي فما **بذا**(1) عليك من قود [٢٥٦]

فأقمنا يومنا ذلك وبتنا، فلما أصبحنا أراد الكاتب الموصلي أن يذهب، وكان اليوم حسناً لرقة **غيمه** وملاحة صحوة، وكان للرجل غلام يحبه، فأراد الركوب إلى ديوانه، فأنشدته أبيات شعرٍ قلتها، فأمر بحط سروج بغاله وأخذنا في **شأننا** ومنها:

بحمرة وجهٍ لذاك الهلال وفترة مقلة ذاك الغزال
صل اليوم بالأمس إني أرى له بالسعود وجوه اتصال
هواء صفى وهوًى مثله كحـ ـمر دلالٍ وماءٍ زلال
وغيم نوهمه كالنوى وصحوٍ حقيقته كالمحال
ومثل اليواقيت زهر الربى وقطر الندى بينها كاللآلى
إذا ما دنت شمسه للذبول أشرف نواره كالذبال
وذا الدير تسعى بغزلانه شعانينه في صنوف الجمال
وصفراء وبائعها خاسر ولو حاز عن قدحٍ بيت مال
أبا يانخايال أفدي ثراك بنفسي ومالي وعمي وخالي
فكم سكرة لي قبل الأذان بين دواليبه والدوالي

---

(١) في الديوان: بقتلي.

تجول خيول دواليبها فتملأ ماورد ذاك المجال

وقوله له فيه:

بما نخايال[1] إن حاولتما طلبي فأنتما تجداني ثم مطروحا

يا صاحباي هو العمر الذي جمعت فيه المنى فاغدوا للدير أو روحا

تهدي نسيمهما للروح مسكاً بماء الورد منضوحا

شجر صبار الشبوط مضطرباً حياذ وقانصه اليعفور مذبوحا[٢١٦]

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشحنة الموصلي النحوي من قصيدة:

وأعمد إلى مر مخائيل فإن به محاسناً لسرور النفس مفتاح

كم فيه من أشعث باد شحوبه تهفو له بنة تلك الأكيراح

وفيه يقول أيضاً:

يا مر ميخائيل وإن بعد المدى سقيت صوب سمائي وبوارق

يا حبذا نوار روضك إن غدا يفترّ من دمع الغمام الدافق

مغنى خلفت به العذار تصابياً في غنج أحداق وزهر حدائق

أيام أجري في ميادين الصبا متخايلاً جري الجموح السابق

وستأتي القصيدتان إن شاء اللّه تعالى في ترجمته مع النحاة وباللّه التوفيق.

دير مَتّى[2]

هو بالموصل من الجانب الشرقي، على جبل شامخ يعرف بجبل متى، يشرف على رستاق نينوى والمرج.

وهو حسن البناء، جيد الحصانة، وأكثر بيوته منقورة في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة، ورهبانه لا يأكلون طعاماً إلا جميعاً في بيت الشتاء وبيت الصيف، ومتى جلس أحد في صحن هذا الدير نظر إلى الموصل، وبينهما سبع فراسخ.

وله عدة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مصمت، وبه صهريج عظيم يجتمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعاً لكل منهم ذراع من الماء، ويفتح هذا الصهريج من موضعين في أعلاه وفي أسفله، فيخرج ماؤه من أسدين من صفر.

---

(١) ضبطنا الأبيات عن (معجم البلدان: ٥٣١/٢).

(٢) (معجم البلدان: ٥٣٢/٢).

وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله، وحوله من الأشجار، ومن سائر الثمار، وفي خارجه مغار في الجبل فيها صناديق من صخر بأطباق لموتاهم، فمتى امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يقرؤون أناجيلهم ويجمعون العظام البالية منها، ثم تطرح في فج داخل هذا المغار.

قال: وبت ليلة فيه مع بعض الرؤساء على شرب ولعب فقلت:

فلأشكرن لدير متّى ليلة مَزَّقْتُ ظلمتها ببدر مشرق

حتى رأينا الليل تؤنس ظهره هَرم وأثّر فيه شيبُ المفرق

قال: وقرأت على باب دهليزه بيتين كتبا وهما:

يا دير متّى سقت أطلالك الديم وانهلّ فيك على سكانك النعم

فما شفى غلتي ماء على ظمإٍ كما شفى حر قلبي ماؤك الشَّبم

دير الخنافس(١)

وهو دير صغير بالموصل بالجانب الشرقي على قلة جبل شامخ، يشرف على أنهار نينوى وضياعها، وفيه طلسم طريف يجتمع له في وقت من السنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل حتى تسود حيطانه وبيوته وسقوفه وأرضه مدة ثلاثة أيام، ثم لا توجد ولهذا يسمى بدير الخنافس.

قال الخالدي: وهذا معروف مشهور بالموصل، فإذا كانت [٢١٧] تلك الأيام أخرج الرهبان أمتعتهم منه هرباً منها.

قال: ولا أعرف فيه شعراً إلا ما قاله بعض بني عروة الشيباني يرثي أخاً له مات عنده، فدفن إلى جانبه، ومنه:

بعزتك يا دير الخنافس حفرة بها ماجد رحب الذراع كريم

طوت منه همام بن مرة في الربى هلال ينير الليل وهو بهيم

سقاك وسقاه وسقى ضريحه أجشُّ من الغر العذاب هزيم

فيا دير أحسن ما استطعت جوان فاني غادٍ عنك وهو مقيم

قال فنساء بني عروة جميعاً تنوح عليه وعلى موتاهم بهذه الأبيات إلى اليوم، وإذا نزلت أحياؤهم به نحروا عليه وأقاموا مآتم.

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٠٨)، (الديارات: ٤١٢ـ ٤١٣ـ ٤١٤).

دير باعربا[1]

وهو بين الموصل والحديثة على شاطىء دجلة من الجانب الغربي بإزاء جزائر كثيرة الشجر قل ما خلت من سبع دير جليل عند النصارى، وفيه قبور يعظمونها.

وبناؤه عجيب، وأرتفاع حائط هيكله نحو المائة ذراع، ما حوله بناء يسنده، وله مزارع وفيه بيت ضيافة ينزله من يجتاز عليه.

قال السبطي: لما انحدر سيف الدولة إلى العراق ونزل دير باعربا وضرب مضربه على شاطىء دجلة وتغدى ونام، فلما كان وقت العصر دخل الدير وصعد سطحه، فرأى منظراً حسناً من برّه وبحره وعلو مشرفه، فاستدعى شراباً ودعا سقارة العوّاد فغنّاه، وكان معه من الندماء أبو إسحاق السري، ثم استدعاني وسقارة يغني شعراً غثًّا في وزن بارد، فأمرني بأن أعمل في عروضه، فقلت بعد تمنع لكنه لا يجيء فيه الحسن:

شرفاً يا دير عربا ومجداً ... بهما تغنى الدهر وتعمر

سترى ماءك هذا ما ورد ... وترى صحنك ذا مسكاً وعنبر

إذ على سطحك سيف الدولة القر ... م الذي فات الورى عزاً ومفخر [٢١٨]

والذي إن سار في العسكر فرداً ... فهو في إقدامه ألف عسكر

دير القَيّارة[2]

وهو فوق دير باعربا على جانب دجلة الغربي، نسب إلى عين فيه ومعدن يستخرج منه القير، وتحته حَمة عظيمة يقصده من به علة أعيت الأطباء، فيقيم به خمسة أيام مستنقعاً في ماء بها فيبرأ من علته، ويشفي من النقرس وسبط التشيخ، ويزيل الأورام الجاسية والرياح الغليظة ويلحم الجراحات.

قال الخالدي: وسبيل من قصدها أن يظل نهاره في مائها ويأوي لنيله هيكل ديرها، ويدهنه رهبانه بالطيبوث فيشفى بإذن الله، وفيه عيون يخرج منها النفط والقير فتتقبل من السلطان بألوف دراهم في كل سنة.

ومرافق هذا الدير كثيرة.

قلت: وسنلم بذلك في موضعه.

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٤٩٩).

(٢) (معجم البلدان: ٢/٥٢٩)؛ (الخزل والدأل: ٢/١٦٦).

دير بارقانا

وهو فوق الحديثة على جانب دجلة الشرقي، راكب للماء في موضع نزه حسن، وبناؤه محكم وقلاليه كثيرة الشجر والزهر، وله بساتين ومباقل.

ويقال إنه ليس في سمك دجلة أسمن من سمك يصاد من شاطئه.

قال الخباز البلدي: اجتزت به فرأيت من حسنه ونضارة شجره ما دعاني إلى المقام به والقصف فيه، وسألت رهبانه عن الشراب فدلوني على راهبٍ منهم فرأيته ظريفاً، وقلايته مليحة، وشرابه صافياً جيداً، فابتعت منه، وأقمت عنده نهاري وليلتي، وقلت:

ألا سقياً لرقة بارقانا ... وهيكله المشيد والقلالي

فكم من سدفةٍ باكرت فيها ... معصفرة ككمثل دم الغزال

فكم عانقت غصناً في اعتدال ... به ولثمت بدراً في كمال

وجاء بما أحاول منه سكراً ... وكان مما بقي طيف الخيال

دير أبي يوسف[1]

وهو قريب من بلد، بينه وبينها نحو فرسخ على شاطىء دجلة، وموضعه حسن [٢١٩] مغمور بالزيتون والسرو والآس والرياحين مغروس الربى بالنرجس، وهيكله حسن البناء، وفيه عجائب من بدايع التصوير، ولرهبانه جدة ونعم، ولا يعوزه كل يوم قافلة تحط عنده لتأخذ خمراً، والمجان تقصده للتنزه فيه بطنابيرهم وعيدانهم ومنابر ملاهيهم.

قال الخالدي: خرجت في بعض السنين إلى بلدٍ مع كاتبٍ لبعض أمرائنا فأحببت الشرب في دير أبي يوسف، فكتبت إليه[2]: [المتقارب]

بدير أبي يوسفَ خَمْرةٌ ... تزيدُ على لهبِ البارقِ

ونرجسُهُ كنسيم الحبيـ ... ـب عند مُحِبٌّ له وامقِ

فماذا ترى فيه قبل استماعِ ... هماهم ناقوسِه الناطقِ

لِنَقنص بكراً خَلوقيةً ... تُخَبّرُ عن حكمةِ الخالقِ

ففعل وأقمنا به ثلاثة أيام في ألذ عيش وأصفى وقت ثم انحدرنا منه.

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٤٩٧)؛ (الخزل والدأل: ١/٢٦٣).

(٢) ضبطنا الأبيات عن (الخزل والدأل).

دير الشياطين[1]

وهو بالقرب من بلد على قطعة من الجبل على دجلة في موضع حسن، وهواؤه رقيق لطيف وقلاليه عامرة كثيرة الأشجار، وأرضه كثيرة الرياحين، وله سور يحيط به، ومشترف على سطح هيكله، يشرف على دجلة والجبل.

وفيه يقول السريّ الرفاء: [البسيط]

عصى الرَّشَادَ وقد ناداه[2] من حين ... وراكضَ الغَيَّ في تلك الميادينِ

ما حَنَّ شيطَانُهُ العاتي[3] إلى بلدٍ ... إلا ليَقْرُب من ديرِ الشياطين

وفتيةٍ زَهَرُ الآداب بينهمُ ... أبهى وأنظَرُ من زهرِ البساتين[4]

مشوا إلى الراحِ مشي الرخِّ وانصرفوا ... والسكر تمشي بهم مشي الفرازينِ

حتى إذا أنطقَ الناقوسَ بينهم ... مزنَّر الخصرِ روميٌّ القرابين

فحث أقداحُها بيض السوالفِ في ... حمر الغلائلِ في خُضر الرياحين[5]

كأنها وبياض[6] الماء يقرعها ... ورد يصافحه أوراق[7] نسرين [٢٢٠]

دير مرسرجس[8]

وهو فوق بلد ثلاث فراسخ على تلة جبلٍ عالٍ يبين للناظر من عدة فراسخ.

قال الخالدي: وعلى بابه شجرة لا يعرف أحد ما هي، لا يسقط ورقها عند سقوط ورق الشجر، ولها ثمرة تشبه اللوز، وفي جبله من الزرازير شيء عظيم لا تفارقه صيفاً ولا شتاء، لا يقدر على صيد شيء منها.

وفي شعاب جبله أفاعٍ كثيرة تمنع من صيد طيره ليلاً.

قال: وفي أوديته حصى على شكل اللوز لا تغادره.

---

(١) (معجم البلدان: ٥١٨/٢).

(٢) في المصدر السابق: مذ.

(٣) والمصدر السابق: الآتي.

(٤) في الديوان: الرياحين.

(٥) في الديوان: الدواوين.

(٦) في الديوان: كأن كاساتها والماء...

(٧) في المصدر السابق.. أطراف.

(٨) (معجم البلدان: ٥٣٥/٢): مرجرجيس.

قلت: ولعل هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية وقال: إنها في الدنيا واحدة لا ثاني لها.

وحكى الخالدي قال: حدثنا الخباز البلدي قال: تقدم بلدنا رجل من آل الفرات، وكان أديباً شاعراً، فاستخصني فما كنت أفارقه، فرأى يوماً هذا الدير وسألني عنه، فوصفته له، فأحب النظر إليه، فخرج وحملني معه وكان ذلك في شتاء متصل المطر، فلما جئناه رأينا في جبله من الغدران ما ملأ أفاويقه، فلما صعدنا سطح الهيكل فكر ساعة ثم أنشدني لنفسه:

وهيكل تبرز الدنيا لمشرفه ... حتى يعاين منها السهل والجبلا
كأن صبيين باتا طول ليلهما ... يستمطران على غدرانه المقلا

دير بر ضياعى

وهو على شاطىء دجلة الشرقي فوق تكريت بقليل، وهو كثير الرهبان، وله مزارع وجنينات، ولرهبانه يسارٌ وغناء.

وفيه يقول بعض لصوص بني شيبان:

ألا يا رب سلم بر ضياعا ... وزد رهبان هيكله اجتماعا
فكم جئناه أمواتاً سغاباً ... ورحنا منه أحياءً شباعا
فيا للقصف ما أسرى نبيذاً ... ألذ طِلاً وأحسنه شعاعا
لنعمته ومنته علينا ... عمرناه وأخربنا الضياعا [٢٢١]

[دير] عُمْر الزَّعفران(١)

وهو على رأس جبل مطل على نصيبين وديار ربيعة من جانب، وعلى طور عبدين وقردا وبعض ديار بكر من جانب آخر، وله كثير من الزعفران، وهو عجيب البناء، كثير الرهبان.

وفيه جنان لهم حسنة نضرة مملوءة بشجر البندق والفستق واللوز والزيتون والبطم.

وماؤه من صهاريج يجتمع فيها ماء السماء، والصهاريج منقورة في صخور والثلج به ممكن.

ولما نزل المتقي نصيبين استعذب ماءه واختاره على مائها وماء دجلة.

قال الخالدي: ولهذا الدير بيوت للضيافة في علو الهيكل، وللسور تسوير عجيب وعليه أبواب من حديد مصمت.

(١) (معجم البلدان: ٢/٥١١)، (الخزل والدأل: ٢/٥٤)، وعُمْر لفظة سريانية وتعني البيت والمنزل.

قال: وسعر زعفرانه فائق، ومنه ومن العسل أكثر يسار رهبانه.

قال: وكان الأمير أبو البركات يخرج إليه، وأخرج معه فيقيم به على شرب وسرور، وأمرني أن أعمل فيه شعراً فقلت: [مجزوء الكامل]

عطلت دارسة المغاني ... وعمرت عمر الزعفران
وأقمت في غرف لد ... يه كأنها غرف الجنان
وترى قنانينا مفد ... دمة بآسٍ خسرواني
ومعانقي ظبي وبد ... في ردجنَّة وقضيب بان
والراح أحصنُ جُنَّةٍ ... لك في مقارعةِ الزمان
لا تأمننَّ صروفه ... فالدهر ليس بذي أمانٍ

قال: وأنشدني الببغاء لنفسه في هذا الدير: [الطويل]

صَفَحتُ لهذا الدهر عن سيئاته ... وَعددتُ يوم الدير من حَسَناتِهِ
وصَبَحتُ عمرَ الزعفران بضجةٍ ... أعاشَت سرور القَلب بعد مَماتِهِ
وأهيفَ فاخرت الرياض بحسنه ... فأذعن صُغراً وصفُها لصفاتِهِ
ونَمَّ الينا دَنُّها بضيائها[1] ... فطاف كقلب ضاقَ عن خطراتِهِ
وخَوَّفني منه فَخلت صَليبَه ... لشدَّة ما نخشاه بعض وُشاتِهِ [٢٢٢]

وفيه يقول مصعب الكاتب:

وقائل قال لي اقصر فقلت له ... أما تراني بحب المرد مشغولا
لا أعشق الأبيض المنفوخ ... من سِمَنٍ لكنني أعشق السمر المهازيلا
فقال لي أنت مجنون فقلت له ... لا تكثرن عليَّ القال والقيلا
إني امرؤٌ أركب المهر الضمَّر ... في يوم الرهان فدعني أركب الفيلا

وكذلك قال:

وبيت أمشي على الكفين ألمسه ... كمشي مسترقٍ للسمع أسرارا
قمر يمشق في قرطاسه قلمي ... والليل ملق على الآفاق أستارا
فقال لما انجلى عن عينه وسن ... وقد رأى تكه حلت وأزرارا
يا راقد الليل سروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

---

(١) في الديوان: بضيائه.

دير باربيثا[1]

وهو بنينوى بأرض الموصل على نهر الخازر وبه بيت ضيافة، وله عند النصارى قدر جليل.

قال الخالدي: رأيته في بعض السنين وكان به راهب يقال له كوريال من عباد النصارى، فأضافنا أحسن ضيافة، وأكرمنا أتم إكرام بالطعام الكثير والشراب العتيق الواسع وعلق الدواب وأكثر، فعظم في عيني وعاتبته على الإسراف في فعله فقال: هذا واللّٰه رسمنا مع كل من ينزل بنا.

قال: وهذا الدير هو الذي قتل عنده عبيد اللّٰه بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر على هذا النهر، وأنفذ برأسه إلى المختار في خبر يطول ليس هذا موضعه.

دير حنظلة[2]

وهو بالحيرة، على نحو فرسخ منها إلى الشرق، وموضعه حسن لما فيه من جنينات رهبانه وأشجارهم، وما تلبسه الربيع من الرياض.

وأنشد الخالدي فيه لغيره شعراً منه: [٢٢٣]

طرقتك سعدى بين شطي بارق ... نفسي الفداء لطيفها من طارِق

يا دير حنظلة المُهيج لي الهوى ... هل تستطيع صلاح قلبِ العاشقِ

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني، وأنشد لبعض الشعراء فيه رجزاً منه:

بساحة الحيرة دير حنظله ... عليه أذيال السرور مُسبَلَه

أحببتُ فيه ليلة مُقْتَبَله ... وكأسُنا بين النّدامى مُعْمَله

والرَّاح فيها مثل نار مُشْعَله

دير الجاثليق[3]

وهو دير قديم البناء غربي دجلة في عرض حَرْبَى على الحد بين آخر السواد وبين أول أرض تكريت.

وفيه كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير، فقال ابن قيس الرقيات: [الطويل]

---

(١) لم نقف على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) (معجم البلدان: ٥٠٦/٢)؛ (الخزل والدأل: ١٦/٢).

(٣) (معجم البلدان: ٥٠٣/٢)؛ (الخزل والدأل: ٣٠٤/١).

لقد أورثَ المصريَين جزناً وذلةً ... قتيلٌ بدير الجاثليقِ مُقيمُ
فما قاتلت في اللّه بكر بن وائل ... ولا صدقت عند اللقاء تميمُ[1]

وحكى أنه كان غلام أمرد نصراني من أهل الحيرة يقال له عشرين الياء الصيرفي، وكان يتعشقه بكر بن خارجة، وفيه يقول من شعرٍ له:

اجِرني مت قبلك من هموم ... بحبٍّ وأرشد ديني إلى وجه الطريق
فقد ضاقت عليَّ جهات أمري ... وأنت المستجار من المضيق

وفيه يقول بيتين **يحضرني منهما** قوله:

زناره في خصره معقود ... كأنه من كبدي مقدود

قال أبو الفرج: وكان دعبل يستحسنه ويقول ليت هذين البيتين لي بمائة بيت من شعري.

وفيه يقول محمد بن أبي أمية: [٢٢٤]

رأيتك حلتي دين ودنيا ... حياة للضجيع وللقرين
بدا لي بعد ما سبقت يميني ... بهجرك لا أكفر عن يميني

دير مريحنا[2]

وهو إلى جانب تكريت على دجلة، عامر بالقلايات والرهبان، مطروق مقصود منزل لكل مسافر، وبه ضيافة قائمة على أقدار الناس، وله مزارع متسعة، وغلات كثيرة وهو للنسطورية: وعلى بابه صومعة عبدون الراهب، وكان من الملكية بناها فعرفت به.

وفي هذا يقول عمرو بن عبد الملك الوراق: [الهزج]

أرى قلبي قد حنا ... إلى دير مريحنَّا
إلى غيطانه الفيح ... إلى بركته الغنَّا
إلى أحسن خلق اللّـ ... ـه إن قدس أوغَنّا
فلما انبلجَ الصبحُ ... بزلنا بيننا دنَّا
فلما دارت الكأس ... أدرنا بيننا لحنا
فلما هجع السـ ... ـمّار نمنا فَتَعانقنا

---

(١) ورد البيت على النحو في الديوان:
فما نصحت للّه بكر بن وائلٍ ... ولا صبرت عند اللقاء تميم

(٢) (الديارات: ٢٨٩).

قال الشابشتي: وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والتطرح في الدارات، ومما أنشد له في المجون قوله: [مجزوء الرمل]

أيها السائل عني ... لست من أهل الصلاحِ

أنا إنسان مريبٌ ... اشتهي نيك الملاحِ[1]

عمر احويشا[2]

وأحويشا بالسريانية الحبيس.

قال الشابشتي[3]: وهذا العمر بأسعود من ديار بكر.

وهذا العمر مطل على أرزن وهو كبير جليل، فيه أربعمائة راهب في قلاليهم وحوله بساتين وكروم، وهو في نهاية العمارة والنزهة، حسن الموقع وكثرة الفواكه والخمر، ومنه يحمل الخمر إلى البلدان، وبقربه عين عظيمة تدير مائة رحى، وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم وبه أنواع المطربين.

وأنشد فيه اللَّبّادي[4]:

وفتيان كهمل من أناس ... خفافٍ في الغداة وفي الرواح [٢٢٥]

نهضت بهم وستر الليل ملقى ... وضوء الصبح مقصوص الجناح

نَؤُمُّ بدير أحويشا غزالاً ... غريب الحسن كالقمر اللياح

فساعفنا الزمان بما أردنا ... فأبنا بالفلاح وبالنجاح

عمر كسكر[5]

وهو أسفل من واسط في الجانب الشرقي من القرية المعروفة ببرجوفي، وفيه كرسي المطران.

وهو عمر كبير كثير القلايات يبالغ عليها، ويحيط به بساتين كثيرة وغلات واسعة.

---

(١) وتكملتها:

قد قسمت الدهر يومين ... لفسق ولراحِ

لا أبالي من لحاني ... لا أطيع الدهر لاحِ

(٢) (معجم البلدان: ٤٩٧/٢)؛ (الديارات: ١٩٨).

(٣) الديارات: ١٩٨.

(٤) ضبطنا الأبيات عن معجم البلدان.

(٥) (الديارات: ٢٧٤)؛ (معجم البلدان: ١٥٤/٤).

وفيه يقول محمد حازم الباهلي وكان قد قصده أيام مقام الحسن بن سهل بواسط:

بُعمر كسكَرَ طاب اللهو والطرب[1] ... واليــاذكــارات[2] والأدوار والـنـخـبُ
وفـتـيـة بـذلـوا لـلـكـأس أنـفـسـهـم ... وأوجـبـوا الـرضـيـع الـكـأس مـا يـجـبُ
فـلـم نـزل فـي رياض الـعـمـر نعمُرها ... قـصـفـاً وتـعـمُـرّهـا الـلـذات والـطـربُ
والـدهـر قـد طُـرِفَـت عـنـا نـواظـرُه ... فـمـا تُـرَوِّعـنـا الأحـداث والـنُّـوَبُ

قال الشابشتي: وأنشدني من مليح شعره قوله:

صــل خَـمـرةً بـخُـمـارِ ... وصـل خُـمـاراً بـخـمـرِ
وخـذ بـخـطِّـك مـنـهـا ... كـأسـاً[3] إلـى حـيـث تـدري

قال: فقلت له: إلى أين ويحك؟ فقال: إلى النار يا أحمق.

وأنشد له:

جـددا مـجـلـسـاً لـعـهـد الـشـبـاب ... وارعـيـا حـرمـة الـصِّـبـا والـتـصـابـي
بـكـهـول إذا اسـتـقـرت حـمـيّـا ... الـكـأس لـم ينـطـقـوا بـغـيـر الـصـواب
مـارسـوا شـدة الـزمـان فـلانـوا ... واسـتـفـادوا مـحـاسـن الآداب
فـاسـقـيـانـي إذا تـجـاوبـت الأوتـار ... كـأسـاً لادّكـار الـشـبـاب [٢٢٦]

دير الاسكول[4]

ذكر مصنف ديارات الحيرة أنه راكب للنجف قال: وهو أنزه دياراتها، وفيه قلال وهياكل ورهبان يقيمون بالضيافة لمن ورد عليهم.

وهو حصن منيع، له سور عالٍ، وباب من حديد، ومنه يهبط إلى غدير الحيرة، وأرضه رضراض ورمل أبيض، وله مشرعة تقابل الحيرة، لها درج إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة.

قال: وإليه تجتمع النصارى في أعيادهم وفي كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة، فإذا كان يوم الشعانين أتوه من كل ناحية مع شمامسهم بصلبهم وأعلامهم فإذا استتموا فيه وفي القصر

---

(١) في معجم البلدان: ١٥٤/٤: واللعب.

(٢) مفردها: يا دگارى وهي لفظة فارسية وتعني ذكرى. (المعجم الذهبي: يا دگارى).

(٣) في الديارات: ٢٧٩): زاداً.

(٤) ذكره في (معجم البلدان: ٤٩٨/٢): دير الأسكون.

الأبيض والقلالي الدانية خرج أسقفهم بهم إلى مكان يعرف بقبيبات الشعانين، وهي قباب على ميل من ناحية طريق الشام فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره ولكل منهم يومئذ شأن يغنيه.

دير حَنّة[1]

دير بالحيرة من بناء نوح وإلى جانبه قائم.

حكى أحمد بن عمر الكوفي قال: كان بالكوفة رجل أديب ضعيف الحال مهما وقع في يده من شيء أتى به دير حنة فيشرب فيه حتى يسكر، ثم ينصرف إلى أهله ويقول: يعجبني من الغراب بكوره في طلب الرزق، وربما بات به، ويقول:

تطاول ليلك بالزاويه ... وكان المبيت بها عافيه
ومن تحت رأسك اجرة ... وجنبك ملقى على باريه
وذلك خير من الانصراف ... فتحكم فيك بنو الزانيه
وتصبح إما رهين السجون ... وإما قتيلاً على ساقيه

قال: فوجد واللّٰه بعد أيام قتيلاً على ساقية.

وهو القائل:

ما لذة العيش عندي غير واحدة ... هي البكور إلى بعض المواخير
بخامل الذكر مأمون بوائقه ... سهل القياد من الفرهِ المدابير [٢٢٧]
حتى نحلّ على دير ابن كافرةٍ ... من النصارى يبيع الخمر مشهور
كأنما عقد الزنار فوق نقاً ... واعتمر فوق دجى الظلما وبالنور

وفيه قال الثرواني:

يومي بهيكل دير حنة لم يزل ... غرّا السحاب يجود فيه ويمرع
متجوشن طوراً وطوراً شاهر ... بيض السيوف وتارة يتدرّع

وكذلك قال فيه بكر بن خارجة الكوفي: [الوافر]

ألا سُقيَ الخورنقُ من محلّ ... ظريف الرّوضِ معشوقٍ أنيقِ
أقمت بدير حَنّتهِ زماناً ... بِسُكرٍ في الصبوحِ وفي الغَبوقِ
ومِنّا لابسٌ إكليل زهرٍ ... ومُخْتَضِب السّوالفِ بالخَلوقِ

---

(١) (معجم البلدان: ٥٠٧/٢)، (الخزل والدأل: ٢٠/٢) (معجم ما استعجم: ١٩١/٢).

كأن رياضَهُ حُسناً ونوراً سحائبُ ذُهّبَت بسنا البُروقِ

كأن تَقاطُرَ الأشجار فيهِ إذا غَسَقَ الظلام قِطارُ نوق

وماذا شِئتَ من دُرّ الأقاحي هناك ومن يواقيتِ الشَّقيقِ

وقد ذكر دير حَنة أبو الفرج الأصفهاني وقال: ذكره أبو نواس في شعره يعني في قوله: [البسيط]

يا ديرَ حَنَّةَ من ذاتِ الأكيراحِ من يَصحُ عنك فإني لستُ بالصَّاحي

يعتادُه كل مَحفوقٍ مبارقه من الدِّهان عليه سحقُ أَمساحِ

في فتية[1] لم يدع منهم تخوفُهُم وقوعَ ما حذروه غير أَشباحِ

لا يدلفون إلى ماءٍ بآنية إلا اغترِافاً من الغُدران بالراحِ

قال: والأكيراح كمدثرة كثير البساتين والرياض والمياه.

قال: وبالحيرة أيضاً موضع يقال له الأكيراح فيه دير، والأكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان يقال للواحد منها الكرح [٢٢٨].

دير عبد المسيح[2]

وهو بالحيرة، بناه عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة، ويقال إنه عمر دهراً طويلاً، ولحق خالد بن الوليد حين فتح الحيرة، وله معه خبر طويل.

وحكى بعض أهل الكلام قال: قرأت على حائط مكتوباً:

رأيت الدهر للإنسان ضدًّا ولا ينجي من الدهر الخلود

ولا ينجي من الآجال أرض يحل بها ولا قصر مشيد

وحكى آخر قال: قرأت على حائطه أيضاً:

هذي منازل أقوامٍ عهدتهم في خفض عيش خصيب ما له خطر

دارت عليهم صروف الدهر فانتقلوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

وقد ذكره الأصفهاني في أخبار لا حاجة فيها.

وقال: وكان عبد المسيح قد بنى ديراً في بقعة بالحيرة يقال لها الجزعة كان يترهب فيه

---

(١) في الديوان: في عصبة.

(٢) (الخزل والدأل: ٢/١٢٠)؛ (معجم البلدان: ٢/٥٢١).

حتى مات، ثم خرب الدير وظهر فيه أزج معقود من حجارة وظنوا فيه كنزاً، ففتحوه فإذا سرير رخام عليه رجل ميت، وعند رأسه لوح فيه مكتوب:

حَلَبتُ الدهر أشطره حياتي ... ونِلْتُ من المنى فوق المزيد
وكدت أنالُ في الشرف الثُّرَيَّا ... ولكن لا سبيل إلى الخُلُودِ

دير الحريق[1]

هو بالحيرة، بناه النعمان بن المنذر على ولد كان له عدي عليه وأحرق فيه، وإلى جانبه قبة تعرف بقبة الشقيق، وتعرف بقبة غصين، وهما راهبان نسب إليهما، وهما بديعتا البناء.

وفي الدير وفيهما يقول الثرواني:

دير الحريق وقبة الشقيق ... معنى لحلف مدامةٍ وفسوق
وطن لفرقته شرقت بدمعتي ... ولرحلتي عنه غصصت بريقي [٢٢٩]

حكى حمزة بن أبي سلامة قال: كان الثرواني جاري بالكوفة، وكان كثير الإلمام بالديرة، فباكر في يوم شعانين وقال لي: اعزم بنا اليوم على الشرب في دير الحريق لأنه يوم سيقصده فيه خلق، ولي به صديق من رهبانه طريف مليح القلاية جيد الشراب، فهلم ننزه أعيننا فيمن نراه من الجواري والغلمان، ثم نعدل إلى قلاية صديقنا، فنشرب على سطحها المشرف على الرياض، فخرجنا فرأينا من النساء والوصائف والولدان في الحلي والحلل ما لم أر مثله قط، فلم يزل يعبث ويتعرض ويقبل ويعانق وكان معروفاً بذلك فما أحد ينكر عليه فعله إلى بعد الظهر، ثم أتينا قلاية صديقه الراهب فلقيه بالإكرام والترحيب فدخلنا قلايته، فما رأينا أنظف من آلاتها ولا أنضر من بستانها، ثم قدم لنا شيئاً من طعامه فأصبنا منه ثم صعدنا سطحها وجلسنا ننظر إلى منظر مبهر حسناً وجمالاً من رياض وغدران وطير يصفر ونحن نشرب حتى ثملنا ونمنا هناك، وغدونا على الكوفة، فقلت له: ترك هذا اليوم مع حسنه عاطلاً من حلي شعرك فقال: لا واللّه، ولقد عملت في ليلتي هذه، هذه الأبيات، ثم أنشدني:

خرجنا في شعانين النصارى ... وشيعنا صليب الجاثليق
فلم أر منظراً أحلى بعيني ... من المتقيات على الطريق
حملن الخوص والزيتون حتى ... بلغن به إلى دير الحريق
أكلنا من به باللحظات عشقاً ... وأضمرنا لهن على الفسوق

---

(١) (الخزل والدأل: ٢/٩)؛ (معجم البلدان: ٢/٥٠٥).

دير ابن مزعوق[1]

وهو بالحيرة قريب دير الحريق، من أنزه البقاع زهراً[2] رقيق هواء وتدفق ماء، وتشوق إليه الثرواني من بغداد فقال: [الكامل]

ديـر الـحـريـقِ فـبـيـعـة الـمَـزعـوقِ ... بـيـن الـغَـديـر وقـبـة الـشـقـيـقِ [٢٣٠]

أشـهـى إلـيَّ مـن الـصـراةِ وطـيـبـهـا[3] ... عـنـد الـصـبـاح ومـن رَحـى الـبـطـريـقِ

يـا صـاحِ فـاجـتـنـب الـمـلام أمـا تـرى ... سَـمِـجـاً مُـلامَـكَ لـي وأنـتَ صـديـقـي

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد للثرواني فيه وفي دير فاتنون قوله: [المنسرح]

قـلـتُ لـه والـنـجـومُ جـانـحـة[4] ... فـي لـيـلـة الـفـصـح أوَّلَ الـسَّـحَـر

هـل لـك فـي مـار فـاثـنـيـون وفـي ... ديـر ابـن مـزعـوق غـيـر مـقـتـصـر[5]

يـفـيـض هـذا الـنـسـيـم مـن طرف الشـ ... ـام ودَرُّ الـنـدى عـلـى الـشـجـرِ

ونـسـأل الأرضَ عـن بـشـاشـتـهـا[6] ... وعـهـدهـا بـالـربـيـعِ والـمـطـرِ

قال: ودير فاتنون[7] أسفل النجف، ودير بني مزعوق بحذاء قصر عبد المسيح بأعلى النجف، وفيه يقول الثرواني:

تـقـر بـفـضـل عـيـنـك لـي بـوصـل ... وفـعـلـك لـي مـقـرٌّ بـالـجـحـود

تـشـكـكـنـي وأعـلـم أن هـذا ... هـوًى بـيـن الـتـعـطـف والـصـدود

وقال أيضاً:

كـر الـشـراب عـلـى نـشـوان مـصـطـبـح ... قـد هـب يـشـربـهـا والـديـك لـم يـصـح

والـلـيـل فـي عـسـكـرٍ جـم بـوارقـه ... مـن الـنـجـوم وضـوء الـصـبـح لـم يـلـح

والـعـيـش لا عـيـش إلا أن يـبـاكـرهـا ... صـهـبـاء تـقـتـل هـم الـنـفـس بـالـفـرح

حـتـى يـظـل الـذي قـد بـات يـشـربـهـا ... ولا يـراح بـه يـخـتـال كـالـمـرح

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٣٧).
(٢) وردت لبكر بن خارجة:
(٣) وردت: ودورها.
(٤) وردت للثرواني: طالعة.
(٥) وردت للثرواني: مختصر.
(٦) في المصدر السابق: منابتها.
(٧) في (معجم البلدان: ٢/٥٣١) سماه: دير مار فايثون.

دير مارت مريم(١)

هو بالحيرة من بناء المنذر، وهما ديران متقابلان ومنهما مدرجة الحاج وطريق السابلة إلى القادسية، وهما مشرفان على النجف، ومن أراد الخورنق عدل عن جادتهما ذات اليسار.

ومن شعر الثرواني فيها: [٢٣١] [الوافر]

دع الأيام تفعلُ ما أرادت ... إذا جاءت بندمان وكاسِ
ومارت مَرْيمِ والصحنُ فيه ... حديقتان من وردٍ وآسِ
وظبْيي في لواحظ مُقْلتيه ... نعاسٌ من فتورٍ لا نعاس
وخلّ لا يحولُ من التصابي ... ذكورٌ للمودة غير ناسي
ومحتضنٍ لطنبورٍ فصيح ... يُغَنيني بشعر أبي نواسِ
وما اللذات إلا أن تراني ... صَريعاً بين باطيةٍ وكاسِ

وقد ذكره أبو الفرج وقال: كان قس يقال له يحيى بن حمار، ويقال له يوشع يألفه الفتيان، ويشربون على سطحه وفي قلايته على قراءة النصارى وضرب النواقيس.

وفيه قال بكير بن خارجة وغيره: [مجزوء الرمل]

بتنا بمارة مريم ... سقيا لمارة مريم
ولقسها يحيى المهـ ... ـينم بعد نوم النُّوَّم
وليوشع ولخمره حمرا ... ء مثل العندمِ
ولفتية حفُّوا به ... يعصون لوم اللوَّم
يسقيهم ظبي أغنـ ... ـن لطيف خَلق المعصمِ
يرمي بعينيه القلـ ... ـوب كمثل رمي الأسهم

قلاية القس(٢)

وهي بالحيرة في موضع حسن، وكان القس الذي ينسب إليه من ملاح النصارى، وكان ناسكاً، ثم صار فاتكاً وفيه قيل:

قلاية القس مالي عنك مصطبر ... ومن إلي من كان فيك يعتذر

---

(١) (معجم البلدان: ٥٣١/٢)؛ (الخزل والدأل: ١٨٠/٢). وقد ذكر أكثر من موضع عرف بهذا الاسم.

(٢) انظر (معجم البلدان: ٣٨٦/٤)، (معجم ما استعجم: ٣٢٦/٣).

فـكـم لـديـك نـسـيـم ذيـلـه عـبـق　　وكـم لـديـك هـواء جـيـبـه عـطـر
وتـسـر بـه وغـنـاء ذي يـزول بـهـا　　سقـم السـقـيـم وذا يـجـلـى بـه الـبـصـر
ومـاء مـزنٍ بـكـف الـريـح تـصـقـلـه　　وكـالـمـرايـا تـلـي الأوشـال والـقـدر

وقد ذكره أبو الفرج وقال[1]:

خـلـيـلـي مـن تَـيْـم وعـجـلٍ هُـدِيـتـمـا　　أضيفا بحث الكأس يومي إلى أمسي [٢٣٥]
وإن أنـتـمـا حـيـيـتـمـانـي تـحـيـة　　فـلا تـعـدوا ريـحـان قـلاّيـة الـقَـسّ
إذا مـا بـه[2] حـبـبـتـمـانـي فـاخـلـوا　　حـمـيـديـن بـالـخـلـوق وبـالـورس
وإن قـلـتـمـا: لا بـد مـن شـرب دائـرٍ　　ولـم تـعـذرانـي فـي مـطـال ولا حـبـس
فـمـن قـهـوةٍ حـيـريـةٍ راهـبـيـة　　عـتـيـقـة خـمـس لـو تـزيـدُ عـلـى خـمـس
تـجـرُّ عـلـى قـرع الـمـزاج إزارهـا　　وتـخـتـال مـنـه فـي مُـصـبَّـغـةِ الـعُـرسِ

دير حنة الكبير[3]

قال الخالدي: هو بالحيرة في الأكيراح غير ذي حنة الذي قدمنا ذكره، يقال إنه بني حين بنيت الحيرة، وكان من أنزه الديرة لكثرة بساتينه وتدفق مياهه.

حكى جحظة عن بعض أهل الحيرة قال: اجتاز بنا عمر بن فرج الرخجي منصرفاً من الحج فتلقيناه وأعظمناه وسرنا معه، فلما اجتاز بدير حنة سألنا عنه فعرفناه به، فقال: من ذا الذي يقول:

يا دير حنة من ذات الأكَيْراح.

فقال له الحسين بن هشام الحيري: هذا لأبي نواس، أتحب أن أنشدك لشاعرنا الثرواني شيئاً يقرب من هذا المعنى في هذا الدير، قال: قل، فأنشده: [الهزج]

عـلـى الـريـحـان والـراح　　وأيـام الأُكـيـراحِ
وإبـريـق كـطـيـر الـمـ　　ـاء فـي لـجـة ضـحـضـاحِ
سَـلامٌ يـسـكـر الـصـاحـي　　ومـا فـيـه فـتـى صـاحـيِ
ومـن لـي فـيـه بـالـسـلـو　　ة عـن وجـه ابـن وضـاحِ
غـزال صـيـغ مـن فـتـنـ　　ـة أبـدان وأرواحِ

(١) ضبطنا الأبيات الأول والثاني عن معجم البلدان وفي (معجم ما استعجم: ٣٢٦/٣) نسبها للثرواني.
(٢) في (معجم ما استعجم): انتما حييتماني...
(٣) سبق انظره. وانظر أبو الفرج الأصفهاني في (الديارات. دير حنة ـ الأكيراخ).

إذا راح إلــى الــبــيــعــة فــي أثــواب أمــســاحِ
فــفــي كــفــيــه إفــســادي وفــي كــفــيــه إصــلاحــي [٢٣٣]

قال: فاستحسن الأبيات وأمر كاتباً معه بكتبها، وخلع على الحسين بن هشام وأجازه.

وحكى جحظة قال: زرت إبراهيم بن المدبر، وكان بالكوفة، فأكرمني وأنس بي وأقمت عنده ثلاثة أشهر، فجرى يوماً ذكر دير حنة فقال ابن المدبر: والله إني لأحب أن أراه وأشرب فيه، فقد ذكر لي حسنه، فأين هو من الحيرة، فدله إسحاق بن الحسين العلوي عليه، وقال له: في هذه الأيام ينبغي أن يقصد لأنها أيام ربيع ورياض مفعمة بالزهر والغدران والبادية بقربه فلن نعدم أعرابياً فصيحاً يطير إلينا ونحن فيه، فيهدي إلينا بيض نعام ويجني لنا الكمأة، فتقدم ابن المدبر إلى غلمانه بإعداد ما نحتاج إليه وخرج وخرجت معه حتى وافيناه، فإذا هو حسن البناء والرياض محدقة به، ونهر الحيرة الذي يقال له الغدير يقرب منه فضربت لنا خيم عنده وخرج إلينا رهبانه وحملوا إلينا مما عندهم من التحف واللطف فأكلنا وجلسنا نشرب، وغنيته بشعر أبي نواس المتقدم.

فبينا نحن كذلك إذ اجتاز بنا غلام حسن عارضه كأنه بدر على غصن معه مصحف من مصاحف النصارى كامل العقل ساحر اللحظ واللفظ، فشرب ابن المدبر على وجهه رطلاً وسقاه قدحاً، واستأذنه الغلام في النهوض وقال: معي مصحف لا تتم للرهبان صلاة إلا بحضوره، وهذا وقت صلاتهم وقد ضربوا الناقوس منذ ساعة، فأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار وعملت شعراً صنعت فيه صوتاً فما زال صوته طول مقامه وهو: [السريع]

فــديــتُ مــن مَــرَّ بــنــا مُــسْــرِعــاً يــســعــى إلــى الــديــر بــأســفــارِهِ
خَــدَمْــتُ ربَّ الــديــر مــن أجــلِــهِ حــتــى كــأنــي بــعــضُ أحــبــاره
حَــذَّرَنــي الــنــار ولــم يــدر مــا في القلب والأحشاء من ناره [٢٣٤]
حَــيَّــرنــي تــفــتــيــر أَجــفــانِــه وحَــلَّ عَــقْــدي عَــقْــدُ زنّــارِه

وأقمنا بمكاننا ثلاثة أيام، ثم عدنا إلى الكوفة، وقد عملت في تلك الأيام، وغنيت فيه: [الهزج]

وبــالــحــيــرة لــي يــومٌ ويــوم بــالأكــيــراح
إذا عَــزَّ بــنــا الــمــاءُ مــزجــنــا الــراحَ بــالــراحِ

وحكى الربيعي عن بعض أهل الحيرة قال: كان في دير حنة خمار يقال له مر عبدا موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة ألحانه فحكى مر عبدا قال: ما شعرت يوماً وقد فتحت حانوتي وجلست إلى جانب الهيكل إلا بثلاثة فوارس قد أقبلوا من طريق السماوة في البر

حتى وقفوا عليَّ وهم متلثمون بعمائم الخز وعليهم حلك العصب فسلموا علي وأسفر أحدهم وقال: أنت مر عبدا وهذا دير حنة؟ قلت: نعم، قال: قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة فاسقني رطلاً، فبادرت فغسلت يدي ثم نقرت الدنان ونظرت أصفاها فبزلته، فشرب، وصفح يده وفمه بالمنديل، ثم قال: اسقني آخر فغسلت يدي وتركت ذلك الدن وذلك القدح والمنديل وبقرت دناً آخر، فلما رضيت صفاه بزلت منه رطلاً في قدح وأخذت منديلاً جديداً فناولته إياه، فشرب كالأول، ثم قال: اسقني رطلاً آخر، فسقيته في غير ذلك القدح وغير ذلك المنديل، فشرب ومسح فمه ويده وقال لي: بارك اللّه فيك فما أطيب شرابك وأنظفك وأحسن أدبك، وما كان رأيي أن أشرب أكثر من ثلاثة أرطال، فلما رأيت نظافتك دعتني نفسي إلى شرب رابع فهاته، فناولته إياه على تلك السبيل، فشرب وقال: لولا أسباب تمنع من بيتك لكان حبيباً إليَّ جلوس يومي هذا فيه، وولى منصرفاً في الطريق الذي بدا منه، ورمى إليَّ أحد الراكبين اللذين كانا معه بكيسٍ، فقلت: وحق النصرانية لا قبلته حتى أعرف الرجل، فقال: هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك [٢٣٥] وصفت له فأقبل من دمشق حتى شرب من شرابك ورأى ديرك والحيرة ثم انصرف، فحللت الكيس فإذا به أربعمائة دينار.

دير هند(١)

وهي بنت النعمان بن المنذر، بناه لها أبوها لتتعبد فيه، فلما فرغ منه خرجت من قصر أبيها تريده فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نزه وصيد، والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ.

وشق له بشر بن مروان نهراً من الفرات، ولم يزل النهر يجري حتى ضرب الدير.

وحكي أن النعمان كان يصلّي به ويتقرب فيه وأنه علق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة وكانت أدهانها في أعياده زرنبق وبان وما شاكلها من الأدهان، ويوقد فيه من العود الهندي والعنبر يجلّ يجد عن الوصف.

وفيما حكى الكلبي أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قرباناً أخذت بقلبه، فدعا الراهب الذي قربها وسأله عنها فقال: هي امرأة حكم بن عمرو اللخمي، فلما انصرف النعمان دعا عدي بن زيد كاتبه وأوقفه على الخبر وقال له: كيف الحيلة؟ فقال له: إذا كان بكرة غد وحضر الناس الباب فابدأ به في الإذن وأجلسه معك على سريرك، ففعل النعمان ذلك، وأذن

---

(١) (معجم البلدان: ٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣).

للناس من بعده فجعلوا يتعجبون وانصرفوا فقال النعمان لعدي بن زيد: قد فعلت ما أشرت به فمه، قال: إذا أصبحت فاكسهِ واحمله، ففعل ثم قال: اجعل حوائج العرب إليه، ففعل ثم قال النعمان لعدي بن زيد: قد طال هذا، قال: إذا أصبحت فإن عندك عشرة نسوة فطلق أبغضهن إليك، ثم قل إنه قد طابت نفسي لك بما لم تطب به لولدٍ ولا أخ، قد طلقت لك فلانة فتزوجها، ففعل ذلك وخرج وهو لابس من حلل النعمان ولديه ما حمله عليه فجلس وحكم بين العرب وعدي بن يزيد بالباب جالس، فقال له اللخمي: ما أدري ما أكافىء به الملك فعل معي وفعل، فقال له [٢٣٦] عدي: ما أقدرك على مكافأته، قال: وما هو، قال: طلق امرأتك كما طلق لك امرأته قال: قد فعلت فأنفذها إلى النعمان، وفي ذلك يقول الشاعر:

علقتها حوراء ناعمة كأنها | البدر في داجٍ من الظلم
ما في البرية من أنثى تعادلها | إلا التي أخذ النعمان من حكم

وقد ذكره أبو الفرج[1] وقال: هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير هي الحُرَقة وهي التي دخلت على خالد بن الوليد وآخر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة وكسوة، فقالت: ما لي إليه حاجة، لي عبدان يزرعان من مزرعة لي أتقوت بها بما يمسك رمقي وقد اعتددت بقَوْلك فعلاً، وبعرضك نقداً، فاسمع مني دعاء أدعو به لك كنا ندعو به لأملاكنا: شكرتك يد افتقرت بعد غنًى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب اللّه بمعروفك مواضعه.

قال: وهذا الدير يقارب دير بني عبد اللّه بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق.

وحكى الشابشتي[2]: أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة دير هند بنت النعمان، وهي متمكنة من عقلها ورأيها فانظر إليها فإنها بقية، فركب والناس معه حتى أتى الدير، فقيل لها: هذا الأمير الحجاج بالباب، فاطلعت من ناحية الدير، فقال لها: يا هند ما أعجب ما رأيت؟ قالت: خروج مثلي إلى مثلك لا تغترن يا حجاج بالدنيا فإنا أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبي:

رأيتك من يعقد له جل ذمّةٍ | من الناس يا من سرجه حيث ارتقى

ولم نمس إلا ونحن أذل الناس وقل إناء امتلأ إلا انكفأ.

فانصرف الحجاج مغضباً وأرسل إليها من يخرجها من الدير ويستأديها الخراج فأخرجت ومعها ثلاث جوار من أهلها فقالت إحداهن: [٢٣٧]

---

(١) راجعنا القصة (معجم البلدان: ٥٤١/٢) وسماه دير هند الصغرى.

(٢) (الديارات: ٢٤٤ـ ٢٤٥) وللمزيد انظر (ذيل الديارات: ٣٨٨ـ ٣٨٩).

خارجات يسقن من دير هند   معلنات بذلة وهوان
ليت شعري لأول الحشر هنا   أم محا الدهر غيرة الفتيان

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من رسل الحجاج وتغيب، فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى، فقال: إن أتانا فهو آمن وإن ظفرنا به قتلناه، فأتاه فقال له: ما حملك على ما صنعت، فقال: الغيرة فوصله وخلاّه.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق أتى هنداً إلى ديرها، فخرجت إليها وعرض عليها نفسه في حوائجها، فقالت: سأحييك بتحية كانت ملوكنا تحيّا بها: شكرتك يدا فتقرت بعد غنًى، ولا مستك يد استغنت بعد فقر، ولا جعل اللّه لك إلى لئيم حاجة، ولا نزع عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لردها عليه.

قال: ثم جاءها المغيرة لما ولاه معاوية الكوفة، فاستأذن عليها فقيل لها: الأمير على الباب، فقالت: قولوا له من أولاد جبلة بن الأيهم أنت، فقال: لا، قالت: فمن أولاد المنذر بن ماء السماء، قال: لا، قالت: فمن أنت، فقال: المغيرة بن شعبة الثقفي، قالت: فما حاجتك، قال: جئتك خاطباً، قالت: والصليب ما جئتني رغبة في مالٍ ولا شغفاً بجمال ولكن أردت أن تقول: نكحت ابنة النعمان وإلا فأي فخر في اجتماع شيخ أعور وعجوز عمياء اذهب، فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم، قالت: سأختصر لك الجواب، أمسينا وليس في العرب أحد إلا ويرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس في الأرض أحد إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه، قال: فما كان أبوك يقول في ثقيف، قالت: اختصم إليه رجلان أحدهما ينميها إلى إياد والآخر ينميها إلى بكر بن هوازن، فقضى بها للإيادي وقال:

إن ثقيفاً لم تكن هوازنا   ولم تناسب عامراً ومازنا [٢٣٨]

قال المغيرة: أما نحن فمن بكر بن هوازن فليفعل أبوك ما شاء.

دير اللج(١)

وهو بالحيرة مما بناه النعمان بن المنذر، وهو من أنزه دياراتها وأحسنها بناء لما يطيف به من البساتين.

وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه ويستشفي به في مرضه، وفيه قيل:

يا ليلتي أطيِب بها ليلة   لو لم يكن قصرها الطيب

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٣٠).

بتنا بدير اللّجّ في حانة | شرابها في الكأس مكبوب
يديرها ظبي هضيم الحشا | يحبه الفتيان والشيب
حتى إذا ما الخمر مالت بنا | جرت أمور وأعاجيب
فما ترى ظنك في شادن | بات إلى جانبه ذيب

وقد ذكره أبو الفرج فقال: كان النعمان يركب في كل أحد إليه وفي كل عيد معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن ينادمه من أهل دينه عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوساطهم الزنانير المحلاة بالذهب المفصصة بالجوهر وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان الذهب فإذا قضوا صلاتهم انصرف إلى مستشرفه على النجب فيشرب فيه بقية يومه إلى أن يمسي وخلع ووصل وحمل، وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه.

وأنشد فيه قول الشاعر[1]:

سقى اللّه دير اللجّ خيراً[2] فإنه | على بعده مني إليّ حبيب
قريب إلى قلبي بعيد مكانه | وكم من بعيد الدار وهو قريب

دير بني علقمة[3]

وهو دير بناه علقمة بن عدي اللخمي بالحيرة، وفيه يقول عدي بن زيد وفيه غناءه:

نادمت في الدير بني علقما | عاطيتهم مشمولة عندما
كأن ريح المسك في كأسها | إذا مزجناها بماء السما [٢٣٩]

دير هند الأقدم[4]

وهي هند الكبري بنت الحارث بن عمر من حجر الملك أم عمرو بن المنذر الملك.

وحكى محمد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي عن أبيه قال: دخلت مع يحيى بن خالد لما خرجنا مع الرشيد إلى الحيرة وقد قصدها ليتنزه بها ويرى آثار آل المنذر، فدخل دير هند الأكبر وهو على طرف النجف، فرأى في جانب حائطه شيئاً مكتوباً، فدعا بسلم فأحضر وأمر بعض أصحابه بأن يصعد إليه فيقرأه، فإذا فيه مكتوب[5].

---

(١) ضبطنا الأبيات عن المصدر السابق.
(٢) في المصدر السابق: غيثاً.
(٣) انظر الديارات لأبي الفرج الأصفهاني.
(٤) (معجم البلدان: ٢/٥٤٢).
(٥) ضبطنا الأبيات عن معجم البلدان.

إن بـنـي الـمـنـذر عـام انـقـضـوا	بـحـيـث شـاد الـبـيـعـة الـراهـبُ
تـنـضـح بـالـمـسـك ذفـاريـهـم	وعـنـبـرٍ يَـقْـطـبـه الـقـاطـبُ
والـعـزُّ والـكَـتـانُ أثـوابـهـم	لـم يـجـنـب الـصـوفَ لـهـم جـانـبُ
والـعـزُّ والـمـلـك لـهـم راهـنٌ	وقـهـوَة نـاجـودُهـا سـاكـبُ
اضـحـوا ومـا يـرجـوهـم طـالـبٌ	خـيـراً ولا يـرهَـبـهـم راهـبُ
كـأنـهـم كـانـوا بـهـا لُـعْـبَـة	سـار إلـى بـيـنِ بـهـا راكـبُ[1]
وأصـبـحـوا فـي طـبـقـات الـثـرى	بـعـد نـعـيـم لـهـم راتـبُ
شـر الـبـقـايـا مـن تـرى مـنـهـم[2]	قُـلّ وذُلّ جـدّه خـائـبُ

فبكى الرشيد حتى جرت دموعه على لحيته وقال: هذه سبيل الدنيا وأهلها وانصرف عن وجهه ذلك.

قبة الشتيق[3]

وهي من الأبنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج، وبإزائها قباب يقال لها السكورة جميعها للنصارى وعيد الشعانين بها نزه يخرج فيه النصارى من السكورة إلى القبة في أحسن زي عليهم الصلبان وبأيديهم المجامر والقسوس والشمامسة على نغم واحدٍ متفق في الألحان إلى أن يقضوا بعثهم ثم يعودون على هيئتهم [٢٤٠].

دير إسحاق[4]

وهو بين حمص وسلمية في موضع حسن، نزه على نهر جار وهو له كروم ومزارع إلى جانب ضيعة صغيرة يقال لها جدر، وهي التي ذكرها الأخطل في قوله:

عـتـقـتـهـا حـمـص أو جـدر

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي السلماني من أهل سلمية:

وافـق أخـاك تـجـده خـيـر رفـيـق	إن كـنـت لـست عن الـصبا بـمـفـيق
وإذا مـررت بـديـر إسـحـاق فـ	ـقـل جـادتـك غـيـر سـحـائـب وبـروق

---

(١) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: سار إلى أين بها الراكب.

(٢) في المصدر السابق: شر البقايا من بقي بعدهم.

(٣) (الديارات: ٢٤١).

(٤) (معجم البلدان: ٤٩٨/٢)، (الخزل والدأل: ٢٦٨/١).

دير يشبه ماؤه بهوائه | وهواؤه بلطافة المعشوق

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أخيه من دير إسحاق:

أما طربت لهذا العارض الطرب | أما رأيت للصبا والجو في لعب
تعانقا فكان القطر بينهما | من فضة وكان الزهر من ذهب
ونحن في دير إسحاق ومجلسنا | يشكو مغيبك فاحضره ولا تغب
لنجعل اليوم عيداً في ملاحقه | ونقلب الهم بالأدوار في القلب

وقال فيه:

سلام على ليلة بالدُّوير | تقضَّت كزائرةٍ في الحلم
أتتني في طيلسان الضياءِ | ولم تتقنع بنور الظلم
يعارض فيها ابتسام البروق | بروق دنان بها تبتسم
وصفراء لم يبق إلا النـ | ـق منها الليالي وطول القِدم
تمزّزنها في ثياب الدجى | إلى أن تجلى الدجى للهرم
نزلنا بها وسط مكسوة | مَطَارف من نسج أيدي الديم
سقاني ابن قسيسها كأسها | على زورة من حبيبٍ ألم [٢٤١]

وقال فيه:

أتظما رياض الدير من صوب ماطر | ولم أقر ضيفَ الليل أجفان ساهر
وقلت: سقى الصحراء بين عواقصٍ | ذوائبها في سَفحه ونواشر
رحيمٌ بأطفال العروس يضمُّها | إذا ما انثنت ضمَّ الشَّفيقِ المحاذر
فكم قلت للساقي وقد فتح الندى | نواظرها: قم هاتِها لا تناظر
يحن إلى الدير اشتياقي كأنما | يُريني الصبا فيه بموقع ناظِري

دير ميماس(١)

وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس، وإليه نسب، وهو في رياض وبساتين وعليه طواحين رومية، ويزعم رهبانه أن به **شاهداً** من الحواريين.

وحكى العسقلاني: أنه كان لديك الجن غلام يهواه، وكان شديد الوجد به، فخدعه قوم

(١) (معجم البلدان: ٥٣٨/٢)، (الخزل والدأل: ٢٢٣/٢).

ومضوا به إلى دير ميماس وسقوه نبيذاً، فبلغ ذلك الديك فقلق وقال:

قل لهضيم الكَشْحِ مَيَّاس ... ارتفع العهدُ من الناس
يا طاقة الآس التي لم تمد ... إلا أذلّت قُضُب الآس
وثقت بالكأس وشُرّابها ... وحتفُ أمثالك في الكاسِ
في دير ميماسٍ ويا بعدما ... بين مغيثيك وميمَاس
لا بأس مولاي على أنها ... نهاية المكروه والباس
فاله ودَعْ عنك أحاديثهم ... سيصبح الذاكرُ كالناسي

وحكي أن أبا نواس لما دخل حمص ماراً بها دعاه فتى من أدبائها إلى دير ميماس، ودعا معه أشجع السلمي، فجلسوا يشربون وأبو نواس ينشدهم له ولغيره، فقال أشجع:

صبَّحتُ وجه الصَّباح بالكاسِ ... ولم تَعُقْنِي مقالةُ الناس [٢٤٢]
ونحن عند المدام أربعةٌ ... أكرمُ صحبٍ وخيرُ جُلاّس
نُدير حِمْصِيَّة مُعَتَّقَة ... على نسيم النسرينِ والآس
ولم نرد مطرباً وينشدنا ... أبو نواس في دير ميماس

دير محلّى(١)

وهو بساحل جيحان قرب المصيصة.

وحكى أبو نصر النحوي أن ابنا حصاد الكاتب اجتاز بهذا الدير ومعه ابن أبي زرعة الدمشقي الشاعر قال: فرأينا من حسن رياضه وتدفق مائه وطيب هوائه ونضرة أشجاره منظراً حسناً، فقال ابن أبي زرعة: لقد حظر علينا أن نتجاوز هذا الموضع ولا نشرب فيه حتى نموت سكراً، فقلت له: ويحك أنا مبادر في مهمّ، فقال: ما قدامك أهم من هذا، وثنى رجله ونزل عن دابته فنزلنا، ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد والياسمين والتفاح وأخرجوا إلينا شراباً عتيقاً في نهاية الصفاء والرقة فابتعناه منهم وأقمنا يومنا هناك في أنعم عيش وأحسنه، فلما أصبحنا غدونا، فأنشدني أبو زرعة لنفسه:

دير مُحلَّى مَحِلَّة الطربِ ... وصحنهُ صحن روضةِ الأدبِ
والماء والخمر فيه قد سكبا ... للصّفو من فضةٍ ومن ذهب
لا ودموع الغمام روق ذا ... وتلك لم تعصر من العنب

---

(١) (معجم البلدان: ٥٣٣/٢)، (الخزل والدأل: ١٩١/٢).

ووردِه في الغصون يتّمني ... حسناً وتُفّاحُهُ يبرحُ بي

فلا تلمني إذا جعلت إلى ... حاناته ما حييتُ مُنْقَلبي

رضيتُ أن أغتدي بلا نشبِ ... ويَغتدي وهو قد حوى نشبي

دير مار مروثا(١)

وهو دير صغير بظاهر حلب في سفح جبل جوشن على نهر العوجان، وكان سيف الدولة محسناً إلى أهله وقلما مّر به إلا نزله ووهب لأهله هبات كثيرة.

وكان يقول: رأيت أبي في النوم يوصيني به.

وله بساتين قليلة ومباقل، وفيه نرجس وبنفسج وزعفران [٢٤٣] وتعرف بالبيقين لأن فيه منسكبين للرجال والنساء.

قال الخالدي: وإياه عنى الصنوبري بقوله: [المنسرح]

ما بال أعلى قويق ينشُر من ... وشي الربيع الجديد ما أدْرَجْ

كأنما اختيرت الفصوص له ... بين عَقيق وبين فيرُوزجْ

أما ترى البيقين أفردتا ... بمفرد الأقحوان والمزْوَج

أثوابه المزن كيف ما اتصلت ... ونارُهُ البرقُ كيف ما أجّج

دير الرصافة(٢)

هو بالشام قريب وضافه هشام بن عبد الملك، وموضعه حسن، وفيه قيل:

تراك جزعت يا دير الرُّصافة ... غداة تحوَّلت عنك الخلافَه

فلا تجزع وتذري الدمع حزناً ... فإن لكل مجتمعين آفه

وحكي أن أبا نواس مرَّ به، فبان فيه فلما رحل عنه قال:

ليس إلا دير الرصافة ديرٌ ... فيه ما تشتهي النفوس وتهوى

بته ليلة فقضيت أوطا ... راً ويوماً ملأتُ قطريه لهوا

وقد ذكره أبو الفرج وقال: أن ابن حمدون حكى إن المتوكل لما أتى دمشق ركب يوماً إلى رصافة هشام فجعل يدور دوره وقصوره، ثم خرج فأتى الدير، وهو من بناء الروم وحسن البناء

(١) في (معجم البلدان: ٢/٥٣١): دير مارت مروثا.

(٢) انظر ترجمة في (معجم البلدان: ٢/٥١٠)، (الخزل والدأل: ٤١).

بين مزارع وأنهار فبينا هو يدور إذ بصر برقعة قد ألصقت في صدره، فأمر بها أن تقلع ويترك بها فقلعت وإذا فيها:

أيا منزلاً بالدير أصبحَ خالياً ... تلاعبَ فيه شمأل ودبورُ
كأنك لم تسكُنْكَ بيض أوانس ... ولم تتبختر في فنائك حورُ
وأبناء أملاكٍ عباشم سادة ... أصاغرهم عند الأنام كبير
إذا لبسوا أدراعهم فضراغم ... وإن لبسوا تيجانهم فبدور [٢٤٤]
ليالي هشام بالرصافة قاطِنٌ ... وفيك ابنه يا دير وهو أسير
إذ العيش غضٌ والخلافة لَدْنَة ... وأنت طريرٌ والزمان غريرُ
وروضك فينان يذوب نضارة ... وعيش بني مروان فيك نضير
رويدك إن اليوم يتبعه غدٌ ... وإن صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال: أعوذ باللّٰه من شر أقداره، ثم دعا بالديراني وقال: من كتب هذا، قال: واللّٰه لا أدري لأني منذ نزل أمير المؤمنين هنا لا أملك من أمور هذا الدير شيئاً يدخله الجند والشاكرية، وغاية قدرتي أني متوارٍ في قلايتي، فهمّ بضرب عنقه وإخراب الدير، فلم يزل به الفتح بن خاقان حتى كف، ثم ظهر أن الذي كتبها رجل من ولد روح بن زنباع صاحب عبد الملك وأمه مولاة لهشام.

دير حمطورا

هو في شرقي طرابلس في جانب الوادي الذي أسفل من طرزيه والحدث وهو بناء في سفح الجبل من ذلك الجانب قبالة الطريق السالك إلى طرابلس، وهو حصين جداً لا يسلك إليه إلا من طريق واحد، وظهر الجبل الذي له ممتنع.

دير النبات

وهو دير أبيض البناء، مشرف على أرض طرابلس، له ذكر.

حكي أن الطيبي أتاه في يوم شعشعت شموسه، وأُترعت كؤوسه، وكان الفصل ربيعاً قد استطال فيه النبات، وطل الحسن تلك البَنات وفيهن كل عذراء تدهش المتحير، وتحير المتخير، وكان قد صحبه غلام ذو عذار أخصب به البلد الماحل، وقذف موج الخد منه العنبر إلى الساحل، وطافت عليه قطائع المدام، وأمن شنائع الملام، وتقلب بين غلامة وغلام فقال:

دير البنات الزهر أنت المنى ... وأنت من دون الأماني المرام

لم أنس يوماً فيك أذهبته   تالله بل ذهبته بالمدام
ونحن في غرة أيامِنا   والعيش مثل الطّيف يحلو اللُّمام
والدوح ما جَفت له زَهْرة   والروض طفل ما جفاه الغمام
وبينا خود كشمس الضحى   وأغيد قد فاق بدر والتحام
لولا نبات الشعر في خده   لم تدر مَنْ مِنَ الأغيدين الغلام

دير كفتون

وهو ببلاد طرابلس، مبني على جبل وجزائر. كبير، وبناؤه بالحجر والكلس، في نهاية الجودة، وبه ماء جارٍ، وله حوض كبير مملوء من شجر النارنج، يحمل نارنجه إلى طرابلس يباع بها، ويرتفق بثمنه الرهبان وله مشترف يطل على البلاد والمزارع.

ومنه مكان يشرف على بعدٍ على البحر، ولهذا الدير صيت جائل وشمعه مذكورة، وبه رهبان كثيرو العدد، والنصارى تقصده وتحمل إليه النذور، ويقصده كثير من أهل البطالة واللهو للتفرج به والتنزه فيه.

وفيه يقول الطيبي:

في دير كفتون تكفى كل نائبة   من الهموم وتَلْقَى كل سرَّاءِ
من كل خضراء في الأشجار مائسة   وكل صهباء في الكاسات حمراء
حللتُ في دير كفتون فلا عجبٌ   إن مت سكراً بحمراء وخضراء [٢٤٥]

دير الفاروس

على جانب اللاذقية من شمالها، وهو في أرض مستوية، وبناؤه مرتفع وهو حسن البقعة.

وفيه يقول أبو علي حسن بن علي الغزي:

لم أنس في الفاروس يوماً أبيضاً   مثل الجبين يزينه فرعُ الدجى
في ظل هيكله المشيدِ وقد بدا   للعين معقُود السكينة أبلجا
واللاذقية دونه في شاطىء   بلوره قد زيّن الفيروزجا
ولديّ من رهبانه متنمسٌ   أضحى لفرط جماله متبرجا
أحوى أغنّ إذا تردد صوتهُ   في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى
لا شيء ألطف من شمائله   إذا حث الشمول ولفظه قد لجلجا
فله ولليوم الذي قضيته   معه بكائي لا لربع قد شجى

دير فيق[1]

وهو في ظهر فيق، بينها وبين بحيرة طبرية في لحف جبل، يتصل بعقبة منقور في الحجر، وهو عامر بمن فيه وبمن يرد عليه، والنصارى تقصده وتعظمه.

قال الشابشتي[2]: ويزعم أنه أول دير عمل، وأن المسيح عليه السلام كان يأوي إلى ذلك الموضع الذي عمل به هذا الدير ويجلس إلى ذلك الحجر وكل من دخل من النصارى ذلك الموضع كسر من ذلك الحجر تبركاً به وعمل في هذا الدير موضع على اسم المسيح عليه السلام.

قال: ولأبي نواس قصيدة يذكر فيها هذا الدير ويخاطب فيها غلاماً نصرانياً كان يهواه منها: [الوافر]

بمعمودية الدين العتيق ... بماري بمر طَبْلَيطَهَا[3] بالجاثليق
تخجل قاصداً ماسر جسانٍ ... فدير النوبهار فدير فيق
وبالصلب اللجين وقد تبدت ... وبالزنار في الخصر الدقيق
وبالحسن[4] المركب فيك ألا ... رحمت تحيري وجفوف ريقي [٢٤٦]
أما والقرب من بعد التنائي ... يمين فتى لقاتله عشيق
لقد أصبحت زينة كل بكر[5] ... وعبداً مع جفائك والعقوق

دير الطور[6]

والطول جبل مستدير متسع الأسفل لا يتعلق به شيء من الحبال وليس له إلا واحد، بين طبرية واللجون مشرف على الغور والمرج، وطبرية نزه وفيه عين ينبع بماء غزير، والدير في القبلة مبني بالحجر، وحوله كروم كثيرة يعتصر فيها.

ويعرف بدير التجلي لأنهم يزعمون أن عيسى تجلى فيه لتلامذته بعد أن رفع حتى أراهم نفسه وعرفوه.

---

(١) (الديارات للشابشتي: ٢٠٤ ـ ٢٠٥)؛ (معجم البلدان: ٢/٥٢٥).

(٢) المصدر السابق: ٢٠٤.

(٣) في الديوان: بماري بطرس.

(٤) في الديوان: وبا لطيب.

(٥) في الديوان: كل عبد. في رلى ٢ ـ من الديوان: ودين.

(٦) (معجم البلدان: ٢/٥١٩)، (الخزل والدأل: ٢/١٠٧).

وللمهلهل بن يموت بن المزرع فيه:

مضيت إلى الطور في فتيةٍ ... سراعِ النهوض إلى ما أحب
كرام الجدود حسان الوجوه ... كهول العقول شباب اللعب
فأي زمان بهم لم يُسَر ... وأي مكان بهم لم يطب
أنخت الركاب على ديره ... وقضيت من حقه ما يجب
وأنزلتهم وسط أعتابه ... وأسقيهم من عصير العِنب
وأحضرتُهم قمراً مشرقاً ... تميلُ الغصون به في الكتب
تحث الكؤوس بأهزاجه ... ومزموم[1] أرساله بالعجب
وما بين ذاك حديث يروق ... وخوض لهم في فنون الأدب
فيا طيب ذا العيش لو لم يزل ... ويا حسن ذا السعد لو لم يغِب

وأنشد له الشابشتي في نحو من مثل الأرب، وقد دعا نوار الربيع إلى مشرب ابنه العنب:

قد أبانت لي الرياض من الزهـ ... ـر غريب الصنوف والألوان
وبدا النرجس المفتح يرنو ... من جفون الكافور بالزعفران
وقف العطل في المحاجر منها ... ثم ماست فانهلَّ مثل الجمان [٢٤٧]
يا غلام اسقني فقد ضحك الوقـ ... ـت وقد تم طيب هذا الزمان
أدن مني الدنان صب الأبار ... يق استحث الكؤوس صفَّ القناني
بادر الوقت واغتنم فرص العيـ ... ـش ولا تكذين فالعمر فان

وكذلك أنشد له قوله:

زمان الرياض زمان أنيق ... وعيش الخلاعة عيش رقيق
بها بهير به غيرة ... على نرجس وشقيق شقيق
مداهن يحملن طلّ الندى ... فهاتيك تبر وهذي عقيق
فبادر بنا حادثات الزمان ... فوجه الحوادث وجه صفيق

وقوله في مثله:

قد قدمت السرور أثقال ... وحث شهر الصيام شوال
وأقبل الليل لابساً حللاً ... مسكينة ما لهن أذيال

---

(١) في نسخة أخرى: ومرسوم.

واهــتــز عــود وحــن مــن طــرب | شــوق وغــنــت بــالــراح أرطــال
فــاغــتــنــمــوا فــرصــة الــزمــان ولا | تــفــرطــوا فــالــزمــان مــغــتــال

دير المُصَلَّبة

وهو بظاهر مدينة القدس الشريف في شمالها بغرب، وهو دير رومي قديم البناء بالحجر والكلس، محكم الصنعة موفق البقعة في بحيرة من أشجار الزيتون والكروم وشجر التين بإزاء قرية تجرى على الدير بمرسوم السلطان.

وهذا الدير دخلت إليه ورأيته، وفيه صور يونانية في غاية من محاسن القصور وتناسب المقادير وصعدت إلى سطحه، فرأيت له حسن مشترفٍ وسعة فضاءٍ، ورهبانه من الكرج.

وقد كان أخذ هذا الدير وجعل مسجداً للمسلمين وأعلن فيه بالأذان وأقيمت الصلاة، ثم أعيد ديراً للنصارى، وضرب فيه بالناقوس وأظهرت فيه كلمة الكفر [٢٤٨] وتوصّل إليّ **بكتاب** أحضر من ملك الكرج، وأعانه عليه قوم آخرون.

ورأيت عند الحافظ العلامة أبي سعيد العلائي وعند سائر العلماء والصلحاء ببلاد القدس من أعادته إلى النصارى ما هو قذى عيونهم إلى أن يتجلى وشجى حلوقهم إلى أن تسترد، وعليّ للّه نذر إن وصلت إلى هذا إلا إلا رددتها حتى ترد ولهذا الفضل شهد اللّه العظيم قصدته.

وحدثني رهبانه بأن على ديرهم وقوفاً في بلادهم منها جنود سالمة تحمل أثمان نتاجها إليهم وأنه يجيء منها في كل سنة قدر جليل وأنها تنفق في مصالح الدير وابن السبيل.

وفيه يقول أبو علي حسن الغزي:

يــا حــســن أيــام قــطــعــت هــنــيــئــة | بــالــديــر حــيــث الــتــيــن والــزيــتــون
ديــر الــمــصــلــبــة الــرفــيــع بــنــاؤه | تــفــدي عــبــيــر تــرابــه داريــن
فــي ظــل هــيــكــلــه وأســراب الــدمــى | مــجــلــوة والــمــرمــر الــمــســنــون
ومــزمــرتــيــن إذا تــلــوا إنــجــيــلــهــم | وتــعــطــفــوا فــحــمــائــم وغــصــون
غــزلان وجــرة هــم وبــيــن جــفــونــهــم | لأســود بــيــشــة إن عــرضــن عــريــن
نــزعــوا الــقــلانــس والــمــسوح فــزعــزعــت | مــنــهــن عــن غــرر الــشــمــوس وجــون
وســقــى بــكــاســات الــمــدام ومــا دروا | أن الــكــؤوس الــدائــرات جــفــون
فــقــضــيــت بــيــنــهــم زمــانــاً لــم يــزل | عــنــدي إلــيــه تــشــوق وحــنــيــن
تــلــك الــمــنــازل قــد سفــحــن مــدامــعــي | لا مــصــر قــاطــبــة ولا جــيــرون

دير السيق

قبلي البيت المقدس على نشزٍ عال مشرف على الغور غور أريحا يطل على تلك البسائط الخضر ومجرى الشريعة، وبه رهبان ظراف أكياس، ولا يأتيهم إلا قاصد لهم أو مار في مزارع الغور، تحتهم وفوقهم الطريق الآخذة إلى الكثيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام في القبة التي بناها عليه الملك الظاهر بيبرس.

وفي هذا الدير ومشرفه وإطلال قلاليه وغرفه [٢٤٩] قلت:

أرى حسن دير السِّيق يزداد كلما ... نظرت إليه والفضاء به نضر
بنوه على نجدٍ على الغور مشرف ... كتخت مليكٍ تحته بسط خضر
وأشرق في سود الغمام كأنما ... تشقق ليلاً عن جلابيبه الفجر
وقام على طودٍ علي كأنما ... مصابيحه تحت الدجى الأنجم الزهر
وزفت إليه الشمس من جنب خدرها ... وناغاه جنح الليل في أفقه البدر
وألقت إليه الريح فضل عنابها ... وأحنى عليها لا تُبَل له عُذْرُ
ولو كان كالنسرين هان ارتقاؤه ... ولكنه قد حط من دونه النسر
علا نهر ريحا والمجرة فوقه ... فمن فوقه نهر ومن تحته نهر

دير الدواكيس

شرقي القدس، وهو دير حسن البناء له بين النصارى سمعة وذكر ولا أعرف بانيه، ولا وقفت له على اسم، ولا على السبب الذي سمي به بهذا الاسم غير أن له وقفاً يعود منه على الرهبان السكان جليل فائدة ونفع، وقد مررت به غير مرةٍ في أسفاري، وخرج إليَّ رهبانه بميسور ما عندهم، وفيه قلت:

أنخ بليلٍ على دير الدواكيس ... وانصت إلى قرع هاتيك النواقيس
واحبس مع العيسوي الرَّكب في طرب ... طول الزمان ولا ترحَلْ مع العيس
وانظر مع الصبح هاتيك الشموس ضُحى ... وخلِّ عنك رباطات النواميس
واسبإ من الدير خمراً لها ذهبٌ ... كيلا نعدك في حزب المفاليس
وخلِّ كل شحيح كنت تَتبعُهُ ... فكم ترى الكيسَ في الإنفاق للكيس
وانعم ولذ بما قضيت من وطرٍ ... وَطِر سروراً إلى تلك الطواويس

وقلت:

دير الدواكيس أم ريش الطواويس ... أم الشموس سنا تلك الشماميس

مأوى المياسِر لكن بعد أوبتهم ... منه يعدون في حزب المفاليس

فانزل به وأقم في ماتريد وقل ... املأ كؤوسي وفرغ عندها كيسي

واقدح زناد سرورٍ من مدامته ... فهذه النار من تلك المقابيس [٢٥٠]

دير رمانين(١)

قال الخالدي: هو بالشام، ولا أدري في أي ناحية هو منها، ولكن قيل: إنه كبير حسن عامر.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت في بعض أسفاري إلى الشام، فدخلت أنطاكية، فبينا أنا في بعض أسواقها إذ قبض علي بطريق من بطارقتها ولم يكلمني حتى أتى داراً فيها تراب وجندل، وإذا مسحاة وزنبيل فقال: انقل هذا من هاهنا إلى هاهنا يشير في ذلك بيده وتركني ومضى، فتقاصرت بي نفسي وخنقتني العبرة وقعدت فلم أعمل شيئاً، وكان أغلق عليَّ باب الدارحين ومضى ثم عاد إليَّ بعد ساعة وكان يوماً شديد الحر وإذا هو عريان متشح بسنية بين منها جميع بدنه، فلما رأى التراب والجندل بحالهما قبض عليَّ وجمع يده وضرب بها لغدي ضربة أقرح بها قلبي فقلت: ثكلتك أمك يا عمر ما هذا الاستخذاء للعلج، وأقبض عليه فأطرحه تحتي واخذ المسحاة فأضرب بها رأسه ضربة فلقت بها دماغه فمات، وبادرت هارباً من المدينة وسرت من يومي وليلتي فصبحت ديراً فدخلته فلما رآني راهبه قال: أضيف أنت، قلت: نعم وكنت قد أعييت فاضطجعت نائماً ما شاء اللّه، ثم أيقظني الراهب وقال: من أين أنت، قلت: من مكة، فصعد نظره وصوّبه ثم قال: ما اسمك، قلت: عمر، فأخرج كتاباً عنده ونظر فيه وأعاد فيّ مرات، ثم وثب فقبل رأسي فقلت: ما حملك على هذا، فقال: هل ظهر عندكم رجل يذكر أنه نبي.

وقد كان وقع لي شيء من خبر النبي ﷺ، فقلت: قد سمعت بعض الناس يذكر ما سألت عنه، فقال: اعلم أنك وحق المسيح ستملك أكثر الأرض وتخرج هرقل من الشام وتغلب عليها فاكتب لي أماناً ولديري فقلت: يا هذا ما أدري ما تقول، فقال: هو ما أقوله لك وأنت هو لا محالة، فجعلت أعجب منه وأدفع قوله ويرتج عليّ في سؤاله ذلك، فلما أطال قلت: ما تريد، فقال: كتابك، وأتاني بقطعة من آدم، فكتبت له ما أملاه عليّ من ترك الخراج، والوصاة به، ولفه مع كتابه ذلك وأكرم منزلتي وبكرت غادياً [٢٥١] من عنده فأسرج لي حمارة وقال: اركبها

(١) انظر (معجم البلدان: ٢/٥١١)؛ (الخزل والدأل: ٢/٤٥).

فإنك ما تمر بدير فيراها راهبه إلا أكرمك، وإذا بلغت آخر دير يلي بلدك فخلفها عند سكانه، وزودني وانصرفت.

فيقال: إن عمر لما خرج إلى بيت المقدس لقيه الراهب وهو شيخ كبير بكتابه وذكره بالأمر، فقال عمر: هذا اكتبه في الجاهلية وقد أتى اللّٰه بالإسلام ولا يحل لي تضييع فيء المسلمين ولكني أقاطعك على خراجك بما فيه مصلحة لك ورفق بك، فقال: قد رضيت، فقاطعه على ما فيه رفق به.

قال الخالدي: ويقال إن الرهبان يتوارثون الكتاب إلى وقتنا هذا وإن الولاة تمضيه لهم.

دير هِزْقِل(١)

قال الخالدي: هو بالشام، ولا أدري في قرب أي مدينة هو، وقد ذكره دعبل بن علي حين هجا أبا عباد كاتب المأمون فقال:

فكأنه من دير هزقل مُفلت ... حنق يجر سلاسلَ الأقياد

وحكى المبرد قال: دخلت دير هِزْقِل وسألت رهبانه: هل فيه مجنون طيِّب الكلام نضحك أنا وصحبي منه.. قالوا: هاهنا وأومؤوا إلى إيوان مرتفع في الدير وقالوا: هم هناك فإن أحببت النظر إليهم فامض ولا تدن من أحدٍ، ففعلت ورأيت مراتبهم على قدر بلاياهم وكان معي وقت دنوي منهم المتولي على أمورهم، فلما رأوه معي أمسكوا، فرأيت شيخاً منهم على حصير نظيف ووجهه إلى القبلة كأنه يريد الصلاة، فجاوزته إلى غيره، فقال: سبحان اللّٰه أين السلام من ترى المجنون أنا أم أنت، فاستحييت منه وسلمت، فقال: لو كنت بدأتنا لأوجبت علينا حسن الرد علي أنا نعتذر لك أن للداخل على القوم دهشة، اجلس أخرك اللّٰه عنها وأوفى إلى موضع من حصير ليفضه كأنه يوسع لي، وعزمت على الدنو منه فمنعني قيمهم، فوقفت استحلب مخاطبته فسألني فقال: من أين أنت، قلت: من البصرة، قال: أتعرف المازني، قلت: نعم، قال: أتعرف الذي يقول فيه:

وفتّى من مازن ... ساد أهل البصرة

أمه معرفة ... وأبوه نكرة

قلت: لا أعرفه، قال: أوتعرف غلاماً قد نبغ في هذ العصر معه دين وله حفظ، وقد برز في النحو [٢٥٢] وصار يخلف صاحبه في مجلسه يعرف بالمبرِّد، قلت: أنا عين الخبير به، قال: فهل أنشدك من عبثات شعره؟ قلت: لا أعرفه قال شعراً، قال: بلى هو القائل:

---

(١) انظر (معجم البلدان: ٢/٥٤٠).

حبذا ما العناقيد بريق الغانيات
بهما نبتُ لحمي ودمي أي نبات
أيها الطالب شيئاً من لذيذ الشهواتِ
كل بماء الورد تفا ح الخدود الناعمات

قلت: أما تستحي من إنشاد مثل هذا الشعر في الدير، فقال: سبحان اللّه هل يستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة، دع عنك هذا إني سمعت الناس يقولون في نسبه لم يزل بي حتى عرفني، ثم قال: احوجتني إلى الاعتذار إليك، ثم قام إليَّ ليصافحني، فرأيت القيد في رجله قد شدت إلى خشبة في الأرض فأمننت غائلته، ثم قال لي: يا أبا العباس صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ لك كل وقت مصادفة مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة أنت المبرد أنت المبرد، وجعل يصفق وقد انقلبت عيناه وتغيرت حليته، فبادرت مسرعاً وخرجت.

دير يونس(١)

حكى رجل من أهل أنطاكية قال: حدثني أبي قال: نزلت مع الفضل بن إسماعيل بن صالح بن عبد اللّه بن العباس في دير يونس ونحن خارجون إلى ناحية الرملة، فرأى فيه جارية حسناء ابنة لقسٍّ كان فيه فخدمته مدة مقامه ثلاثة أيام، وجاءته بشراب صافٍ عتيق، فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير ورحل وقال في طريقه:

عليك سلام اللّه يا دير من فتى بمهجته شوق إليك طويلُ
ولا زال من نوء السّماكَيْنِ وابل عليك بما يروي ثراك هطولُ
يَعُلُّك منها برهةً بعد برهةٍ سحابٌ بأخبار الرياض كفيلُ
إذا بَلّ أرضاً دمعُه بان منظر بها لعيون الناظرين جميلُ
كأن البروق الوامضاتِ بجرة صفائحُ تبرٍ في السماء تجولُ [٢٥٣]
ألاربَّ ليلٍ حالكٍ قد صدَعْتهُ وليس مَعي غير الحسام خليلُ
ومشمولةٍ أوقدتُ منها لصُحْبتي مصابيحَ ما يخْبو لهن فتيلُ
تُعللني بالراح هيفاءُ غادةٌ يُخال عليها للقُلوب كفيلُ
تجول المنايا بينهنَّ إذا غدت ملاحِظُها بين القلوب تَجُولُ
أيا ابنة قَسٍّ الديّر قلبي مُدَلّه عليك وجِسْمي مذ بَعدتِ عليلُ

(١) (معجم البلدان: ٥٤٣/٢)، (الخزل والدأل: ٢٥٢/٢).

وفيه يقول أبو شاسٍ:

يا دير يونُسَ جادَت سَرْحَكَ الدِّيَمُ ... حتى تُرى ناظراً بالنور يبتسمُ

لم يَشْفِ في ناجرٍ ماءٌ على ظَمَاءٍ ... كما شَفى حرّ قلبي ماؤك الشَّبِمُ

ولم يَحُلكَ محزونٌ به سِقَمٌ ... إلا تَحَلَّلَ عنه ذلك السّقَمُ

أستغفر اللّه كم لي فيك ذو غنج ... جَرى عليّ به في رَبْعِك القَلَمُ

ويقول أيضاً:

لا تَعْدِلَن عن ابنة الكَرْمِ ... بأَبي ففيها صِحَّة الجِسْمِ

لو لم يكن في شربها فَرَجٌ ... إلا التخلُّص من يَدِ الهم

ويقول أيضاً أبو شاسٍ:

أعاذِلَ ما على مِثلي سَبيلُ ... وعذلُك في المدامة مستحيل

أليس مَطِيّتي حقْوَث غلامٍ ... ورحلُ أناملي كأسٌ شمولُ

إذا كانت بنات الكرْمِ شِرْبي ... وقِبلةُ وجهي الوجهُ الجميلُ

أمنتُ بذَين عاقبة الليالي ... وهانَ عليَّ ما نَقَلَ العَذولُ

دير بُصْرَى[1]

هو بالشام، وقيل هو الذي كان فيه بحيرا الراهب، [٢٥٤].

حكى المازني قال: نزلت بدير بصرى فرأيت في رهبانه فصاحة، وهم عرب متنصرة من طيِّيء من بني الصادر أفصح من رأيت، فقلت لهم: ما لي لا أرى فيكم شاعراً مع فصاحتكم؟ فقالوا: واللّه ما فينا رجل ينطق بالشعر إلا أمة لنا كبيرة السن، فقلت: جيئوني بها، فجاءت فاستنشدتها، فأنشدتني لنفسها[2]:

أيا رفقة من آل بصرى تحمَّلت ... تؤُم الحِمَى لُقِّيتِ من رفْقة رُشْدا

إذا ما بلغتم سالمين فبلِّغُوا ... تحية من قد ظن أن لا يرى نجدا

وقولوا: تركنا الصادِرِيّ مكبلاً ... بكَبْلٍ[3] هوى من حبكم مُضْمراً وجدا

فيا ليت شعري هل أرى جانب الحمى ... وقد أنبتت أجراعه بقلاً جعدا

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٠٠)، (الخزل والدأل: ١/٢٨٩).

(٢) ضبطنا الأبيات عن معجم البلدان.

(٣) في معجم البلدان: بكل هوى...

وهــل أرِدَنَّ الــدهــر مــاءَ وَقــيــعــة كــأن الـصَّبا تُـشدي علـي متـنـه بُـردا

فوهبت لها دريهمات وبت في ديرهم وأكرموا ضيافتي.

دير الخمَّان

وهو دير ببلاد أذرعات مبني بالحجارة السود على نشزٍ من الأرض يشرف على بركة الفوار.

وهو من البناء الرومي القديم، أتيت عليه في أسفاري غير مرة، ورأيت مرة به غلاماً قد خرج من كنيسة كأنه الظبي الكانِس فقلت:

يــا ديــر عَــزَّة فــي ربــى الــخَــمَّــانِ دَرَّت عــلــيــكَ الــسُّــحْــبُ بــالــهَــمَـلان

وسَــقَــتْــك كــل غَــمَــامــة هــتَّــانــةٍ تــحْــنــو مــواطــرُهــا عــلــى الــكُــثْــبــانِ

لــم أنــس فــي الــلــذات ســاعــة مــنــزلٍ بُــربــاك فــوق صَــفــائــح الــغُــدرانِ

والــصــبــح تــحــت مــلاءة مــرقُــومــةٍ نَــشَــرَتْ عــلــيــه غــرائــبَ الألــوانِ

وهــنــاك كــل كَــحــيــل طــرفٍ فــاتــر تُــعْــزى لــواحِــظُــه إلــى الــغِــزلانِ

قــمــرٌ مَــســيــحــيٌّ كــأن جــبــيــنــه بدر الدجى في النصف من شعبان [٢٥٥]

فــي وجــنــتــيــه جَــنــيُّ وردٍ أحــمــرٍ قــد ســيــجــوه بــأخــضــر الــرَّيــحــانِ

مــا شــدَّ زنــاراً لــه فــي بــيــعــةٍ إلا وحــلّ عــزائــمَ الــرهــبــانِ

يــســقــي الــشــمــول كــريــقــة ثــغــره سَــكْــرى بــهــا وبــطــرفــه الــفــتّــانِ

دير صليبا[1]

ويعرف بدير السائمة وهو بدمشق مطل على الغوطة، ويليه من أبوابها باب الفراديس نزل دونه خالد بن الوليد أيام محاصرة دمشق، وهو في موضع نزه كثير البساتين، وبناؤه حسن عجيب، وإلى جانبه دير للنساء فيه رهبان ورواهب، وإياه أراد جرير بقوله:

إذا تــذكــرت بــالــديــريــن أرقــنــي صــوتُ الــدَّجــاج وقــرعٌ بــالــنــواقــيــس

قال الخالدي: ومما يدل على أنه يلي باب الفراديس قول جرير في هذا الشعر: [البسيط]

فــقــلــتُ لــلــرّكــب إذ جَــدَّ الــنَّــجــاء بــنــا يــا بُــعْــد يَــبْــريــن مــن بــاب الــفــراديــس

وأنشد فيه قول الآخرِ وهو:

---

(١) (معجم البلدان: ٥١٨/٢)؛ (الديارات: ٣٣٥) (الخزل والدأل: ١٠٠/٢).

يا دير باب الفراديس المهيجَ لي   بلا بلاً بقلاليه وأشجاره
لو عشتُ تسعين عاماً فيك مصطحباً   لما قضى منك قلبي بعض أوطاره

وحكي أن الوليد بن يزيد كان كثير المقام في هذا الدير، يخرج إليه ومعه حرمه استحساناً له، وأنه كان يجلس في أيام مقامه فيه في صحنه كل يوم ساعةٍ من النهار، ثم يأكل ويشرب في مواضع منه طيبة حسنة.

وحكى الخالدي عن أحد من كان ينادمه أنه دعا يوماً بطعامه، وأمرني بالغداء معه، وحضر ندماؤه وكان فيهم حنين المغني فنحن على المائدة إذ قال لحنين: غنيتني البارحة في آخر المجلس وقد أخذ الشراب مني بشعر صاحبكم عيسى بن زيد فلم أستكمل الطرب لأجل سكري، فأعده عليّ الساعة، قال: فأخذ حنين رقاقه ووقع عليها وغنى:

يا لبينى أوقدي النارا   إن من تهوين قد جارا [٢٥٦]
رب نارين أرمُقها   تقضم الهنديَّ والغارا
عندها ظبي يؤججها   عاقِدٌ في الخصر زنّارا

قال: فطرب طرباً عظيماً وأخذ رقاقه وقام وترك الغداء، وجعل ينقر عليها مع حنين، وأخذ كل من على المائدة رقاقه وجعلوا ينقرون عليها مثله، ومضى يطلب باب الدهليز وحنين والندماء حوله والحاجب قد حبس ينتظر جلوسه، وقد حضر وجوه العرب، فلما رآه الحاجب على تلك الحال صاح بالناس: الحرم الحرم انصرفوا انصرفوا، فخرجوا فقال له: يا أمير المؤمنين وفود العرب تنتظر جلوسك وأنت تخرج إليهم على تلك الحال، فقال: ثكلتك أمك ادخل، ودعا له برطل فحلف أنه ما ذاقه قط، فقال: واللّه لتشربن معي حتى أسكر، ولم يزل يسقيه حتى مات سكراً وانصرف محمولاً.

قلت: وهذا الدير اليوم لا عين له ولا أثر، وإنما صار دوراً وأبنية ومساجد ومدافن، وهي بناحية محلة حمام النحاس واللّه أعلم، وبين المحلة داري التي بنيتها ومساكني.

دَير بُونَّا(١)

وهو بجانب غوطة دمشق، ليس بكبير ولا رهبانه بكثير، ولكنه في رياض مشرقة وأنهار متدفقة.

ويقال إنه من أقدم ديرة النصارى، بني بعد المسيح عليه السلام، واجتاز به الوليد بن يزيد، فرأى حسنه وطيبه، فأقام فيه أياماً في تخرقٍ ومجون، وقال فيه:

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٠٢).

حبذا يومنا بدير بوَنَّا حيث نُسقى براحِهِ ونُغَنّى
واستهنّا[1] بالناس فيما يقولو ن إذا خبروا بما قد فعلنا

قلت: وهذا الدير اليوم لا وجود له قد أقفرت الأرض منه من رسم وطلل، ومضى وحادث كل دير بعده جلل.

دير سِمْعان[2]

قال الخالدي: هو بنواحي دمشق بالقرب من الغوطة على قطعة من الجبل، تطل عليها، وحوله بساتين وأنهار وموضعه حسن جداً [٢٥٧] وهو من كبار الديرة، وعند دفن عمر بن عبد العزيز بظاهره.

قلت وهذا غلط من الخالدي، وهكذا ذكره أبو الفرج وغلط أيضاً فإن هذا الدير في قرية تعرف بالنقيرة من قبلي معرة النعمان، وبه قبر عمر بن عبد العزيز مشهور لا ينكر، وليس يسمع بدمشق لهذا الدير ناسبة ولا يعرف لمكانه في غوطته خضراء ولا يابسة.

عدنا إلى ما ذكره الخالدي قال: ذكروا أنه دخله جرير في يوم عيد، فرأى النساء والصبيان يقبلون الصلب ويسجدون لها فقال:

رأيت بدير سمعانٍ صليباً تُقَبّله السودان والظباء
تعظمه القُسُوس وتحتويه فترشفه ويخنقها البكاء
فقلت لهم مهِ هل غير عود تملّكه اعْوِجاج واستواءُ

وذكر أن الوليد بن يزيد خرج متنزهاً فيه فأقام يصطبح ويغتبق ومعه ندماؤه ومغنوه، فخرج يوماً غِبّ سحاب فنظر في صحن الدير غدران ماءٍ فاستحسنها، فنزل على أكبرها وأكثرها ماء، وقال: واللّه لا أبرح حتى أشرب هذا كله مزاجاً لكأسي، وشرب حتى سكر ونام فقال بعض أصحابه لبعض: لئن أقام حتى يفنى الغدير طال علينا مقامنا فجعلوا يحملون مائه بالليل ويصبونه في الرمال، فخرج بعد يومين لمبولته فنظر إليه وقد فني ماؤه فقال: أنا أبو العباس، وأمر بالرحيل إلى دمشق.

ومما سمعته من والدي أحمد بن هلال في صفة دير سمعان مما مدح السيد الرضي لعمر بن عبد العزيز[3]:

---

(١) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: واشتهرنا للناس.

(٢) (معجم البلدان: ٢/٥١٧).

(٣) ضبطناها عن المصدر السابق.

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيـ ـن فتًى من أمية لبكيتكْ
أنت نزَّهتَنا عن السَّبّ والشتـ ـم فلو يكن الجزاء لجزيتُكْ
قبر سمعان لا عدتك العوادي خيرُ ميتٍ من آل مروان ميتكْ

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تسبب في إبطال السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللَّه وجهه، وأثبت في الخطبة موضع السب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

وقد ذكر أبو الفرج: أن صاحب دير سمعان دخل على عمر بن عبد العزيز بفاكهة يطرفه بها في مرضه فقبلها منه وأمر له بدراهم فأبى أن يأخذها، فما زال حتى أخذها، وقال: يا أمير المؤمنين إنما هي من ثمر شجرنا، فقال عمر رحمه اللَّه: وإن كان من ثمر شجركم ثم قال له: يا صاحب دير سمعان إني ميت من مرضي هذا، فحزن وبكى، ثم قال له عمر: بعني موضع قبري من أرضك سنةً، فإذا [٢٥٨] جاء الحول فانتفع به، وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكد لقولنا.

دير مُرّان(١)

وهو بالقرب من دمشق على تل سفح قاسيون، وبناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون.

وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني، وقلاليه دائرة به وأشجاره متراكبة وماؤه يتدفق.

وحكي عن المبرد أنه قال: وافيت الشام وأنا حدث في جماعة أحداثٍ لأكتب الحديث وألقى أهل العلم، فاجتزت بدير مران، فأحببت النظر إليه فصعدناه فرأيت منظراً حسناً، وإذا في بعض بيوته كهل مشدود حسن الوجه عليه أثر النعمة، فدنونا منه وسلمنا عليه، فرد السلام وقال: من أين أنتم يا فتيان، قلنا: من أهل العراق، قال: بأبي أنتم ما الذي أقدمكم هذا البلد الغليظ هواؤه، الثقيل ماؤه، الجفاة أهله؟ قلنا: طلب الحديث والأدب، فقال: حبذا أنشدوني أم أنشدكم، قلنا: بل أنشدنا، فقال:

اللَّه يَعلم أنني كمِد لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تقسَّمها بلدٌ وأخرى حازها بلَدُ
وأرى المقيمة ليس ينفعُها صبرٌ وليس يَصُونها جَلَدُ

---

(١) (معجم البلدان: ٢/٥٣٣)؛ (الخزل والدأل: ٢/١٩٦).

وأظــن غــائِــبــتــي كــشــاهِــدَتــي		بــمــكــانــهــا تــجــدُ الــذي أجــدُ

ثم أغمي عليه، فأفاق فصاح بنا فقال: أنشدوني أم أنشدكم؟ قلنا: بل أنشدنا، فقال:

لـمـا أنـاخـوا قُـبَـيْـل الـصـبـح عِـيـرهُـم		ورحَّـلـوا فـتـنـادت بـالـهـوى الإبـلُ

وأبـرزت مـن خِـلالِ الـسَّـجـف نـاظِـرَهـا		يـرنـو إلـي ودمـعُ الـعـيـن مـنـهـمـلُ

فـودّعـت بـبـنـان حَـمْـلُـهُ عَـنَـمٌ		فـقـلـت: لا حَـمَـلَـتْ رجـلاكَ يـا جـمـلُ

ويـلـي مـن الـبَـيْـن مـاذا حـل بـي وبـهـا		مـن بـارح الـوجْـد حـلّ الـبـين فـارتـحـلوا

إنـي عـلـى الـعـهـد لـم أنـقـض مـودتـهُـم		فـلـيـت شـعـري لـطُـول الـعـهـد مـا فـعـلـوا

[٢٥٩] فقال له فتًى من المجّان الذين كانوا معي: ماتوا، قال: فأموت، فقال له: مت، فتمطى وتمدّد وما برحنا حتى دفناه.

وللصنوبري[1] فيه من شعر يقوله:

أمـرُّ بـديـر مـرّان فـأَحـيَـا		وأجـعَـلُ بـيـت لَـهـوي بـيـت لَـهْـيـا

صفَـتْ دُنـيـا دمـشـق لـمـصـطـفِـيـهـا		فـلـيـس يُـريـد غـيـر دمـشـقَ دنـيـا

مُـظـلَّـلـة فـواكـهـن أبـهـى		وأنـضـرُ فـي نـواظـرنـا وأهْـيَـا

فـمـن تـفـاحـةٍ لـم تـعـدُ خـدًّا		ومـن رُمـانـة لـم تـعـد ثـديـا

وقد ذكره أبو الفرج[2] وقال: هو على تلعةٍ مشرفة على زعفران ورياض حسان، نزله الرشيد وشرب فيه، ونزله المأمون بعده.

وكان الحسين بن الضحاك مع الرشيد لما نزله، فأمره أن يقول فيه شعراً فقال: [البسيط]

يـا ديرُ مـرّان[3] لاعُـرّيـت مـن سـكـنٍ		قـد هـجـتَ لـي حَـزَنـاً يـا ديـر مُـرّانـا

حُـثَّ الـمـدام فـإن الـكـأس مُـتْـرعـةٌ		مـمـا يـهـيـجُ دواعـي الـشـوقِ أحـيـانـا

وأمر عمرو بن نابة فغنى فيه لحنين.

وحكي عن إبراهيم الموصلي أنه قال: مرَّ الرشيد بدير مرَّان فاستحسنه ونزله وأمر أن يؤتى بطعام خفيف، فأتي به فأكل وأتي بالشراب والندماء والمغنين، فخرج إليه صاحب الدير وهو شيخ

---

(١) ضبطنا الأبيات عن المصادر السابقة.

(٢) ذكره في كتابه (الديارات: ولكن القصة مع المعتصم.

(٣) في مصادر أخرى وردت:

يـا ديـر مـديـان لاعـريـت مـن سـكـن		مـا هـجـت مـن سـقـم يـا ديـر مـديـانـا

كبير هرم، فوقف بين يديه ودعا له واستأذنه في أن يأتيه بشيء من طعام الديارات فأذن له، فأتاه بأطعمة نظافٍ وأدام في نهاية الحسن والطيب فأكل منها أكثر أكلٍ وأمره بالجلوس، فجلس معه يحدثه وهو يشرب إلى أن جرى ذكر بني أمية، فقال له الرشيد: هل نزل بك أحد منهم، قال: نعم نزل بي الوليد بن يزيد وأخوه الغمر، فجلسا في هذا الموضع، فأكلا وشربا وغنيا، فلما دب فيهما السكر وثب الوليد إلى ذلك الجرن فملأه وشرب به، وملأه [٢٦٠] وسقى أخاه الغمر فما زالا يتعاطيانه حتى سكرا، وملأه لي دراهم، فنظر إليه الرشيد فإذا هو عظيم لا يقدر على أن يقل ولا يقدر على أن يشرب ملؤه، فقال: أبى بنو أمية إلا أن يسبقوا إلى اللذات سبقاً لا يجاريهم أحد فيه، ثم أمر برفع النبيذ وركب من وقته.

قلت: والناس في اختلاف أين كان دير مرّان، فمن قائل: إنه كان بمشارق السفح نواحي برزة، والأكثر على أنه كان بمغاربه، وأنَّ مكانه الآن المدرسة المعظمية، وأما الذي كان بمشارق السفح فهو دير السائمة المسمى دير صليبا وقد ذكرناه.

دير صيدنايا(١)

وهما اثنان: أحدهما تقصده النصارى بالزيارة وهو في دمنة القرية، والآخر على بعد منها مشرف على الجبل شماليها بشرق، وهو دير مار شربين، ويقصد للتنزه، من بناء الروم بالحجر الجليل الأبيض.

وهو دير كبير، وفي ظاهره عين ماء سارحة، وفيه كوى وطاقات تشرف على غوطة دمشق وما يليها من قبليها وشرقها، وفيها ما يطل على مواطن ما وراء ثنية العقاب.

ويمتد النظر من طاقاته الشمالية إلى ما أخذ شمالاً عن بعلبك.

أما الذي مر في قرية **صيدنايا** دير في القرية، فمن بناء الروم بالحجر الأبيض أيضاً، وله بستان، وبه ماء جارٍ في بركة عملت به وعليه أوقاف كثيرة، وله مقلات واسعة وتأتيه نذور وافرة.

وطوائف النصارى من الفرنج تقصد هذا الدير وتأتيه للزيارة، وكنت أراهم يسألون السلطان في هل يمكنهم من زيارته، وإذا كتب لهم زيارة قمامة ولم يكتب معها صيدنايا يعاودون السؤال في كتابتها لهم، ولهم فيها معتقد، والنصارى تزعم أن بها صدغاً يقطر منه ماء يأخذونه للتبرك

---

(١) في الكتب التي ترجمت للأديرة لم نقف على تعريف له. لكن عن صيدنايا قال ياقوت في (معجم البلدان: ٣/ ٤٣٨): صيدنايا: بلد من أعمال دمشق مشهور بكثرة الكروم والخمر الفائق قلت (المحقق): لازالت معروفة صيدنايا وتنبع لدمشق.

ويدعونه في أوانٍ لطاف من الزجاج ويكسونها من فاخر الثياب ولهم فيه أقوال كثيرة.

وسمعت نصرانية كانت معروفة بينهم بالعلم تقول إن ذلك الماء إذا أخذ على اسم شخص وعلق في بيته ثم ازداد مقداره عنده عما أخذ [٢٦١] دل على زيادة ما له وجاهه، وإذا نقص دل على نقص ماله وجاهه وقرب أوان موته.

ورأيت هذا الماء وله دهنية تشبه الشيرج أو الزيت الصافي وليس بهما.

وجاءت مرة كتب ريد فرنس وكتب الأفونش على أيدي رسلهم ومما سألوا فيها تمكن رسلهم من التوجه إلى صيدنايا للتبرك بها، فأجاب السلطان سؤالهم وحمل الرسل على خيل البريد إليها.

ومما قلته فيه:

في جانب الدير لنا منزل ... ومنهل عذب به ننهل
وشادن قد جاءنا أحور ... في كفه كأس لي تشعل
روضة تشرق أنهارها ... قد شقها في وسطها جدول
ومطرب تطرب ألحانه ... كأنه إسحاق أو زلزل
فدونك الراح ففي دنها ... شهد وفي الطعم بها فلفل
وافى بها في الكأس لكنها ... عذراء من خطابها تخجل

دير شق معلا[1]

وهو بباطن جبة عسال، وهو بناء رومي بالحجر الأبيض معلق بشقيف وبها صدع فيه ماء ينقط نحو الذي بصيدنايا، ويأخذه النصارى للتبرك معتقدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر وإنما الأهم الذي بصيدنايا.

دير بلودان

وبناؤه قديم بديع الحسن وافر الغلة كثير الكروم والفواكه والماء الجاري بقرية بلودان، وهي محاذية لكفر عامر، تطل من مشرفها على جبة الزبداني ببلاد دمشق، وبه رهبان وغلمان من أبناء النصارى ظراف.

مررت عليه ونزلت إليه، ورأيت به غلاماً يفوق الظبي حسناً، ويشبه البدر أو أسنى بخصر

(١) لا زالت معروفة وتتبع لدمشق وبها الأديرة والكثير من المعالم المسيحية ويتحدث أهلها باللغة الأكادية لغة السيد المسيح عليه السلام.

نحيل وطرفٍ كحيل، قد قطع الزنار من خصره وردفه، ونفث السحر بين جفنه وطرفه، ثم ما كان بأعجل مما استسرّ بدره، ولاح ثم خفي فجره، فقلت فيه:

حبذا الدير من بلودان داراً أي ديرٍ به وأي نصارى

فيهم كل أحْوَرِ الطرف أحوى فائق الحسن في حَياء العذارى

وغلامٍ رأيته كهلالٍ ما بدا للعيون حتى توارى

بقوامٍ إذا تمايل نشوا نـاً فألحاظ مقلتيه سُكارى

ناحل الخصر حلّ عِقد اصطباري عندما شَدَّ خصره الزُّنارا

قبل رؤياه ما رأيت غزالاً بات يَسقي من مَرشَفَيْه العقارا [٢٦٢]

دير نجران(١)

وهو باليمن وتسميه العرب كعبة نجران، وهو لبني الحارث بن كعب وسيأتي ذكره في موضعه.

ويقال إن بنائه أعجب بناء وأحسنه على نحو عمارة غمدان القصر المشهور.

وكان **محجوجاً** وبه الراهبان اللذان ذكرهما بعض شعراء العرب في قوله:

أيا راهبي نجران ما فعلت هندُ أقامت على عهدي وأنّى لها عهد

إذا بعد المشتاق رثت حِبَاله وما كل مشتاق يغيرهُ البعد

وفي هذين البيتين غناء حسن.

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني وقال: إنه كان لآل عبد المدان سادة بني الحارث.

قال: وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى يتبارون في البيع وزيها وحسن بنائها: آل المنذر بالحيرة، وغسان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران الشامخة البناء، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة، وسورها من الديباج، ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب، وكان بنو الحارث على ذلك إلى أن جاء الإسلام.

وفي كعبتهم هذه قال الأعشى(٢):

وكعبة نجران حتم علـ ـيك حتى تُناخي بأبوابها

---

(١) انظر بتوسع في (معجم البلدان: ٥٣٨/٢).

(٢) قالها في مدح رهط عبد المدان بن الديان سادة نجران من بني الحرث بن كعبد كما في (ديوانه: ٢٥ـ ٢٦).

تـزور يـزيـد وعـبـد الـمـسـيـح ... وقـيـسـاً وهـم خـيـر أربـابـهـا
إذا الـجـبـرات تـلـوّت بـهـم ... وجـرّوا أسـافـلَ هُـدّابـهـا
وشـاهِـدُنـا الـجُـلُّ والـيـاسـمـيـ ... ـن والـمُـشـمِـعـات بـقـصّـابـهـا
سـيـربـطـنـا مـعـمـد ذائـب[1] ... فـأي الـثـلاثـة أزرى بـهـا

قال: وفي هذا الشعر غناء حسن أخذه جحظة عن بيانٍ، ولهذا الدير أخبار كثيرة ليس هذا مكانها.

بيعة أبي هود[2]

وهي بسر ياقوس عامرة برهبانها مثرية بفضة قناديلها وذهب صلبانها، كثيرة القلالي، مذهبة بالوقود جنح الليالي ولها أعياد مقصودة الأوقات منتظرة [٢٦٣] الميقات.

حكى الشابشتي[3]: أن فيها على ما ذكره أهلها أعجوبة وهي أنه من كانت به خنازير وقصد هذه البيعة للمعالجة أخذه رئيسها وأضجعه وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلة فلحسن الخنزير موضع الوجع جميعه ويأكل الخنازير التي فيه لا يتعدى ذلك الموضع الصحيح، فإذا نظف الموضع ذر عليه من رماد خنزير فعل مثل فعل الأول من قبل ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ، ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيذبح ويحرق ونعيد مادة لمثل هذه الحالة.

وقال: وهو إلى الآن كذلك كما ذكروه.

قال: ولهذه البيعة دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة، وفيه خلق من النصارى.

دير يُحَنّس[4]

وهو مشهور من أعمال مصر، وهو عامر برهبانه ناضر بسكانه.

قال الشابشتي: وقد ذكر بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عيده أخرج الرئيس الذي في الدير الشاهد في تابوته، ويسير التابوت على وجه الأرض فلا يقدر أحد بمسكه ولا بحبسه حتى يرد البحر فيغطس فيه ويرجع إلى مكانه، وقال: كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحالة.

---

(١) في الديوان:
ومـزهـرنـا مـعـمـل دائـب ... فـأي الـثـلاثـة...

(٢) (معجم البلدان: ٢/٤٩٧)، (الديارات للشابشتي: ٣١١) وغيرها.

(٣) انظر الديارات.

(٤) (معجم البلدان: ٢/٥٤٣)؛ (الخزل والدأل: ٢/٥١)؛ (الديارات للشابشتي: ٣١٢).

قلت: وهذه حكاية مكذوبة لا صحة لها وإنما الذي بلغني وأنا بمصر تلك المدد الطويلة أنه إذا كان أوان تحرك النيل يخرج التابوت يقال أو فيه أصبح الشهيد ويرمى في البحر وذلك لوقت معلوم يسمونه عيد الشهيد، ويكون الذي يرميه بعض أعزاء كبراء القبط عادة كنت أسمعها لا تتغير، ويظن القبط أن رمي الإصبع سبب الزيادة وإنما هو بمشيئة اللّه وقدرته.

دير مَرْ يُحَنّا(1)

وهو على شاطىء بركة الحبش قريب البحر إلى جانب بساتين الوزير وهي التي أنشأ بعضها تميم بن المعز، وأنشأ به مجلساً على عمدٍ.

وقريب هذا الدير عين ذهبت بها الرمال.

قال الشابشتي: وهذا الموضع من معادن اللعب والشرب والطرب نزه في أيام النيل وزيادة البحر وامتلاء البركة، وكذلك هو في أيام الزرع لا يكاد يخلو من المتنزهين، وقد ذكرته الشعراء.

وفيه قال ابن عاصم: [٢٦٤]

يا طيب أيامٍ نفحت مع الصبا	طَوْعَ الهوى فيها بسفح المُنَظر
فالبركة الغناء فالدير الذي	قد هاج فَرْطَ صَبَابتي وتفكُّري
فاحثُث كؤوسك يا غلام وأعفِنِي	فلقد سكرت وخمر طرفك مُسْكِري
وأرى الثريا في السماء كأنها	تاجٌ تفَصَّل جانباه بجوهر
فاشرب على حُسْن الرياض وغنني	أنظُر إلى الساقي الأغنِّ الأحْورِ
فلعل أيام الحياة قَليلة	ولعلني قدَّرتُ ما لم يُقْدَرِ

دير نَهْيا(2)

ونهيا بالجيزة، وديرها هذا من أطيبها موضعاً وأجلها موقعاً، عامرٌ برهبانه وسكانه، وله في النيل منظر عجب لأن الماء يحيط به من جميع جهاته، ويزيد في حسن متنزهاته، فإذا انصرف الماء أظهرت أرضه غرائب النوار وعجائب الزهور المشرقة النوّار، وله خليج ينساب انسياب أرقم وعليه شطوط كأنها بالديباج ترقم.

قال الشابشتي(3): وهو متصيد ممنع، وأنشد فيه لابن البصري:

---

(١) (معجم البلدان: ٥٣٥/٢)؛ (الخزل والدأل: ٢١٤/٢) (الديارات: ١٧١).

(٢) انظر (الخزل والدأل: ٢/ ٢٣٢ـ ٢٣٤)، (معجم البلدان: ٥٣٩/٢) (الديارات للشابشتي: ٢٩٤ـ ٢٩٧).

(٣) انظر الديارات له.

أتـنـشَـطُ لـلـشُّـرب يـا سـيـدي فـيـومـك هـذا دقـيـقُ الـدُّروز
فـعـنـدي لـك الـيـوم مـشـويـتـان سـرقـتـهـمـا مـن دجـاج الـعَـجُـوز
أتـنـشـطُ عـنـدي عـلـى نَـبـقَـتـيـن عـلـى لـوزتـيـن عـلـى قَـطْـرَمـيـز
ونـقـصِـدُ نَـهـيـا وديـراً لـهـا بـه مـنـبـتُ الـورد والـمـرمـجِـوز
ونـشـرب فـيـهـا بـرطـلٍ وجـام وطـاسٍ وكـأسٍ وكـوبٍ وكُـوز
فـعـنـدي خـشـفٌ رَخـيـمُ الـدَّلال نَـشَـا فـي الـنـعـيـم ولـبـس الـخُـزُوز

دير القُصَير(١)

وهو في أعلى الجبل على سطح قنية من بلاد الفتح، وهو حسن البناء نزه البقعة، وله بئر منقورة في الحجر، وفي أعلاه غرفة بناها خمارويه ابن طولون يطل من كل جهة، وكان كثير الغشيان [٢٦٥] لهذا الدير والطريق إليه من جهة مصر صعبٌ، ومن قبليه سهل وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس، وإلى جانبه قرية تعرف بشهران، يقال: إن أم موسى عليه السلام منها ألقته في التابوت في البحر.

وبها دير آخر يعرف بدير شهران، وهو المعروف الآن بشعران.

قال الشابشتي: ودير القصير أحد الزيارات المقصودة والمتنزهات المطروقة، لحسن موقعه وإشرافه على مصر وأعمالها.

وفيه يقول محمد بن عاصم المصري:

إن ديـر الـقَـصَـيـر هـاج ادِّكـارِي لـهـو أيـامـنـا الـحِـسـان الـقِـصَـارِ
وكـأنـي إذ زُرتُـه بـعـد هَـجْـرِ لـم يـكـن مـن مَـنـازلـي ودِيـاري
إذ صُـعُـوادي عـلـى الـجـيـاد إلـيـه وانـحـداري فـي الـمـنـشـآت الـجـواري
مـنـزلاً لـسـت مُـحـصـيـاً مـا بـقـلـبـي ولـنـفـسـي فـيـه مـن الأوطـارِ
مـنـزلاً مـن عُـلُـوه كـسَـمَـاءٍ والـمـصـابـيـح حـولَـه كـالـدراري
كـم شـربـنـا عـلـى الـتَّـصـاويـر فـيـه بـصـغـارٍ مـحـشـوثـةٍ(٢) وكـبـار
صـورة مـن مـصـور فـيـه ظـلـت فـتـنـة لـلـقـلـوب والأبـصـار
لا وحـسـن الـعـيـنـيـن والـشـفـة الـلَّـمـ ـيـاء مـنـهـا وخـدهـا الـجـلـنـاري

(١) (معجم البلدان: ٥٢٦/٢)؛ (الخزل والدأل: ١٥٣ـ ١٥٥).

(٢) كذا في الأصل وفي نسخ أخرى محشوة.

لا تــخــلــفــت عــن مــزاري ديــراً ... هــي فــيــه ولــو نــأى بــي مــزاري

فــسقــى الــلّــه أرض حــلــوان فــالــنجـ ... ـد فــديــر الــقــصيــر صــوب الــعــشار

كــم تــنــبــهــت مــن لــذاذة نــومــي ... بــنــعــيــر الــرهــبــان فــي الأســحــار

والــنــواقــيــس صــائــحــات تــنــادي ... حــي يــا نــائــمــاً عــلــى الابــتــكــار

وقال ابن ظافر: مضيت أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين ـ يعني ابن مجاور ـ والقاضي الأعز المؤيد في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير إيثاراً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره تعاطينا العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الإعمار بطروق الأعمار، وضيعوا العين والعمار في تحصيل العين والعقار، فقال الشهاب:

سـقـى الـلّـه يـومـي بـديـر الـقـصـيـر ... قـصـيـر الـغـزالـي طـويـل الـذبـول

مـــحـــل إذا لاح لـــي لـــم أقـــف ... بـصـحـبـي عـلـى حـومـل فـالـدخـول

فقلت:

فـكـم فـيـه مـن قـمـر فـي دجـى ... عـلـى غـصـن فـي كـثـيـب مـهـيـل

بـودٍّ صـحـيـح وطـرف سـقـيـم ... وروح خـفـيـف وردف ثـقـيـل

فقال الأعز:

قـطـعـت بـه الـعـيـش مـع فـتـيـة ... صـبـاح الـوجـوه كـرام الأصـول

بـكـل كـريـم قـصـيـر الـمـرا ... ء حـاز الـمـعـالـي بـبـاع طـويـل

فقال الشهاب:

إذا مـسّـه سـل سـيـف الـمـدام ... فـكـم مـن سـلـيـب وكـم مـن قـتـيـل

فقال الأعز:

وكـم مـن خـلـيـع كـريـم الـفـعـال ... يـجـدد بـالـجـود غـيـظ الـبـخـيـل

فقلت:

يـوافـيـه ذا ذهـب جـامـد ... فـيـفـنـيـه فـي ذائـب لـلـشـمـول

ثم صنع الشهاب:

عـلـى عـمـر الـقـصـيـر قـطـعـت عـمـري ... وصـيّـت خـلاعـتـي وأزلـت وفـري

فقال الأعز:

ولـم أسـمـع لـعـمـرك قـول زيـد ... إذا مـا لامـنـي أو قـول عـمـرو

فقلت:

ظفرنا فيه من شفة وكأس ... بمشروبين من ريق وخمر

فقال الشهاب:

ودافعنا يقين الرأي فيه ... بمظنونين من خمر وخصر

فقال الأعز:

كسوت به الكؤوس البيض حمراً ... من القمص اشتريناها بصفر

فقلت:

وظلت بمأزق للهو أتلو ... بهز البيض فيه عناق سمر

دير شعران

وهو في حدود طُرا من ضواحي القاهرة القبلية في لحف الجبل الأحمر المعروف بالمقطم، وبناؤه بالحجر واللبن، وعليه نخل، وبه جمائع من الرهبان وهو من ديارات اليعاقبة.

حكي أن السراج الوراق مر عليه ونزل به فرأى به جماعة من أودائه على راحٍ تقدح لهم أقداحها وتهدى إليهم أفراحها، وكان السراج قد طفئت فتيلة من شعله ذلك اللهب ونَكرت قافيته صفرة ذلك الذهب، فأتاه بها الساقي فردها وواصلته في الكأس فصدها هذا حين نكس الكبر صعدته وأنفد العمر مدته وذكر بجلسائها فقد إخوانه وذهاب زمانه فلامه من حضر إذ صدَّ الكأس وقال: أمالك أسوة بهؤلاء الجلاس فقال:

عَجب الساقي لِردِّي القَدَحا ... ولأمرٍ في التِّصابي قَدَحا

وأتانا بِحُمَيَّا كأسه ... حيث جئنا دير شَعْران ضحى

قلت: يا قرة عيني ربما ... غض طَرْفٌ بعدما قد طَمَحا

لم أكُن أول ولهانٍ سَلا ... لا ولا أول نشوانٍ صحا

أَشربُ الراح أُرجي فرجاً ... فيتيحُ الحظُّ منها تَرَحا

سوءُ حظي لو رَمى الصبحَ دَجا ... أو رَمى ليلَ عِذارٍ وضَحا

وخَمُولٍ مُنطقٍ بالشَّتم لي ... من أرى دَهْري له مُمْتدحا

زاد في سبّي إلى أن خِلتُه ... شهد اللَّه به قد سَبَّحا

أنا ما ذنبي لحا اللَّه امرءاً ... لام في التوبة مِثْلي ولحا

يا نديمي أنت للراح فدَعْنِي ... أنزَحُ الدمعَ إلى أن يُنْزَحا

هـي أوقـاتٌ وكـل آخـذٌ مـن صَـفَـا أوقـاتِـهِ مـا سَـمَـحـا

وحكي أن السراج الوراق وأبا الحسين الجزار خرجا في عهد صباهما والشباب ما عقد جاهما يريدان التزهد، فوجدا غلاماً زامراً يُتمنى منه اللقاء، ويجتمع فيه الغصن والورقاء [٢٦٧] يتلفت بصفحة القمر المنير، ويطرب كأنما زمره مما أوتي آل داود من المزامير، فلفتاه إليهما لأمرٍ وظنّا أنه ستُلينه لهما الخمر، فأتيا به دير شعران، وصعدا إليه فوجدا راهباً يصدع حبه الفؤاد ويطلع قمره ولا شيء أحسن منه في ذلك السواد، فزاد سرورهما لحصول الزامر والراهب، وأيضاً ببلوغ المآرب، فلما حميت فيهما سورة الحُمَيّا وظن كل منهما أنه قد حصل له فراسته وتهيّأ، فظن الزامر والراهب لمرادهما فتركاهما ومضيا قبل التمام وتركاهما وكل واحدٍ منهما يشكو ضجيعاً لا ينام، فقال السراج:

فـي فـخـنـا لـم يـقـع الـطـائـر لا راهـب الـديـر ولا الـزامـرُ

فقال أبو الحسين الجزار:

فـسـعـدنـا لـيـس لـه أول ونـحـسـنـا لـيـس لـه آخـر

فقال السراج:

فـالـقـلـب فـي إثـرهـمـا هـائـم

فقال الجزار:

والـقـلـب مـن أجـلـهـمـا حـائِـرُ

وحكي: أن السراج الوراق كان يغشى راهباً بدير شعران وافر العقل كامل الفضل، فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبان قد بقي على أقل من نصفه وبدره قد أخذ يتقهقر إلى خلفه وشهر رمضان قد آن له أن تُغَلَّ فيه شياطين الأنام وتختم فيه على الأفواه بالصيام فألفوا الراهب وقد لبس مسحة وساح، وعزل الدير فما هبت فيه رائحة راح، فلما رأوا أن دين رمضان قد حان حلول أجله، وأن وجه الدير الوقاح ما دبت من الخمر حمرة خجله، خافوا أن يأتي الصيام وما تشعشع سوى قنديل سحوره الذي بان، ولا ملك مدام يأتي منه أوائل ورد في أواخر شعبان، فندب السراج إليه راهباً من شباب الدير ليتبعه وكتب معه:

أبـلـغ الـفـاضـل الـهـيـس الـسَّـلاَمَـا شـق عـن زَهْـرة الـصـبـاح كـمـامـا

قـل لـه أيـهـا الـحـكـيـم الـذي فـي دين عيسى قد برهن الأحكاما [٢٦٨]

كـم رقـيـنـاك كـالـهـلال إلـى أن لـحـت لـلـنـاظـريـن بَـدراً تـمـامـاً

يـا أبـا الـمـلـة الـمَـسـيـحـيـة ارحـم مَـعْـشـراً مُـذ ظـعـنـت عـنـهـم يَـتَـامـى

فُطِموا من رضاع كأس الحُمَيّا ... وهي أنكى للمرضعين فِطاما
واستحلوا وضع الصليب عن الرا ... وواق من بعد حَمْله أعواما
عَدِموا راحة النفوس من الرا ... ح فدارك بالأنفس الأجساما
وأطالوا حبس المُدامة في الد ... ن ويكفي حبسُ المدامة عاما
ودعا الديك للصبوح فهبّوا ... كالمحبين لا يَعُون الملاما
فاسقهم من سلافة تطرد الهـ ... ـم وعجّل لهم بذاك اهتماما
وعسى قائل يقول لحظي ... ونصيبي: أطلت في ذا الكلاما
كذب المدعي وآخر شعبا ... ن يناديني الصيام الصياما

دير البغل(1)

هو شمالي دير شعران، وبناؤه مثل بنائه في كف جبل المقطم، وعليه نخل، وبه جمائع من الرهبان اليعاقبة.

قالوا: وسمي بدير البغل لأنه كان به بغل لسقي الماء، تعوّد هذا وألفه، وكانوا إذا أطلقوه أتى مورد الماء وهناك من يملأ عليه، فإذا حمله أتى الدير بالماء.

خرج إليه السراج الوراق مع أبي الفضل بن العسال في جماعة من أهله وأقاموا به أياماً في لهوٍ يجرون أعطاف الزهو، وكان بالدير غلام لا يتعداه أمل المقترح ولا تحاكي ذوابل عيونه إلا النرجس المفتح، فألفه السراج وكان وهو الوراق إلى وصل منه محتاج، فلما عادوا قال السراج يذكر أيامه ويمدح أبا الفضل ويذكر شيئاً كان عليه به قد تفضل:

أجْنَاكَ من عارض في خدّه لاحا ... ريحانة جاورَتْ من ريقه راحا
وما كفاه الشذا المسكي بينهما ... حتى جلا من خَضِيب الخد تفاحا [٢٦٩]
عيني رأته بدير البغل في ملإٍ ... قد قام فيهم مع الأسحار نوّاحا
مقرطقٌ ترك النّدمان من يده ... صرعى وقد حَثّ أحداقًا وأقداحا
عاطيته كأسَها والشُّهْبُ ما جَنَحَتْ ... إلى مَغَاربها والديكُ ما صاحا
والنجم حيرانُ لولا ما رفعتُ له ... من كأسها تحت جنح الليل مصباحا
حتى إذا أدنت الصهباء خطوتَهُ ... وحلت يدهُ عن راحِه الراحا
وبات طَوْعِي فلم أزدَد على قُبَلٍ ... إذ لا أبيتُ لبابِ العار فَتّاحا

---

(1) قال عنه ياقوت في (الخزل والدأل: ٢٩١/١) سيذكر باسم دير القصير لأنهما واحد.

أغالب النفس عما تشتهي كرماً جِداً فلا تَحْسَبَنّي ثَمّ مزَّاحا
وقد يروقك لفظي الحلو لا سيما إذا لقيت بني العسَّال مداحا
القوم جادوا ولم أسأل وهم مَنَحوا وما غشيتهم واللَّه ممتاحا
وشاد مجدهم بيتاً يبيت له طرف المجرّةِ مما طال طماحا
من كل أزهر لولا في تطلُّعِه مطالع الصُّبح زاد الصبح إيضاحا
صحبتهم نحو دير البغل مطلبُنا صهباء جرَّت بطوق الليل فانزاحا
أبا الفضل لم أبلغ مداك ولو طارحتُ في مذهب الشعر الطِّرمّاحا
إن رُمْتَ إخفاء ما تعطي فقد نطق المعروف عنك بما تخفي وقد باحا
لا تبغ للجود كتمانا فتظلمَه إنا رأينا نسيم الجود فياحا

دير طمويه[1]

ويعرف المكان الآن بطموّه، وهو في الجانب الغربي بإزاء حلوان، والدير راكب على البحر، تحف به الكروم والبساتين والأشجار، وهو عامر اللوطان آهل بالرهبان وحين تخضر الأرض يكون بين بساطين من البحر والزرع.

قال الشابشتي: وهو من المتنزهات المذكورة والمواضع الموصوفة، وأنشد فيه لابن عاصم قوله: [٢٧٠].

اشرب بطمويه من صهباء صافيةٍ يروي بخمر قُري هيتٍ وعانات
على رياضٍ من النوار زاهيةٍ تجري الجداول منها بين جنات
إنّي وإن كنت مشغوفاً بها كلفاً[2] وكنّ قِدماً مواخيري وحاناتي
إذ لا أزال مُلِحّا بالصَّبوح على ضرب النواقيس صبًّا بالديارات

كنيسة الطور[3]

قال الشابشتي: وهذا الطور هو طور سيناء الذي صعق عليه موسى عليه السلام، والكنيسة

---

(١) انظر (الديارات للشابشتي: (٢٨٦- ٢٩١- ٢٩٨- ٤١٠- ٤٢١). وأيضاً (معجم البلدان: ٢/٥١٩).

(٢) في نسخة أخرى:
منازلاً إنني كنت مشغوفاً به كلفاً

(٣) (الديارات: ٣١٠- ٣٢١) وانظر (ذيل الديارات: ٣١) و(معجم البلدان: ٢/٥٢٠) والموقع لازال معروفاً حتى يومنا باسم (دير طورسينا) ويشتهر بتاريخه وفيه مخطوطات قديمة.

في أعلى الجبل مبنية بحجر أسود، عرض حصنه سبعة أذرع، وله ثلاثة أبواب من الحديد، وفي عربته باب لطيف وقدامه حجر لقيم إذا أرادوا رفعه رفعوه وإذا قصدهم متغلب أرسلوه فانطبق، فلا يعرف أحد مكان الباب.

وداخلها عين ماء [و] في خارجها عين أخرى.

قال: وزعم النصارى أن بها من أنواع النار الحديدة التي كانت ببيت المقدس يعدون منها في كل عشية السراج، وهي بيضاء ضعيفة الحر لا تحرق، ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهبان، فلا تخلو من أحدٍ من أهل البطالات للتفرج به والتبرك على رأيهم به.

وهو من الديارات الموصوفة والأماكن المقصودة، وممن وصفه ابن عاصم، قال فيه:

يا راهب الدير ماذا الضوء والنُّورُ ... فقد أضار بما في ديرك الطُّورُ

هل حلّتِ الشمس فيه دون أبرُجِها ... أو غُيّب البدر عنه فهو مستور

فقال: ما حلّه شمسٌ ولا قمرٌ ... لكن يُقَرب فيه اليوم قورير

دير طرا

وموقعه قبلي القرافة بمصر، يلي بركة الحبش وبساتين الوزير، يقصده أهل مصر للفرجة والتنزّه، ويأتي إليه على ظهر البرّ والنيل، وله إشراف على النيل، ولا يخلو من قصف وشربٍ، ولأمراء الديار المصرية إليه إفضاء في القضاء ومنتهى في الركوب.

وفيه أقول:

يوم طرا وديرِها ... وما أتى من خَيْرِها

وأبيض من يومها ... وأحمر من مَيرِها [٢٧١]

مدامة تسري بنا ... مجدة في سيرها

لم أنس هيف نخلها ... ويومنا في خَيْرها

وأكلنا من حوتها ... ووحشها وطيرها

هذا إلى فاتنةٍ ... مليحة في ديرها

فلا تقل لي غيرها ... يا أربي في غيرها

الديارات السبع

وهي في الوجه البحري، وهو سفلي ديار مصر ممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم، مررنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصرية، وهي في رمال منقطعة

وسباخ مالحة وبرار معطشة وقفارٍ مهلكة، وشرب سكانها من حفارات لهم، وهم في غاية من قشف العيش وشظف القوت.

ويحمل النصارى إليهم جلائل النذور والقرابين، وتخصهم بكرائم التحف وتتخذ كتبة القبط وخدم السلطان منهم خاصة أيادي معهم ليكونوا لهم ملجأ من الدولة إذا جارت عليهم صروفها، ولم أعلم منهم أخباراً فأذكرها ولا أستاراً فأطرف بها، وإنما ذكرتها تبصرة اسمها وبعد صيتها.

الدير الأبيض(١)

وهو دير جليل البناء أبيض كما سمي، عليه رونق قد بني بالحجر الأبيض، وزين في أبنيته، ووسع في قدر أقبيته.

وهو غربي النيل في طرف الحاجر المطل على المزدرع فيما يقابل إخميم، وله إشراف على بسائط تلك الزروع وشوارح تلك المواشي، وبإزائه نخل خاص به، ويجري من النيل خليج طويل المدى كأنه السيف النقي من الصدى، ينتهي إلى ملقة متسعة وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة شرقي الدير، يفصل بينهما الطريق ويطل على هذه الملقة، رايته عليه قد تكونت من فضالات الشراع المحفورة والجسور المستجدة، لا يرى مثل نزاهته في زمن الشتاء والربيع، يتضاحك في جناته النوار وتخضر فيه شقاق الزروع، وتكثر فيه مصائد الطير، ويكون من الحسن في غاية تملأ البصر وتزيد على الخبر.

ومررنا به صحبة السلطان ونزلنا على تلك الرابية وأشرفنا على البركة، وفيها قارب يصاد فيه السمك، ومرّت الأطلاب مزينة [٢٧٢]، الترك وجياد الخيل، فسئلت أن أعمل في مثل هذا شيئاً على رسم ما يقال في الديارات فقلت:

يوم لنا بالدّير دير الأبيض	قد انقضى وطيبه لم ينقضِ
قد جئته في العسكر المنصور	فغلق الأبواب كالمحصُورِ
ونزل الرهبان بالدّبوس	فيه إلي قرارة الدّيمُوسِ
واطّلعت نحوي هناك رابية	تَيّاهة على الوِهاد آبية
قد خضعت من جانبيها الوهد	كأنها فوق الصدور نهد
كأنما تَطْلُب مني المَأْتي	هذا وقد ولى زمان المَشْتَى

(١) قال ياقوت في (معجم البلدان: ٤٩٧/٢): دير الأبيض في موضعين: أحدهما في جبل مطل على الرها فإذا ضرب ناقوسه سمع بالرها وهو يشرف على بقعة حران، والآخر بالصعيد يقال له أيضاً دير الأبيض.

وللربيع منذ أتى اعتدالُ وللنسيم بينه اعتلالُ
والشمس قد دب بها السِّقامُ واليوم لم يبق له مُقام
والليل قد هيّأ صفَّ عَسْكره وإنما معروفه في منكره
والجو في ردائِهِ المصندلَ والأرض تُذْكى باشتعال المَنْدلِ
ومُخَمرُ الشقيقِ فيها موقدُ وشُعَل البَهار فيها تُوقَدُ
وزهر الفُول ادعى بالحقّ شبيه أذنابِ الدَّجاج البُلْقِ
وزَهَرُ الكتان كالبنفسجِ ومثله لولا ذَكي الأَرَجِ
تبدو على أعطافه التَّرافَه ذو هَيَفٍ في شكلِهِ ظَرافه
كأنه في مائه الممتّزج زبرجد رُصّع بالفيروزج
وسائرُ الزرع شِقاق خُضرُ وبعضها لها طِران[1] نهرُ
والنخل حول الدير كالعرائس بجُلْوَةٍ في فاخرِ الملابسِ
كأنه مُشَمِّرٌ في هِمَّه صفٌّ وقوف حوله في الخدمه [٢٧٣]
وثَمّ من باقي مُدود النيلِ ماء شبيه الصارم الصَّقيلِ
وافت إليه خُلُجٌ مُفَرَّقه واجتمعت جميعها من مَلَقه
دائرة قوراء مثل الأُفُقِ تأوِي بها حيتانها في نفقِ
صافيةٍ كمثل عين الديكِ في غاية الصِّقال والتفريكِ
قد وَلعتْ فيها الرياحُ بالطُرَرِ فشوشَتها ثم سالت كالغُرر
فسيحة الأرجاء كالميدانِ تشقها سوابح الحِيتان
فيها من البُلطي والبُنيِّ مآكل كالرطب الجَنيِّ
والبُركة الفيحاء فيها قارِبُ وفيه صَارٍ للشباك ضاربُ
تجري به قاربه على نفَس وهو به في الماء ناريُّ القبس
كأنما أجرى به جوادا أسرع في الرَّكض وما تمادى
كأنه إذا أراد المركبا صِلّ من الحيات يرقى عَقْربا
تسير الحيتان وسط الماء كأنها النجوم في السماء

---

(١) كذا في الأصل، وفي نسخة أخرى: طرار.

يـأتـي إلـيـهـا بـأضـالـيـل الـخُـدَعْ ... لأجـل مـا يـأخـذ مـنـهـا ويَـدَعْ

ولـم يـزل بـخـفـةٍ فـي الـحـركـة ... حتـى أنـه يُلْقـي عليـهـا الشَّبـكَـة

وكــل مــا يــريــدُهُ يــصــيــدُ ... يــا زَرْعَــهــا آن لــك الــحــصــيــدُ

وعــنَّ لــي سِــربُ مــهًــى جــآذر ... أجــفـانـهـا تـضُـمّ مـا نُـحـاور

أقـمـار تُـرْكٍ فـوق شـهـب الـخيـلِ ... وبـيـنـهـا أدهـم صـافِـي الـذيـل

فـجئـت حتـى صرتُ فـوق الـهَضْبَة ... وعاينت عيناي تلك الحلبه [٢٧٤]

ويـا لـهـا مـن حـلـبـةٍ لا تـلـحـقُّ ... تـكـبـو وراءهـا الـريـاحُ الـسّـبّـقُ

كــأنــهــا أفــق حــوى أقــمــارا ... قـد طَـلَـعـوا فـي أفـقـهـا نـهـارا

مـن سـل مـا كـان وجـنـس الـترك ... قـد عـودوا ألـحـاظـهـم بـالـفـتـك

كـم فـيـهـم مـن سـاحـر الأجـفـانِ ... قـيـيّ خـدٌّ طـرفُـه يـمـانـي

لــلَّــه إن جــرَّد أســيــاف الـحَـدَق ... وبـدد الـدِّمـاءَ فـي الـخـد الـيَـقَـق

فـيـهـا مـلاح لـلـعـنـاق خُـلـقـوا ... مـا بـرزوا لـلـعـيـن حـتـى عَـشِـقـوا

مُـيَّـدُ الأغـصـان ثـم تـسـتـبـق ... طـوراً تُـخـلـي ثـم طـوراً تَـخـتَـنـق

أغــصــان بــان أم هــم غــزلان ... أو الـشـمـوس بـل هـم الـولـدانُ

قــد ركــبــوا صــوافِــن الــسـوابـقِ ... وافـتـرقـوا الـكـن فـؤادَ الـعـاشـقِ

مـنـهـم فـتـى يـهـتـز كـالـرُّديـنـي ... مـن لـي مـنـه لـو قـضـيـت دَيـنـي

قــد أسـرج الـغـمـام بـالـهـلال ... مُـطـهـمـاً فـي صـبـغـةِ الـلـيـالـي

يَـفـرقُ شَـطْـري وجـهـه بـغُـرَّة ... كــآبـة فــي وسـطـهـا مـسـرَّه

أدهـم مـنـه فـي الـسِّـيـاق قـد بَـدَرْ ... لـيـل ولـكـن فـوق عِـطْـفَـيّـه قَـمَـر

مُـبَـلْـبَـل الـصُّـدغ رخـيـم الـدّل ... أربـدُ مـنـه لـلـهـوى مُـعَـلّـي

لـه مـن الـعـجـب جُـفـوت مُـطْـبـقَـة ... وآفـتـي مـن الـعـيـون الـضـيـقـة

لــم أرَ مــثــل ثــغــرِهِ إذ ضــحــكــا ... لـقـد حـكـاه الـبـرقُ لـكـن مـا حـكـى

بــدرٌ ولا تَــفــضُــحُ لــي أســمــاؤه ... ذو تَــرَفٍ يــكــاد تــجــري مــاؤه

مــا لــي ومــا لــلــراح أو لــلأكــؤُسِ ... إذ حـل لـي بـنـد الـقـبَـاء الأطـلـسِ

وبــان مــن ثــيــابــه الــمــجــرَّدُ ... كـأنـه مـن فـضـة تـنـتـقـدُ [٢٧٥]

فــيــا أُخــيّ إن قــضــيــت نــحــبــا ... دعــنــي أمــوت فــي هــواه حُــبًّــا

أهونْ بدمع مُقْلتي الصبّ | فقد تعشعت صَبِيًّا يُصْبي
ما الموتُ في هَوَاه إلا مَحْيا | لو متُّ عشقاً فيه كنتُ أحيا
لما أَتاني من بعيد ووقَفْ | قُمتُ له لِلَثم أقدامٍ وكفّ
وكان قد حان غروب الشمس | وطَلَع البدر كمثل التُّرس
وظلت أُلهيه بأشغال السَّحَرْ | لعل للذي فعلتُه ثَمَر
وقلت هذا منزل نَزِيهُ | ليس له فيما هنا شَبيهُ
يا مرحباً شرفتَ هذا الموضعا | جئتنا والبدر في وقتٍ معا
فلو نزلته هناك أو هنا | عمَّ بقُربك السرور والهنا
فانزل بنا واقعد قريراً ساعة | ولا تَخف من فاضِح الشنّاعة
فلان لي جانبه ثم ابتسَمْ | وفاح لي طيبُ رضاهُ وبَسَمْ
وقال لي أقم حوالينا الحرس | وانحطّ لي كالسهم عن ظهر الفَرسَ
فقلت ما تقول في ذا إن مَسَك | هذا لنا وجاب من هذا السَّمَك
ونُوقد النار له ليقلى | ومن أتى مُزاحماً في المَقْلى
ونأكل السلور والشَّبوطا | والفرخ والمسلوخ والمَسمُوطا
هذا وما تضم أكناف السُّفَر | وما تكون منه ألطافُ السَّفَر
فقال لي: دونك ما تريد | فكان عندي باللقاء عيد
هذا وكنّا قد أمَرنا الطاهي | بأخذ تلك الجِلة الزواهي
فأتقن الجميع بالتنظيف | وزانها في الوضع والتصنيف [٢٧٦]
وحط عن أجسامها الجواشيا | وأظهر الجمال والمحاسنا
واقتدَحَ النار من الزّناد | مثل اصِطكاك البَرق في العهاد
يطيرُ من جانبها شرارُ | هل منه للرُمّانة انتشارُ
يُورّث الموقدَ جُلّ نارِ | كأنها شُبّت بجُلّنار
وبعد هذا صَنَّف المقالي | وكلنا نحب ذاك القالي
وسكَبَ الدّهانَ في الطِّنجير | كمثل بسطِ الظل في الغدير
ثم قَلى في الطاجن الأسماكا | لولا قليل لقلى السّماكا
ونضّدَ الصُّحُون ثم صففا | سبائكاً من النُّضار قد صَفَا

أعادَها بعد اللُّجَين عَسْجَدا | صَفرَ ألواناً لها وَوَرْدا
وجاء بالملح وبالأبزارِ | سكَارجاً تروق للأبصارِ
مصفوفةٌ لنا على مقدارِ | كِدْرهَم صُفَّ إلى دينارِ
وصَبَّ من أطايب الاصلاصِ | حقائباً مسدودَة العِفاص
من حامضٍ مُطَيّب ومُزّ | وغير ذا من كل حمض يجزي
ونَضَّدَ البُقولَ في الأطباقِ | مثل الحرير لُفّ في الأوراق
ووضع الكِماج والرِّقَاقَا | حتى استدار حولها نِطاقا
وجاء بالفُقّاع والمشروبِ | يَهمّ في الكيزان بالوُثُوبِ
ومنه في إنائه مسكوبُ | كأنه من ذهب مصبوب
وقرّبوا الحلواء مِلء الجام | كمثلِ قُرص الشمس بالتَّمامِ
فقام[1] لي وَزنُ سُرور وقسط | لأن من أحببتُه قد انبسط [٢٧٧]
ومدَّ عندي يَدَهُ ثم أكل | ثم تنقّلنا بمنهوب القُبل
فكم أصبنا منه ما أردنا | ولو نشاء بعد هذا زِدْنا
ثم أدَمْنا حمدنا والشكرا | وهو بما جاد علينا أدرى
ثم أتانا الطُّستُ والغسولُ | كأنه بعنبرٍ مجبولُ
ثم تلاه الطيبُ والمنديلُ | يا حَبَّذا ما حَبَّهُ الرسولُ
حتى إذا ما نزل السلطانُ | واشتغل الغَوغاء والغِلْمان
ونام كلٌّ مستكنًّا في الخِيَم | ونَكَّرَ الآفاق جلبابُ الظُّلم
وأمِنَ الراهب والقِسّيسُ | وانشقَّ عن موتاهُم الناوُوسُ
وأوقدوا في البيعة القِنديلا | ورَجَّعوا المِزمار والإنجيلا
ورتبوا الهَيْكل بالقُربانِ | وصفُّفوا الشُّمُوع والقَناني
وسكبوا الصهباء في الإبريقِ | صفراء أو حمراء كالعقيقِ
وصبّها في الكأس مثل اللُّهبَ | ممتدة مثل شَرِيط الذهب
يسعى بها مُقَرْطقٌ مُزَنَّر | شِبْهُ الغزال الخِشف أحوى أحورُ
من فتية داموا على الإنجيلِ | من لي بهم لو أنهم من جيلي

---

(١) في نسخة أخرى: فقال.

وبعضهم دبّ له عِذارُ ... كأنه من صَدِّهِ اعتذارُ

وفيهم ذاك الغزال النافرُ ... خليفة المِلاح وهو الظافرُ

لما بدا منه الصَّباح السافرُ ... تستَّر الليل مقيل الكافرُ

أو بنت قسيس عليها مسح ... كالليل قد أقبل فيه الصبح

بمعصمٍ فيه دلال وترَف ... كأنه من ماءِ خدَّيها اعترفْ [٢٧٨]

فاتنة من الظِّباء العين ... قد ناصبَت بدينها لِديني

ماذا أقول في بديع صُنْعِها ... والبدر في الظلماء حَشْوُ درعها

غصنٌ رطيبٌ دبَّ فيه الراحُ ... ومن جنى خُدُودها التُّفَّاح

آفة كل مسلمٍ وكافر ... وفتنة في أوَّلٍ وآخر

يا ما جرى منها ويا ما يجري ... مِنّا ومنها من بُكاً وهجرِ

فمذ هدت عنا عيون الناس ... ثُرْتُ به في غفلةِ الحُرَّاس

وقلت: قم حتى نروح في الغَلَسْ ... في خُلْسةٍ فأطيبُ العيش[1] الخَلَسْ

فالدَّير قد آن له أن يُفتَحا ... وكان قد أُغلق عمداً من ضُحى

قمنا إليه تحت سِتر الليل ... نوازعاً نرمي على سهلِ

وقد علا هيكله القنديلُ ... كأنه لرأسه إكليلُ

وتَمّ في الدير لنا صَدِيقُ ... منهمكٌ في السُّكر لا يَفِيقُ

لكنه لخوفه قد كانا ... ما شرِب الصَّهبْاء حتى الآنا

وعنده جميع ما نطلُبهُ ... وصوتُ أوتارٍ له تُطرِبُهُ

وهو إذا تبطّن السُّلافَه ... لم تستطع مليحةٌ خِلافَه

لأنه عرّف كل راهبة ... بمكره أنَّ الحياة ذاهبه

وكل ما تريد منه يحصُلُ ... وفق المنى مسارعاً يستعجلُ

فانهض وقُم وطب ولا تُوَنّي ... واقتل بما شئتَ سوى التجني

فقم بنا انهض ودع العذالا ... كم ذا العقود هكذا كُسَالى

لِنَنعم الصيحة والفَرَاغا ... ونشربَ العُمْرَ لنا ما اتساغا [٢٧٩]

ولم أزل به حتى نَزَل ... شاباش لي صدتُ الغَزَال بالغَزَل

---

(١) في نسخة أخرى: الطيب.

خدعته فأنصاع لي الغُلام ... وكان ما قد كان والسلام

وبتُّ مسروراً بذاك الخِشفِ ... وفوق ما وصفتُ منه المخفي

وكان لي غلَيِّمٌ ظريفُ ... حلو الكلام فِكِهٌ خفيف

جميع ما يقوله مُجونُ ... ما كان مثله لا يكونُ

حديثه ليس عليه من حَرَجْ ... لنا به القالُ وقد سُمِّي فَرَجْ

حديثه ليس عليه من حَرَجْ ... لنا به القالُ وقد سُمِي فَرَجْ

قلت له: كأنني ممن نَدِم ... لأجل ذاك الظبي لما أن طَعِم

ويحك لم أطعمتَ هذا ذا السمك ... فقال لولاه لما كان أنمسَك

جعلته لصيده كالفخ ... لا جل ذا أبصرته مُشترخي

يا شاطر البلاد أنتَ القيِّمُ ... فعلتَ ما لا تستطيع الأسهُمُ

لا شك قد أتقنَت علم السِّحرِ ... وصِدْتَ صيد البَرّ بعد البحرِ

ومما قلته فيه:

وبالدير يومٌ أبيضٌ لي كاسِهِ ... وقد طَلعَتْ من جانب الدير أقمارُ

وقد جُليت في الكأس صهباءُ مُزَّة ... تكشف منها في الدُّجُنَّة أستارُ

وبالدير دَيرانية بَرزَت لنا ... فتم لنا فيها حديثٌ وأسمارُ

جلتها كأن الطور جانب كأسها ... وإلا رُبى واريَنَ من دونها دارُ

وقلت:

ولم أنس بالدير يوماً لنا ... وعيش السرور به يُنْتَهَبْ

ففضَّض أبكاره باللُّجين ... ومَوه آصاله بالذهبْ [٢٨٠]

وكأس المدام علينا تَطوف ... بحمراء صافية كاللَّهبْ

يطوفُ بها من بنات القُسُو ... س باخلةُ الكَفّ ليست تَهبْ

مُبتَّلَةٌ بين رُهْبانها ... لألحاظها في حَشَانا رَهَبْ

مسيحية طَلَعت في المُسوح ... كصبح أَطَلَّ وليلٍ ذَهَبْ

وقد غاب عَنَّا عِيان الرقيب ... وجاء الزمانُ بما قد وَهَبْ

فَرَشْفُ اللَّمى خُلَسٌ بيننا ... وعضُّ الخدود لدينا نُهَبْ

دير ريفَه

وهو بصعيد مصر فوق سيوط الا بعيد على الجبل الغربي المطلّ على ريفه، وهناك عدة ديارات المشهور أكبرها، والبقية كالقلالي وهو من الأبنية القديمة المحكمة، ولأهله رزق من أطنان مزرع، وتشتغل جاريةً بتواقيع السلاطين ثابتة في حساب الدواوين.

وهو دير مذكور، وله أخبار وفيه حكايات وأشعار.

وحكي أن شاعراً مغربيًا يعرف بابن الحداد مرَّ به وهو مصعد إلى قوص ليحج من جهة عيذاب في البحر، فرأى ديرانية اسمها نويرة كأنما أذكاها في قلبه نظرها، وشبّها في جوانحه من خدودها المحمرة نضرها، فألقى عندها عصا سفره، ولقي عندها منتهى ما يؤمل من ظفره، وترك الحج كأنه ما تعنى له من أقصى بلاده ولا نوى إليه السفر براحلته وزاده، وقال فيها:

ورأت جفوني من نويرة كاسمها ... ناراً تُضِل وكل نارٍ تُرْشِد

والماء أنت ولا يصحُّ لقابضٍ ... والنارُ أنت في الحشا تتوقد

فلما طال مقامه وقفت عليه وسألت عن سبب إقامته، فقص عليها الخبر ونص العبر، وأعلمها أنه أتى ليحج، فلما رآها أقام وتطلب ما يعالج به السقام، فقامت غير متباطئة [٢٨١] ووثبت كالظبية العاطية وظنت أنه لم يصب وأنه مدَّ لها شركه ونصب، فلما رأى ما راب من سفورها وإعراض ظيفها الإدماء وسرعة نفورها أسال عبرته ووالى حسرته ثم قال:

حديثك ما أحلى فزيدي وحدثي ... عن الرشإ الفرد الجمال المثلث

ولا تسأمي ذِكراه فالذكر مُؤْنسي ... وإن بَعَثَ الأشواق من كل مبعث

أحقًّا وقد صرحت ما بي أنه ... تبسَّم كاللاهي بنا المتعبث

وأقسمَ بالإنجيل إني لكاذب ... وناهيك دمعي من محقٍّ ومحنث

ورآها يوماً بين صواحبها كما اطلعت ليلة القمر بين كواكبها، فلما دنا منهن للحديث تنحت وبخلت عليه بكلامها وشحَّت فقال:

وبين المسيحيات لي سامريَّةٌ ... بعيد على الصَّبْ الحنيفيِّ أن تدنو

مثلثة قد وجد اللّه حُسنَها ... فَثُنِّيَ من قلبي بها إلى الوجدُ والحزن

ففي الخمارِ الجَوْن حُسن كأنما ... تجمع فيه البدُر والليل والدَّجْنُ

وفي معقد الزنّار عقد صبابتي ... فمن تحته دِعْص ومن فوقه غُصنُ

ثم إنه صارت لا تراه إلا احتجبت، وهيهات للشموس إن حجبت، فزاد بها بلباله وعظم

اختباله، فلما كان يوم عيد من أعياد النصارى طلعت تلك الدمى وانبثت في الأرض كأنجم السماء وبرزت في أثوابها وخرجت كالصباح تلك الديرانية السفر من وراء حجابها، فوقف عليهن وقال:

عساكِ بحق عِيسَاكِ ... مُريحة قلبي الشاكي
فإن الحُسنَ قد ولا ... ك إحيائي وإهلاكي
وأولعني بصلبانٍ ... ورُهبانٍ ونُسّاكِ [٢٨٢]
ولم آتِ الكنائس عن ... هوًى فيهن لولاكِ
فهل تلين ما تقضي ... على عَيْنَيَّ عيناكِ
وما يذكيه من نارٍ ... بقلبي نورك الذاكي
حجبت سَنَاك عن بصري ... وفوق الشمس سِيماكِ
وفي الغصن الرطيبِ وفي النقـ ... ـا المرتجِّ عِطْفاك
وعند الروض خدّاك ... وفي ريَّاهُ ريَّاك

[الحانات]

[حانة الحيرة]

وكانت سوى هذه الديارات حانات بمواضع شتى، لها أخبار وفيها أشعار، وأشهرها ما نذكره هنا ونلحقه من الديارة بأمثاله ونضيفه منها إلى أشكاله وهي حانة الطائف، كانت في الجاهلية وكان خمارها يسمى ابن بجرة[1]، وكانت قريش وسائر العرب تقصده فتشرب في حانته وتختار منه وتحمل إلى أوطانها وتورد أحياءها مواقر إبله لتضرب بأعطانها.

وفي ابن بجرة يقول أبو ذؤيب: [الطويل]

فلو أن ما عند ابن بُجرة عندها ... من الخمر لم تَبلُل لهاتي بباطلِ
فتلك التي لا يذهبُ الدهر حُبَّها ... ولا ذِكرا[2] ما أرزَمَت أم حائل
وإن حديثاً منك لو تَبذُلينه ... جَنى النحلِ في أَلبان عوذ مَطافلِ
مطافيل أبكارٍ حديثٍ نتاجُها ... يُشابُ بماءٍ مثل ماء المفاصل
لعمري لأنت البيت أُكرم أهله ... وأجلسُ في أفيائِهِ بالأصائل

---

(١) انظر ما كتبه عنه السري الرفاء في (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب: الفصل الثلاثون).

(٢) في الديوان: ولا ذكرها.

[حانة بني قريظة]

وحانة بني قريظة، وكان خمارها في جوار سلام بن مشكم، وكان عزيزاً منيعاً، ولما انصرف أبو سفيان بن حرب بن غزوة السويق نزل على ابن مشكم، فأكرمه واحتبسه عنده ثلاثة أيام، وبعث إلى جاره الخمار فابتاع كل ما في حانوته وسقاه أبا سفيان ومن معه من قريش [٢٨٣] فقال أبو سفيان.

سقاني وروّاني كُميتاً مدامةً ... على ظماءٍ مني سلامُ بن مِشكَم

تخيرته أهل المدينة واحداً ... ساواه[١] فلم أغبن ولم أتَندم

[حانة هجر][٢]

وتعرف بحانة ريمان، وهي مذكورة.

وقال فيها الراعي النميري: [الطويل]

وصَهباء من حانوتِ ريمَان قد غدا ... عَليَّ ولم يَنظُر بها الشَّرقَ صابحُ

فقصر عني اليوم كأس روية[٣] ... وبرد العشايا والقيان الصوادح

وبتنا على الأنماط والبيض كالدُّمى ... تُضِيء لنا لبَّاتِهن المصابحُ

إذا نحن أنزفنا الخوابي علنا ... مع الليل ملئومٌ القار طافحُ

[حانات الحيرة]

وهي أربع حانات:

[حانة عون][٤]

وكان عون ظريفاً طيب الشراب نظيف البيت، وكان فتيان الكوفة يشربون من حانوته ولا يختارون عليه.

وشرب عنده ليلةً أبو الهندي الشاعر حتى طلع الفجر وصاحت الديوك على أن يصبح يوم شك، فقيل إنه من رمضان فقال:

---

(١) ونسخة أخرى: لحلف.

(٢) انظر عند السرى «الرفاء في (المحب والمحبوب والمشموم والمزدي).

(٣) ورد في الأصل:

فقصر عني اليوم كأس روية ... ورخص الشعراء والقيان الصوادح

(٤) ذكر ترقبه لعون الحيري السري الرفاء في (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) والكاتب يبدو أنه ينقل حرفياً عنه.

شربت الخمر في رَمَضان حتى رأيتُ البدر للشعرى شريكا

فقال أخي: الديوكُ مناديات فقلت له: وما يدري الديوكا

حانة دَوْمَة(١)

وعن أبي عبيدة قال: مرّ الأقيشر بخمارة في الحيرة يقال لها دومة فنزل عندها واشترى منها شراباً ثم قال لها: جوّدي لي الشراب حتى أُجوِّد لك المديح، ففعلت، فأنشأ يقول:

ألا يا دَوْمَ دَام لك النعيم وأسمر ملء كفكِ مستقيمُ

شديد الأسْرِ تنبضُ جانباه يُحَمّ كأنه رجل سقيم

يُرويه الشرابُ فيزدهيه وينفُخُ فيه شيطان رجيم [٢٨٤]

قال: فظنت الخمارة أن هذا مدح فسرَّت به وزادته في الشراب وقالت: ما قال فيَّ أحد أحسن من هذا.

[حانة جابر](٢)

قال ابن الصلصال: كان أبو نواس يأتي الكوفة فيزورني، وكان يأتي بيت خمارٍ بالحيرة يقال له جابر، لطيف الخلقة نظيف الثياب نظيف الآلة، يعتق الشراب سنين، فقدم علينا مرة وقد نهاه الأمين عن الشراب، فسأل عني فقيل هو بالحيرة، فوافاني وفي يدي شيء من شراب جابر عجيب الحسن والرائحة، فقال لي: يا أبا جعفر لا يجتمع هذا والهم في صدرٍ واحدٍ، قال: وكان شديد العجب بضرب الطنبور، فكان إذا جاءني جمعت له ضرّاب الطنابير، وكانت الكوفة معدنهم وكان يسكر في الليلة الواحدة سكراتٍ، فوجهت فجمعت له منهم جماعة، وأحضرته شيئاً من ذلك الشراب، فقال لي: ألم تعلم ما حدث عليّ، قلت: وما هو، قال: نهاني أمير المؤمنين عن الشراب، وتوعدني عليه، ثم أنشدني قصيدته التي فيها:

أيها الرائحان باللُّوم لُومَا لا أذوقُ المدام إلاّ شَمِيما

إلى أن انتهى إلى قوله:

فكأني وما أُحَسِّن منها قعديٌّ يُحَسِّنُ التحكيما

كَلّ عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المُطيق أن لا يقيما

---

(١) وردت في (المحب والمحبوب): دُوَمة.

(٢) قال السري الرفاء في ترجمة (جابر الحيري) في كتابه (المحب والمحبوب والمشموم): كان جابر هذا نظيف الخلقة، نظيف الثياب، نظيف الشراب...

فقلت له: أقم معنا كما حكيت من نقل القَعَدية، قال: أَفعَل وصرنا "
شعراً ذكرت فيه ما قاله لي، وأنشدته إياه وهو قولي:

عَتَبَت عليك مَحَاسن الخمر ... أم غَيَّرتــ
فَصَرفتَ وجهك عن مُعَتَّقةٍ ... تَفْترُ عــر
يسعى بها ذو غُنة غَنِجٌ ... متكحل اللحظاتِ باد
ونسيتَ قولك حين تمزُجُها ... فتريك مثل كواكِب
لا تحسبن عُقار خابية ... والهمَّ يُجتمعان في صدر

فقال: هاتها في كذا وكذا من أم الأمين، ومد يده فأخذ القدح وشرب معنا، ثم شخص إلى الأمين، فقال له: أين كنت، قال: عند صديقي الكوفي، وحدثه الحديث، قال: فما صنعت حين أنشدك الشعر، قال: شربت واللّه يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأجملت، فأشخص حتى تحمل إليّ صديقك هذا، فقدم إليَّ فحملني إليه، فلم أزل معه حتى قتل.

حانة سهلا

وكانت يهودية من أهل الحيرة.

وحكي أن الأقيشر كان يألفها، وكان يشرب في دارها، فجاءه شرطي فدق الباب فقال: اسقني وأنت آمن، فقال: واللّه ما آمنك وهذا البعث في الباب فأنا أسقيك منه، فوضع له أنبوب قصب في النقب فصب فيه النبيذ من داخل، والشرطي يشرب من خارج، فقال الأقيشر: [الرجل]

سأل الشُّرطي أن نَسْقِيَهُ ... فسقيناه بأنبوب القَصَبْ
إنما لِقْحتُنا خابيةٌ[1] ... فإذا ما مزجتْ كان العَجَب
لبن أصفر صافٍ طعمه[2] ... يَنْزعُ الباسور من عجب الذنب
إنما نشرب من أموالنا ... فاسألوا الشرطي ما هذا الغضب

[حانات العراق]

وحانات العراق وهن أربع حانات:

---

(١) في الديوان: باطية.

(٢) في الديوان: لونه.

حانة طيزناباذ

وكان خمارها سرجس[1]:

وحكى سليمان بن نوبخت قال: حججت واستصحبت أبا نواس بعد امتناع منه ونفار، وشرط علي أن أتقدم معه الحاج إلى القادسية، فنقيم نشرب بطيزناباذ، فنزل على خمارٍ كان يألفه فشرب يومه وليله، ثم أتيته بقول:

وخَـمّـارٍ أنـخـتُ إلـيـه لـيـلاً ... قَلائص قد وَنَيْنَ من السُّفارِ [٢٨٦]

فَـتَـرجـم والـكـرى فـي مُـقْـلـتـيـه ... كَـمَـخْـمـور شَـكَـا أَلَـم الـخَـمَـار

أَبِـن لـي كـيـف صِـرتَ إلـى حريـمـي ... ولـو أن الـلـيـل مـلـتـبـس بـقَـارِ

فـقـام إلـى الـعـقـار فَـسَـدَّ فـاهـا ... فـعـاد الـلـيـل مُـسـودَّ الإزارِ

ثم جلس يشرب فلم يزل كذلك حتى ورد علينا أوائل الحاج، وحجوا ثم عادوا فرحلنا معهم إلى بغداد على أننا كنا حجاجاً معهم.

حانة قطربل[2]

وكان خمارها ابن أذين:

حكى أبو الشبل البرجمي قال: اجتمعت بأبي نواس في النو فسلمت عليه وسألته عن خبره وتحدثنا طويلاً، ثم قال: أتساعدني حتى نمضي إلى موضع طيب، قلت: أين هو، قال: بقطربل، فقلت: ضاقت الدنيا حتى نسافر، فقال لي: إن هناك خماراً ظريفاً لبقاً مساعداً عنده شراب عتيق وغلمان صباح فامض بنا، فمضيت حتى أتى حانة خمارٍ، فقال لي: أتعرفه، قلت: لا، قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه:

اسـقـنـي يـا ابـن أَذِيـنِ ... مـن شـراب الـزَّرَجُـونِ

اسْـقـنـي حـتـى تـرى بـي ... جِـنَّـة غـيـر جُـنُـونِ

عُـتـقَـت فـي الـدنِّ حـتـى ... هـي فـي رِقـة ديـنـي

ولـنـا سـاقٍ عـلـيـه ... جُـبَّـة مـن يـاسـمـيـنِ

قال: فأقمنا عنده ثلاثة أيام في أنزه موضع ومع أكيس خادم، ثم انصرفنا.

---

(١) انظر عنه ما كتبه السري الرفاء في كتابه (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب).

(٢) قال السري الرفاء في (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب): الفصل: ابن أُذين من خماري قطربل..

حانة الشط[1]

قال أحمد بن حمدون: كان الواثق يحب المواخير وما قيل فيها وما غني به في ذكرها فاتخذ حانتين أحداهما في دار الحُرَمِ والأخرى على الشط، وأمر بأن يختار له خمارٌ نظيف جميل المنظر حاذق بأمر الشراب، ولا يكون إلا نصرانياً من أهل قطربل، فأتي بنصرانيّ له ابنان نظيفان مليحان، وابنتان بهذه الصفة، فجعلهم الواثق في الحانتين، وضم إليهم خدماً وغلماناً وجواري روقة، وأخدم النساء حانة الحرم والرجال حانة الشط ونقل إليهما طرائف الشراب، وفرشهما من فرش الخلافة، وعلق عليهما الستور، وجعل فيهما الأواني القديمة [٢٨٧] والدنان المدهونة فكانت أحسن منظرٍ وأبهاه، فلما فرغ منهما أمر بإحضار المغنين والجلساء ولم يدع أحداً يصلح من ضرّاب الطنابير إلا أحضره وحضرنا، وخرج الخمار هو وأولاده معه عليهم الأقبية المشهمة وفي أوساطهم الزنانير المحلاة، ومعهم غلمان يحملون المكاييل والكيزان والمبازل في الصواني، وأخرجت تلك الدنان المذهبة وقد طينت رؤوسها تطيناً نظيفاً يعبق منه الطيب فأقيمت بإزاء المجلس الذي كان فيه جالساً، فبزلت كما يفعل في الحانات وجعل يؤتى بالأنموزجات فيذوقها ويعرض ذلك على الجلساء فيختار كل واحد منهم ما يشتهيه فيأخذها، ويجيء إلى الخمار ويكتال فيه بمكيال في إنائه كما يفعل في المواخير ويعود إلى موضعه فيجلس، ويوضع على رأس الحضور إكليل الأنس وما أشبهه من الرياحين، فكان أحسن يوم رأيته.

وشرب الواثق شرباً كثيراً، وأمر للخمار بألف دينار ولزوجته بألف دينار، ولكل واحد من أولاده بخمسمائة دينار، ولم يبرح أحد منا إلا بجائزة سنية.

وحكى الحسين بن الضحاك من حكاية له أن الواثق قال له: هل لك في حانة الشَّط، قال فقلت: إي واللّه يا أمير المؤمنين، فقام إليها فشرب هناك وطرب وما ترك أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة، وكان من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في الآفاق، فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا هذا الماضي، فأنشدته:

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرمت مَثوانا	عُودي بيوم سرورٍ كالذي كانا
إذ لا تخالفنا غير فاحشةٍ	إذا تَطَرَّبنا الطُّنبور أحيانا
وسَلسل الرَّطل عمر ثم عم بنا السـ	ـقيا فألحق أَخرانا بأُولانا

---

(١) دعاها السري الرفاء في كتابه (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب): حانة الشط للواثق.

سَقْياً لعيشك من عَيشٍ خُصصت به   دون الـدَّسـاكـر مـن آنـاتِ[1] دُنـيـانـا

قال: فأمر لي الواثق بصلة سنية محددة واستحسن الشعر وأمر أن يغنى فيه.

حانة جويث[2]

وتعرف بحانة بزيع، وهو خادم المتوكل كانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعادن، وكانت حسنة البناء مسقفة بالساج، وإلى جانبها بستان حسن لبزيع.

وكان يتخذ فيها ألة الشراب، وكان فيها خمار يهودي لا يبيع إلا شراباً مختاراً سرياً لا يبيعه أحد من العامة والوضعاء. [٢٨٨]

وكانت حانته لتنزه الخاصة والسراة من الناس، وكانت موصوفة بالحسن والنظافة.

وفيها يقول عبد اللّٰه بن محمد بن عبد الملك بن الزيات، وكان قد دعاه بزيع إليها ومعهما جنى الخادم وكان نهاية في الحسن وحسن الغناء:

سَـقَـانـا بَـزيـعٌ والـسِّـمَـاكُ مُـشَـرِّق   ونـجـمُ الثُّـريَّـا فـي الـسـمـاء مُـحَـلِّـقُ

كُميتاً كأن المِسْكَ حَشْوُ كؤوسها   بـهـا الـشَّـمـل مـجـموعٌ فـمـا يَـتَـفـرَّقُ

سُلافـةُ كَـرمٍ أخـلـص الـدهـر لـونـهـا   يُـضـيء لـهـا الـلـيـل الـبـهـيـمُ ويُـشْـرِقُ

وقـلـت لـجِـنـي هَـلُـمّ فـغـنـيـنـي   أرقـت ومـا هـذا الـسُّـهـاد الـمـؤرِّقُ

فـغـنـى غـنـاء حـرك الـقـلـب حـسـنـه   ولـمـا يـحـركـه الـشـراب الـمـصـفـق

حانة سجستان

حكي أن أبا الهندي لما ضرب عليه البعث إلى سجستان كان يلزمها ويشرب عندها مع نديم له فشربا يوماً حتى سكرا وناما، فلما هب هواء السحر انتبه أبو الهندي والزقّ مطروح قد بقي فيه شطر الشراب، فأقامه وصب منه في كأس، وجاء إلى نديمه فحركه وقال: [الطويل]

تَـصَبَّـح بـوجـه الـراح والـطـائـر الـسَّـعـدِ   كُـمـيـتاً وبـعـد الـمَـزْج فـي صِـفَـة الـوَرْدِ

تَـضَـمَّـنَـهـا زِقٌ أَزَبُّ كـأنـه   صَـريـعٌ مـن الـسـودان ذو شَـعـر جَـعْـدِ

ولـمّـا حـلـلـنـا رأسَـه مـن ربـاطِـه   فـفـاض دمـاً كـالـمـسـك أو عـنـبـر الـهـنـد

وجـدنـاه فـي بـعـض الـزوايـا كـأنـه   أخـو قـرَّة يـهـتـزُّ مـن شـدة الـبـرد

أخـو قـرة يـبـدي لـنـا وجـه صَـفْـحـةٍ   كـلـون رقـيـق الـجِـلْـد مـن ولَـدِ الـسِّـنـد

---

(١) في نسخة أخرى: من لذات.

(٢) سماها المرء الرفاء في (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب): حانة بزيع بالجويت.

حانات الشام

وهي اثنتان:

حانة عزاز(١)

وكانت بتل عزاز:

حكى إسحاق قال: كنت مع الرشيد حين خرج إلى الرقة، فدخل يوماً يشرب مع النساء فخرجت ومضيت إليه فنزلت عند خمارةٍ هناك لها زوج قس، لها منه بنت لم أر مثلها قط جمالاً ولا مثل ابنتها، وأخرجت إليَّ شراباً لم أر مثل حسنه وطيب ريحه وطعمه، فأجلستني في بيت مرشوش فيه ريحان غض [٢٨٩] وأخرجت ابنتها تخدمني كأنها خوط بان أو جدل عنان لم أر أحسن منها قدًّا ولا أسهل خدًّا ولا أشرق وجهاً ولا أبدع طرفاً ولا أحسن كلاماً ولا أتم تماماً، فأقمت عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليَّ، ثم انصرفت فذهبت بي رسله إليه، فدخلت عليه وهو غضبان، فلما رأيته خطرت في مشيتي ورقصت وكانت في رأسي فضلة قوية من السكر، وغنيت في شعرٍ قلته في بيت الخمارة وصنعت فيه لحناً وهو:

إن قلبي بالتلِّ تلِّ عزاز ... عند ظَبي من الظِّباء الجوازي

شادنٌ يسكُنُ الشأم وفيه ... مع شكل العِرَاق ظَرْفُ الحجازِ

يا لقومِ لبنتِ قَسٍّ أصابت ... منك صَفْوَ الهوى ولست تجازي

حَلَفَتْ بالمسيح أن تنجز الوعد ... وليست تهم بالإنجازِ

قال: واللحن في هذا الشعر خفيف رمل بالوسطى.

قال إسحاق: فسكن غضبه ثم قال لي: ويحك أين كنت، فأخبرته، فضحك وقال: عذرٌ واللّه وإن مثل هذا الطيب إذا اتفق أعد غناك فأعدته، فأعجب به وأمرني أن أغنيه ليلتي كلها لبداً ولا أغني أنا ولا غيري سواه، وأمر المغنين بأخذه، فما زلت أغنيه ويشرب عليه إلى الغداة ثم انصرفنا، فصليت ونمت فما استقررت جنباً حتى وافاني رسول الرشيد يأمرني بالحضور فركبت ومضيت، فلما دخلت إذا أنا بابن جامع يتمرغ على دكان في الدار لغلبة النبيذ والسكر عليه، فقال لي: أتدري لما دعينا، قلت: لا، قال: نصرانيتك الزانية عليك وعليها لعنة اللّه، فضحكت فلما خرج إلينا الرشيد أخبرته بالقصة فضحك وقال: صدق أعيدوه جميعاً ولا تغنوا غيره فإني اشتقت إلى ما كنا فيه لما فارقتموني فغنيناه جميعاً يومنا كله حتى نام في موضعه سكراً، ثم انصرفنا.

---

(١) انظر المصدر السابق حيث ينقل شبه حرفياً عنه المؤلف.

حانة هشيمة[1]

وكانت بدمشق، وكانت تخدم الوليد بن يزيد في شرابه وتتولى اتخاذه له، وكان يقال إنه لم ير أعرف منها به ولا أنظف آلة وصنعة ولا ألبق في الخدمة.

وقد ذكرها الوليد بن يزيد في شعره إذ قال:

قـد شـربـنـا وحـنـت الـزُّمَّـارة فـاسـقـنـي يـا بُـديـحُ بـالـقَـرْقـارة

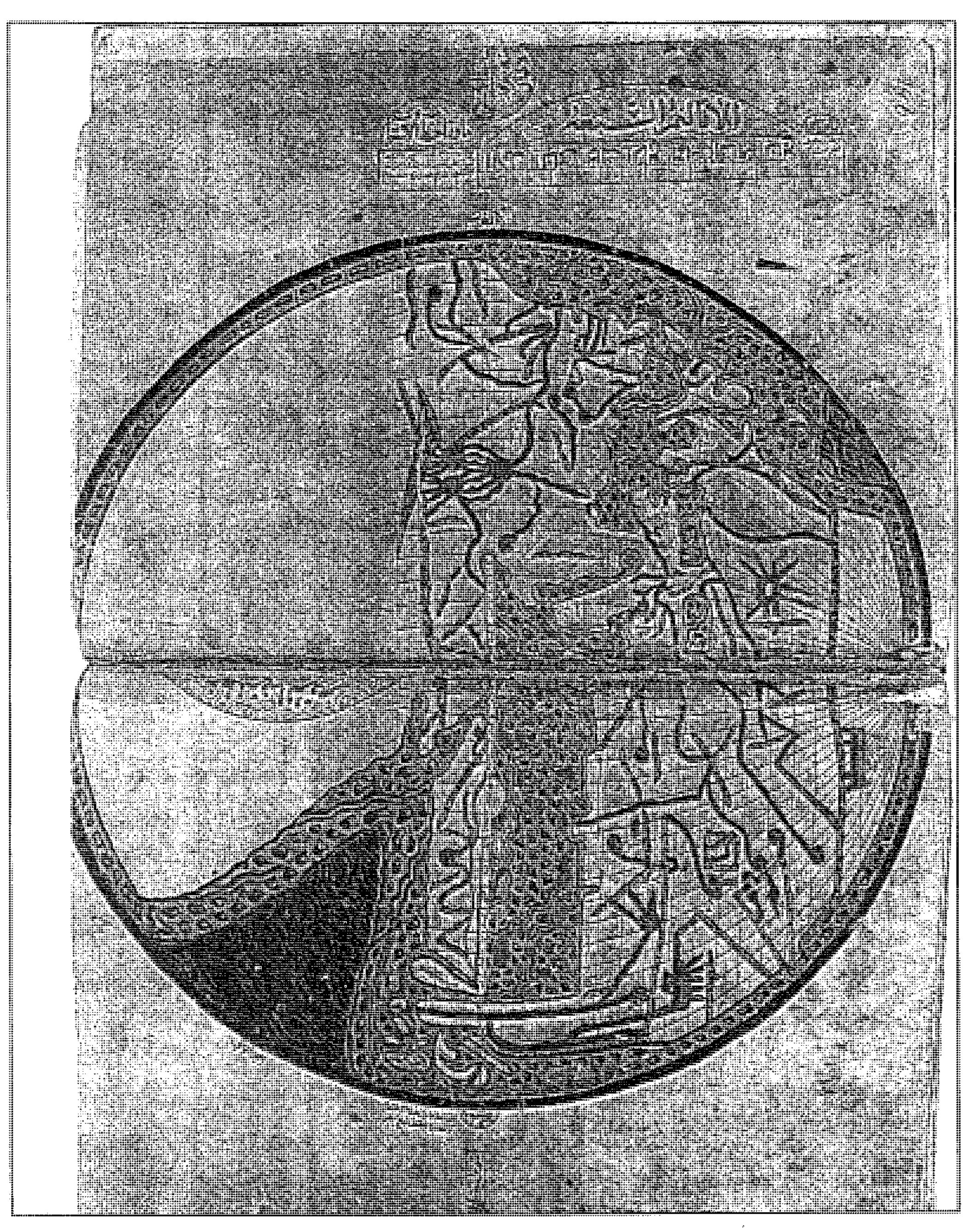
مـن شـرابٍ كـأنـه دمُ خـشـف عـتـقـت هُـشـيـمـة الـخـمَّـارة

اسـقـنـي اسـقـنـي فـإن ذنـوبـي قـد أحـاطـت فـمـا لـهـا كَـفَّـارة

وعمرت حتى أدركت الرشيد وماتت في أيامه، ماتت يوم مات الكندي والعباس بن الأحنف، وصلى المأمون عليهم. [٢٩٠]

وها قد ذكرنا ما اتصل بنا علمه ووقع إلينا خبره، وبه تم الفصل السادس وهو آخر فصول الباب الأول من القسم الأول، ولله الحمد وبه التوفيق.

(١) انظر ترجمتها في (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب): الفصل الثلاثين.



وهذه صورة لوح الرسم تشتمل على مجموع الكرة براً وبحراً وعامراً وخراباً ووضع الأقاليم في مواضعها ووقوع جمليات البلاد حيث وقعت شرقاً وغرباً أتينا بها على سبيل الجملة لا على التفصيل لضيق الدائرة هنا، وسياتي بمشيئة اللّه تعالى كل شيء على ما يجب في مكانه، ومن اللّه نستمد التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل. [291]



القسم الثاني في ذكر الأقاليم السبعة وفيه الإقليم الأول والثاني والثالث

الباب الثاني

في ذكر الأقاليم السبعة

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول

في تقسيمها

ونحن نبدأ بحمد اللّه هذا الفصل بما قيل في تقسيم معمور الأرض من خط الاستواء إلى نهاية العمارة في الشمال على الأقاليم السبعة على ما قيل في ذلك.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الإقليم الأول(١): سعته سبع درجات وثلثا درجة وثمن درجة بالتقريب يعني بسعة عروض ما وقع فيه من البلاد.

وأن الإقليم الثاني(٢): سعته سبع درجات وثلاث دقائق بالتقريب..

وأن الإقليم الثالث(٣): سعته ست درجات وثمن درجة بالتقريب.

وأن الإقليم الرابع(٤): سعته خمس درجات وسبع عشرة دقيقة بالتقريب.

وأن الإقليم الخامس(٥): سعته أربع درجات وربع وثمن وعشر درجة بالتقريب.

وأن الإقليم السادس(٦): سعته ثلاث درجات ونصف وثمن درجة بالتقريب.

وأن الإقليم السابع(٧): سعته ثلاث درجات وثمان دقائق بالتقريب وخمس.

ويزعم هؤلاء أن نهاية المسكون إلى خمس وخمسين درجة لا يتجاوز مداها، وما الأمر كذلك، ولوح الرسم على خلاف هذه المقالة كلها فإنه رسم عرض كل إقليم عشر درجات فزيادة

---

(١) (تقويم البلدان: ٨).

(٢) المصدر السابق: ٨.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

(٤) المصدر السابق: ٩.

(٥) المصدر السابق: ٩.

(٦) المصدر السابق: ٩.

(٧) (المصدر السابق: ٩).

ما في لوح الرسم على ما زعم هؤلاء خمس عشرة درجة، ونحن رسمنا هذا الكتاب على ما في لوح الرسم على تجزئة عشر درجات عرض كل إقليم تقريباً. [٢٩٥]

ويزداد على هذا ما يزداد على الأقاليم السبعة جنوباً وشمالاً، وقد تقدم مما استخرجناه من لوح الرسم ولم أكن قد وقعت على ذكره في تأليف، ثم رأيت الملك المؤيد عماد الدين أبا الفداء إسماعيل صاحب حماه رحمه اللّه تعالى قد ذكر ذلك في كتابه المسمى «بتقويم البلدان»[١]، قال[٢]: واعلم أن ثم بلاداً كثيرة ليست من الأقاليم السبعة، وهي البلاد التي وراء الإقليم الأول من الجهة الجنوبية، وكذلك البلاد التي خلف آخر الإقليم السابع من جهة الشمال وإلى نهاية العمارة في الشمال.

وقد ذكر في جداول هذا الكتاب مما وقع من وراء خط الاستواء في الجنوب مما هو بالبحر الشرقي بالهند والصين جزائر الرانج وجزيرة سرنديب وجزيرة لامري[٣] وجزيرة كله[٤] وجزيرة المهراج وهي مربعة، وجزيرة قنبلة[٥] وجزيرة سقطرة وجمكوب وجبال قامرون.

ومما وقع من وراء الإقليم السابع في الشمال صوداق[٦] وجزيرة برطانية وقد رسم لكل واحدة عرضاً لم يبلغ به ما يقضيه مكانه من لوح الرسم[٧]، وقد ذكر سعة الأقاليم على نحو ما ذكرناه في أول هذا الفصل ثم قال: وقد رأينا غالب واضعي الكتب المؤلفة في الأطوال والعروض من الزيجات وغيرها لا يحافظون فيها على إثبات الأماكن في مواضعها من الأقاليم، بل يثبتون بعض أماكن الإقليم في الإقليم الآخر، ومن تأمل ذلك وكشفه تحقق صحة ما ذكرناه، انتهى كلامه.

وقد ذكر شارح رسالة حي بن يقظان ما يؤيد ما ذكرناه من عمران ما وراء خط الاستواء بالجانب الشرقي.

وقال: إنه أعدل من الإقليم الرابع، وزعم أنه يتولد هناك الإنسان من [٢٩٦] غير أم ولا أب، وعلل ذلك باعتدال طينتها وصحة هوائها ولم نذكر هذا القول وإن كان باطلاً إلا للاحتجاج

---

(١) الكتاب معروف ومشهور وقد طبع مراراً وهو من مصادرنا في التحقيق.

(٢) (تقويم البلدان: ١٠).

(٣) (تقويم البلدان: ٣٧٤.

(٤) المصدر السابق ويتكرر لباقي المواضع.

(٥) ضبطناها عن (تقويم البلدان: ٣٧٠).

(٦) انظر المصدر السابق الفهرس وأماكن عدة.

(٧) انظر المصدر السابق الفهرس.

بوجود معمور وراء خط الاستواء في الجانب الشرقي لأن هذا الحكيم إنما قدّر إمكان هذا بجزيرة من جزائر الهند وهو مؤكد لما استخرجنا من لوح الرسم مما هو مقدر في العرض بإقليم ونصف من الإقليمين المرسومين في لوح الرسم وراء خط الاستواء بعروض رسمها لهما وعلى مثل هذا قول الملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل صاحب حماة رحمه اللّٰه تعالى ما تقدم ذكره.

وقد ذكر عند رسم عرض كل مكان منه أنه عرض جنوبي يعني مما أخذ من خط الاستواء إلى الجنوب، وقد يقال إن غانه في الجانب الغربي خارجة عن خط الاستواء في الجنوب، ولعل هذا لا يصح فمن تأمل بعد ما بين سجلماسة وما هو على سمتها من غانة وما هو على سمتها ظهر له ذلك لأن سجلماسة وما سامتها في الإقليم الثالث بلا شك ومدى ما بينها وبين غانة وما سامتها لا يتجاوز به غاية الإقليم الأول بل غاية ما يكون على أول الإقليم الأول.

وقال شارح رسالة حي بن يقظان(١): وأما من منع التولد في ما يلي خط الاستواء من جهة الجنوب لشدة الحرارة فقوله مردود بأدلة ظاهرة منها أن الحرارة لا تكون إلا للحركة أو لملاقاة جسم حارّ أو لشدة الضوء والشمس في طبعها ليست بحارة، ولا لها شيء من الكيفيات المزاجية لبساطتها، ولا يقبل الضوء إلا الأجسام الثقيلة والغير والأجسام [٢٩٧] الكثيفة بعدهما.

وأما الأجسام الشفافة فلا تقبله، فتبين من ذلك أن الشمس لا تسخن الأرض كما تسخن الأجسام الحارة أجساماً أخرى تماسها لأنها لا تماس الأرض وليست حارة الطبع ولا الأرض أيضاً تسخن بالحركة لأنها ساكنة بطبعها، ولا الشمس أيضاً تسخن الهواء فتسخن الأرض لأن في وقت الظهيرة تجد الهواء القريب من الأرض أبرد من الهواء البعيد عنها في السطوح العالية فتبين أن تسخين الشمس بالإضاءة المنكوسة لانعكاس الشعاع، وقد قام الدليل على أن البقاع التي على خط الاستواء لاتسامت الشمس رؤوس أهلها سوى مرتين في العام في رأسي الحمل والميزان ويكون جنوبهم ستة أشهر وشمالهم ستة، ويزول عنهم بسرعة فلا يستمر تأثيرها فتسخنهم، وليست كذلك في الآفاق المائلة.

انتهى كلام شارح رسالة حي بن يقظان في ذلك، ونحن قد أوردناه بمعناه إن لم يكن بلفظه لما فيه من إقامة الدليل على إمكان العمارة هناك.

والذي يظهر أن ما وراء خط الاستواء إلى جهة الجنوب يكون بمزاج ما وراءه إلى جهة الشمال، وإنما وقع الاختلاف بينهما في تباين المزاج بأسباب منها أرضية وسماوية.

---

(١) (حي بن يقظان) رسالة أشبه بقصة فلسفية وصفها ابن طفيل يمثل فيها «حَيّ» دور الإنسان الذي يستطيع بقوته العقلية بأنوع اسمى درجات المعرفة... (المنجد: ٢٦٢).

فمن السماوية اختلاف ممر الكواكب على سمت الرأس السيارة والثوابت، واختلاف القطبين.

ومن الأرضية: اختلاف البقاع بالكيفيات في قبول الحرارة من الشمس والترطيب من القمر وغير ذلك مما تستفيده الكيفيات باختلاف أمزجتها فإننا نرى بلدين عرضهما لا يكاد يختلف كبغداد ودمشق، وبغداد أشد حرارة من دمشق وإنما ذلك لأسباب أرضية كما قلنا وقد يكون في جهات أخرى أسباب سماوية وقد يجتمعان.

وأما ما هو من وراء الإقليم السابع فمرئي مشهود وحدث به كثير من التجار والمتجولين في البلاد، وسكانه يسكنون الحمامات أو ما هو شبيه بالحمامات مما يتخذ فيه مواقد النار، ولا يكاد ترى به الشمس لتوالي الأنوار، وكدر الجو بما يركبه من الغمائم والضباب المتراكم المتراكب كالظلمات.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أن المراد بقوله (ومن الأرض مثلهن) هو الأقاليم السبعة ثم اختلف كل الأقاليم [٢٩٨] السبعة هي المقسومة على هذا التقسيم الجغرافي أو ناحية ناحية لأعلى التقسيم الجغرافي، ونحن نبدأ بذكر ما ذهب إليه من قال إنها ناحية ناحية إن لم يكن المرجح لنفرغ منه ونفرغ البال للراجح المعمول عليه، فأما من قال: إنها ناحية ناحية، فقال: الصين وصين الصين وخراسان أرض الهند والسند أرض وفارس والجبال والعراق وجزيرة العرب أرض، والشام وأرمينية وما والاها أرض، ومصر وإفريقية والغرب أرض والحبشة وما والاها أرض، والأندلس وما جاورها من بلاد الجلالقة والأنكبرد أرض، وليس هذا بشيء، ويرد على هذا بلاد كثيرة في الجنوب والشمال وما بين ذلك اللهمَّ إلا أن يجعل محاوره كل أرض محسوبة منها.

وقال بعضهم: بل هي أرض فوق أرض متلاصقة كطبقات البصلة طبقة راكبة على طبقة فقعر أحدها على محدب الآخر متلاصق ملتزم بلا خلاء بينه ولا دليل على ذلك.

وإذا كانت الطبقة راكبة على أخرى من جنسها ومن غير خلاء لم تتميز طبقة من طبقة، والصحيح ما ذهب إليه من قال: إنها أرض فوق أرض متباينة بخلاء كالسموات سماء فوق سماء.

ويدل على ذلك ما رواه البيهقي بسند الثقات عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تدرون ما هذه فوقكم؟**» قالوا؛ اللَّه ورسوله أعلم، قال: «**فإنها الرقيع سَقْفٌ محفوظ ومَوْج مكفوف بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام، وبينها وبين الأخرى مثل ذلك**» حتى عد سبع سماوات، «**وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عامٍ**»، ثم قال: «**فإنها الأرض وبينها وبين التي**

تليها مسيرة خمسمائة عام» حتى عد سبع أرضين **«وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام»**[1].

وروى البيهقي عن الحاكم بسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ: **«ما بين كل سماء إلى التي تليها خمسمائة عام، وللأرض مثل ذلك»**.

وروى الحاكم بإسناد حسن عن ابن عباس قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾، قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحٍ وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى.

وروى الحاكم أيضاً له شاهداً بسند... على البخاري ومسلم عن ابن عباس في قوله ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال في كل أرض نحو إبراهيم.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«كتف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكتف الثانية مثل ذلك»**.

وروى الأزرقي في كتاب أخبار مكة[2] عن مجاهد قال: لقد خلق اللّه موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى.

وقال مجاهد: إن هذا البيت أحد أربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت. وفي كل أرض بيت.. بعضهن مقابل بعض؛ ذكره النووي.

وقال كعب الأحبار أن اللّه خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض، وجعل كتفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، اسناده صالح.

وهذه الأحاديث التي ذكرناها صريحة في ذلك غير قابلة للتأويل ولا سبيل لأحدٍ إلى ردها، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال النبي ﷺ: **«من غضب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضين»**[3].

وقال ﷺ لعائشة: **«يا حميراء أما علمت أن العبد إذا سجد للّه طهر اللّه له موضع سجوده إلى سبع أرضين»**.

---

(١) وردت الفكرة عند ياقوت في (معجم البلدان: ٢٤/١) ثم استشهد الحديث الشريف وذكر رواية بمعاذٍ أخرى.

(٢) ورد نحوه في صحيح البخاري صدر رقم ٣٠٢٣ وانظر غيره.

(٣) وردت في صحيح البخاري.

وقال ﷺ **«من سرق من الأرض شبراً جاء يحمله يوم القيامة على عنقه إلى أسفل الأرض»**[1].

فثبت بذلك كله بالقول الجزم الذي لا تردد فيه أنها أرض فوق أرض لا أنها قسمة الأقاليم لا على قول من قال إنها ناحية ناحية كما ذكرنا ولا على قول من يقول: إنها إقليم إقليم على ما في التقسيم الجغرافي كما نذكره.

فتأكد بما ذكرناه من الأحاديث بطلان ذينك القولين وأن هذه الأرض المدحوة لمشينا عليها الباطشة أقدامنا فوقها بأسرها من المشرق إلى المغرب أرض [٢٩٩] واحدة من السبع أرضين المشار إليها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[2] وحينئذ تكون الأقاليم كلها أجزاء مقسمة من أرض واحدة والله أعلم.

وقد قدمنا القول أن المعمور أقل من الثلث وأكثر من الربع، ورأى الشريف[3] أنه الربع، قال: وهذا الربع المسكون، قسمة العلماء سبعة أقاليم، كل إقليم منها مارّ من الغرب إلى الشرق موازياً لخط الاستواء، وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية موجودة بالعلم النجومي، وهو ممتد في ابتدائه من الغرب عرفاً، وعليه نعمل في التقسيم لأنها في فلك حركته من الغرب إلى الشرق وقد نبهنا عليه.

قال البيهقي: وقد ذكر هذه الأقاليم السبعة وصدورها بالمشرق خير من إعجازها، وأذنابها بالمغرب مقسومة من لدن امتداد خط الاستواء إلى خط ما يقارب الأم المستديرة بالأرض في نهاية العمارة، حيث تسمى الأم هناك جبل قاقوتا.

قسمت سبعة أقاليم بأربعة عشر جزءاً، كل إقليم على جزأين، كل إقليم جزء بنصف إقليم أحد عروضها لتمام ارتفاع الحمل والميزان، كل جزء بخمس درجات، لكل إقليم عشر درجات هي عرض البلاد الواقعة منه، ثم تتفاوت في الزيادة والنقص على مقدار مواقعها منه، تأخذ من قبة أرّين متشاملة.

يبدأ الجزء الأول خمس درجات، ثم يزيد خمساً خمساً إلى أن يكمل في آخر السابع سبعين درجة.

---

(١) (أخبار مكة ـ طبعة أوروبا: ٣/١).

(٢) وتمامها **﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾** [الطلاق: ١٢].

(٣) في (نزهة المشتاق: ٩/١).

وقد ضرب صاحب جغرافيا في لوح الرسم خطاً لعروض الأقاليم، بدأه من قبة أرّين[1] ومدَّه من قبة أرين في الجنوب وراء خط الاستواء [٣٠٠] مقدار إقليمين بأربعة أجزاء، ثم قطعه هناك ولم يتجاوزه، ومده من قبة أرين في الشمال على العمران والخراب متغلغلاً إلى البحر المحيط، فأما ما وراء الاستواء إلى الجنوب من الأجزاء الأربعة المعدودة بإقليمين المشار إليها هنا.

وفيما تقدم من هذا الكتاب فإنه وقعت عمارة بالنصف الشرقي تقريباً في ثلاثة أجزاء منها مقدرة العرض بإقليم ونصف إقليم، لو بسط في النصفين على خط واحدٍ يمر من المشرق إلى المغرب لكان بنصف ذلك، فيكون بنصف وربع إقليم.

وقد عَلَّم صاحب جغرافيا على الأجزاء الأربعة في ذلك الخط لتمام ارتفاع الحمل والميزان فيها ما يذكر:

الجزء الأول المار مع الإقليم الأول في جنوبه ةَ[2] هي خمس درجات.

والجزء الثاني الذي يليه في جنوبه يَ هي عشرة درجات.

والجزء الثالث الذي يليه في جنوبه يَه وهي خمس عشر درجة.

والجزء الرابع الذي يليه في جنوبه كَ وهي عشرون درجة، وذلك المقدر بإقليمين من وراء خط الاستواء، وقطع من هناك الخط.

وأما ما رسمه في الأجزاء من قبة أرين متشاملاً إلى البحر المحيط فهو الواقع فيه مجموع الأقاليم السبعة المقسومة، وبه جل المعمور بل كل المعمور.

وسنبين عروضه التي رسمها صاحب الجغرافيا على خط العروض في لوح الرسم وعدتها من لدن قبة أرين قاطعاً الجبل الأم إلى البحر المحيط ثمانية عشر جزءاً مقدرها تسعة أقاليم، كل جزأين بإقليم.

فمن ذلك الأقاليم السبعة وهي التي رسم مقدار العرض على أجزائها من ةَ إلى عَ وهو من خمس درجات إلى سبعين درجة على ما ذكرناه.

ومن ذلك جزء مقدر بنصف إقليم معمور [٣٠١] يمر مع الإقليم السابع من المشرق إلى المغرب حسبما علم عليه في خط العروض عَه بخمسة وسبعين درجة، ونهاية هذا الجزء جبل الأم المسمى هناك بجبل قاقويا.

---

(١) سبق التعريف بها.

(٢) كما يلاحظ هي بحساب الجمل وتعنى/٥/ حسب أبجد هوز حطي كلمن... حيث الهاء تعادل رقم/٥/.

ومن ذلك وراء خط الجبل في الخراب ثلاثة أجزاء مقدرة بإقليم ونصف كلها خراب منقطعة لا عمارة فيها، وقد علم على أولها الملاصق للجزء المعمور وراء الإقليم السابع **فَ** وهي ثمانون درجة.

وعلم على ثانيها **فَه** وهي خمس وثمانون درجة.

وعلم على ثالثها **صَ** وهي تسعون درجة وبه تم خط العروض.

وإذا أنهينا الكلام في ذلك على الجملة نذكر ما علم عليه في عروض أجزاء والأقاليم السبعة المقسومة على أربعة عشر جزءاً على ما هو بجزء جزء إلى نهايتها، على أنني غير مسلم أن العمارة تبلغ ذلك، وإنما كلامنا على ما صور في لوح الرسم، فنقول وبالله التوفيق:

[تقسيمات الأقاليم باتجاه العرض]

إنه من أول ما قسم الأقاليم السبعة وجزأ أجزاءها، كل جزء بخمس درجات علم عليها في خط العروض ما نبينه، **فأولها** وهو المار مع خط الاستواء من شماليه علم عليه **هَ** بخمس درجات.

وثانيها الذي يليه من شماليه **ي** بعشر درجات.

وثالثها الذي يليه من شماليه **يه** بخمس عشر درجةً.

ورابعها الذي يليه من شماليه **ك** بعشرين درجة.

وخامسها **كه** بخمس وعشرين درجة.

وسادسها **ل** ثلاثين درجة.

وسابعها **له** بخمس وثلاثين درجة.

وثامنها **مَ** بأربعين درجة.

وتاسعها **مَه** بخمس وأربعين درجة من حساب الجمل.

وعاشرها **ن** بخمسين درجة.

وهادي عشرها **نه** بخمسة وخمسين درجة.

وثاني عشرها **سَ** بستين درجة.

وثالث عشرها **سَه** بخمس وستين درجة من حساب [٣٠٢] الجمل.

ورابع عشرها **عَ** بسبعين درجة، وبه تمت الأجزاء الأربعة عشر وهو تمام الأقاليم السبعة المقسومة.

وعلى تقدير التسليم في بلوغ المعمور إلى ذلك في آخر الأقليم السابع فيكون من المفروض الذي لا حقيقة له إذ لا يمكن بلوغ المعمور الممكن سكنه إلى هذا الحد.

[تقسيمات باتجاه الطول]

وأما الطول فقد ضرب صاحب الجغرافيا له خطاً هو المسمى خط الاستواء بدأ به من البحر المحيط في أول المغرب إلى البحر المحيط في آخر المشرق، بدأ به آخذاً على قبة أرين، وبقيت قبة أرين وسط خط ووسط خط العرض، وقسم هذا الطول بأجزاء، كل جزء بخمس درجات هي أول هذا الخط على البحر المحيط في المغرب إلى أن ينتهي في آخر هذا الخط على البحر المحيط بالمشرق إلى مائة وثمانين درجة، علم عليها صاحب الجغرافيا في لوح الرسم قفّ، وذلك نصف ثلاثمائه وستين درجة التي هي مجموع درج الفلك.

تمر الأجزاء المرسومة في خط العروض عليها براً وبحراً من أول ما رسم من غاية الجزأين المقدرين وراء خط الاستواء بأنقص لما تخطفه الدائرة شرقاً وغرباً، حتى يقع خط الاستواء على أطولها خطًّا من المغرب إلى المشرق لم يخطفه الدائرة يضايقها كما خطفت في أطوال الأقاليم شرقاً وغرباً مع ما تخطفه خرجات البحر المحيط في الربع الغربي الآخذ إلى الشمال، فيكون هناك أقصر مدى الخطوط، وليس هذا موضع تحرير مقداره والله أعلم بغيبه.

الإقليم الأول(١)

يأخذ في الغرب من جزيرة بكلوطه المجزرة في المحيط على مجالات الحبشة، على مجالات النّوبة شاقًّا للبحر الهندي إلى مدينة الفضة من الصين في الشرق إلى جزيرة الموق المجزرة في البحر المحيط.

الإقليم الثاني(٢)

يأخذ في الغرب من جزيرة عزطوبا المجزرة في البحر المحيط على زبيد شاقًّا البحر [٣٠٣] الهندي على مدينة صينيا العليا من الصين في الشرق إلى جزيرة قلعة الفضة المجزرة في البحر المحيط.

---

(١) انظر (مناهج الفكر: ٢/٢٣٢) وفيه يذكر أن عرضه من خط الاستواء إلى مقدار ما يبعد عنه عشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة. وانظر بالتفصيل (معجم البلدان: ١/٢٨).

(٢) انظر المصدر السابق وفيه أن عرضه من غاية الاقليم الأول في العرض إلى سبع وعشرين درجة واثنتي عشرة دقيقة. وانظر بالتفصيل (معجم البلدان: ١/٢٩).

الإقليم الثالث[1]

يأخذ في الغرب، يأخذ من «جزيرة قوموس» المجزرة في البحر المحيط على بر العدوة على إفريقية على «برقة» على مصر على أطراف الحجاز والشام شاقًّا القلزم على سجستان وبلاد الهند على الصين إلى جبال النشادر من الصين في الشرق إلى جزيرة العلوية المجزرة في البحر المحيط.

الإقليم الرابع[2]

يأخذ في الغرب، من أول جزائر الخالدات المجزرة في البحر المحيط يشق البحر الشامي، ويدخل في جنوبي الأندلس على صقلية على حلب وبلاد الجبل آخذاً على بخارى في ما وراء النهر على السند على قراقرم إلى صين الصين في الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم الخامس[3]

يأخذ في الغرب من بقايا جزائر الخالدات المجزرة في البحر المحيط على معظم الأندلس على القسطنطينية الكبرى ومدائن الروم على فرغانة وطبرستان على صنم الخطا المحجوج إليه في الشرق إلى البحر المحيط.

الإقليم السادس[4]

يأخذ في الغرب على جزيرة الحجر المجزرة في البحر المحيط على قرم على البلغات على صحارى القفجاق في الشرق على بلاد يأجوج ومأجوج.

الإقليم السابع[5]

يأخذ في الغرب من جزيرة الغنم وجزيرة النساء وجزيرة الرجال وجزيرة مر طليا المجزرات في البحر المحيط على بلاد اللان والأص والجركس والبلار والماجار على بلاد اسحرَّت على بحيرة الشياطين في الشرق إلى طرف سد يأجوج ومأجوج، وبه تمام الأقاليم السبعة، وجميع مدن الأرض داخلها إلا ما شذّ مما هو خارج عنها، مما هو وراء خط الاستواء في الجنوب، وما خرج [٣٠٤] وراء الإقليم السابع من الشمال وإنما المدن مقسمة في هذه الأقاليم على ما وقعت فيه.

---

(١) المصادر السابقة وأيضاً (نزهة المشتاق: ٢١٥/١).

(٢) المصادر السابق وأيضاً (نزهة المشتاق: ٥٢٣/٢).

(٣) المصادر السابقة.

(٤) المصادر السابقة وانظر (نزهة المشتاق: ٨٥٣/٢).

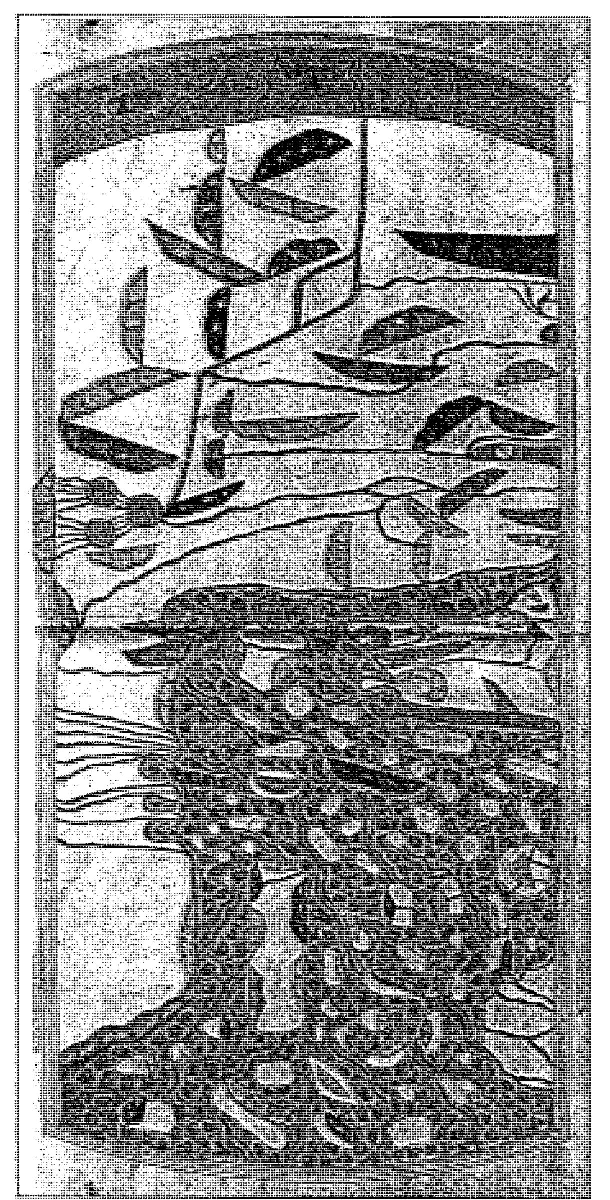
(٥) المصادر السابقة: وانظر (نزهة المشتاق: ٩٤٣/٢).

وقد ذكرنا هذه الأقاليم آخذة من الغرب إلى الشرق على ما رسمه صاحب جعرافيا في لوح الرسم وعلى كل هذا قسم الشريف كتاب أدجار، وإن لم يكن شرط كتابنا في وضعه، ولله غيب السموات والأرض علم الإنسان ما لم يعلم وهو أعلم أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

الفصل الثاني

فيما وقع في الأقاليم من المدن والجزائر العامرة برًّا وبحراً وتصويرها بأشكالها



ونحن نشرع في رسم الأقاليم السبعة إقليماً إقليماً نبدأ بالأول إلى أن نختتم بالسابع، فما شق منه بحراً صورنا من البحر مثدار ما أخذ الإقليم منه، فإن اعترضت به جزيرة........[1] من الإقليم المصور، وبعضها مما وقع قبله أو ثاني بعده صورنا في كل إقليم مقدار ما وقع منها فيه، ولم نسم اسمها إلا حيث وقع معظمها، ولا نذكر من المقدار إلا أشهرها أو ما لا بد لهذا التأليف من ذكره، واللّٰه يهدي، عليه توكلت وإليه أنيب.

وهذه صورة الإقليم الأول.

وهو الآخذ مع خط الاستواء على شماله من البحر المحيط بأقصى الغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق، وعرضه من خمس درجات إلى عشر درجات على ما شرحنا بتفاوت ما بين ذلك عروض الأراضي به على مقدار وقوعها منه [٣٠٥].

---

(١) بياض في الأصل.

[ما وقع في الإقليم الأول من البلاد والجزائر العامرة]

والذي وقع في هذا الإقليم الأول من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه، مما وقع بالبحر الهندي وفروعه الخارجة منه، وما اتصل به من البحر المحيط في الشرق والغرب نذكره.

[بلاد مغزازة الذهب]

وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم بلاد مغزازة الذهب[1]، ومن مدنها مدينة أوليل، وبها الملاحة التي تمد جميع بلاد السودان.

قال الشريف: ولا نعلم ببلاد السودان ملاحة سواها[2].

ومدينة مالي، ومدينة بريس[3]، وينبت على شاطىء النيل بها الأبنوس.

[بلاد لملم]

وبلاد لملم، ومن مدنها مدينة ملك.

[بلاد غانة]

وبلاد غانة، من مدنها مدينة غانة وهي كبيرة مقصودة.

ولما صَنَّفَ الشريف كتابه ذكر أن ملكها من ذرية صالح بن عبد اللَّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[4]، وإسلامها قديم، وهي متصلة ببلاد ونفارة الذهب.

قال الشريف: فما كان على عهده والذي تعلمه أهل المغرب الأقصى علماً يقيناً أن له ـ يعني ملكها ـ في قصره لبنة ذهب[5]، وزنها يكون ثلاثين رطلاً تبرة واحدة، خلقها اللَّه تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك في نارٍ ولا تطرق بآلة، وقد نفذ فيها ثقب، وهي مربط لفرس الملك.

قال: وهي من الأشياء الغريبة التي ليست عند غيره ولا صحت الآلة وهو يفخر بها.

ومن مدن غانة غربيل وتيرقى، وهي مدينة كبيرة، ومراسة وسمغارة[6]، وجزيرة ونقارة[7]،

---

(١) كذا في الأصل، وفي (نزهة المشتاق: ١٧/١) ضبطت كتبت: مقزارة.

(٢) في كتابه (نزهة المشتاق: ١٧/١).

(٣) في المصدر السابق: بريس.

(٤) (نزهة المشتاق: ٢٣/١).

(٥) المصدر السابق.

(٦) ضبطها في (نزهة المشتاق: ٢٥/١): سغمارة.

(٧) ضبطها في المصدر السابق بالراء المهملة بدلاً من الزاء.

محيط بها النيل، وطولها ثلاثمائة ميل، وعرضها مائة وخمسون ميلاً يركبها النيل في زمان زيادته، ويخرج إبلها عنها، فإذا نزل الماء عنها رجع أهلها إليها وحفروا أرضها، واستخرجوا التبر، وسنذكره في مكانه مفصلاً إن شاء اللّه تعالى. [٣٠٩]

[بلاد بغامة]

وبلاد بغامة؛ ومن مدينها: كوغة، ولسان أهلها بالبربرية، وشربهم من عيون يحفرونها، ولهم بصر ثاقب بالأرض التي في باطنها الماء، ويد طولى في أنباطه.

ومدينة كوكو، وهي مشهورة الذكر في بلاد السودان، وهي على نهر يخرج من جهة الشمال فيمر بها، ويقال إنه مما يحد النيل.

قال الشريف[١]: ولملكها بأس وقوة وزيّ كامل، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عوراتهم.

قال: وينبت في أرضها عود الحيّة[٢]، ومن خاصته أنه إذا وضع على جحر الحية خرجت إليه مسرعة، ثم إن ماسك هذا العود يلحقه قوة في نفسه فيأخذ به من الحيات ما شاء من غير أن يدركه شيء من الجزع.

ثم قال: والصحيح عند أهل الغرب الأقصى وأهل وارقلان أن ذلك العود إذا أمسكه ماسك بيده أو علقه في عنقه لم تقربه حية البتة وهذا مشهور وصفته كصفة العاقر قرحاً مفتولاً لكنه أسود اللون.

وقال ابن البيطار فيه: إذا سقي منه نصف درهم شفي من كل سمٍّ حارّ وبارد، يفعل ذلك وحياً، وإذا أمسكه أحد بيده لم يعد عليه شيء من الحيات.

قال: وزعم قوم أن من أمسكه بيده إن وقعت عينه على حية أثبتت ولم تتحرك عن موضعها، فإذا مضغ وثقل في فم الأفعى ماتت وسيأتي ذكره في موضعه إن شاء اللّه تعالى.

---

(١) (نزهة المشتاق: ٢٨/١).

(٢) قال عنه داود الأنطاكي في (التذكرة: ٥٩٥/١): لم تعرف ماهيته. أخضر... مر. حاد، يجلب من البربر والسودان، يقال إنه كالسوسن حار يابس...،.... ويضيف الأنطاكي ما عرف عنه باتجاه سم الحية.
وعود الحية من فصيلة الأبوستيوم أو فصيلة النباتات قاتلة الكلب أو خانقة الكلب. تستخرج منه مادة فعالة على شكل سلورات صفراء تدعى (أوفيوكسيلرغ).

[بلاد كانم]

وبلاد كانم؛ ومن مدنها مدينة جيمي وهي صغيرة تجاور النوبة.

ومدينة زغارة، وقاعدتها مدينة مامانان[1]، بها مسكن ملكها.

[بلاد التاجوين]

وبلاد التاجوين، وهم قوم مجوس لا دين لهم.

[وبلاد النوبة]

وبلاد النوبة، وقاعدتها دنقلة، ومن مدنها مدينة كرشة[2]، ومدينة علوة، [٣١٠]، ومدينة بالق.

[بلاد الحجة وبلاد الحبشة]

وبلاد البجة.

وبلاد الحبشة، ومن أكبر مدنها مدينة جنبثية[3]، وهي مدينة كبيرة متحضرة، لكنها في برية بعيدة من العمارات وهي متصلة بالنهر الذي يمد النيل، وهو يشق بلاد الحبشة، وعليه مدينة مركطة، ومدينة الميجاعة[4].

وزعم الشريف[5]: أن هذا النهر يمر مغرباً مع الشمال حتى يصل إلى أرض النوبة، فيصب هناك في النيل وعليه تزرع بوادي الحبشة زروعهم.

قال الشريف[6]: وقد وهم أكثر المسافرين في هذا النهر حين قالوا إنه النيل وذلك لما رأوا مشابهته للنيل في زيادته، ونقصد أوقات زيادة النيل ونقصه.

وقال: إن هذا ذكره بطليموس الأفلوذي في كتابه المسمى بالجغرافيا.

ومن مدنها مدينة زالغ ومدينة منقونة وأقنت، وأظنها أوقات ومدينة باقطي[7].

---

(١) كذا في الأصل وفي (نزهة المشتاق: ١/٢٩): مدينة مانان.

(٢) والمصدر السابق: كوشة.

(٣) كذا في الأصل وفي (نزهة المشتاق: ١/ ٤٢ــ ٤٣ــ ٤٤): جنبيته.

(٤) كذا في الأصل وفي (نزهة المشتاق: ١/٣٢): النجاعة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) ضبطنا الأسماء في المصدر السابق: ١/٤٣.

قال الشريف(١): والمنجاعة في برية وشرب أهلها من الآبار، وماؤها يجف في أكثر الأوقات حتى لا يوجد، وبها معادن الذهب والفضة في جبل مورين، ولهذا يقطنها القاطن.

قال الشريف(٢) وبين هذا المعدن وبين أسوان نحو خمسة عشر يوماً.

[بلاد البربر وصعيد مصر]

وبلاد البربر وأعلى صعيد مصر وبه معدن الزمرد.

وبلاد اليمن

ومن مدنها: مدينة صنعاء ومدينة زبيد، ومدينة المهجم، ومدينة برباط، وأرض حضرموت وشبام وأرض وتهامة.

وبلاد عاد، وبالبحر الهندي من اليمن جزيرة سقطرى، وإليها ينسب الصبر السقطري، وأهلها يونان لا يعرف اليوم يونان على صحةٍ سوى اسم لأن أرسطو أشار على الإسكندر بإجلاء أهلها [٣١١]، والسكان طائفة من اليونان بها الحفظ الصبر لعظيم منفقته.

قال الشريف: وهي محسوبة من اليمن.

[أرض الزنج]

وأرض الزنج، ومن مدنهم مدينة بروّة، وأهلها كفرة لا يعتقدون شيئاً، ومآكلهم خبيثة كالأحناش والضفادع والفئران والورل وأم حبين وغير ذلك، ومن مدنهم مدينة ملندة، وأهلها سحرة يصيدون بالسحر، ويسحرون الحيوان الضاري حتى لا يضر إلا من أرادوا ضرّه والاساد والنمور لا تعدو عليهم لسحرهم، واسم الساحر بلغتهم المقنقان.

ومن مدنهم منيسة، وأهلها يستخرجون الحديد، ولهم كلاب حمر يغلبن على السباع ويصدن النمور، وبها يسكن ملك الزنج.

ومدينة البتابس وهي كالقرية، وأهلها يعبدون الرحيم وهو طبل كبير مجلد من وجه واحد يربطون به بربطاً، يخدمونه فيصوت صوتاً هائلاً يسمع على نحو ثلاثة أميال.

وللعرب في قلوب الزنج مهابة، فإذا رأوا أعرابياً سواء كان تاجراً أو غيره سجدوا له وسارعوا إلى نجازه وقضاء إربه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

[الجزر الواقعة في البحر الهندي]

وسنذكر ما وقع من هذا الإقليم من الجزر بالبحر الهندي، فمن ذلك ما وقع في القلزم الخارج منه، فمن ذلك جزيرة كمران، وجزيرة دهلك، وجزيرة سواكن، وليس بها مملكة مشهورة ولا متاجر مذكورة، وكل أهلها مسلمون قائمون بالإسلام، ويجلب منها إلى مصر أغنام حسان يعتنى بها للفرجة لا للأكل والنتاج.

وكان له ملك ذكر زمان أبي السداد مالك بن أبي الفياض، وكان يميل إلى الإنشاء والإنشاد، وهو الذي قصده الأعز بن قلاقس ومدحه بقصيدة منها: [٣٧٢] [الطويل]

كأنا وأفواه الفجاج تمّجنا ... إلى مالكٍ من كل أرض مألك[١]

هو البحر يسَتمطي البحار ركائباً ... إليه وتستجري الرياحُ السواهكُ

فإن أحي إن حيّيت غُرَّة وجهه ... فكم قلتُ إني دونَ ذلك هالكُ

إليك زففنا مُحصناتٍ من الثَنا ... وكم رجعَتْ حاشاكَ وهي فواركُ

إذا خُدمت بالشكر أبواب[٢] مالك ... شدَت يده إني لمالك مالِكُ

وقال في أبيه من أخرى وقد انتصر على أبي حزبة وهو خارجي خرج عليه واستنصر بنصارى الحبشة فكسره ابن أبي السداد: [البسيط]

اللَّه أعطاكَ في أعدائكَ الظَّفَرا ... فلم تُبقِ لهم ناباً ولا ظُفُرا

قلّدتَهُم مننَاً حتى إذا عِجَزتْ ... عنها رقابُهُم قلدتهم بُتُرا

سَرَوا إليك فلما أصبحوا حكَمت ... بيض الظُّبى أنهم لا يحمَدون سُرى

جاؤوا صفَوف قراعٍ فانتقمت وما ... أبرَّ جودك لو جاؤوا ضيوفَ قِرى

جعلَتهُم جُزُراً للطير حين أبَوْا ... أن يطلبوا بلسانِ الطاعةِ الجُزُرا

يسعى أبو حربةٍ في رُتبةٍ منعَتْ ... فلو أبو ألفِ رمحٍ رامَها قُهِرا

وتستخفُ أمانية مُبَيَّتَةً حتى ... يرومَ ثريا الأفقِ وهو ثَرى

حتى انتحاه أبو الغياضِ منتحياً[٣] ... كالعَضْبِ ما مسّ من أطرافه بترا

جَنى فلما أراه الفتحُ غايته ... ولى وأهدى إليك الرأسَ معتذِرا

---

(١) في الديوان: مسالك.

(٢) في الديوان: عرصة.

(٣) في الديوان: منصلتاً.

فليَهْنِك الفتْح مُخْضراً جوانبُه ... تكاد تقطِفُ من أثنِائه الزهرا
سلمتَ إذ سرتَ بالإسلام معتَصِماً ... وخاب إذا بالنصارى جاءَ مُنتصرا

وقال فيه من أخرى: [٣١٣] [البسيط]

وفاض لي من أبي الفياض بَحْرٌ فدىً ... أتى سحاباً من المعروف سَحَّابا
غَضَنْفَر لا يزال الماضِيانِ له ... إن حادِث الدَّهر بات الظُّفْرَ والنابا
نَهَّابُ أعدائِهِ وهابُ أُنْعمهِ ... أَحْسِنْ بحاليهِ نَهَّاباً وَوَهَّابا
أتت إليه بنات الفكر قاصدة ... وكم أبت قبل خطاراً وخطابا
تَوَقَّدت فلو أن الدهر[1] ينشدها ... في شهر كانوَن ظنُّوا آب قَدْ آبَا

وأما سواكن[2] ففيها الشريف زيد بن أبي نُمي الإدريسي الحسني في طاعة صاحب مصر، وسيأتي ذكره هناك.

[من الجزر الواقعة في البحر الهندي]

وأما ما وقع في البحر الهندي فسنذكره، فمن ذلك:

[جزائر الزانج]

جزائر الزانج[3]، يقال إن تكسيرها ألف ميل ومئتا ميل ذات زرع خصبٍ وضرع وماء كثير، وبها مغائص اللؤلؤ وأفاوية الطيب، وبها جبل يسمى وبرة يأوي إليه عبادها.

[بلاد سفالة الذهب]

وبلاد سفالة الذهب، ومن مدنها مدينة بنهنة[4] ويتصل بذلك جزر فيها الشجر وفي البحر المجزرة به يوجد العنبر الكثير الطيب الرائحة.

قال الشريف، وقد توجد فيها العنبرة من قنطار وأكثر وأقل.

قال[5]: وهو شيء تقذف به عيون في قعر البحر مثل ما تقدف عيون هيت بالنفط، فإذا اشتد هيجان الريح رمى به إلى الساحل.

---

(١) في الديوان: المرء.
(٢) انظر (نزهة المشتاق: ١/١٠).
(٣) في (المصدر السابق: ١/٦١): الزانج.
(٤) ضبطناها عن المصدر السابق.
(٥) (نزهة المشتاق: ١/٦٦).

قال: وقد وهم فيه بعض الناس حتى ظنه رجيع دابة، وليس هو إلا ما ذكرناه.

وذكر أن هارون الرشيد[1] بعث قوماً إلى اليمن ليبحثوا على العنبر ما هو على الحقيقة، فأخبر أهل عدن وسومة أنه شيء تقذف به عيون في قعر البحر فيسوقه الموج إلى الساحل صغيراً وكبيراً.

[جزيرتا خرتان ومرتان][2]

وجزيرتا خرتان ومرتان، وبهما ينبت اللبان.

قال الشريف: وأهلها [٣١٤] يتكلمون بألسنة عادية قديمة.

[وجزر الهند واعظمها سرنديب][3]

ثم جزر الهند وهي ما لا تحصى كثرة، ومن أجلها سرنديب، وبها جبل الراهون.

ومن مدنها: مرقايا[4]، وقدرينه، وماخولون، وفرسقوري، وأول جزيرة القمر وفيما خرج عن خط الاستواء معظمها وبه مدنها وأنهارها.

وجزيرة الرامي[5] وطولها فيما يذكر سبعمائة فرسخ، وبها زروع ومعادن وطيب، وبها الكركدن وهو دون الفيل وفوق الجاموس في عنقه عوج كعنق الحمل لكنه بخلاف اعوجاج الحمل، ورأسه فيما يلي يديه، وله قرن في وسط جبهته، وفيما يذكر له أنه يوجد في بعض هذه القرون إذا شقت صورة إنسان أو صورة طائر أو غيره من الصور التي توجد فيه من أوله إلى آخره، ويصنع منه نصب سكاكين الموائد، فإذا وضع الطعام وكان به سم عرق ذلك النصاب، فعلم أن ذلك الطعام مسموم.

وقال الشريف[6]: وجزيرة الرامي طيبة الربى، معتدلة الهواء، عذبة الماء، فيها عدة[7] بلاد وقرى ومعاقل.

---

(١) ذكرها الشريف نقلاً عن كتاب (الصيب) لإبراهيم بن المهدي.

(٢) (نزهة المشتاق: ١/٦٣).

(٣) (نزهة المشتاق: ١/٧٣).

(٤) ضبطنا أسماء المدن عن المصدر السابق.

(٥) قال عنها في (نزهة المشتاق: ١/١٥): مدينة الهند.

(٦) (نزهة المشتاق: ١/٧٦).

(٧) في المصدر السابق: أعداد.

[من الجزر أيضاً]

وجزيرة كولي، **وجزيرة الدبيل** ومدينتها **بشكار**، وجزيرة **مابط**، **وجزيرة تنومة**، **وجزيرة سلاهط**، وجزيرة تاقمار، وكلها بها منابت العود وأغلاها قيمة الصنفي[1].

[مملكة قمار]

وأما قمار فمملكة جليلة تعد في الممالك الكبار.

[جزيرة شومة]

وجزيرة **سومة**: وبها زروع وحبوب عطين وأنواع من الطيور المأكولة التي لا توجد بالهند إلا فيها:

[جزيرة عاشورا]

وجزيرة عاشورا المقابلة **للوقين** فرضة الصين إلى الهند.

[جزيرة السيلا والسيلان]

وجزائر **السيلا والسيلان**، ويقال من دخل السيلا استوطنها، ولم يرد الخروج منها لطيب شرابها وكثرة خيراتها، وبها معادن الذهب [٢١٥] التي لا توجد في مكان أكثر مما هي به.

قال الشريف[2]: حتى يتخذ أهلها منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم.

قلت: وقد ذكر بيبرس الدوادار المنصوري في تاريخه المسمى «زبدة الفكرة»[3] أنه وصل في سنة اثنتين وثمانين وستمائة رسول بونكتا صاحب سيلان إلى الباب المنصوري قلاوون، واسمه الحاج سابور عثمان بكتاب منه في حق ذهب لم يوجد من يقرأه، وإنما أخبر الرسول محضره أنه يتضمن طلب المودة، وأنه يجهز كل سنة عشرين مركب مرايا.

وقال: إن له سبعة وعشرين قلعة خزائنها مملوءة جواهر وياقوت والمغاصات عنده، وكلما يحصل منها فهو له، وهذا ملخص ما ذكره.

---

(١) ضبطنا أسماء الجزر عن المصدر السابق: ٨٢/١.

(٢) نزهة المشتاق: ٩٢/١).

(٣) (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) كتاب ألفه الأمير بيبرس ركن الدين المنصوري المتوفى عام ٧٢٥ وهو تاريخ كبير مرتب على السنين ويقع في أحد عشر مجلد. قال العيني: استعان بكاتبه ابن كبير النصراني وانتهى إلى سنة ٧٢٤هـ. (كشف الظنون: ٩٥٢/٢).

[جزائر الواق واق]

ثم جزائر الواق واق، ودونها ينعطف البحر، فتحاذي الصين ويكون البحر هناك أصعب ما يكون، ثم يقع به جزيرة الموجة أم جزائر الصين، وأهلها بيض، ونساؤهم أجمل نساء الأمم ذوات شعور طوال، وبها خيل كثيرة يقاتلون عليها من عاداهم، ويوجد عندهم دابة المسك ودابة الزباد وتنتهي هناك إلى البحر المحيط.

[جزائر الخالدات ومدن أخرى]

ويقع فما يحاذيه من بر الصين مما هو في الإقليم الأول مدينة خانقوه ومدينة كوابله، ومدينة شنلا، ومدينة مانطو، ثم جزائر الخالدات بالبحر المحيط وبه تم الإقليم الأول ولله الحمد والمنة. [٣٦١]

وهذه صورة الإقليم الثاني وهو الآخذ مع الإقليم الأول على شماليه من البحر المحيط بأقصى الغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق:

[البلاد والجزائر الواقعة في الإقليم الثاني]

والذي وقع في هذا الإقليم الثاني من البلاد والجزائر العامرة مما اشتهر اسمه مما وقع بالبحر الهندي وفرعيه الخارجين منه، وهما القلزم والفارسي وما اتصل به من البحر المحيط في الشرق ما يذكر.

[من جزر بحر الظلمات]

وأول ما نبدأ من الغربي على حكم الأقاليم[١]، وبه في مبدأيه من المحيط جزيرة مسفهان وجزية دموس[٢] من الخالدات.

وبجزيرة مسفهان جبل مرور[٣]، حكى صاحب العجائب أن عليه صنماً من نحاس أحمر، بناه أسعد أبو كرب الحميري، وهو تبّع الأكبر، أحد الثلاثة الذين ملكوا الأرض، كأنه يشير إلى من بلغه بأن لا مسلك وراءه.

وذكر أن بجزيرة دموس صنماً وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه.

قال: وفيها مات بانيه تبّع ذو المراثد وهناك قبره في هيكل مبنيّ من المرمر والزجاج الملون.

وبساحل المحيط بها حجر البهت[٤] يباع بقيمة غالية، لأنه مشهور عند أهل المغرب الأقصى أنه ما أمسكه أحد بيده وسار في حاجة إلا قضيت، وهو عندهم جيد في عقد الألسنة، وربما أنه يسمى في وقتنا حجر البلاّرج، وهو طائر طويل الرجلين، ويقول له أهل المغرب الأقصى أبو الشقشاق يحمل هذا الحجر ويلقيه بأعشاشه، فيؤخذ منها وهو عسرٌ قليل، ويختبر بأن يلقى في قدر يغلي ماؤه فإذا ألقي بها سكن الغليان، قال لي من رآه: إنه قدر البندقة الكبيرة جداً شديد الاستدارة، لونه به نمش بياض يضرب إلى الزرقة قليلاً.

ويوجد بهذا الساحل أحجار كثيرة ذات ألوان شتّى وصفات مختلفة يتنافسون في أثمانها، ويذكرون أنها تتصرف في أنواع العلاجات الطبية بالخاصية، ومن ذلك ما يعلق على الثدي الوجع فيبرأ مسرعاً، وما [٣٢٣] يعلق على الحامل فتسرع الوضع ولهم على بعضها رقى مشهورة في قوم معروفين هناك بها.

---

(١) كما هو معروف ودعاه أيضاً بذلك الإدريسي في (نزهة المشتاق: ١٠٣/١).

(٢) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: لغوس.

(٣) في الأصل (مدمد) صوبناها عن المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ١٠٤/١).

[بقية البلدان الواقعة في هذا الإقليم]

ويقع في هذا الإقليم تتمة بلاد مغزارة[1]، وماؤها قليل وسالكها عزيز.

[أرض قمنورية]

وأرض **قمنورية**، كان بها من السودان أمة تزعم أنها يهود ولا ملك لهم ولا ملك عليهم، ودينهم مدخول وأكثر حربهم من جاورهم، فخلاّها بأغالب أهلها وتفرقوا في البلاد، وبها جبل يسمى جبل مانان[2] يتصل بالمحيط ولا يبارى علوه، يقال إن السحاب تمطر دونه، وترابه أحمر، وفيه أحجار لماعة لا يكاد يثبت الناظر نظره فيها لكثرة شعاعها وبريق حمرتها، وفي أسفله ينابيع يحمل السّفار الماء منها.

وبها معظم بلاد غانة ومجال قبائل **لمطة** وأرض **فزان**، ومدينتا باجرما الكبرى وباجرما الصغرى، وبها معدن فضة في جبلها المسمى هناك **جبل جرجيس**.

ومجال مدرارة وبلاد زغاوة[3]، وبها من المدن مدينة **شغوة** ومدينة **شامة**، وبهما قوم رحّالة من البربر، داخلوا زغاوة حتى صاروا كأنهم منهم، وزغاوة تأكل الأحناش وهي جل أغذيتهم.

قال الشريف[4]: ولولا أكل الأحناش لتقطعوا جذاماً، وجبلهم ترابه أبيض وبه كهف لا يقربه أحد إلا هلك.

ويقال إن به ثعباناً عظيماً يلتقم من تعرض مكانه ويقاربهم أهل أزقار.

قال الشريف: وفيما يذكره أهل المغرب الأقصى أنهم أعلم الناس بالخط المنسوب إلى دانيال النبي ﷺ.

قال: وليس ببلاد البربر أعلم بهذا الخط من أهل أزقار[5]، وذلك أن الرجل منهم صغيراً كان أو كبيراً إذا ضلَّت له [٣٢٤] ضالة أو سرق له مال خطَّ لها في الرمل، فعرف مكان ضالته أو آخذ ماله لا يخطئه.

قال: ولقد أخبر بعض المخبرين أنه رأى رجلاً من هذه القبيلة في مدينة سجلماسة، قال:

---

(١) سماها في (المصدر السابق: ١/١٠٥) أرض مقزارة السودان.

(٢) ضبطنا الاسم عن (نزهة المشتاق: ١/١٠٦).

(٣) بدأ بسرد المناطق في الجزء الثاني من الإقليم الثاني كما ورد في المصدر السابق.

(٤) (المصدر السابق: ١/١١٠).

(٥) (نزهة المشتاق: ١/١١٣).

فأردت اختباره، فجالسته وقد خبأت له خبيئة بحيث لا تعرف، فخط لها خطًا وقصد موضعها واستخرجها، وأعيد ذلك عليه ثانياً فاستخرجها، ثم أعيد ثالثاً فاستخرجها.

قال: وهو شيء عجيب في قوتهم على هذا العلم على كثرة جهلهم وغلظ طبعهم[١].

[أرض كوار]

وأرض **كوّار**[٢] يخرج منها الشَّب، ومن مدائنها **مدينة الفضة**، **ومدينة قصر أم عيسى**، ومدينة **أنكلاس**، وهي أكبر مدنها، ومدينة ابرزر وبقية من بلاد تاجرين، وغالبها وقع في الإقليم الأول، وأهلها همج لا يعتقدون شيئاً، وأهلها رحالة.

ووقع من بلادهم في هذا الإقليم الثاني جبل **مقوّر** أغبر، فيه عروق ترابية لينة تنفع من وجع العين الرَّمدة.

وبلاد **الواحات الداخلة والخارجة**، والخارجة اليوم لا أنيس بها. **ومساكن بني هلال**، وقطعة كبيرة من صعيد مصر من أول أسنا وأرمنت إلى آخر هرّوط[٣].

وأم مدنها **قوص**، ومدينة **عيذاب**[٤] على ساحل القلزم الغربي، وبه **جزيرة النعمان**، **وجزيرة السامرة**، كلاهما هناك بالقلزم.

[بلاد الحجاز][٥]

ثم على ساحله الشرقي مكة والمدينة زادها اللّه شرفاً وتعظيماً.

وبلاد الحجاز ممتدة من حلى بن يعقوب في الجنوب إلى مدينة أجار في الشمال آخذة من جزيرة العرب في الجنوب على منازل سعد وهذيل إلى مدينتي جرش وكبشة.

وفي الشمال إلى «**معدن النقرة**» مجتمع حجّاج البصرة إلى **سلمية** مدينة هناك [٣٢٥].

[بلاد نجد]

وبلاد **نجد**، وموقعها ما بين الحجاز وبين مدينة هجر **ورامه**، وتقع عكاظ بينها وبين منازل سعد وهذيل وشمالي نجد.

---

(١) بذلك انتهى الجزء الثاني من الإقليم الثاني كما ورد عند الإدريسي في المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ١١٦/١.

(٣) انتهى الجزء الثالث وبدأ الرابع.

(٤) انظر (نزهة المشتاق: ١٣٤/١).

(٥) (المصدر السابق: ١٣٩/١).

[بلاد اليمامة]

بلاد اليمامة، وآخرها في الشمال برقة ضاحك على الساحل الغربي من بحر فارس، وشرقي بلاد عمان.

[بلاد عمان]

ومن مدنها[1] **سعال وعفر ومنح**.

[بلاد الشحر]

وفي جنوبي أرض عمان بلاد **الشحر**، وقد يقع بعضها في الإقليم الأول فيها قبائل من مهرة، وهم عرب صحيح نسبهم كلامهم بالحميرية القديمة ولهم كرائم الإبل التي لا يعد لها شيء في سرعة جريها، ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت، ومن غريب ما يقال أنها تفهم الكلام وتعلم ما يراد منها بأقل تأديب تؤدب به.

[بلاد حضرموت]

وفي جنوبها بلاد حضرموت، وبها مدينتا شبام وتريم[2]، فأما **تريم** فمدينة قديمة الذكر، وأما **شبام** فهو حصن منيع جامع بأهله في قنة جبل منيف منيع يعرف هناك بجبل شبام لا يرتقى إلى أعلاه إلا بعد جهد جهيد، وفي أعلاه قرى كثيرة ومزارع كثيرة، ومياه جارية، وغلات ونخل وخصب زائد، ويوجد به أحجار العقيق وأحجار الجمست وأحجار الجزع توجد مغشَّاة بالتراب، ولا يعرفها إلا طالبها بعلاماتها، فتؤخذ وتعمل فإذا صقلت ظهر حسنها.

ويحكى أنها في أودية حصاها[3] ألوان العقيق والجمست والجزع بعضها.

[مدن ساحل الخليج العربي]

والساحل الغربي من البحر الفارسي حيث مرَّ على مشاريق اليمن وعلى ساحله من المدن ما نذكره من الشمال ممتداً إلى الجنوب على غربيه.

وهي: **الدارة وصلفاوه والحمل وأدما**[4] **والسقط وصحار وقلهات وصور**، وهي

---

(١) طبعنا الأسماء عن (المصدر السابق: ١/١٥٧).

(٢) لا زالتا معروفتان بهذا الاسم.

(٣) كذا في الأصل وفي (نزهة المشتاق: ١/١٥٤): وردت العبارة على النحو: في أودية محصاة وحصاها ملون بأنواع من الألوان الحسنة.....

(٤) في (نزهة المشتاق: ١/١٥٦): دما.

نهاية ما وقع في الجنوب على الساحل الغربي من هذا البحر الفارسي، فيها [٣٢٦] خيرات كثيرة وفواكه حسان ونخل وموز ورمان وسفرجل.

ثم بعد صور لا يقع في الإقليم الثاني إلا بحر ملجج، ثم يمر على أطراف برية كرمان إلى أن يتصل ببلاد السند.

[مدن ساحل المحيط الهندي]

ويقع هناك على ساحله الشرقي من المدن ما نذكره من الشمال إلى الجنوب كما ذكر آنفاً المدن الواقعة في ساحله الغربي وهي:

التيرة(١) و«**كيه**»(٢) و«**قذالى**»(٣) و«**منجاري**»(٤) آخذة هذه المدن على معادن السند إلى مدينة الديبل أول بلاد الهند.

ووقع هذا البحر الفارسي مجموعه في الإقليم الثاني لم يبق سواه.

[من جزائر البحر الفارسي]

ووقع به من الجزائر(٥): **جزيرة أرون وجزيرة جبر، وجزيرة كيش** وهي جزيرة كبيرة وكانت في القديم دار ملك يخاف من جاورها بأس ملكها وقوة سلطانها.

ذكر الشريف: أنها جزيرة مربعة طول اثني عشر ميلاً في عرض اثني عشر ميلاً، وكان ملكها يغزو جزائر الرابخ، ويصل إلى جزيرة قمار فكانت أهل الهند يواسونه بالمراكب المسماة بالمسفيات(٦).

قال: وهذه المسفيات يكون طول المركب منها طول الغراب الكامل من عودٍ واحدٍ يخذف فيه مائتا رجل.

قال الشريف: وأخبرني مخبر وقت هذا التأليف يعني وقت تأليفه أن عند صاحب كيش من

---

(١) كذا رسمها وفي (نزهة المشتاق: ١٦٦/١) كيز.

(٢) (نزهة المشتاق: ١٦٦/١) اعدها من الجزء السابع عن الإقليم الثاني.

(٣) في المصدر السابق: قنبلي.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) (نزهة المشتاق: ١٥٧/١).

(٧) في المصدر السابق: المشعيان.

هذه المراكب المسفيات خمسون مركباً كل واحدٍ من قطعة واحدةٍ سوى ما عنده من بقية المراكب الملفَّقة.

وبكيش زروع وكروم وأبقار وأغنام، وبها مغائص اللؤلؤ الحية.

قلت: وهذه الجزيرة هي المسماة الآن بقيس.

وذكر الشريف[1]: أنه في ساحل هذا البحر الفارسي في ساحله الغربي قريب مدينة مسقط مغائص اللؤلؤ في [٣٢٧] قريتين هناك قرب الجبل الغائص في البحر، قال: إنه يظهر منه القليل في بعض الأماكن ويغيب في بعضها، فتفرغ المراكب دونه لتخف عند جوازه حتى لا ترسب بالنقل في الماء فيجلس عليه أو تدق بشعبه فتكسر وتنقل الأمتعة في البر حتى يتجاوز موضعه ثم توسق.

[من جزر البحر الفارسي]

وكذلك ما وقع في البحر الفارسي من الجزر في أوله عند مخرجه من البحر الهندي جزيرة **ماره**، ثم يمر هذا الإقليم آخذاً في البر والبحر ببلاد السند والهند بأطراف كرمان في جنوبها وما جاوره من بسيط البر.

[مدن السند]

مدن السند **المنصورة**[2] وهي المسماة بالهندية ياهومان[3] **والبلتان** وهو الملتان[4]، **والبيرون**[5] **ويونانية وأتري وسدوسان والجندور، وميجابري وسهك**[6].

[المنصورة]

والمنصورة مدينة كبيرة جليلة، بناها أبو جعفر المنصور، وكانت الملوك القرشيون بالسند تسكنها، وبناؤها بالآجر واللبن والجص، ويحيط نهر مهران بها وبفسحٍ من ظاهرها، وبها خلق كثير مياسير لهم ماشية كثيرة، وليس بها من الفواكه إلا قصب السكر ونوع من التمر على قدر التفاح يسمى البيبويه، شديدة الحمض وفاكهة أخرى تشبه الخوخ، ويقاربه في الطعم يسمى الأبنح، ويجلب إليها الفواكه.

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/١٥٧).

(٢) (المصدر السابق: ١٦٨).

(٣) كذا في الأصل. وفي المصدر السابق: بامريان.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في المصدر السابق: ١/١٦٩: النيرون.

(٦) في المصدر السابق: بسمد.

[مدينة الملتان]

ومدينة الملتان[1] القديمة مدينة كبيرة جليلة، من أقدم مدن السند وأظهرها ذكراً في الآفاق تجاور حدود الهند، وكانت قبل الإسلام بيت معظّم عندهم، ولها حصن منيع له أربعة أبواب، وبخارجها خندق محفور، ونعمها كبيرة وأسعارها رخيصة، ولأهلها أموال طائلة، ولما فتحها محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج، أصاب بها أربعين بهاراً من الذهب والبهار ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون منّاً، وجدها كلها في بيتٍ فسميت [٣٢٨] فرخ بيت الذهب والفرخ البهار.

[نهر الملتان]

والملتان نهر صغير تدور عليه أرجاؤها، وتسقى به مزارعها، ثم يصب في نهر مهران السند، وقد نقل الملك المؤيد[2] صاحب حماه أنها من الرابع، وسأذكر ذلك عند مملكة الهند إن شاء اللّٰه تعالى، ونقلته أيضاً عن غيره ولم استثبت ما أجزم به.

[البيرون]

وأما مدينة **البيرون** فلها حصن حصين وقليل أشجار وأهلها مياسير.

[بانية]

وأما مدينة **بانية فهي** صغيرة كثيرة النعم رخيصة الأسعار، وأهلها أهل رفاهية.

وبقية مدن السند من هذه النسبة، والذي ذكرناه أعيانها.

[مدينة قالرى]

ومدينة قاكرى[3] على نهر مهران، وهي محدقة بالأشجار، محصنة، محاسنها ظاهرة وخيراتها وافرة.

[إقليم مكران]

وإقليم مكران فيه مدن عامرة بالناس والتجار، ومن مدنه[4]:

---

(١) انظر المصدر السابق وبتوسع.

(٢) انظر (تقويم البلدان: ٣٥٠ـ ٣٥١) وفيه الإقليم الثالث.

(٣) المصدر السابق: ٣٤٨.

(٤) انظر (تقويم البلدان: ٣٤٧).

(٥) (نزهة المشتاق: ١/١٧).

مدينة **به** ومدينة بند ومدينة **قصرقند** ومدينة **أصقفة** ومدينة **فلهفرة**[1] ومدينة **مشكن** ومدينة **التيز** ومدينة **البلبين**[2]، وأكبر مدنها مدينة **كيز** وهي تقارب الملتان في مقدارها، وبها نخيل كبير ومزارع متصلة وأسعار موافقة وتجارات كثيرة، وبلادها خير من بلاد أعمالها.

قال الشريف[3]: وكل هذه بلاد متصلة ونواحٍ متسعة عريضة، والغالب عليها القحط.

[إقليم الطويران]

وإقليم الطويران، وهو مما يلي كرمان، وهو وادٍ به مياه جارية وقرى ومزارع ممتدة، وفي أرضه قوم رحالة ما بين حدود الطويران ومكران والملتان ومدن المنصورة وهم كالبادية، لهم أخصاص وآجام يأوون إليها ومطائح مياه يعيشون فيها، وهي في غربي نهر مهران ولهم إبل فار به حسنة، وبها ينتج القارح، وهي إبلٌ رغب فيها أهل خراسان [٣٢٩] وغيرهم من أهل فارس وأشباهها لنتاج البخت البلخية والنوق السمرقندية لخلقها الحسن ذوات السنامين.

ومدينة **مامه**[4] وقوم يحسونها من السند، وهي على رأس مفازة بينها وبين كنباته لا تسلك، وفي أطرافها قوم رحالة يعرفون بالمند[5] ينتجعون أطراف هذه المفازة لتسويمهم من الإبل والغنم.

ومدينة الرور[6] وهي أم أعمال حفيلة عامرة الأسواق نافقة التجارات وأهلها في رفاهية وخفض عيش.

وشروسان[7] ومدينتها هذه جليلة المقدار كثيرة العيون والأنهار، أسعارها رخية ونعمها ممكنة، ولإبلها كفاف مال، والقاصد إليها كثير.

ومدينة منجابري وهي أم أعمال وهي في وطأة من الأرض حسنة البناء فسيحة الأرجاء، ولها مزارع وبها جنات.

ومدينة الخرز[8]، وهي مدينة صغيرة عامرة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ضبطناها عن (نزهة المشتاق: ١٧٢/١).
(٣) المصدر السابق: ١٧٢/١).
(٤) في (نزهة المشتاق: ١٨١/١): ما مهل.
(٥) في المصدر السابق: ١٧٨/٢: سماهم البدهة.
(٦) انظر (نزهة المشتاق: ١٧١/١).
(٧) (المصدر السابق: ٧١/١).
(٨) لعلها (الحور) كما في المصدر السابق: ١٧٢/١.

[إقليم الراهون وإقليم كيلوان]

وبهما زروع كثيرة ومكاسب جليلة وثمارها قليلة، وإنما عمدة أهلها على المواشي من الأبقار والأغنام.

ومدينة أرمايل[١]، وهي مدينة كبيرة، وبها عمارة ضخمة وحدائق ومتنزهات وأهلها مياسير.

ومدينة **قنبلي**، وهي تماثلها في القدر واتساع المال والحال، وهي على البحر، ويشرب أهلها من عيون وآبار.

ومدينة **دوك**، وهي مدينة جليلة كبيرة بها تجارات كثيرة وبضائع كافية وأقاليم متصلة وفي جنوبها جبل الملح، وما يسمى بهذا إلا لأن مياهه مالح، وبه عمارات وقرى وأعمال.

ومدينة **راشك**[٢]، وهي قاعدة جليلة، ولها إقليمان، أحدهما **الخروج**، والثاني **كريكايان**، ويعرف بأبيل [٣٣٠] وبها وببلادها زروع كثيرة وقصب السكر كبير جداً، ويعمل بها السكّر والفانيد، ويحمل إلى البلاد.

[إقليم قصران]

وهو إقليم جليل ذو أعمال، فيه قصب سكر كبير يعمل منه السكر والفانيد.

ثم مدينة **الدبيل**، مدينة جليلة أكثر بنائها بالطين والجبس، وهي حربة الأرض قليلة الخصب قليلة النبات، لا نخل لها ولا شجر، وإنما سكنها أهلها لأنها فرضة السند، وهي مدخلها إلى الهند.

وبلاد الفدية وأمها **قندابيل**، ولها غلات وزروع وكروم مثمرة وأحوال واسعة وخصب وإبل وبقر وغنم، وأهلها أملياء مياسير.

ومدينة **كنباية**[٣] وهي على ثلاثة أميال من البحر وهي فرضة بها الحط والإقلاع، وإليها تجلب البضائع والتجارات من كل الآفاق، تدخل إليها المراكب من خورٍ ترسو به وماؤها كثير، ولها حصن منيع بنته ولاة الهند لما تغلب عليها صاحب كيش، وينبت بها الزرع والأرز، وبها نار جيل وقسط، وينبت في جبالها القناء الهندي.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (نزهة المشتاق: ١٧٢/١): رسك بالسين المهملة. وانظر المصدر السابق: ١٧٤/١.

(٣) المصدر السابق.

ومدينة **سوبارة**[1]، وهي مدينة كبيرة متحضرة عامرة كبيرة المساكن، ولها تجارات ومرافق، وهي فرضة من فرض البحر، وبها مغائص اللؤلؤ.

ومدينة **سندان**[2]، وبينها وبين البحر ميل ونصف، وهي مدينة متحضرة أهلة وسكانها أهل حذق ونباله، وهم تجار مياسير، ولها جزيرة قبالتها واسعة القطر كثيرة الزرع والنخل والنارجيل، وبها ينبت القناء والخيزران.

ومدينة حيمور، وهي مدينة كبيرة جليلة المباني واسعة الأقطار، وبها نارجبل كبير وقناء وبجبالها [٣٣١] نبات العطر المحمول إلى الآفاق، ولها جزيرة تسمى قلى على خمسة أميال، وهي جزيرة كبيرة حسنة البقاع قليلة الجبال كثيرة النبات، وينبت بها شجر الفلفل، وهو نبات له ساق أشبه شيء بساق العريش، وورقه طويل لا تشريف له، وله عناقيد وعلى كل عنقود ورقة تكنُّه من المطر كما حنت أم على ولدٍ فإذا بلغ يجنى، والفلفل الأبيض هو ما كان منه في أول بلوغه.

وحكى ابن خرداذبه[3] أن هذه العناقيد إذا كان المطر انحنت ورقاتها عليها فأكنتها من المطر، فإذا ارتفع المطر ارتفع الورق، ثم لا تعاودها إلا في حين المطر فسبحان الخلاق العليم المدبر الحكيم.

وبلاد سوبارة[4] وهي جليلة المقدار.

وبلاد بلبرا وهي مملكة عظيمة وبلاد واسعة كبيرة التجارات جزيلة الخيرات، وجباياتها وافرة وأموالها مقنطرة.

ومدينة بروج[5] وهي مدينة كبيرة جليلة جميلة حسنة البناء، بناؤها بالآجر والجص، ولأهلها همم عالية وأحوال وافرة وأموال وتجارات معروفة.

قال الشريف: وهم وقف على التجول والاغتراب وكثرة الأسفار، وهي فرصة من جاء من الصين ومن جاء من الهند ومن جاء من السند.

وجناول وداوبه وأساول[6]، وهي ثلاث مدن صغار.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (نزهة المشتاق: ١/١٨٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) (نزهة المشتاق: ١/١٨٧): عدها من الجزء الثامن.

(٦) (نزهة المشتاق: ١/١٨٠).

ومدينة نهروان وهي ملك عظيم ذات نعم جمة وأموال ضخمة وجيوش وعساكر وفيلة وخيل، وهي وما جاورها لا يسافر بينها إلا على العجل يحمل عليها أمتعتهم وتجرها البقر حيث شاؤوا، ولكل عجلة سائق وقائد.

وحكى الشريف عما كانت عليه أبهة الملوك بها في عهده حين ألف [٣٣٢] كتاب أجار.

ثم قال:[١] وإذا مات الملك يوضع على عجلة عريضة ارتفاعها عن الأرض مقدار شبرين في قبة مكللة وتبسط كفه وينادى عليه بكلام معناه: أيها الناس هذا ملككم فلان بن فلان عاش في ملكه فارحاً قارًّا كذا وكذا سنه وها هو قد مات وفتح يده بما معه لا يملك من ملكه شيئاً ولا يدفع عن جسمه أذى ففكروا فيما أنتم له صائرون وإليه راجعون، فإذا فرغوا من الطواف به أخرجوه إلى المكان الذي تحرق به موتاهم فأحرقوه.

ومدينة **تانة**[٢]: وهي مدينة جليلة على خور كبير تدخله السفن، ويثبت بأرضها وجبالها القناء، ويتخذ من أصولها الطباشير وتحمل إلى المشارق والمغارب.

ومدينة **قندرينة**[٣] وهي على خور يأتي من ناحية مينبار يحط به ركائب التجار، وعليها جبل كثير القرى عامر بالإبل والمواشي، وينبت به القاقلة ويحمل إلى الآفاق، ونباته أشبه شيء بالشهدانج، وله مراود وفيه بزرها.

ومدينة جرجين[٤] وهي مدينة عامرة على خور صغير، وبها أرز كبير وحبوب كثيرة تمير سرنديب وينبت بها شجر الفلفل.

ومدينة ضنجي ومدينة **ملكسار**[٥]، وهما متقاربتان على البحر.

ومدينة كليكان، ومدينة اللؤلؤ، ومدينة كنجة، والثلاث صغار متقاربات وبها أرز وحنطة وفواكه كثيرة ونارجيل، وينبت بها بقم كبير ونباته يشبه الدفلى.

ومدينة **سمندر** على خور يصل إليها من قشمير وإليها الإقلاع والحط فهي واسعة المتاجر كثيرة المنافع، ولأهلها أموال جمة، وعليها زروع مخصبة، ويحمل إليها العود من مدينة كارموت، وبينهما خمسة [٣٣٣] عشر يوماً للسفن في نهرها، ولسمندر هذه جزيرة كبيرة وبينهما ساعة

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/١٩١).

(٢) (المصدر السابق: ١/١٩١).

(٣) (المصدر السابق: ١/١٨٦).

(٤) في المصدر السابق: ١/١٩٢.

(٥) ضبطناها عن المصدر السابق.

وهي جزيرة عامرة بالناس والتجار من كل الآفاق.

ومدينة قشمير الداخلة على نهر يمر على نهر الطيب، ويقال له هناك مسلى ينبت عليه أنواع الطيب وبهذا سمي[1].

ومدينة قشمير الخارجة وهي تجاور الترك الخرلخية.

قلت: وأهل القشميرين إلى يومنا هذا كفار، وهم سحرة لا يطاق سحرهم يحكى منه العجب العجيب، وليس هذا موضع ذكره.

ومدينة **أطراسا**[2]: على نهر يسمى عندهم جيجين، وهي مدينة عظيمة المباني كثيرة الماء تتاخم كابل، وهي دار ملك كبير وجيش عديد.

ومدينة **يناست**[3]: وهي على النهر المذكور، وهي عامرة كثيرة السكان وبها حنطة وأرز وحبوب كثيرة.

ومدينة **ماديار**[4]: وهي واسعة العمارات كثيرة القرى والمزدرع والتجارات، ولأهلها أموال طائلة.

ومدينة مالوه[5]: وهي مدينة حسنة قاعدة ملك كثيرة الصادر والوارد، ولها مدن وأعمال، ومن مدنها:

مدينة دده، ومدينة تتة، ومدينة لهاور[6]، ومدينة موريودس، وهذه موريودس ذات حصن حصين، وكل هذه بلاد عامرة آهلة[7].

ومدينة مالوه التي هي قاعدتها في حضيض جبل صعب الصعود، ينبت به القنا والخيزران، ولها أموال وجبايات وجيوش جائشة وجنود حائلة.

ومدينة **القندهار**؛ وهي كبيرة القطر كثيرة الخلق، وأهلها يتركون لحاهم حتى تطول، ويبلغ بعضها ركبهم، وهي عراض كثيرة الشعر.

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/١٩٣).
(٢) (نزهة المشتاق: ١/١٩٤).
(٣) (نزهة المشتاق: ١/١٩٤).
(٤) (نزهة المشتاق: ١/١٩٤).
(٥) (المصدر السابق: ١/١٩٤).
(٦) قال عنها الشريف: لها ورض هذه البلاد المذكورة.
(٧) ضبطناها عن المصدر السابق.

قال الشريف[1]: والمثل يضرب بها وزيهم زي الأتراك، وبها الحنطة والأرز والحبوب والأبقار [٣٣٤] والأغنام.

[بلاد كابل]

ومدينة كابل[2]: وهي تجاور طخارستان، وهي قاعدة ملك كبير وسلطان جليل، ولها بلاد وأعمال ومضافات، وقاعدتها مدينة كابل جليلة المقدار حسنة الأبنية، وبجبالها منابت العود، وبها الإهليلج المعروف بها، وينبت بها الزعفران بريًّا وغرساً، ويحمل منه إلى ما جاورها من البلاد، ويزرع بها النيلج الذي لا يوجد مثله كثرة وطيباً، وهي من غرر البلاد وأطيبها هواء وماء، ولها حصن معروف بالحصانة لا يصعد إليه إلا من طريق واحد، وفي جبالها معادن الحديد النافع.

[من مدن بلاد كابل]

ومن مدنها: أزلان[3] وخواش وخير وجِسك وكلنطة ووائلة، وكلها متقاربة المقادير، وبها نعم وافرة.

[جزيرة أوريسين]

ومدينة أوريسين[4]: وهي مدينة صغيرة على الساحل، وإنما المذكور جزيرتها عظيمة المقدار كبيرة الجبال والأشجار، وبها فيلة كثيرة يصاد بها، ويتجهز بأنيابها، قيل تصاد بحفائر مثل صيد الأسود، وقيل بل يعمدون الأشجار التي تأوي إليها الفيلة إذا أرادت النوم لعجزها عن افتراش الأرض، وربما يستند واحد منها إلى شجرة ويستند إليه آخر ويستند إلى الآخر آخر، لأن الفيلة لا تمشي إلا قطارات فيقطعونها ويتركونها مستهلكة، فإذا أوت إليها ثقل بعضها على بعضٍ فسقطت الأشجار فيباكرها الصياد ويضربها بالخشب إلى أن تموت ويأخذ أنيابها.

وقال الشريف: يكون في وزن الاثنين ستة عشر قنطاراً وما قاربها.

ويقال إنها لا تلد إلا في الماء الراكد، فإذا سقط أولادها في الماء تسارع إليه فتقيمه [٣٣٥] على سوقها وتديم دفعها إلى أن تخف، وتستدرجها شيئاً فشيئاً إلى أن يكمل خلقها، فتبارك الله الخلاق العليم.

---

(١) (المصدر السابق: ١/١٩٥).

(٢) (المصدر السابق: ١/١٩٥).

(٣) في (نزهة المشتاق: ١/١٩٦): أرزلان. وعنه ضبطنا باقي المدن.

(٤) عددها الشريف في الجزء التاسع من الإقليم الثاني. انظر (نزهة المشتاق: ١/١٩٩).

قال: ولا ندري فيما خلق اللّه من البهائم ذوات الأربع أفهم من الفيل ولا أقبل منه للتعليم، ومن خواصه أنه لا ينظر إلى عورة الإنسان، وإذا انجرَّ بنا الحديث إلى نهاية هذا نعود إلى ذكر تلك الجزيرة فنقول: وبها معادن حديد، وينبت في أكثرها الراوند، وإنما الذي يجلب من بلاد الصين أفضل، وينبت بها شجرٌ على صفة الخروع، كثير الشوك البارز المانع من لمسه يدبر منه سم ساعة.

مدينة لوقين

ومدينة **لوقين**(١): وهي مدينة حسنة على صفة خور عذب تدخله المراكب، وهذه آخر حد بحر الهند من الشرق.

[مدن جوار لوقين]

وفي شمالي لوقين وشرقيها مدن منها:

مدينة **طريقود**(٢): وهي مدينة صغيرة عامرة آهله.

ومدينة **اطراغا**(٣): وهي مدينة كبيرة، وبها خصب كثير، ولها جيوش كثيرة وسلاح، وهي آخر حد بلاد الهند الواقعة في البر من جهة الشرق ممّا كله في البر، ولم نذكر من الجزر إلا ما هو لمدينة في البر على الساحل فذكرناها معه.

[جزر الهند في هذا الإقليم الواقعة في البحر]

وسنتبع ما ذكرناه من مدن الهند الواقعة في هذا الإقليم في البر بما وقع له من الجزر في البحر، لنصل بعض بلادها ببعض ولا نفصل بينها، ولا نذكر إلا المشهور على ما شرطناه، ثم إذا تكامل ذكرنا ما في مشاريقه من بلاد الصين إلى البحر المحيط من تمام خط الإقليم والذي وقع في هذا الإقليم من الجزائر الهندية، فمن ذلك:

جزيرة كولم(٤): وهي جزيرة كثيرة القدر شائعة الذكر فسيحة الأرجاء كبيرة النعم والأرزاق والتجارات [٣٣٦](٥).

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/١٩٩).

(٢) في المصدر السابق: ١/٢٣: طريفيوقن.

(٣) في المصدر السابق: اطراغن.

(٤) انظر (نزهة المشتاق: ١/ ١٦٧- ١٨٠).

(٥) في المصدر السابق: ١/ ١٨٠- ١٨١: أو بكين.

وجزيرة **أوزكير**[1] **وجزيرة سمنكو وجزيرة ملق وجزيرة بليق**، وبها فلفل كثير.

وجزيرة سندان[2]: وهي جزيرة عامرة كثيرة بها نارجيل وموز وأرز وبها يعمل الطرز الفائق ويحمل إلى البلاد.

وجزيرة سناسيا[3]، وفي جميع هذه الجزر أفاوية ومتاجر ومكاسب جليلة، وما خصصناه فيها بذكر شيء فهو من باب التنويه بالذكر، وإلاّ فكلها ذات خير كثير ورزق جليل.

[مدن الصين الواقعة في الإقليم الثاني براً]

ثم إنا ما وقع عليه هذا الإقليم الثاني في الصين براً وبحراً، فأما ما وقع عليه في البر فهو:

مدينة قطيفور[4]: على البحر الصيني، وهي أول مدينة تقع عليه من مغاريب الصين، ولها متاجر ومكاسب.

ومدينة كاشغرا[5]: وهي مدينة على نهرٍ صغير يأتي إليها من الشمال من جبل قطيفورا، وهي كثيرة الخيرات مشتملة على البركات، وفيها متاجر وبضائع وأسفار منجحة، وفي جبلها معدن فضة طيبة فائقة سهلة التخليص من الخبث.

ومدينة خيفون[6]: وهي مدينة عامرة على نهرٍ يأتي إليها من نهر خمدان، وبها تجارات كثيرة، وفي أرضها دواب المسك والزباد.

ومدينة اسقيريا[7]: وهي على نهر خمدان، وهي عامرة آهلة ولها قرى وأعمال، وكان بها مجتمع أموال الصين وجباياته، ثم يحمل إلى الملك.

ومدينة **تاجة**[8]: وكانت قاعدة عظمى لملوكهم، وكان ملكها في قديم الزمان لا ينظر بعين الوقار حتى يكون له مائة زوجة بمهور.

ومدينة **شرخوا** ومدينة **بشهيار** وكلاهما ذات خيرات وأعمال ومدينة **قاشا**، ومدينة

---

(١) كذا في الأصل. وفي المصدر السابق: ١٨٢/١: جزيرة ملي.

(٢) المصدر السابق: ١٨٢/١.

(٣) ضبطناها عن المصدر السابق: ١٩٩/١.

(٤) المصدر السابق: ١٩٩/١ وعدها من الجزء التاسع.

(٥) المصدر السابق وعدها من الجزء التاسع أيضاً.

(٦) المصدر السابق: ٢٠٥/١.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق: ٢٠٥/١.

سارخا وهما على نهر خمدان، وهو نهر عظيم [٣٣٧] جداً يكاد يكون بحراً زاخراً لا نسبة للنيل ولا لجيحون إليه[1].

حكى لي الشريف جلال الدين السمرقندي أنه يكون قدر النيل خمسين مرة أو أزيد، وهو أكثر منه صفاءً وأحلى ماءً لا يكاد يشبه شيئاً من أنهار الدنيا ولا يحاكيه ولا يماثله ولا يدانيه.

وحكى الشريف: أن بهذا النهر شجرة عظيمة باسقة يقال لها حديد، وتسمى بالهندي برشول وطولها من فوق وجه الماء نحو من عشرة أذرع في غلظ ذراع وكسر وفي رأسها ثلاثة شعب غلاظ مستوية محدودة، يقعد عندها رجلٌ يقرأ كتاباً ويقول للنهر: يا عظيم البركة وسبيل الجنة أنت الذي خرجت من عين الجنة ودللت الناس عليها فطوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العود فينتدب لذلك واحد ممن حوله أو عدة فيصعدون إلى الشجرة، ويلقون أنفسهم على العود فيسقطون في النهر ويموتون، والحاضرون هناك من الناس يقولون طوبى لهم المسير إلى الجنة واللذة الدائمة.

ومدينة طرخا: على نهر كلة الماد لنهر خمدان، وهي مدينة عامرة بالناس وفيها تجار وبضائع وذخائر ويصنع بها قماش فائق له قيمة وافرة يسمى الطرخية، وبها ثياب مطرفة كالعتابي وثياب مريشة، يطول بقاء الثوب[2].

ومدينة بورا[3]: وهي كثيرة الخلق والتجارات، متصلة القرى والعمارات وبها حنطة وأرز وبقل شهي الأكل.

ومدينة إسقيرا[4]: وهي على نهر ماء هناك يسمى بهنك.

ومدينة أطراغن[5]: وهي على بحيرة ماء كبيرة عذبة، لا يوجد لوسطها قعر، وهي البحيرة التي تقدمت الإشارة إليها، وبها سمك [٣٣٨] يفعل فعل السقنقور في الإنعاظ وتقوية الباه.

ومدينة **قرنابول**[6]: وهي مدينة صغيرة عامرة في سفح جبل يتاخم الأتراك الخرلخية، ويجري عليها نهر صغير يصب في نهر نهيك الهند، وبها حرير كثير، ويعمل بها ثياب قاقليه تنسب إليها.

---

(١) ضبطنا الأسماء عن المصدر السابق: ١/ ٢١٢- ٢١٣.
(٢) انظر شبه حرفياً عن المصدر السابق: ٢٠٦/١.
(٣) الحاشية السابقة.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق: ٢٠٧/١.

ومدينة **سوسة الصين**[1]: وهي مدينة كبيرة مشهورة جامعة على شرقي نهر خمدان كثيرة التجارات والخير وأموال أهلها كثيرة ومتاجرهم مباركة وبها يصنع أجود ما يكون من الغضار الصيني وطرز فائق محكم الصنعة.

ومدينة سعلا: وهي مدينة كبيرة متحضرة يوافق ما يعمل بها من القماش والأمتعة، يعمل بها الغضار الصيني والطرز الفائق.

ومدينة **طوغما**[2]: وهي مدينة كبيرة عامرة لكن لا حصن لأهلها، وبها بضائع جليلة يتجهز منها بأصناف التجارات، وأظنها المسماة الآن بطمناج.

ومدينة **اسنخوا**[3]: وهي على بطحاء أرض ممتدة لا ينبت بها شيء إلا الزعفران برياً وزرعاً، ومنه يتجهز إلى أقطار الصين، ويعمل بها الغضار الصيني والثياب الفائقة.

ومدينة **صينية الصين**[4].

قال الشريف: ولا يعدلها مدينة في الكبر وكثرة العمارة وسعة التجارات والبضائع واجتماع التجار إليها من الأقطار، وهي نهاية مدن البر بالصين الواقعة في هذا الإقليم في الشرق إلى البحر المحيط.

[الجزائر الواقعة في الإقليم الثاني من البحر الصيني]

وأما ما وقع به من الجزائر في البحر الصيني فهي:

جزيرة الشارة[5]، **وجزيرة الفتح**[6]: وكلاهما ذات متاجر [٣٣٩] مربحة وسفائر منجحة.

ثم **الجزائر الخالدات الشرقية** بالبحر المحيط وبتمامه تم الإقليم الثاني ولله الحمد والمنة.

---

(١) المصدر السابق: ٢١٠/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) كذا في الأصل وفي (نزهة المشتاق: ٢١٠/١) ضبطها المحقق: جزيرة السبارة.

(٦) في المصدر السابق ضبطنا النمنج.



وهذه صورة الإقليم الثالث وهو الآخذ مع الإقليم الثاني على شماليه منه البحر المحيط بأقصى المغرب إلى البحر المحيط بأقصى الشرق.

[المدن والجزائر الواقعة بين البحر الشامي والبحر الفارسي الموجودة في الإقليم الثالث]

وأما الذي وقع في هذا الإقليم الثالث من المدن والجزائر العامرة مما وقع في البحر الشامي والبحر الفارسي، وما اتصل به من البحر المحيط في الغرب والشرق سنذكره.

[الجزائر والمدن الواقعة في البحر المحيط من الغرب]

وأول ما نبدأ من الغرب على حكم خط الأقاليم، نبدأ بالبحر المحيط كما ذكره الشريف، فمن ذلك:

جزيرة ساوة[1]: قريب البحر المظلم الغربي، يقال إن ذا القرنين نزلها قبل أن تدخلها الظلمة وبات بها، وكانوا يرمون بالحجارة، وأوذي بذلك جماعة من أصحابه.

---

(١) نزهة المشتاق: ١/٢١٧.

وجزيرة السعالى[1]: فيها خلق كخلق النساء لهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق وسوقهم كالحشت، يتكلمون بكلام لا يفهم، ويحاربون الدواب البحرية، ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج لا غير، ورجالهم لا لحى لهم، ولباسهم ورق الشجر.

ومنها **جزيرة خسران**[2]: وهي أرض واسعة، وفيها جبل عال في سفحه ناس سمر قصار، لهم لحى تبلغ ركبهم، ووجوههم عراض، ولهم آذان كبار، وطعامهم وعيشهم ممّا تنبت الأرض هناك من الحشيش ومرافق النبات مثل ما تأكله البهائم، وعندهم نهرٌ صغير عذبٌ يجري من تحت الجبل.

وفيه **جزيرة الغور**: وهي كبيرة الطول والعرض، كثيرة الأعشاب والنبات، وفيها أنهار وغدران وآجام يأوي إليها حمر وبقر لها قرون طوال جداً.

وفيه **جزيرة المستشكين**[3]: يذكر أنها جزيرة عامرة، فيها جبال وأنهار وأشجار وثمار وزروع وعلى المدينة حصن عال.

وفيما يحكى من أمر هذه الجزيرة أنه كان فيها فيما سلف من قبل عهد الإسكندر تنين عظيم يبتلع كل من [٣٤٥] مرَّ به من إنسان أو ثور أو حمار أو ما أشبهها، فيقال إن الإسكندر لما دخلها استغاث به أهلها وشكوا إليه أضرار التنين بهم وأنه قد أتلف مواشيهم وأبقارهم حتى أنهم جعلوا له ضريبةً في كل يومين ثورين ينصبونهما بمقربة من موضعه فيخرج إليهما فيبتلعهما ثم يعود إلى موضعه، وكذلك يأتي من الغد فيفعلون له ذلك فقال لهم الإسكندر: يأتيكم هذا التنين من مكانٍ واحدٍ أو من أمكنة كثيرة، قالوا: من مكان واحد، قال لهم: أروني مكانه، فانطلقوا به إلى قرب من موضعه، ثم نصبوا له الثورين فأقبل التنين كالسحابة السوداء وعيناه تلمعان كالبرق والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين وعاد إلى موضعه، فأمرهم الإسكندر أن يجعلوا له في اليوم الثاني عجلين، وفي اليوم الثالث مثل ذلك، فاشتد جوعه، فأمر الإسكندر بثورين عظيمين[4] فسلخا وحشي جلودهما زفتاً وكبريتاً وكلساً وزرنيخاً، وجعلهما في ذلك المكان المعلوم، فخرج التنين إليهما على حسب عادته فابتلعهما ومضى، فاضطربت تلك الأشياء في

---

(١) الحاشية السابقة.

(٢) في المصدر السابق: ٢١٨/١ صفها حسران بالحاء المهملة.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق.

جوفه، فلما أحس بإشعالهما وكان قد جعل في تلك الأخلاط كلاليب حديد، فذهب ليتقيأ ذلك من جوفه، فشبكت الكلاليب في جوفه فخر واقعاً وفتح فمه ليستروح، فأمر عند ذلك الإسكندر فحميت قطع الحديد وحملت على ألواح حديد وقذفت في حلق التنين، فاشتعلت الأخلاط في جوفه فمات، وفرج اللّٰه عز وجل عن أهل تلك الجزيرة، فشكروا الإسكندر عند ذلك وألطفوه ووهبوه من طرائف ما [٣٤٦] عندهم، وكان فيما حملوه إليه من طرائف دابة في خلق الأرنب يبرق شعرها في صفرة كما يبرق الذئب تسمى بفراح وفي رأسه قرن واحد أسود إذا رأته الأسود وسباع الوحش والطير وكل دابةٍ هربت عنه.

وفي هذا البحر **جزيرة قلهان**[١]: فيها أمة مثل خلق الناس إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون ما قدروا عليه من دوابه فيأكلونها.

وفي هذا البحر أيضاً **جزيرة الأخوين**[٢] الساحرين اللذين يسمى أحدهما شرهام والثاني شرام، ويقال إنهما كانا بهذه الجزيرة يقطعان على المراكب التي تمر بهما ويهلكان جميع أهلها ويأخذان أموالهم فمسخ اللّٰه بهما لظلمهما، وبقيا حجرين على ضفة البحر قائمين، ثم عمرت هذه الجزيرة بالناس، وهي تقابل مرسى آسفي.

ويقال إن الصفاء إذا عم البحر ظهر دخانها من البر، وكان أخبر بذلك أحمد بن عمر المعروف برقم الإوز، وكان والياً لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على جملة من أسطوله فعزم على الدخول إليها بما معه من المراكب فأدركه قبل الدخول إليها الموت، ولم يبلغ أمله في ذلك.

ولهذه الجزيرة قصة غريبة أخبر عنها المغرورون من أهل مدينة أشبونة بالأندلس حين أسقطوا إليها بمركبهم وكيف سميت أسفي بهم وهي مرسى وحديثها طويل، وسيأتي في موضعه عند ذكر أشبونة إن شاء اللّٰه تعالى.

وفي هذا البحر **جزيرة الغنم**[٣]: وهي جزيرة كبيرة محيطة بها وفيها من الغنم ما لا يحصى عدداً وهي صغار ولا يقدر أحد [٣٤٧] أن يأكل لحومها لمرارتها وقد أخبر بذلك أيضاً المغرورون.

---

(١) المصدر السابق: ٢١٩/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قلت: وهؤلاء المغرورون هم طائفة غرروا بأنفسهم في التوغل في البحر، فقيل لهم المغرورون لذلك.

وتليها **جزيرة راقا**[١]: وهي جزيرة الطيور، ويقال إن فيها جنساً من الطير في خلق العقبان حمراً ذوات مخالب تصيد دواب البحر وتأكلها ولا تبرح من هذه الجزيرة، ويقال إن بها تمراً يشبه التين الكبير، وأكله ينفع من جميع السموم.

وحكى صاحب كتاب العجائب أن ملكاً من ملوك إفرنجة أخبر بذلك فوجه إليه بمركب معد ليجلب له من ذلك التمر، ويصاد له من تلك الطيور لأنه كان له علم في دمائها ومرارتها فتلف المركب الذي أنفذه ولم يعد إليه.

ومنها جزيرة **الشاصلند**[٢]: طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرة أيام، وكان فيها ثلاث مدن صغار وبها قوم يسكنونها وكانت المراكب تجتاز بهم وتحط عليهم وتشتري منهم العنبر والحجارة الملونة فوقعت بين أهل تلك البلاد شرور، وطلب بعضهم بعضاً حتى فني أكثرهم، وانتقل جماعة منهم إلى عدوة البحر من الأرض الكثيرة الروم، وبها الآن من خلقها قوم كثير وسنذكر هذه الجزيرة عند ذكرنا جزيرة أقلاندة.

وفي هذا البحر **جزيرة لافة**[٣]؛ ويقال إن فيها شجر العود كثير ولكنه لا رائحة له فإذا أخرج عنها وحمل في البحر طابت رائحته ولا يماثل الهندي ولا يدانيه، وهو في ذاته أسود رزين، وكان التجار يقصدونها ويستخرجون العود منها، وكان يباع في أرض الغرب الأقصى [٣٤٨] من ملوكه بتلك الناحية، ونذكر أيضاً أنها كانت مسكونة عامرة بالناس لكنها خربت وتغلبت الحيات على أرضها، فلا يمكن الآن دخولها لهذا السبب.

وفي هذا البحر من الجزائر على ما ذكره بطليموس الأقلودي سبعة وعشرون ألف جزيرة ما بين عامرة وغامرة، وإنما ذكرنا منها قليلاً من كثير مما قرب مكانها من البر وواصلت العمارات، وأما غير ذلك فلا حاجة بنا إلى ذكره هنا، ولم يتصل بنا حقيقة علمه ولا تفصيل أمره.

وأيضاً إن في هذا الإقليم من بلاد الصحرا **نول لمطة**[٤] **وتازكفت**[٥] **وأغرنو**[٦].

---

(١) المصدر السابق: ١/٢٢٠.

(٢) المصدر السابق أيضاً.

(٣) المصدر السابق: ١/٢٢١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

[من بلاد السوس الأقصى]

وفيه من بلاد السوس الأقصى[1]: مدينة تارودنت وتيويوين، وتامامامت وهي بلاد السوس.

[من بلاد البربر]

وفيه من بلاد البربر[2]: **سجلماسة، ودرعة، وداي، وتادلة، وقلعة مهدي بن قوالة، وفاس، ومكناسة، وأسفي**، وهي أول بلد في الغرب على البحر المحيط وسلا وسائر المراسي التي على البحر الأعظم.

ونحن نذكر من ذلك ما يليق ذكره، وهو مدينة نول[3]، وهي على نهر يأتي إليها من قبل المشرق، وفيها تصنع الدرق اللمطية التي لا شيء أحسن منها، والسروج واللجم وأقتاب الإبل والأكسية السفسارية والبرانس ذوات القيمة، ولأهلها الإبل والمعز والغنم.

[من مدن نول الأقصى وبلاد مسوفة]

ومن مدنها[4]: آزقى ولمطة، وهذه تسمية بربرية وهي بالعربية آركي. وبها من بلاد مسوفة، وهي أول الصحراء بينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة.

قال الشريف[5]: وقد أخبر بعض من دخل هذه المدينة أن النساء اللواتي لا أزواج لهنَّ، إذا بلغت المرأة منهن أربعين سنة تصدقت بنفسها على من أرادها من الرجال، ولا تدفع عن نفسها [٣٤٩] ولا تمتنع ممن يريدها.

قال: ومن أراد الدخول من بلاد المغرب إلى بلاد مالي وتكرور وغانة من بلاد السودان فلا بدَّ له من هذه المدينة.

ومدينة **سجلماسة**[6]: وهي من أجل المدن وأشهرها.

وأقول: وأما مدينة سجلماسة فمدينة كبيرة كثيرة العامر، وهي مقصد الوارد والصادر كثيرة الخضر والجنات، رائقة البقاع والجهات ولا حصن عليها، وإنما هي قصور وديار وعمارات متصلة

---

(١) ضبطنا أسماء المدن عن المصدر السابق.

(٢) الحاشية السابقة.

(٣) (نزهة المشتاق: ١/٢٢٣).

(٤) المصدر السابق: ١/٢٢٥.

(٥) الحاشية السابقة.

(٦) (نزهة المشتاق: ١/٢٢٥).

على نهر لها كثير الماء يأتي إليها من جهة الشرق من الصحراء، يزيد في الصيف كزيادة النيل ويزدرع بمائه كما تزرع بلاد مصر، ولزراعته إصابة كبيرة معلومة، وفي كثرة الأعوام الكبيرة المتواترة بخروج هذا النهر ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذرٍ، وفي الأكثر من السنين إذا فاض النهر عندهم، ثم إذا رجع بذروا على تلك الأرضين زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جذوره إلى العام القادم، فينبت ذلك من غير حاجة إلى بذر زراعة.

وحكى الحوقلي: أن البذر بها يكون عاماً والحصاد فيه في كل سنةٍ إلى تمام سبع سنين، ولكن تلك الحنطة التي تنبت من غير بذر تتغير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير، وتسمى هذه الحنطة يبردن تزواو، وهو باللغة البربرية، وبها نخل كثير وأنواع من التمر لا يشبه بعضه بعضاً، وفيها الرطب المسمى بالبرني، وهي خضراء جداً وحلاوتها تفوق كل حلاوة ونواها صغير في غاية الصغر.

ولأهل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكراويا والحناء، ويتجهر منها إلى سائر بلاد المغرب وغيرها [٣٥٠] وبناءاتها حسنة، غير أن المخالفين في زماننا قد أتوا على أكثرها هدماً وحرقاً، وأهل سجلماسة يأكلون الحيوان المسمى بالحرذون، ويسمونه بلسان البربر أقذيم[١] ونساؤهم يستعملها في السمن وخصب البدن ولذلك هنَّ في غاية السمن وكثرة اللحم، وقلَّما يوجد من أهلها صحيح العينين بل أكثرهم عمش.

ودرعة[٢]: وهي مدينة لا عليها سور ولا خندق، وإنما هي قرى متصلة ومزارع كثيرة كلها على نهر سجلماسة، ويزرع بها الحناء والكمون والكروايا والنيلج، ويكثر نبات الحناء حتى يكون كالشجر فيها يؤخذ بزره ويجهز إلى كل الجهات.

قال الشريف[٣]: ولا يوجد[٤] بزره إلا في هذا الإقليم ويجود بها قصب السكر الفائق المثل، ويعمل بها السكر، وفي نسائها جمال فائق.

ومدينة «**أغمات**»[٥] «**وريكة**»[٦] اسم المدينة أغمات ووريكة اسم قبائل تنزلها، وأغمات هي المكان الذي مات به المعتمد بن عباد رحمه الله، وهي على جبل درن وهي دار ماءٍ وأشجار

---

(١) ضبطنا المفردة من (نزهة المشتاق: ٢٢٧/١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) (نزهة المشتاق: ٢٢٧/١).

(٤) في المصدر السابق الكلمة (ولا يؤخذ).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

وفواكه حسان، وبجبلها تانملت الحصن المنيع القليل مثله في حصون الأرض، وعليه كان اعتماد ابن تومرت مهدي المغرب، وبه قبره في قبة عالية لكنها غير مزخرفة ولا مزينة كما يقتضيه النَّاموس.

ومراكش[1]: وهي قاعدة ملك جليل، وإنما هي اليوم تبعٌ لمملكة فاس، وسيأتي ذكرها مفصلاً في مملكة بر العدوة، وهي مدينة محدثة ذات وادٍ كبير وعيون جارية يدور عليها الأرحاء ويكثر بها الثمرات.

وأسفي وسلا[2]: وهما ذوات خصب وبسلا فواكه كثيرة وقصب سكر وافر.

ومكناسة [٣٥١] **الزيتون**[3]: وهي مدينة حصينة جداً ذات مياه وفواكه كثيرة، ومما وقع في هذا الإقليم من المشاهير.

ومدينة باغاي[4]: وهي مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، ولها ربض عليها سور، وبها أسواق، ولها واد يجري إليها ماؤه ويزرع عليه.

وقفصة: وهي مدينة حسنة، عليها سور وبها عين حرَّارة بداخلها منها سقيها، وأسواق عامرة وزروع ومتاجر كثيرة.

ومدينة القيروان: وكانت قاعدة ملك جليل وسلطان كبير، وهي الآن أم بلاد ذات ماءٍ جارٍ وزرع وضرع وخيرات حسان.

ومدينة نفطة[5]: وهي مدينة صغيرة محضرة آهلة بأسواق وتجارات، وبها مياه جارية وفواكه كثيرة ونخل وزيتون.

وتوزر[6]، وبلاد الجريد عامة.

وقابس: وهي مدينة جليلة عامرة ذات مرسى على البحر الشامي، حفت بها جنات ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وزيتون.

وقصر سجة: وهي مدينة متحضرة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) لازالت معروفة حتى يومنا هذا.
(٤) انظر (نزهة المشتاق: ١/ ٢٦٠– ٢٦٣– ٢٦٦).
(٥) مدينة قفصة ولازالت معروفة.
(٦) (نزهة المشتاق: ١/ ٢٧٧– ٢٧٨).

ومدينة صفاقس: وهي مدينة قديمة عليها سور ذات أسواق كثيرة وعمارات شاملة، وشرب أهلها من مواجل، وبها تجارة مربحة، وتجلب إليها الفواكه.

ومدينة المهدية: بناها عبد اللّه المهدي الفاطمي، ولها سور منيع، ولها بابان من حديد لفق بعضه على بعض ولا خشب فيهما وليس يعرف مثلهما.

والمهدية[1]: مدينتان إحداهما المهدية، والثانية زويلة وهي من فرض البحر الشامي، وإليها الإقلاع والحط، وبها مبان جليلة، وشرب أهلها من مواجل، فيها تجارة مربحة.

قال الشريف[2]: وأهلها يدفنون موتاهم بالمنستير ودفن به لأنها موصوفة عندهم [٣٥٢] بالبركة.

ومدينة تونس: وهي قاعدة ملك جليل، وسيأتي ذكرها عند ذكر مملكة إفريقية مفصلاً.

وقال الشريف[3]: إنها كانت تسمى قديماً ترشيش.

ومدينة **بنزرت**[4]، ومدينة **طبرقة**، ومدينة باجة، ومدينة **بونه**، ومدينة **الأربس**، وبها معدن حديد، ومدينة **ابه**: وبها زعفران جيد، ومدينة **تادميت**: وتسمى **مرماجية**[5]، ومدينة **مجانة**.

وقد وقع في هذ الإقليم معظم بلاد العدوة وإفريقية مما يلي الصحراء وسواحل البحر الشامي وبلاد برقة وقطعة من الديار المصرية من الفيوم إلى آخر الديار المصرية، ووقع بها من بلادها الفسطاط والقاهرة، وشهرة مصر تغني في عظمها عن الوصف دار خلافة وقاعدة سلطنة، وسيأتي ذكرها مفصلاً.

[مدن مصر الواقعة في البحر الشامي][6]

ومن مدنها الواقعة على البحر الشامي:

ثغر الإسكندرية، ورشيد وفوّه ودمياط.

[مدن الشام الواقعة في البحر الشامي]

وقطعة كبيرة من الشام ممتدة على ساحل البحر الشامي وما والاه آخذاً في الجنوب.

---

(١) (نزهة المشتاق: ٢٨٢/١). (٢) المصدر السابق.

(٣) (نزهة المشتاق: ٢٨٥/١).

(٤) ضبطنا الأسماء عن المصدر السابق: ١/ ٢٩٠- ٢٩١.

(٥) في المصدر السابق: ٢٩٣/١: وبين بنزرت وتادميت مدينة صغيرة مرماجية.

(٦) جميعها لازالت معروفة.

وأوله في مغاربه من المدن: غزة، ثم **عسقلان**: وهي الآن خراب سوى مشهد الحسين عليه السلام، بناه أمير الجيوش المستنصري.

ثم **عكا**: الواقعة الآن قبالتها صفد هي عوضها لخراب عكا في وقتنا.

وصور، وصيدا، وبيروت، وجبيل، وطرابلس.

فأما أنطرطوس وبلنياس وجبلة والسويدية فرضة أنطاكية، وأنطاكية ففي الرابع وسيأتي ذكر كذلك.

ووقع كلما هو من غزة إلى صيدا من المدن مثل القدس الشريف وبلد الخليلعليه السلام ونابلس والرملة بين هذا البحر الشامي وبين بحر [٣٥٣] القلزم.

وفيما يقال إن هناك مجمع البحرين، ثم ينقطع هناك بحر القلزم، ويتسع عرض الشام به وأما دمشق، وقد كانت دار خلافة ثم قاعدة ملك، وهي الآن على ذلك، وسيأتي ذكرها عند مملكة مصر والشام مفصلاً.

ومن مدنها[١]:

بعلبك وحمص: وإليها انتهى ما وقع في هذا الإقليم من الشام.

وزعم كثير أن بعلبك وحمص مع ما يليهما إلى صفة البحر الشامي من الرابع، والصحيح ما ذكرناه آنفاً.

[مدن الجنوب في هذا الإقليم]

ومن هذا الإقليم في الجنوب على أطراف الحجاز إلى وادي القرى وامتد شرقاً على بلاد البحرين، وقاعدتها القطيف ثم الأحساء[٢].

وتقع **الأحساء** قبالة أوائل بلاد القرامطة، **والقطيف** أكبر من الأحساء على ضفة البحر الشامي.

[من مدن البحرين][٣]

ومن مدن البحرين: قيشة والزرارة والخطى المنسوب إليها الرماح الخطية وليست بها ولكنها

---

(١) الجمع لازالت معروفة.

(٢) لازالت معروفة.

(٣) لازالت معروفة.

كانت تجلب إليها وتعمل بها، وتبلغ عند العرب وتنسب إليها ثم تأخذ معه مشرقاً على مدينة فيد، وهي من مدن البادية.

ومدينة القادسية: وهي مدينة صغيرة ذات ماءٍ عذب ونخل بها الرطبة، وتتخذ قوتاً يتزود الحجاج منه علوفة لإبلهم.

[من مدن العراق]

ونأخذ قطعة من العراق ذات غلات كثيرة ونخيل لا يبارى في كثرته وطيب ثمرته.

ومن ذلك مدينة **الكوفة**: وهي إسلامية من بناء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهي ذات أبنية حسنة وأسواق عامرة وضياع ومزارع وعلى ستة أميال منها مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم اللّٰه وجهه، يقال إن به قبره الكريم في قبة بناها أبو الهيجاء عبيد اللّٰه بن حمدان، وشهرة هذا المشهد وما [٣٥٤] فيه وكثرة زوّاره ومن يأتيه، وعظيم ما يظهر من آثار بركاته وأخبار أوقاته أشهر من أن تذكر وأجلّ من أن تنكر.

ومدينة **واسط** على جانبي دجلة وبينهما جسر من السفن، تمر عليها المارة، وتسمى الغربية كسكر بانيها الحجاج بن يوسف، وتسمى الشرقية واسط العراق.

ومدينة البصرة: تكاد تعد قاعدة لعظمها، ويقال إن بها ألف نهر يجري.

قال صاحب كتاب أشكال الأرض: نخيلها متصل من عيداس إلى عبادان نحو خمسين فرسخاً.

وذكر بعض المؤلفين أن أنهار البصرة عدَّت فكانت مائة ألف وعشرين ألف يجري في أكثرها الزواريق، وبها قبر طلحة والزبيررضي الله عنهما.

وفي المربد فيها قبر أنس بن مالك رضي الله عنه، وهي إسلامية بناها عتبة بن غزوان، وكان بها زمن الرشيد أربعة آلاف نهر مخرج على كل نهر منها في كل يوم دينار ودرهم وقوصرة تمر.

وللبصرة مدن مضافة إليها وهي عبادان وملجان، والأبلة والمشان ومطارا وأكثرها المشان، ومنها الحريري مؤلف المقامات.

ومدينة الأبلة[1]: أحد متنزهات الدنيا.

---

(١) من أكبر ألوية العراق.

(٢) انظر ما ذكر عنها الشريف في (نزهة المشتاق: ٣٨٤/١).

وعبادان: وهو حصن صغير على مصب دجلة في البحر الفارسي.

[مدن بلاد خوزستان]

وبلاد خوزستان وقاعدتها مدينة الأهواز[1]: وتعرف بهرمز شهر، والأهوار فسيح الأرجاء صحيح الهواء كثير الماء كثير الغناء.

ومدينة الأهوازية: مدينة حسنة وأهلها مياسير، وفي طباعهم الشر والتنافس.

وعسكر مكرم[2]: وبه العقارب المشهورة.

وجندي سابور[3] **والسوس ورام هرمز والطيب** وما سامت ذلك من بلاد [٣٥٥] العراق وبلاد أرجان وقطعة من بلاد أرجان في غاية الطيب من حساب قومس، وهي ذات زرع وخصب ونخيل وكروم وفواكه عامة وجوز وزيتون، ويعصر بها الزيت ولكنه قليل وهي تأخذ على جنوب أرجان مما يلي خورستان على نهر طاب قنطرة تنسب إلى الديلمي طبيب الحجاج، وهي طاق واحدة سعة ما بين عموديها على وجه الأرض ثمانون خطوة وارتفاعها ما يحمل ذلك.

[مدن بلاد فارس]

ثم نأخذ من بلاد فارس: ومنها **شيراز**: وهي قاعدة ملك تنسب[4] في أول الإسلام، وهي مدينة جليلة المقدار حسنة النواحي، طولها نحو ثلاثة أميال في عرض مثلها لا سور لها، بناؤها بالحجارة والجص والطين، وشرب أهلها من الآبار وأهلها مياسير.

ومدينة **إصطخر**[5]: وهي مدينة كبيرة جليلة أقدم مدن فارس، يقال إنها بناء سليمان بن داود عليهما السلام وقد تقدم ذكرها، وهي ذات أسواق كبيرة ومتاجر وافرة، وعليها نهر جار، وهواءها فاسد وخيم، وبها تفاح عجيب تكون التفاحة الواحدة نصفها حلو صادق الحلاوة ونصفها صادق الحموضة.

ومدينة جور تقارب إصطخر في مقدارها، ولها سور من طين ووراءه خندق.

---

(١) المصدر السابق: ٣٩٢/١.

(٢) انظر (نزهة المشتاق: ٣٩٥/١).

(٣) المصدر السابق: ٣٩٦/١.

(٤) انظر: المصدر السابق: ٤٠٠/١ وغيرها.

(٥) كذا قرأناها.

(٦) (نزهة المشتاق: ٤٠٦/١).

ومدينة **دار ابجرد**[1]:

ومدينة **سابور**[2]: بناها سابور الملك، ولها سور على جميعه خندق ويتصل إليه مياه سقيها، وتنبع به عيون ويوجد به سمك ولا شوك فيه ولا عظم، ولا له فقار ولا عليه فلوس، وهو من ألذ السمك طعماً، وهي طيبة الهواء كثيرة البساتين والجنات غدقة الفواكه، نزهة من جميع جهاتها، يسير السائر بها بين قصورٍ عاليةٍ ومتنزهات [٣٥٦] مستقرة ومنها تجلب المومياء إلى الآفاق وهو بغار في جبل ببعض بلادها.

وجور[3]: وهي مدينة عليها سور وخندق، وبها يستخرج ماء الورد، وإليها ينسب الورد الجوري.

ومدينة **فسا**[4]: وهي واسعة الشوارع شامخة البناء وخشبها كثير وغالبها الصنوبر، وهي عامرة بالناس، ولأهلها يسار.

ومدينة **كازرون**: وهي مدينة حسنة، لها سور وحصن وقلعة في داخلها، وبها أسواق ومتاجر وصناعات، ولها فواكه عامة كثيرة.

وعمل **المورسان**: وبها خلق كثير وفواكه كثيرة.

ونعم والرامجان[5] والشاهجان واليوكران[6] والشاذروان وخمايجان العليا والسفلى وتيرد مروان[7]، وكل هذه حصون ورساتيق إن لم تكن مدناً لكنها ذوات أعمال وزراع وعمال.

ومدينة **سيراف**: وهي على ساحل البحر الفارسي، وهي مدينة كبيرة وبها تجار مياسير، ولأهلها ولع بكسب المال واستجلابه، وهم أكثر عباد اللّه تغرباً في الآفاق حتى أن الرجل منهم ليتغرب عشرين سنة ولا يكترث بمن خلفه، وهي فرصة فارس، ومبانيها بالساج وهي طبقات مشتبكة البناء كثيرة الأهل، ولأهلها همم في العمارة الجليلة بصروف التحصين والتحسين، ومياههم وفواكههم تصل إليهم من جبل مشرف عليهم مطل على البحر، وهي شديدة الحر ولها مدن وأعمال.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) (نزهة المشتاق: ٤٠٦/١).

(٤) المصدر السابق: ٤٠٨/١).

(٥) ضبطناها عن (نزهة المشتاق: ٤٠٩/١).

(٦) في المصدر السابق: ابنوران.

(٧) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: قير مردان.

ومدينة **ذي شهر**: وهي صغيرة عامرة ذات أعمال، ويصنع بها ثياب كتان فاخرة وكتانها هو المعروف بالسينيز وهو من مدينة سينيز(١) من أعمال ذي شهر.

قال الشريف: والمجمع عليه بالقول العام إنه ليس بجميع [٣٥٧] أقطار الأرض كتان يعدله ولا يقاربه قوة وليناً(٢).

وبلاد كرمان

ومن مدنها: أناس(٣) **والشيرجان**(٤) ونرماشير(٥) **وجيرفت**(٦).

ويقال إن هرمز كانت معدودة من بلادها وهي الآن خارجة عنها بالإضافة داخلة معها في موقع الإقليم.

وبلاد كرمان دار ملك جليل وأعمال ورزقها جزيل، وتنتسب إليها الوخامة وهي من أبواب الهند وتتصل ببلاد فارس وكرمان من جانب المفازة العظمى التي ليس في معمور الأرض مثلها، وهي من أقل المفاوز سكاناً، لأن مفاوز البادية فيها أحياء العرب والمراعي، وليس في هذه المفازة غير أعلام الطريق وما يعرض في أطراف طرقها من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق، وهي أكثر المفاوز لصوصاً وفساداً لأنها ليست في حيز إقليم بعينه فيكون دركها على أهل ذلك الإقليم لأنها مبعضة فبعضها من خراسان وبعضها من سجستان وبعضها من كرمان وبعضها من فارس أصبهان والري وبعضها من قم وقاشان فيقطع قاطع الطريق في عملٍ ثم يخله ويروح إلى العمل الآخر فلا يقدر عليه، وهذه المفازة لا تسلك بالخيل ولا بالجمال، وإنما تقطع بالإبل المحفة على طريق معلومة ومياه معلومة من جاورها هلك، والقطاع تأوي إلى جبل به اسمه **كركس**(٧) ليس بالكبير ولا بالطويل منقطع عن الجبال، والمفازة محيطة به، وبالجبل ماء يسمى آب ينذه وهو جبل موحش لا يكاد يظهر من توارى فيه، وليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة سوى **منبج**(٨) وهي من عمل كرمان في المفازة على طريق سجستان.

---

(١) ضبطناها عن (نزهة المشتاق: ٤١٢/١).

(٢) انظر القول في المصدر السابق.

(٣) (نزهة المشتاق: ٤٣٧/١).

(٤) في (نزهة المشتاق: ٤٣٦/١): السير جان ـ بالسين المهملة.

(٥) ضبطناها عن المصدر السابق: ٤٣٥/١.

(٦) (نزهة المشتاق: ٤٣٣/١).

(٧) (نزهة المشتاق: ٤٤٣/١).

(٨) كذا الرسم في الأصل والصواب: «سبيج». كما في المصدر السابق.

[طريق الجرمق أصبهان]

وفي المفازة على طريق أصبهان موضع يعرف **بالجرمق**[1] [٣٥٨] وهو ثلاث قرى، ويحيط بها المفازة الطريق المعروفة من هذه المفازة طريق أصفهان إلى الري وهو أقربها.

[طريق الري إلى كاج]

فمن الري إلى **دزة**[2] مدينة فيها عنبر، ولها ماء جارٍ في نهرٍ صغير مرحلة وليس من الري إليها عمارة غير مقدار فرسخين، ومن دزة إلى دير الجص[3] مرحلة، ومن دير الجص رباط من جص وآجر يسكنه بدرقة السلطان، وهو متروك ليس به زرع ولا شجر، وفيه بئر مالحة الماء غير مشروب، وماؤهم من المطر يدّخر في ماء جين خارجة من هذا الدير، والمفازة تحيط به، ومن دير الجص إلى كاج مرحلة.

[الطريق من كاج إلى أصفهان][4]

وكاج كانت قرية فخربت، وماؤها من الأمطار في مأجن وآبارها مالحة.

ومن كاج إلى قم مرحلة، ومن قم إلى قرية المجوس، وبها مجوس يسكنونها ولا يخالطهم غيرهم مرحلة، ومنها إلى قاشان مرحلة في عمارة على جنب المفازة، ومن **قاشان** إلى حصن يعرف **بدزة** مرحلتان، وهو حصن لأهله به زرع، ومن دزة إلى **رباط علي بن رستم** مرحلة كبيرة، وبه ماء جارٍ من قرية بالقرب منه إلى حوض في الرباط، ومن هذا الرباط إلى دانجى مرحلة، ومن دانجى وهي قرية عامرة إلى أصفهان مرحلة خفيفة[5].

الطريق من تانين إلى خراسان[6]

وتانين من ناحية فارس، فمن تانين إلى مزرعة في المفازة مرحلة، ومنها إلى جرمن[7] أربع مراحل، وفي الطريق على كتل فرسخين وثلاثة مصنع أو بركة ماء، وجرمن هذه تعرف بسهده[8]

---

(١) انظر (نزهة المشتاق: ٤٤٤/١).
(٢) (المصدر السابق: ٤٥٢).
(٣) انظر المصدر السابق: ٤٥٢/١.
(٤) المصدر السابق: ٤٥٢/١.
(٥) ورد نحوه في المصدر السابق وفيه دالجي بدك من دانجي.
(٦) ضبطنا الطريق هذا عن (مسالك الممالك للإصطخري: ٢٣١).
(٧) في بعض المصادر والنسخ المختلفة: خرمن، جرمة، خرمة، جرمق.
(٨) كذا في الأصل، وعند الإصطخري: سيدة.

يعني ثلاث قرى، وتعد هذه القرية من خراسان، وبها نخيل وزروع ومواش كثيرة، وفي الثلاث قرى نحو ألف رجل، وكلها قرية واحدة في رأي العين، ومنها إلى نوجاي في كل [٣٥٩] ثلاثة فراسخ أو أربعة جنبذة وبركة ماء، ومن نوجاي[١] إلى رباط حوران مرحلة، ومن الرباط إلى قريةٍ تسمى استكهان مرحلة خفيفة، ومن اتسكان إلى طبس مرحلة، ومن أراد من نوجاي إلى دسكران مرحلة، ومن دسكران [٣٥٩] إلى ترشير مرحلة ومن ترشير إلى نيسابور خمس مراحل.

[طريق يزدونايين]

وطريق يزدونايين مجتمع بكرين وهي قرية فيها نحو ألف رجل، ولها رستاق كبير[٢].

[طريق رور كرين]

وطريق رور[٣] وهي قرية من كرمان عليها حصنان، وبها ماء جارٍ فمنها إلى مكان يدعى **ديركوجرى**، وفيه ماء عين ضعيف المسيل مرحلة، ومنه إلى **(ستوردوأزكه)**[٤] مرحلة، وهناك رباط قد خرب فيه نخيل وليس به أحد، وهو مكان مخوف قلما يخلو من الحرامية، ومنه إلى **ديردانا**[٥]، وهناك آبار، وهو صحراء لا بناء فيه مرحلة، ومنه إلى منزل فيه حوض يجتمع فيه ماء المطر مرحلة، ومنه إلى **نانيد** وهو رباط وبه ماء يجري وزرع ونخيل ورحى صغيرة على الماء مرحلة، ويسار من نانيد مرحلتان إلى مكان يسمى **ترشك**[٦] وبين كل فرسخين وثلاث قباب وحياض وليس بها أحد، ومن ترشك إلى خون[٧] مرحلة ومنها إلى خرستا[٨] مرحلتان، ومنها إلى كرين[٩] ثلاث مراحل.

[طريق خبيص]

والطريق من خبيص وهي من حدود كرمان[١٠] على شفير المفازة، وبها نخيل كثيرة، وهي

---

(١) في المصدر السابق: نوخاني.

(٢) انظره في (نزهة المشتاق: ٤٤٩/١) وفي (مسالك الممالك: ٢٣٢).

(٣) في مسالك الممالك: ٢٣٣: زاور.

(٤) في (مسالك الممالك: ٢٣٣) أشور دوازده وفي نسخ أخرى: سورة واركه.

(٥) في المصدر السابق: دير بردان.

(٦) في المصدر السابق: بئر شك.

(٧) في المصدر السابق: خور.

(٨) في المصدر السابق: خوشب.

(٩) في المصدر السابق: كرى.

(١٠) ضبطنا الأسماء الواردة عن (مسالك الممالك: ٢٣٤).

مدينة خصيبة رخيصة الأسعار على مر الأوقات، وماؤها جارٍ إلى مكان يعرف «**بالدروازق**» مرحلة، وفيه أبنية ما مد البصر متهدمة، وبها تلال عظام تدل على أبنية كانت شاهقة، يتكافأ بعضها على بعض، ومنه إلى مكان يسمى **شوروز** مرحلة، ومنه إلى **بارسك** [٣٦٠] جبل صغير مرحلة، ومنه إلى مكان يدعى نيمة مرحلة، ومنه إلى مكان يعرف **بالحوض**، وفيه حوضٍ يجتمع فيه الماء يسقي زرعاً في رأس الماء، ومن رأس الزرع إلى **كوكور** قرية رأس المفازة وهي من حد قوهستان مرحلة، ومن كوكور إلى **خَوْست** مرحلتان، وفي مفازة خبيص على فرسخين من رأس الماء مما يلي خراسان حجارة سود صغار نحو أربع فراسخ، ومن **بارسك** إلى قبر الخارجي[1] حصى صغار بعضها في لون الكافور بياضاً وبعضها أخضر في لون الزجاج.

[مفازة شور][2]

وفي مفازة شور بئر ماء شور عن يمين الذاهب إلى كرمان من خراسان على نحو فرسخين منها في صورة الفاكهة من اللوز والتفاح والكمثرى ونحوها من حجارة، وفيها صور تقارب صور الناس والأشجار وغير ذلك من حجارة.

[طريق المفازة]

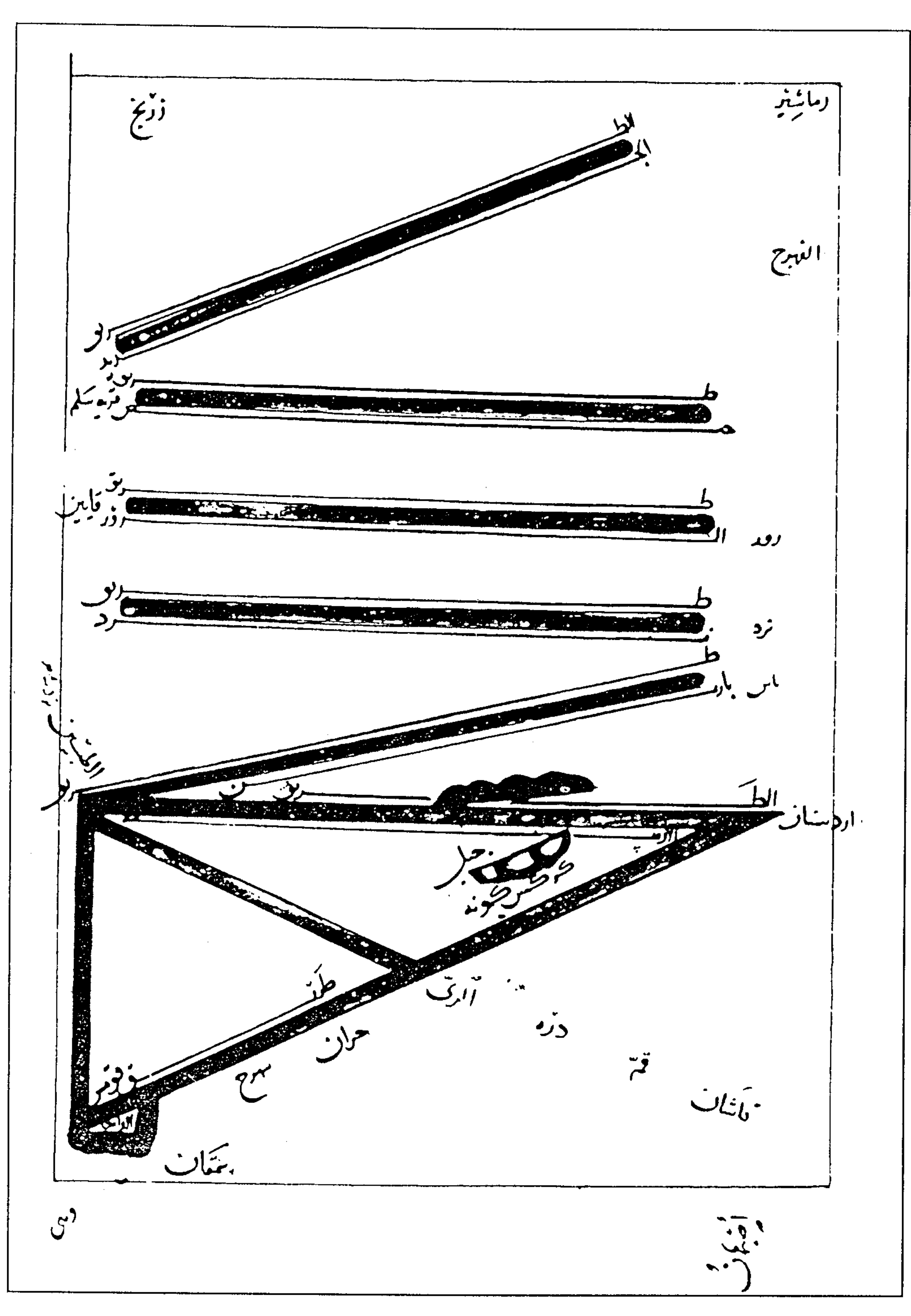
وطرق هذه المفازة على الترصيف فمن **أصبهان** إلى **الري** طريق، ثم يليه طريق **أردستان** إلى **الطبسين**، وفيه طريق **قومس** من أردستان يعدل نصف طريق الطبسين إلى الدامغان، ويليه طريق **نابيين** إلى **الطبسين إلى خراسان**، ويليه طريق **يزد** إلى **خراسان**، ثم يلي ذلك طريق **خبيص** ثم يلي ذلك **الطريق الجديد**، ثم يلي ذلك طريق **سجستان** إلى **كرمان**، وقد استوفينا ذكر هذه المفازة وطرقها لعظيم الاحتياج إلى معرفة ذلك.

وهذه صورة المفازة [٣٦١]

---

(١) في (مسالك الممالك: ٢٣٥): قبر الحاجي وفي نسخ أخرى كالتي هنا.

(٢) ضبطنا الأسماء عن (نزهة المشتاق: ١/٤٤٩).



ويمر هذا الإقليم الثالث مع هذه المفازة على بلاد سجستان ومدينتها العظمى زرنج.

[مدينة زرنج][1]

وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين وخندق دائر ينبع به ماء، وينصب إليه فواضل ماء المدينة، وفي داخل المدينة ثلاثة أنهار بشقها يجري إليها من نهر هند مند المقبل من الثغور حتى يصب في بحيرة كثيرة الغدو به التي يقال إن طولها قريب تسعين ميلاً، وتنقسم تلك الأنهار الثلاثة بمدينة زرنج على دياراتها وحماماتها وبساتينها، وهي بلد حار كثير الهواء حتى صنعوا أرحاء هوائية تدور على الهواء لدوام الهواء بها، وهي خصبة كثيرة التمر والعنب وأهلها مياسير.

[المدن المشهورة في سجستان]

ومن مدنها المشهورة[2]: الطاق، والقرنين[3] وخواش، وسَرْوَان، وتستر، والراتقان[4]، وشبل[5] وتورين ودرة[6]، وبها البحيرة العذبة المتقدمة الذكر، وجزة، وفرة، ودرق، ويلاقى، وكركرية، وهيشوم[7].

[بلاد الزوار]

ومن ذلك بلاد الزوار، وهو إقليم كبير واسع كثير الحر ساكن الخليج وقاعدتها مدينة **دزبك**، وهي مدينة لا سور لها، على نهر هندمند، وبها عمارات.

ومدينة رودان: وهي مدينة صغيرة حصينة.

ومدينة تل، ومدينة برغش، ومدينة **رمل**.

ومدينة **سوران**: وهي مدينة صغيرة متحضرة ذات قرى ورساتيق ومحلات ومنافع جمة.

ورور: وهي مدينة صغيرة متحضرة حصينة.

والثغور: وهي جبال حصينة عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار ومواشٍ، وموقع الثغور على مرآة وسجستان.

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/ ٤٥٣ـ ٤٥٨).

(٢) ضبطنا الأسماء عن المصدر السابق: ٤٥٣/١.

(٣) رسمها نحو (الفرس) صوبناها عن المصدر السابق.

(٤) في المصدر السابق: زالقان.

(٥) في (مسالك الممالك: ٢٣٦): تل.

(٦) في (مسالك الممالك: ٢٤٣): زرة.

(٧) ضبطناها عن (نزهة المشتاق: ٤٢٨/١).

وكذلك يمر على قطعة من خراسان.

[بلاد قوهستان]

ومما يقع في هذا الإقليم من خراسان: بلاد قوهستان: وقاعدتها مدينة قاين، وهي مدينة متحضرة [٣٦٣] عامرة، عليها سور من تراب، ولها قلعة وعليها خندق وبناؤها بالطين، وبها أسواق قائمة وشربها من ماءٍ جارٍ إليها في قناة وبساتينها قليلة.

[من مدن بلاد قوهستان]

ومن مدنها: مدينة **الزوزان**:[١] وهي مدينة عامرة كثيرة التجارات، قائمة الأسواق.

ومدينة **طبس**[٢]: وهي متوسطة المقدار، ذات نخلٍ وعمارات، وشربها من مياه مجلوبة إليها في قناة، وبها حرير كثير موصوف.

وخوز وهي مدينة صغيرة، وبها نخل كثير وبساتين قليلة.

ومدينة هراة: وهي مدينة كبيرة عامرة، عليها سور وثيق ولها ربض وقلعة وأبواب مصفحة بالحديد، ومسجدها وسيع الفناء رفيع البناء، والماء في داخلها وخارجها.

ومدينة كروح: وهي مدينة متحضرة في شعب جبل، وعليها سور حصين من تراب، وهي كثيرة الماء والكروم والأشجار، ويحمل من كرومها الزبيب القشمش إلى البلاد.

ومدينة كوة، ومدينة **دهستان**، ومدينة كوة المذكورة فهي كثيرة البساتين والجنات والكروم التي لا تعد كثرة، ودهستان ليست كذلك.

ومدينة الطالقان: وهي مدينة كبيرة، ولها مياه جارية وعمارات متصلة، وليس يصنع في البلاد مثل لبودها المشهورة.

[مدن إقليم بلاد الجوزجان من خراسان]

وإقليم الجوزجان[٣] من خراسان، وله مدن جليلة منها:

مدينة أنبار[٤]: وهي قاعدتها، وهي كبيرة الأقطار كثيرة الماء والكروم والبساتين والخصب، وبها يعمل ثياب المخمل الجيد.

---

(١) (نزهة المشتاق: ١/٤٢٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر (نزهة المشتاق: ١/٤٧٩).

(٤) المصدر السابق.

ومدينة **الفارياب**[1]: وهي مدينة جبلية كثيرة البساتين والمياه.

ومدينة اليهودية: وهي تقاربها في قدر نواحيها وخيراتها وما فيها. ومن مدن الجوزجان: [٣٦٤]

مدينة **سان**، ومدينة انخد، ومدينة **كندرهم**، ومدينة **أشبروقان** ومدينة **نريان**[2].

وكل هذه المدن ذوات أعمال وقرى متصلة ومياه جارية وفواكه كثيرة.

بلاد مرو الروذ

وهي بلاد كبيرة عامرة.

[من مدن بلاد مرو الروذ]

ومدينة **مرو الروذ** أكبرها، وهي مدينة قديمة في مستوى من الأرض بعيدة عن الجبال أرضها سخية كثيرة الرمل، وأبنيتها من الطين على علو سهم من النهر، ولها قلعة على نشز مرتفع، وماؤها من قنوات، ولها نهر كبير يسمى نهر منصاب يتشعب منه أنهار يسقي رساتيقها، وفي رساتيقها مبان مستقيمة ومتنزهات حسنة ومساكن متحصنة وبها الحرير والقز الكثير والقطن القليل المثل في غاية اللين، ويعمل منها ثياب تحمل للآفاق، ولها منابر مضافة إليها.

ومن أعمالها:

هرمز: وهي مدينة متوسطة على طريق مفازة سقاية المؤدية إلى خوارزم، وهي ذات عمارات وأسواق، وهي أم مدن ممدَّنة وأعمال ممتدة، وكلها بلاد خيرات وأرزاق.

ومدينة **سرخس**: وهي في أرض سهلة صحيحة التربة قليلة القرى ماؤها جارٍ.

ولها مدينة تسمى بحرس: وهي مدينة عامرة صحيحة التربة قليلة القرى، وشربها من آبارٍ، وبها زروع سرخس، وغالب أرضها مرعى ومعظم قنية أهلها الجمال.

[بلاد الباميان]

وبلاد الباميان تكون قدر ثلث بلخ على رأس جبل الباميان، وينحدر منها أنهار ومياه جارية، وعليها سور، ولها قلعة وربض لاصق بها، وهي أم مدن وأعمال.

---

(١) (المصدر السابق: ٤٧٨/١).

(٢) المصدر السابق: ٤٧٩/١ حيث ضبطنا أسماء المدن عنه.

[مدن بلاد الباميان]

ومدينة **بدخشان**: وموقعها من تركستان، وهي مدينة صغيرة عليها سور حصين من التراب، وبها [٣٦٥] أسواق وفنادق وحمامات وتجار وأموال مصرفة، ولها مدن ورساتيق وأعمال ممتدة وكروم وأشجار وعيون جارية، وهي متصلة بأعمال القنّوج وبلاد الهند، وبجبالها دواب كثيرة، وبها الخيل الجياد والبغال المتخيرة، وبها معدن اللعل البدخشاني المشاكل للياقوت الأحمر وهو المسمى على ألسنة العامة بالبلخش، ويوجد بها من سائر أنواع الأحجار النفيسة خلا الياقوت، وبها معدن اللازورد الجيد، ويستخرج بها الشيء الكثير منه، ويحمل إلى البلاد فيعمها كثرة ولا شيء يفوقه، وينفع بها المسك من أرض التبت ومن مدنها بلا ورد ولاكند وكلاهما ذات أسواق.

وهانك: وهي مدينة حسنة البقعة، كثيرة الناس والمتنزهات، وبها أسواق كبيرة، وأهلها قوم مياسير.

وخان وكران، وبها أسواق وعمارات كثيرة.

ومدينة الصغابيان: ولها حصن حصين، ومدن أخرى.

[بعض مدن أرض التبت]

وبعض أرض التبت:

وقاعدتها مدينة التبت[1]: وهي مدينة كبيرة وأرضها منسوبة إليها، ولها سور منيع، وهي على نشز عال، وفي أسفلها وادٍ يمرُّ على بحيرة ثروان، وطولها ما يقارب أربعين فرسخاً وعرضها اثنان وسبعون ميلاً، وماؤها حلو عذب، وهي دار ملك، ويعمل بها ثياب من حرير وقز تباع بثمن وافر وخيار دواب المسك بها لأنها ترعى من جبالها السُّنبل، وينبت بهذا الجبل الرَّاوند الصيني، ويحمل منه إلى الآفاق وهو خير أنواع الرَّاوند.

ومن مدنها[2]:

أوج وبروان: وهما مدينتان جليلتان لا يحتاجان مع ما فيهما إلى غيرهما.

قال الشريف[3]: [٣٦٦] وعلى مقربة منهما في جنوبهما جبل معطوف على هيئة الدال لا يصل أحدٌ إلى أعلاه إلا بعد جهد، وطرفاه متصلان ببلاد الهند.

---

(١) (نزهة المشتاق: ٥١٢/١).

(٢) ضبطنا الأسماء عن (نزهة المشتاق: ٥١٤/١).

(٣) المصدر السابق.

[إقليم القنوج من بلاد الهند]

والذي يقع في هذا الإقليم من بلاد الهند **إقليم القنوج**، وهو إقليم عظيم الشأن والمكان كثير البلاد والمدن الكبار والأموال الزاخرة كالتجار، وهو إقليم معتدل بالنسبة إلى غيره، به أنهار جارية وفواكه كثيرة وخيرات عزيزة وزروع مخصبة ودواب تفوق العد وتتجاوز الحد، يقال: إن به نحو ثلاثمائة مدينة ممدنة عامرة آهلة ذات رساتيق وأعمال وجبايات وأموال، وموقع هذا الإقليم شمالي إقليم عبوض بشرق.

وموقع مدينة **هلي** التي هي كرسي ملك الهند الآن، وبها السلطان محمد شاه سلطانها بين هذين الإقليمين القنوج.

وعيوض قريبة إلى القنوج، واقعة في هذا الإقليم، وهي أم ملك الممالك كلها، وعليها مدار عقدها وحلها، دار ملك وإمارة وعساكر جرارة وتخت أكاسرة وكرسي قياصرة، بل منبر خلافة ومحراب أمانة وسرير سلطنة وسيأتي ذكرها في مكانه عند ذكر مملكة الهند والسند إن شاء الله تعالى مفصلاً.

ويقع في نهاية هذا الإقليم ما نذكره.

[مدن الإقليم الشرقية الآخذة إلى الجنوب]

أما في شرقه الآخذ إلى الجنوب: فيأخذ قطعة من الصين، ومن مدنه الواقعة به:

مدينة **كخا**:[1] ومدينة **أرخون**[2]: ومقاديرهما متوسطة، وهما نهاية الصين في حده الشمالي.

وفي شرقيهما مدينتان أشهرهما مدينة اصطروب، وهو نهاية شرق الصين.

[مدن الإقليم الشرقية الآخذة إلى الشمال]

وأما في شرقه الآخذ إلى الشمال: فهو بلاد الأتراك البرغرية، ومن مدنهم:

أطاس[3] **وبرماجان العليا**[4]: وهي مدينة [٣٦٧] حصينة لها سوران منيعان.

---

(١) في (نزهة المشتاق: ١/٥١٥): كجا.

(٢) في المصدر السابق: دارخون.

(٣) في (نزهة المشتاق: ١/٥١٥): أطباش.

(٤) كذا في الأصل وفي المصدر السابق: برسخان.

ومدينة **نواكث**[1]، **ومدينة حراكث**[2]: ولأهلها صنائع، ويباع بها حديد يجلب إليها مما وراءها، ويبيعه أهلها ممن جاورهم.

ومدينة نضخو: وهي على بحيرة تسمى بحيرة كوارث وماؤها عذب حلو.

[بعض مدن أرض الأتراك]

وقطعة من أرض الأتراك الخرلخية، وفي مشاريقها مدن الأتراك الخرخزية.

ومن مدنهم بها[3]:

مدينة **جرجرير**، ومدينة **خاقان جرجرير**، **ومدينة كوند جرجرير**، ومدن أخرى وكلها حصون متحصنة شاهقة على صهوات الجبال ذوات مياه جارية تدور عليها الأرحاء، ومزارع خصبة وأشجار مثمرة وخصب زائد، ودواب سائمة لا تعد من الخيل والأبقار والأغنام، وخيلهم قصار الرقاب وليست عندهم إلا للأكل، وترحيلهم وانتجاعهم كله على البقر، ونساء الخرخزية يتصرفن في الأشغال، وليس على الرجال إلا الحركة والزرع والحصاد.

[جزيرة الياقوت]

ثم جزيرة الياقوت[4]: وهي في البحر المحيط، وليست بجزيرة فإنها متصلة بالبر من غربيها، وإنما هي صعبة الطريق لأن عليها جبلاً يستدير بها صعب الصعود لا يقدر على ارتقائه إلا بجهد جهيد ثم لا يقدر على النزول منه إلى الجزيرة إلا بمثل ذلك، وبه حيات قتالة، وفي أرضه حص الياقوت على اختلاف أنواعه، وأهل تلك الناحية لهم حيلٌ في إخراجها.

وهذا نهاية ما وقع عليه هذا الإقليم في البر المتصل إلى البر المحيط في آخر الشرق.

[ما وقع في الإقليم الثالث من الجزائر]

وأما ما وقع به من الجزائر فسنذكرها ونحن بداء من جهة المغرب آخذين إلى المشرق على وضع خط الأقاليم، ولا نذكر من الجزائر إلا مشاهيرها [٣٦٨].

[الجزائر الواقعة في البحر الشامي]

فأما ما وقع بالبحر الشامي مما هو في هذا الإقليم فهو ما نذكر، وأولها:

---

(١) كذا في الأصل وفي.

(٢) في (نزهة المشتاق: ٥٢١/١): خزخراكث.

(٣) ذكرت المدن (مضافة إلى (خرخيز)، لعل الصواب خرخيز).

(٤) (نزهة المشتاق: ٥٢٠/١).

[جزيرة جربة]

وأهلها مسلمون، وهم مكارة طائفة من الرافضة، يقال إنهم يبالغون في بغض عائشة رضي الله عنها، وإذا مس أحد لهم آنية كسروها، ولا يقدر أحد من غيرهم أن يدخل مساجدهم.

ويقال إن فيهم كرماً زائداً، وأنهم يعدون أواني وفرشاً للأضياف تأففاً من مسِّ غيرهم آنيتهم، وإليها تنسب الأكتبة الجربية.

[جزر الفرنج]

ثم كل ما نذكره من الجزر في هذا البحر فإنه للفرنج لا تعلم به كلمة إسلام.

فمن ذلك جزيرة قوصرة: المقاربة لتونس وبها جماعة من المسلمين تحت الذمة على مقررٍ ومثل هؤلاء إذا كانوا تحت أيدي الفرنج يعرفون في بلاد الغرب بالمدجلين.

وجزيرة **لمطة**[1]: وهي مقاربة لطرابلس الغرب.

وقطعة من جنوبي جزيرة قبرص.

وهذا آخر ما وقع في هذا البحر الشامي من الجزر الواقعة في هذا الإقليم الثالث.

[الجزر الواقعة بالإقليم الثالث الواقعة في البحر الفارسي]

وأما ما وقع فيه من الجزر في البحر الفارسي فهو:

جزيرة خارك[2]: المقابلة لمدينة البصرة.

وجزيرة أركاوان: المقابلة لمدينة الأحساء.

[جزيرة خارك]

وجزيرة خارك المذكورة جليلة مشهورة لمكان مغاص اللؤلؤ بها، وبها أعشاب كبيرة وعيون ماءٍ كبيرة عذبة منها:

[عيون جزيرة خارك]

عين تسمى **عين بوزيدان**[3]، وتسمى عين غذَّار وكلها في وسط البلد، ومياه هذه العيون قوية دفاعة تطحن عليها الأرحاء.

---

(١) انظرها في نزهة المشتاق. (٢) (نزهة المشتاق: ٣٧٩/١.

(٣) (نزهة المشتاق: ٣١٧/١) ومنها أنها من جزيرة أوال. وبها مدينة كبيرة تدعى البحرين.

وعين غذار[1]: عجب لمبصرها لأنها كبيرة فوراء مستديرة الفم في عرض ستين شبر، والماء يخرج منها، وعمقها يزيد على خمسين قامة، وقد وزن المهندسون وحذّاق العلماء علوّ فمها فوجدوه مساوياً لسطح البحر.

قال [٣٦٩] الشريف[2]: وعامة أهل هذا البلد يزعمون أنها متصلة بالبحر ولا خلاف بينهم في ذلك.

ثم قال: وهذا غلط لأن ماؤها حلو عذب بارد لذيد يشتهى، وماء البحر ماء زعاق، ولو كانت كما زعموا لكان ماؤها ملحاً كماء البحر، وبها زروع وأرز كبير ونخل وكروم، وفيها رؤساء الغواصين في البحر، والتجار يقصدون إليها من جميع الأقطار بالأموال الكثيرة، ويقيمون بها الأشهر حتى يكون وقت الغوص فيكثرون الغواصين بأجرة معلومة تتفاضل على قدر تفاضل الغوص والأمانة، وشهرا الغوص شهر أغشت وشهر شتنبر[3] فإذا كان أوان الغوص وصفا الماء للغطاس وأكرى كل واحد من التجار صاحبه من الغواصين خرجوا من المدينة في أزيد من مائتي دونج والدونج أكبر من الزورق[4] وفي إنشائه وظائف يقطعها التجار أقساماً في كل دونج منها خمسة أقسام وستة، وكل تاجر منهم لا يتعدى قسمه من المراكب، وكل غواص له صاحب يتعاون به في عمله وأجرته على خدمته أقل من أجرة الغطاس، ويسمى هذا المعاون المصفي ويخرج الغواصون من هذه المدينة، وهم في جمله في وقت خروجهم ومعهم دليل ماهر ولهم مواضع يعرفونها بأعيانها لوجود صدف اللؤلؤ فيها لأن للصدف مراعي يجعل فيها وتنتقل إليها وتخرج عنها في وقت آخر إلى أمكنةٍ أخرى معلومة بأعيانها فإذا خرج الغواص عن أول تقدمهم الدليل، والغواص خلفه في مراكبهم صفوفاً لا يتقدم حرية ولا يخرج عن طريقه، وكلما مر الدليل بموضع من تلك المواضع التي يصاد فيها صدف اللؤلؤ [٣٧٠] تنحى عن ثيابه وغطس في البحر ونظر فإن وجد ما يرضيه خرج وأمر بخط قلاعه وأرسى دونه وحطت جميع المراكب حوله وأرست واجتذب كل غواص إلى غوصه وهذه المواضع يكون عمق الماء فيها من ثلاث قامات إلى قامتين فدونها وصفة غوصهم أن الغواص يتجرد من ثيابه ويبقى بستر ستر عورته ويضع في أنفه الجلنجل وهو شمع مذاب بدهن السيرج يسد به أنفه ويأخذ معه سكيناً ومشنة فيجمع فيها ما يجده هناك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣)

(٤) لازال القول للشريف في المصدر السابق.

من الصدف، ومع كل غواصٍ منهم حجر وزنه من ربع قنطار أو نحوه مربوط بحبل رقيق وثيق فيدليه في الماء مع جنب الدونج ويمسك الحبل صاحبه بيده ثم يرسل صاحبة الحبل من يده دفعة واحدة فيتم الحجر مسرعاً حتى يصل قعر البحر والغائص عليه يمسك الحبل بيده، فإذا استقر في قعره نزل عنه إلى القعر، وجلس وفتح عينيه في الماء ونظر إلى ما أمامه وجمع ما وجد هنالك من الصدف في عجلٍ فإن امتلأت مشنته وإلا اندرج إلى ما قاربه والحجر لا يفارقه ولا يترك يده عن إمساكه في حبله، فإن أدركه الغم كبيراً صعد مع الحبل إلى وجه الماء، واسترد نفسه حتى يستريح ويرجع إلى غوصه وطلبه، فإذا امتلأت مشنته اجتذبها صاحبه من أعلى الدونج وفرغ المشنة بما فيها من الصدف هناك في قسمة من المراكب وأعادها في البحر إلى الغواص، فإن كان الصدف هناك كبيراً وعلى قدر الوجود له يكون طلبه، فإذا أتم الغواصون في البحر مقدار ساعتين صعدوا ولبسوا ثيابهم، وتدثروا وناموا وانتدب المصفي وهو صاحب الغوّاص ينشف ما معه من [٣٧١] الصدف والتاجر ينظر إليه حتى يأتي على آخره، فيأخذه التاجر منه ويصره عند نفسه بعدد مكتوب، فإذا كان عند العصر انتدبوا إلى طعام يصنعونه فتعشوا وناموا ليلتهم إلى الصباح، ثم يقومون وينظرون في أغذية يأكلونها إلى أن يحين وقت الغوص فيتجردون ويغوصون هكذا كل يوم، وكلما فرغوا من مكان أفنوا صدفه انتقلوا لغيره، ولا يزالون بهذه الحال إلى آخر أغست.

هذا ما وقع في هذا البحر الفارسي من الجزر الواقعة في هذا الإقليم، وبتمامه ثم الإقليم الثالث براً وبحراً ولله الحمد والمنة.

آخر السفر الأول من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة لا رب غيره ولا إله سواه، ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر الثاني.

المحتويات



